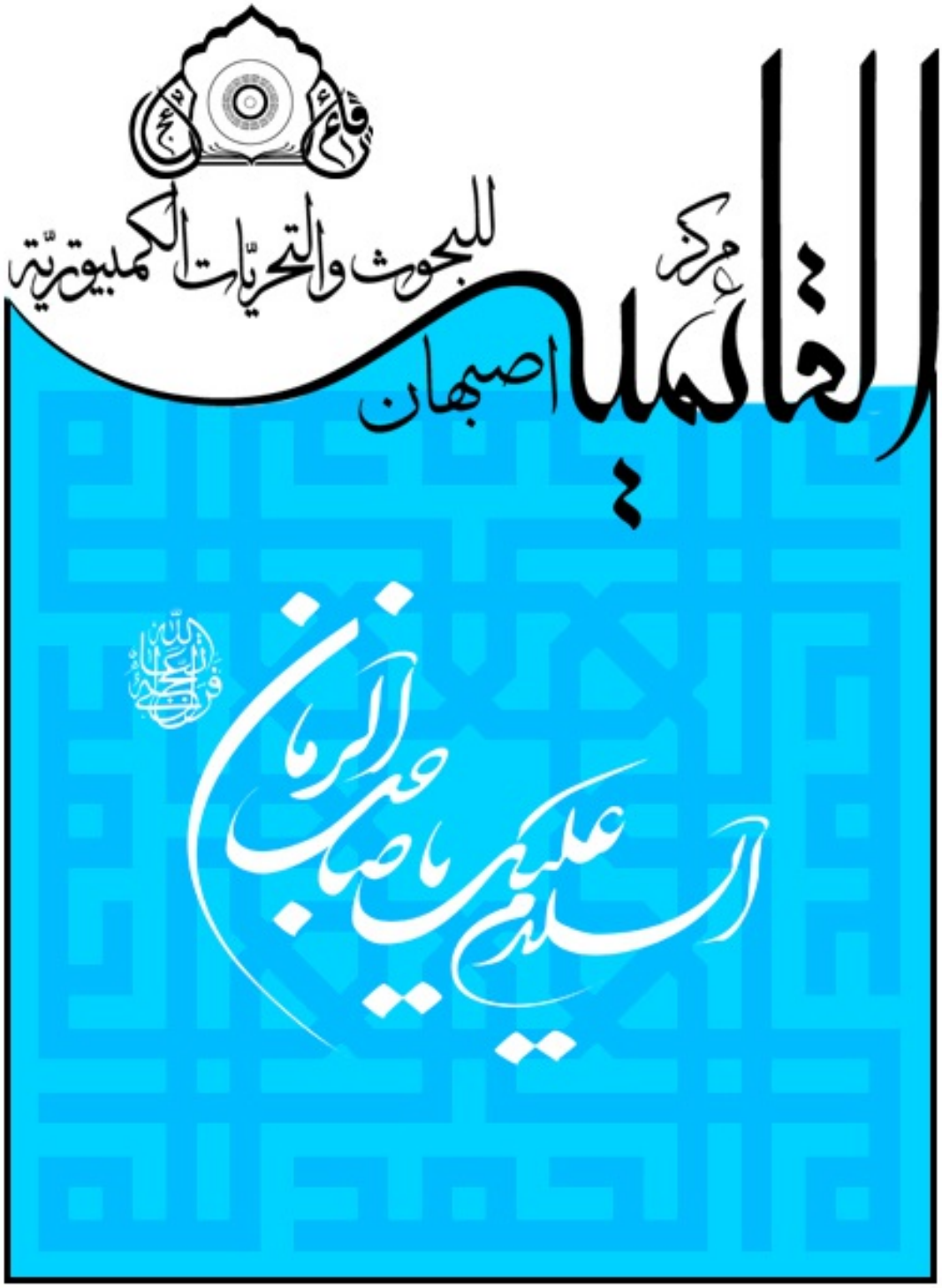

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مع الركب الحسینی

مع الركب الحسینی من المدینه الی المدینه

تالیف: محمدجواد طبسی

۲

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الركب الحسينى من المدينه الى المدينه

كاتب:

محمد جواد الطبسى

نشرت فى الطباعة:

مركز الغدير للدراسات الاسلاميه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
مع الركب الحسينى من المدينه الى المدينه المجلد ۲ ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
[مقدمات التحقيق] ----- ۱۵
مقدمة مركز الدراسات الإسلاميّة التابع لممثليّة الولى الفقيه فى حرس الثورة الإسلامية ----- ۱۵
مقدمة المؤلف (الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية) ----- ۱۶
اشاره ----- ۱۶
مكّة المكرّمة والتركيبة القبلية فيها ----- ۱۹
وفى الختام: ----- ۲۳
الفصل الأول: حركة الإمام أبى عبدالله الحسين عليه السلام فى مكّة ----- ۲۳
ورود الإمام الحسين عليه السلام مكّة المكرّمة ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
الإستقبال الحافل والحفاوة البالغة ----- ۲۴
منزل الإمام الحسين عليه السلام بمكّة ----- ۲۵
رسائل الإمام عليه السلام إلى الولايات الأخرى ----- ۲۶
رسالته عليه السلام إلى البصرة ----- ۲۶
نصّ رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة ----- ۲۷
نماذج من أشراف البصرة الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
۱- مالک بن مسمع: ----- ۲۸
۲- الأحنف بن قيس: ----- ۲۹
۳- مسعود بن عمرو بن عدى الأزدى: ----- ۳۰
۴- قيس بن الهيثم السلمى: ----- ۳۰

۵- المنذر بن الجارود العبدی: ۳۰
الشهید الأوّل فی الثورة الحسینیّة: ۳۲
إجتماع الإمام علیه السلام برسل أهل الکوفة ومبعوثیهم ۳۳
رسالة الإمام الحسین علیه السلام إلی أهل الکوفة: ۳۳
سفیر الإمام الحسین علیه السلام إلی الکوفة: ۳۴
اشارة ۳۴
ماذا یعنی کتمان الأمر هنا؟ ۳۶
من هو مسلم بن عقیل علیه السلام ۳۷
هل طلب مسلم الإستعفاء من السفارة؟! ۳۸
اشارة ۳۸
یقول السیّد المقرّم قدس سره: ۳۹
مسلم بن عقیل علیه السلام فی الکوفة ۴۰
اشارة ۴۰
وقال الشیخ المفید قدس سره: ۴۲
رسالة الإمام علیه السلام الی محمد بن الحنفیة ومن قِبله من بنی هاشم ۴۵
اشاره ۴۵
معنی محتوی الرسالة: ۴۶
رسالة أخری من الإمام الحسین علیه السلام ۴۸
إرساله علیه السلام قیس بن مسهّر إلی الکوفة مرّة ثانیة ۴۹
اشارة ۵۰
من هو قیس بن مسهّر الصیداوی؟ ۵۰
رسالة مسلم بن عقیل إلی الإمام علیه السلام ۵۲
خُطَبُ الإمام علیه السلام فی مکّة المکرّمة ۵۳
اشارة ۵۳

الخطبة الأولى ----- ۵۴
اشارة ----- ۵۴
ملاحظات مستفادة من هذه الخطبة الشريفة: ----- ۵۵
الخطبة الثانية ----- ۵۷
يوم الخروج من مكّة المكرّمة ----- ۵۷
لماذا أصرَّ الإمام عليه السلام على مغادرة مكّة أيّام الحج؟ ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
تعليقة العلّامة المجلسى قدس سره ----- ۵۹
تعليل الشيخ جعفر التسترى قدس سره ----- ۶۰
اشارة ----- ۶۰
أمّا الواقعيّ ----- ۶۰
وأمّا التكليف الظاهرى ----- ۶۱
تمام الحق فى القول ... ----- ۶۱
قول السيد المرتضى قدس سره ----- ۶۲
اشارة ----- ۶۲
الجواب: ----- ۶۳
عمرة التمتع أم عمرة مفردة؟ ----- ۶۳
هل بدّل الإمام عليه السلام إحرامه من عمرة التمتّع إلى العمرة المفردة؟ ----- ۶۳
كلمات بعض الفقهاء ----- ۶۵
هل خرج الإمام عليه السلام من مكّة سرّاً؟ ----- ۶۶
لماذا حمل الإمام عليه السلام النساء والأطفال معه!؟ ----- ۶۹
الفصل الثانى حركة السلطة الأموية فى الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية ----- ۷۴
اشارة ----- ۷۴
حركة السلطة الأمويّة المحلّية فى الكوفة ----- ۷۵

اشارة ----- ۷۵
تأمّلٌ وملاحظات ----- ۷۹
۱)- سکون ما قبل العاصفة فی الکوفة ----- ۷۹
۲)- «الغشم» وسیلة خروج الأمویین من مأزقهم الکبیر! ----- ۸۰
۳)- سرّ التراخی فی موقف النعمان بن بشیر ----- ۸۰
حرکة السلطة الأمویة المرکزیة فی الشام ----- ۸۲
اشاره ----- ۸۲
تأمّل وملاحظات ----- ۸۴
۱)- سرجون النصرانی .. والإقتراح المتوقّع! ----- ۸۴
۲)- ماذا یعنی عهد معاویة- أواخر أیّامه- لعبیداللّه علی الکوفة!؟ ----- ۸۴
۳)- یزید یستخدم أسلحة أبیه فی الإرهاب الدینی!! ----- ۸۵
۴)- من هو عبیداللّه بن زیاد!؟ ----- ۸۶
هل غیّرت السلطة الأمویة المرکزیة والی مکّة؟ ----- ۹۰
عزل الولید بن عتبة عن ولایة المدینة ----- ۹۰
رسالة یزید إلی عبداللّه بن عبّاس ----- ۹۱
ملاحظات حول هذه الرسالة ----- ۹۲
رسالة یزید إلی (القرشیین) فی المدینة ----- ۹۴
التخطیط لإغتیال الإمام علیه السلام أو إعتقاله فی مکّة ----- ۹۴
حرکة السلطة الأمویة المحلیّة فی البصرة ----- ۹۵
حرکة السلطة الأمویة المحلیة الجدیدة فی الکوفة ----- ۹۷
السفر السریع إلی الکوفة ----- ۹۷
خدعة ابن زیاد تنطلی حتی علی النعمان بن بشیر! ----- ۹۹
الخطاب الإرهابیّ الأوّل ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰

إشارة: ----- ۱۰۰
الإجراء الإرهابی الأوّل ----- ۱۰۱
اشارة ----- ۱۰۱
إشارة: ----- ۱۰۱
قتل عبداللّه بن یقطر «۲» الحمیری (رض) ----- ۱۰۲
اشارة ----- ۱۰۲
الروایة الأولی: ----- ۱۰۳
أما الروایة الثانیة: ----- ۱۰۳
من هو عبداللّه بن یقطر الحمیری؟ ----- ۱۰۵
اضطهاد رجال المعارضة وحبسهم وقتلهم ----- ۱۰۶
حبس میثم التمّار ----- ۱۰۷
میثم التمّار رضوان اللّه تعالی علیه ----- ۱۰۸
التجسس لمعرفة مکان قیادة الثورة ----- ۱۱۱
حبس هانی بن عروة المرادی ----- ۱۱۱
أعوان السلطة .. والخدعة المشترکة! ----- ۱۱۴
تسخیر الأشراف لتخذیل الناس عن مسلم علیه السلام ----- ۱۱۵
تفتیش دور الکوفة بحثاً عن مسلم علیه السلام ----- ۱۱۶
تجمید الثغور وتوجیه عساکرها إلی حرب الحسین علیه السلام ----- ۱۱۶
حرکة السلطة الأمویّة المحلّیة فی مکة المکرمة ----- ۱۱۷
قلق الوالی من تواجد الإمام علیه السلام فی مکّة ----- ۱۱۷
سفر الأشدق الی المدینة المنوّرة وتهدیده أهلها ----- ۱۱۸
تنفیذ أمر یزید باعتقال الإمام علیه السلام أو اغتیاله فی مکّة ----- ۱۱۹
محاولة عمرو الأشدق لمنع الإمام علیه السلام من الخروج عن مکّة ----- ۱۲۱
الفصل الثالث حرکة الأمّة فی الأیّام المکیّة من عمر النهضة الحسینیة ----- ۱۲۴

اشارة ----- ۱۲۴
حرکّة الأمّة فی الحجاز ----- ۱۲۴
اشارة ----- ۱۲۴
إحتفاء الناس فی مکّة المکرّمة بالإمام علیه السلام ----- ۱۲۵
وجهاء الأُمّة .. مشورات ونصائح ----- ۱۲۵
اشارة ----- ۱۲۵
اشارة: ----- ۱۲۶
تحرّک عبدالله بن عبّاس ----- ۱۲۷
اشارة ----- ۱۲۷
المحاورة الأولی: ----- ۱۲۸
اشارة ----- ۱۲۸
تأمّل وملاحظات: ----- ۱۲۹
المحاورة الثانیة: ----- ۱۳۱
اشارة ----- ۱۳۱
تأمّلٌ وملاحظات: ----- ۱۳۲
معنی الإستخارة: ----- ۱۳۴
المحاورة الثالثة: ----- ۱۳۵
المحاورة الرابعة: ----- ۱۳۶
اشارة ----- ۱۳۶
إشارة: ----- ۱۳۷
والملاحظ المتأمّل یری: ----- ۱۳۸
خلاصة القضیة: ----- ۱۳۸
لماذا تخلّف ابن عباس (رض) عن الإمام علیه السلام!؟ ----- ۱۳۸
رسائل ابن عباس (رض) إلی یزید ----- ۱۴۵

تحرّک محمد بن الحنفیهٔ (رض) ---- ۱۴۸
اشارهٔ ---- ۱۴۸
إشارهٔ: ---- ۱۵۰
لماذا تخلّف محمّد بن الحنفیهٔ عن الإمام علیه السلام؟ ---- ۱۵۱
اشارهٔ ---- ۱۵۱
زیادهٔ .. ربّما کانت أمویهٔ! ---- ۱۵۴
تحرّک عبدالله بن جعفر (رض) ---- ۱۵۵
اشارهٔ ---- ۱۵۵
تأمّل وملاحظات: ---- ۱۵۷
تأمّل وملاحظات: ---- ۱۵۹
لماذا لم یلتحق عبد الله بن جعفر (رض) بالامام علیه السلام ---- ۱۶۱
عبدالله بن الزبیر .. والنصائح المتناقضهٔ! ---- ۱۶۲
اشارهٔ ---- ۱۶۲
تأمّل وملاحظات: ---- ۱۶۶
عبدالله بن عمر .. والمشورهٔ المریبهٔ! ---- ۱۶۸
اشارهٔ ---- ۱۶۸
تأمّل وملاحظات: ---- ۱۷۱
الأوزاعی .. والنهی عن المسیر إلی العراق! ---- ۱۷۴
لقاء جابر بن عبدالله الأنصاری (رض) مع الإمام علیه السلام ---- ۱۷۵
لولا تقارب الأشیاء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء! ---- ۱۷۸
اشارهٔ ---- ۱۷۸
تأمّلّ وملاحظات: ---- ۱۷۸
ولأبی سعید الخدری مشورهٔ أیضاً ---- ۱۸۰
اشارهٔ ---- ۱۸۰

تأمّلٌ وملاحظات: ۱۸۰
کلام المامقانی (ره) فی الفائدة السادسة والعشرین: ۱۸۲
مناقشة کلام المامقانی (ره) ۱۸۳
رسالة المشور بن مخرمة ۱۸۴
اشاره ۱۸۴
تأمّلٌ وملاحظات: ۱۸۴
رسالة عمرة بنت عبدالرحمن ۱۸۵
اشارة ۱۸۵
إشارة: ۱۸۶
حرکة الأمّة فی الکوفة ۱۸۶
أوّل اجتماع للشیعة فی الکوفة بعد هلاک معاویة ۱۸۸
رسل الکوفة إلی الإمام علیه السلام ۱۹۱
اشارة ۱۹۱
إشارة: ۱۹۳
دفعة أخری من الرُسُل والرسائل! ۱۹۳
ثمّ دفعة أخری! ۱۹۴
دور المنافقین فی موجة الرسائل: ۱۹۵
التعاطف الکبیر مع سفیر الحسین علیهما السلام ۱۹۷
الإجتماع الأوّل مع سفیر الإمام علیه السلام ۱۹۸
اشاره ۱۹۸
إشارة: ۱۹۸
الکوفة بانتظار الحسین علیه السلام ۱۹۹
أهل الکوفة .. والمبادرة المطلوبة ۲۰۰
حرکة الأمّة فی البصرة ۲۰۳

اشاره ----- ۲۰۳
ردّ رؤوس الأخماس والأشراف على رسالة الإمام عليه السلام ----- ۲۰۴
۱)- ردّ الأحنف بن قيس: ----- ۲۰۴
۲)- خيانة المنذر بن الجارود: ----- ۲۰۴
۳)- يزيد بن مسعود النهشلى .. والموقف المحمود: ----- ۲۰۵
ملاحظات وتأمّل: ----- ۲۰۶
المؤتمر الشيعىّ السرّىُّ فى البصرة ----- ۲۱۰
اشارة ----- ۲۱۰
إشارة: ----- ۲۱۱
خمسمائة من البصريين فى سفر ابن زياد الى الكوفة! ----- ۲۱۱
اشارة ----- ۲۱۱
إشارة: ----- ۲۱۲
الملتحقون بالركب الحسينىّ فى مكّة المكرّمة ----- ۲۱۳
اشارة ----- ۲۱۳
۱)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل المدينة ----- ۲۱۳
اشارة ----- ۲۱۳
۱)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل المدينة: ----- ۲۱۳
۲)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة ولم تحدّد التواريخ والتراجم أمكنة إنطلاقهم ----- ۲۱۵
: جنادة بن كعب بن الحرث الأنصارىّ الخزرجى (رض): ----- ۲۱۵
: عبدالرحمن بن عبد ربّ الأنصارى الخزرجى (رض): ----- ۲۱۷
: عمّار بن حسّان الطائى (رض): ----- ۲۱۷
۲)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل الكوفة: ----- ۲۱۸
: بُريرُ بن خُضير الهمدانى المشرقى (رض): ----- ۲۱۸
: عابس بن أبى شبيب الشاكرى (رض): ----- ۲۱۸

: شوذب بن عبداللّه الهمدانی الشاکری (رض): ---- ۲۱۹
: قیس بن مسهّر الصیداوی (رض): ---- ۲۲۰
: عبدالرحمن بن عبدالله الأرحبی (رض): ---- ۲۲۰
: الحجّاج بن مسروق الجعفی (رض): ---- ۲۲۱
: یزید بن مغفل الجعفی (رض): ---- ۲۲۲
۳)- الملتحقون به علیه السلام فی مکّهٔ من أهل البصرهٔ: ---- ۲۲۳
اشارهٔ ---- ۲۲۳
: الحجّاج بن بدر التمیمی السعدی (رض): ---- ۲۲۳
: قعنب بن عمر النمری (رض): ---- ۲۲۳
: یزید بن ثبیط العبدی وإبناه عبدالله وعبیدالله (رض): ---- ۲۲۳
: الأدهم بن أمیّهٔ العبدی (رض): ---- ۲۲۴
: سیف بن مالک العبدی (رض): ---- ۲۲۵
: عامر بن مسلم العبدیّ ومولاه سالم (رض): ---- ۲۲۵
تعریف مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ ---- ۲۲۵

مع الرکب الحسینی من المدینه الی المدینه المجلد ۲

اشارة

شابک۹۶۴۵۸۷۹۰۹۴ :

پدیدآورنده(شخص)طبسی، محمدجواد،۱۳۳۱ –

عنوانمع الرکب الحسینی من المدینه الی المدینه

تکرار نام پدیدآورتالیف محمدجواد الطبسی

مشخصات نشرقم: حرس الثوره الاسلامیه، ممثلیه الولی الفقیه، مرکز الدراسات الاسلامیه، دراسات عاشوراآ،۱۴ ق= –۱۳.

فروستمرکز الدراسات الاسلامیه. المجموعه الموضوعیه؛ ۳

بها۱۸۰۰۰ریال

مندرجاتج.۱. .– – ج.۲. .– – ج.۳. وقائع الطریق من مکه الی کربلاآ

یادداشتعربی

یادداشتفهرست‌نویسی براساس جلد سوم:۱۴۲۱ ق. =۱۳۸۰

یادداشتج. ۵ (۱۴۲۴ق. =۱۳۸۲)

یادداشتچاپ دوم:۱۳۸۳

یادداشتکتابنامه

موضوعحسین‌بن علی(ع)، امام سوم، ق ۶۱– ۴

موضوعواقعه کربلا، ق۶۱

شناسه افزوده (سازمان)پژوهشکده تحقیقات اسلامی. تحقیقات عاشورا. سپاه پاسداران انقلاب اسلامی. نمایندگی ولی فقیه

رده کنگره۴۱/۴،BP،/ط۲۷م۶

رده دیوئی۲۹۷/۹۵۳

شماره مدرکم۸۱–۱۳۹۹۲

[مقدمات التحقیق]

مقدمة مرکز الدراسات الإسلامیّة التابع لممثلیّة الولی الفقیه فی حرس الثورة الإسلامیة

الحمد للّه‌الذی جعل الحمد مفتاحاً لذکره و دلیلًا علی نعمه و آلائه، والصلاة والسلام علی أشرف الخلائق محمّد وآله الطیبین الطاهرین.

و بعدُ: فهذا الکتاب هو الجزء الثانی من سلسلة أجزاء الدراسة التأریخیة التفصیلیة (مع الرکب الحسینی من المدینة الی المدینة)، و یختص هذا الجزء بالمقطع الثانی من مقاطع هذه الدراسة، و هو مقطع «الأیّام المکیّة من عمر النهضة الحسینیة»، أی الأیام التی أقام الإمام الحسین علیه السلام فیها بمکّة المکرمة بعد إعلانه عن رفضه مبایعة یزید بعد موت معاویة بن أبی سفیان.

و فترة الأیام المکیّة من عمر النهضة الحسینیة من أصعب أیام هذه النهضة المبارکة علی صعید المتابعة التاریخیه، لأنها أقلّ مقاطع هذه النهضة المقدّسة من حیث کمیّة الوثائق التأریخیة التی تحدّثت عنها، مع أنّ هذه الفترة هی أطول مقاطع النهضة الحسینیة إذ بلغت ما

یقارب مائة و خمسة و عشرین یوماً، و لا شکّ أنها کانت ملیئة بالمهم من وقائع حرکة الإمام علیه السلام لأنّ مکّة المکرّمة فی تلک الأیام کانت محطّ و ملتقی جموع المعتمرین والحجّاج.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۴

ولذا فقد عمد مؤلّف هذا الکتاب- من أجل سدّ ثغرة قلّة وثائق هذه الفترة- إلی دراستها من خلال متابعات ثلاث: الأولی هی متابعة حرکة الإمام علیه السلام، والثانیة متابعة حرکة السلطة الأمویة فی مواجهة حرکة الإمام علیه السلام، والثالثة هی متابعة حرکة الأمّة إزاء قیام الإمام علیه السلام.

فجاءت هذه الدراسة غنیّة و جدیدة بمعنی الکلمة من حیث النظم والمحتوی، والإلتفاتة البکر، والإستنباط الذکیّ الرائع، والتبویب المغنی عن عناء المتابعات المرهقة.

و مؤلف هذا البحث هو سماحة الشیخ المحقّق الأستاذ نجم‌الدین الطبسی، صاحب الخبرة الطویلة فی میدان التحقیق العلمی والتأریخی، إذ هو أحد محقّقی موسوعة: «معجم أحادیث المهدی علیه السلام»، و من مؤلفاته القیّمة: کتاب «موارد السجن فی النصوص والفتاوی»، و کتاب «النفی والتغریب»، و کتاب «الوهابیة:

دعاوی و ردود».

ولا یسعنا هنا إلّاأن نتقدّم الی شیخنا المحقّق مؤلف هذا الکتاب بالشکر الجزیل علی ما بذله من جهد متواصل و عناء کبیر من أجل إنجاز هذا البحث القیّم، داعین له بمزید من الموفقیة والنجاح فی میدان خدمة الحقّ والحقیقة و نصرة دین اللّه تعالی.

کما نتقدّم بالشکر الجزیل إلی الأخ الأستاذ المحقّق علی الشاوی الذی آزر مؤلّف الکتاب مؤازرة صمیمیة، و بذل جهداً کبیراً مشکوراً فی مراجعة و نقد و تنظیم هذا البحث القیّم، داعین له بمزید من الموفقیة فی میدان التحقیق و مؤازرة المحقّقین، و فی مواصلة عنایته الکبیرة فی خدمة الأجزاء الباقیة من هذه الدراسة القیّمة.

مرکز الدراسات الإسلامیّة

لممثلیّة الولی الفقیه فی حرس الثورة الإسلامیة

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۷

مقدمة المؤلف (الأیّام المکیّة من عمر النهضة الحسینیة)

اشاره

ارتحل الإمام الحسین علیه السلام عن المدینة المنوّرة سنة ستین للهجرة إلی مکّة المکرّمة بعد موت معاویة بن أبی سفیان علی أثر إعلانه رفض البیعة لیزید، وکان علیه السلام قد أقام فی مکّة المکرّمة منذ الیوم الثالث من شعبان الی الیوم الثامن من ذی الحجة من نفس السنة، أی ما لایقلّ عن مائة وخمسة وعشرین یوماً، وهی فترة طویلة نسبیاً فی إطار حساب عمر النهضة الحسینیّة المبارکة، غیر أن هذه الفترة برغم طولها تعتبر الفترة المجهولة من عمر هذه النهضة المبارکة إذا قورنت مع فتراتها الأخری من حیث الوقائع والأحداث التی سجلها التاریخ عنها، ذلک لأن کتب التأریخ مرّت علی هذه الفترة المکیّة مرور الکرام، فعدا وقائع أیّام ما قبیل خروج الإمام علیه السلام من مکة التی حظیت بنوع من العنایة التأریخیّة التفصیلیة، نلاحظ أنّ التأریخ لم یسجّل عن بقیّة هذه الأیام المکیّة الطویلة إلّا ملاحظات عامة هی أقرب إلی الغموض منها إلی الوضوح.

هذا مع أنّ دراسة النهضة الحسینیّة واستیعاب أبعادها وفهم أسرارها منال لا یبلغ منه المحقق أقصی غایته بمعزل عن معرفة مجریات وقائع هذه الأیام المکیّة ودراسة الأجواء والتحرکات المؤیّدة والمضادة التی کانت تعایشها النهضة الحسینیّة والإمام علیه السلام فی

مكّة.

وتتزاحم في ذهن المتأمل في هذه الفترة المكيّة أسئلة كثيرة، قد يكون أوّلها

مع الركب الحسيني ،ج۲،ص:۸

هو السؤال عن علّة ارتحال الإمام عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكّة المكرّمة لا إلى سواها. هل أراد الإمام عليه السلام أن يتّخذ من مكّة مركزاً لانطلاق الثورة على الحكم الأمويّ!؟ أم كان عليه السلام يريد استثمار أشهر الحج في مكّة المكرّمة لإيصال صوت هذه النهضة المباركة والتعريف بأهدافها الى كلّ العالم الإسلامي آنذاك؟

وكان يمكن للمتأمّل أن يجيب بالإيجاب على محتوى الشقّ الأوّل من السؤال، أو يتبنّى الجمع بين محتوى الشقّين الأوّل والثاني معاً لو كان في مكّة المكرّمة قاعدة شعبية كبيرة موالية لأهل البيت عليهم السلام، ولكن هل كانت هذه القاعدة الشعبية الموالية موجودة فعلًا آنذاك!؟

من المؤسف أنّ مثل هذه القاعدة الشعبية الموالية لم تتوفر للإمام الحسين عليه السلام ولا لأخيه الإمام الحسن عليه السلام من قبله ولا لأبيهما الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام من قبلهما، بسبب ما تركته معارك الإسلام الأولى كبدرٍ وأُحدٍ وغيرهن في قلوب بطون قريش من أحقادٍ على أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام خاصة وعلى أهل البيت عليهم السلام فأضبّت على عداوتهم وأكبّت على منابذتهم، ذلك لأنها لا تنسى عليّاً عليه السلام الذي ناوش ذؤبانها وقتل صناديدها، وكيف تنساه «وهو صاحب لواء رسول اللّه صلى الله عليه و آله والمهاجرين» «۱»!؟ كيف تنسى قريش علياً عليه السلام وقد أورد أوّلها النار وقلّد آخرها العار على حدّ قول الإمام زين العابدين عليه السلام وابن عبّاس «۲»!؟ كيف تحبّه وقد قتل في بدرٍ وأُحد من ساداتهم سبعين رجلًا تشرب أنوفهم الماء قبل شفاههم؟ هكذا قال ابن عمر لأميرالمؤمنين عليّ عليه السلام الذي ردَّ عليه قائلًا:

---

(۱) البحار، ۱۹: ۲۰۶.

(۲) البحار، ۲۹: ۴۸۲.

مع الركب الحسيني ،ج۲،ص:۹ ماتركتْ بدرُ لنا مُذيقاولا لنا من خلفنا طريقا «۱»

عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سألته عن أميرالمؤمنين عليه السلام كيف مال الناس عنه الى غيره، وقد عرفوا فضله وسابقته ومكانه من رسول اللّه صلى الله عليه و آله!؟ فقال عليه السلام:

«إنّما مالوا عنه الى غيره وقد عرفوا فضله لأنه قد كان قتل من آبائهم وأجدادهم وإخوانهم وأعمامهم وأخوالهم وأقربائهم المحادّين للّهولرسوله عدداً كثيراً، وكان حقدهم عليه لذلك في قلوبهم فلم يحبّوا أن يتولّى عليهم، ولم يكن في قلوبهم على غيره مثل ذلك، لأنه لم يكن له في الجهاد بين يدى رسول اللّه صلى الله عليه و آله مثل ما كان له، فلذلك عدلوا عنه ومالوا إلى سواه». «۲»

وقد مارس ساسة السقيفة ومؤيدوهم عملًا إعلامياً مدروساً ومتواصلًا لتأجيج ثائرة قريش على عليّ عليه السلام ولترسيخ حقدها عليه، فهاهو عمر بن الخطّاب مثلًا ينظر الى سعيد بن العاص فيقول له: «مالي أراك كأنّ في نفسك عليَّ شيئاً، أتظنّ أنّي قتلت أباك؟ واللّه لوددت أنّي كنت قاتله! ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر، ولكنّي مررت به في يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه، وإذا شدقاه قد أزبدا كالوزغ، فلمّا رأيت ذلك هبته ورغتُ عنه! فقال: إلى أين يابن الخطّاب!؟ وصمد له عليٌّ فتناوله، فواللّه ما رمت مكاني حتى قتله». «۳»

وكان عليُّ عليه السلام حاضراً في المجلس فقال:

---

(۱) البحار، ۲۹: ۴۸۲ عن المناقب لابن شهرآشوب، ۳: ۲۲۰.

(۲) البحار، ۲۹: ۲۸۰- ۲۸۱، رقم ۲ عن علل الشرائع وعیون أخبار الرضا علیه السلام.

(۳) أنساب القرشیین: ۱۹۳.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۰

«اللّهُمَّ غفراً، ذهب الشرک بما فیه، ومحا الإسلام ما تقدّم، فمالک تُهیِّج الناس علیَّ!؟». «۱»

وقد لخّصت سیّدة نساء العالمین فاطمة الزهراء علیها السلام علّة کراهیة قریش لعلیّ علیه السلام أمام نساء المهاجرین والأنصار اللواتی جئن لعیادتها فی مرضها قبل شهادتها حیث قالت علیها السلام:

«وما الذی نقموا من أبی الحسن!؟ نقموا منه واللَّه نکیر سیفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته، ونکال وقعته، وتنمّره فی ذات اللَّه». «۲»

وما برح أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام بعد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یشکو الی اللَّه ما فعلت به قریش من غصب حقّه وتصغیر عظیم شأنه حتی مضی شهیداً، ومن شکایا بثّه الی اللَّه تعالی فی هذا قوله علیه السلام:

«مالنا ولقریش!؟ وما تنکر منّا قریش غیر أنّا أهل بیت شیّد اللَّه فوق بنیانهم بنیاننا، وأعلی فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا اللَّه علیهم، فنقموا علی اللَّه أن اختارنا علیهم، وسخطوا مارضی اللَّه، وأحبّوا ماکره اللَّه، فلمّا اختارنا اللَّه علیهم شرکناهم فی حریمنا، وعرّفناهم الکتاب والنبوّة، وعلّمناهم الفرض والدین، وحفّظناهم الصحف والزبر، ودیّناهم الدین والإسلام، فوثبوا علینا، وجحدوا فضلنا، ومنعونا حقّنا، وأَلتونا «۳» أسباب أعمالنا وأعلامنا، اللّهم فإنّی أستعدیک علی قریش فخذ لی بحقّی منها، ولا تدع مظلمتی لدیها، وطالبهم- یاربّ- بحقّی، فإنّک الحکم العدل، فإنّ قریشاً

---

(۱) البحار، ۱۹: ۲۸۰- ۲۸۱ عن الإرشاد للمفید: ۴۶.

(۲) البحار، ۴۳: ۱۶۰، باب ۷، حدیث ۹؛ الاحتجاج، ۱: ۱۴۷.

(۳) أَلَتَهُ یَألِتهُ: إذا نقَصَهُ- النهایة، ۱: ۵۸.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۱

صغّرت عظیم أمری ...». «۱»

ویقول علیه السلام فی نفثة أخری وهو یدعو اللَّه تعالی علی قریش:

«فأَجزِ قریشاً عنی بفعالها، فقد قطعت رحمی، وظاهرت علیَّ، وسلبتنی سلطان ابن عمّی ..». «۲»

ویجیب علیه السلام أخاه عقیلًا فی کتاب إلیه: «فدع عنک قریشاً وترکاضهم فی الضلال، وتجوالهم فی الشقاق، وجماحهم فی التیه، فإنّهم قد أجمعوا علی حربی کإجماعهم علی حرب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قبلی، فجزت قریشاً عنّی الجوازی، فقد قطعوا رحمی، وسلبونی سلطان ابن عمی ..». «۳»

ویلخّص علیه السلام موقفه فی صبره علی الطامّة الکبری فی انحراف الأمّة عن وصیّة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وغصب قیادة السقیفة حقّه الإلهی فی الخلافة:

«ما رأیت منذ بعث اللَّه محمّداً صلی الله علیه و آله رخاءً، والحمد للَّه، واللَّه لقد خفت اللَّه صغیراً وجاهدت کبیراً، أقاتل المشرکین وأعادی المنافقین حتی قبض اللَّه نبیّه صلی الله علیه و آله فکانت الطامّة الکبری، فلم أزل حذراً وجلًا أخاف أن یکون ما لا یسعنی معه المقام، فلم أرَ- بحمد اللَّه- إلّا خیراً، واللَّه مازلت أضرب بسیفی صبیاً حتی صرت شیخاً، وإنّه لیصبّرنی علی ما أنا فیه أنّ ذلک کلّه فی اللَّه ...». «۴»

---

(۱) البحار، ۲۹: ۵۵۹، حدیث ۱۰، عن العدد القویة: ۱۸۹، حدیث ۱۹.

(۲) البحار، ۲۹: ۶۲۸، حديث ۳۸ عن الإمامة والسياسة: ۵۵ تحت عنوان: (خروج عليّ من المدينة).

(۳) البحار، ۲۹: ۶۲۱، حديث ۳۱؛ ونهج البلاغة: ۴۰۹، رقم ۳۶.

(۴) البحار، ۲۹: ۵۵۶- ۵۵۷، حديث ۷ عن إرشاد المفيد: ۱۵۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۲

مكّة المكرّمة والتركيبة القبلية فيها

إنّ تركيبة مكّة المكرّمة الإجتماعية آنذاك تركيبة قبلية، فهى بيوتات وعشائر وبطون، وتتألف قريش من خمسة وعشرين بطناً، «۱» و «ما أن أعلن النبى صلى الله عليه و آله نبوّته رسمياً، واختياره لوليّ عهده، حتى وقفت قريش وقفة رجل واحد بقيادة البيت الأموى، وأعلنت رفضها المطلق للنبوّة والكتاب وولاية العهد، وصرّحت بأنها ستجنّد كلّ طاقاتها الماديّة والمعنوية لصدّ أهل مكّة خاصة والعرب عامة عن إتباع محمد صلى الله عليه و آله والدخول فى دينه، وانقسم المجتمع المكى الى قسمين:

الأوّل: وهو الأكثر عدداً ومدداً ظاهرياً، ويتألّف من ثلاثة وعشرين بطناً من بطون قريش ومن والاهم من الموالى والأحابيش.

الثانى: وهو الأقلّ عدداً، ويتألّف من رسول اللَّه محمد صلى الله عليه و آله ومن بطنه الهاشمى وبطن بنى المطّلب بن عبد مناف، ومن والى هذين البطنين من الموالى والأحابيش، مضافاً إليهم الذين اعتنقوا الدين الإسلامى». «۲»

وقد «قرّرت البطون استعمال كلّ الوسائل لعزل محمد صلى الله عليه و آله عن الهاشميين، فإن هم أصرّوا على عدم التخلّى عنه فلابدّ من عزل الهاشميين أنفسهم عن البطون، وفرض محاصرتهم ومقاطعتهم، فإن لم تُجدِ هذه الوسائل تعيّن على البطون أن تختار رجالًا منها يشتركون جميعاً فى قتل محمد صلى الله عليه و آله فيضيع دمه بين البطون، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، وإن لم تنجح محاولة القتل، وجب ملاحقة محمد صلى الله عليه و آله، ومحاربته حتى يتمّ القضاء التام عليه وعلى دعوته». «۳»

---

(۱)

راجع مروج الذهب، ۲: ۲۷۵.

(۲) كتاب خلاصة المواجهة مع الرسول وآله: ۲۳ و ۲۴.

(۳) نفس المصدر السابق.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۳

لكنّ هذه البطون المناوئة للدعوة المحمّدية أحسّت بالخيبة وبقوّة الصدمة وشدّة النكسة وهول ما أصابها من بنى هاشم عامة ومن عليّ بن أبى طالب عليهما السلام خاصة بعد تعاظم أمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله واشتداد شوكته، خصوصاً بعد معركة بدر الكبرى التى عبّأت فيها قريش كلّ قواها، إذ «مابقى أحد من عظماء قريش إلّا أخرج مالًا لتجهيز الجيش، وقالوا: من لم يخرج نهدم داره»، «۱» ويرى أبوسفيان أنّ لوازم المواجهة مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تقتضى العداء الى آخر الدهر، هاهو يخاطب الرجل الجهنى وهو يستقصيه أخبار جيش النبى صلى الله عليه و آله قبيل وقعة بدر الكبرى قائلًا:

«واللات والعُزّى لئن كتمتنا أمر محمّد لا تزال قريش لك معادية آخر الدهر، فإنّه ليس أحد من قريش إلّا وله شيء فى هذا العير». «۲»

لقد ترسّخ حقد قريش على بنى هاشم عامة وعلى أميرالمؤمنين عليّ بن أبى طالب عليهما السلام خاصة منذ انجلت بدر الكبرى عن انكسار قريش واندحارها، وإنها لتعلم أنّ علياً عليه السلام هو السبب الرئيس فى انهزامها وخسارتها المفجعة، فهو الذى قتل الوليد ثم شرك فى قتل عتبة وشيبة، ولقد تفرّد عليه السلام بقتل خمسة وثلاثين رجلًا ببدر- على ما أثبتهُ رواة العامة والخاصة معاً- سوى من اختلفوا فيه، ومن شرك أميرالمؤمنين عليه السلام غيره فى قتله. «۳»

وهو علیه السلام صاحب الموقف الفذ الفرید فی الشجاعة والثبات یوم أحد، وکشاهد علی هذا الموقف العُجاب ننقل من میدان موقعة أحد هذه اللقطة: «قد کانت رایة قریش مع طلحة بن أبی طلحة العبدری من بنی عبد الدار، فبرز ونادی:

(۱) البحار، ۱۹: ۲۱۷.

(۲) البحار، ۱۹: ۲۴۷.

(۳) البحار، ۱۹: ۲۸۱.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۴

یامحمّد، تزعمون أنکم تجهّزونا بأسیافکم الی النار ونجهّزکم بأسیافنا الی الجنّة، فمن شاء أن یلحق بجنّته فلیبرز إلیَّ. فبرز إلیه أمیرالمؤمنین علیه السلام وهو یقول:

یاطلحُ إنْ کنتم کما تقوللکم خیول ولنا نصولُ
فاثبت لننظر أیّنا المقتولوأیّنا أولی بما تقولُ
فقد أتاک الأسدُ الصؤولبصارم لیس به فلولُ
ینصره القاهر والرسولُ فقال طلحة: من أنت یاغلام؟

قال: أنا علیّ بن أبی طالب.

قال: قد علمتُ یاقضم «۱» أنه لایجسرُ علیَّ أحدٌ غیرک!.

فشدَّ علیه طلحة فضربه، فاتّقاه أمیرالمؤمنین علیه السلام بالحجفة، ثمّ ضربه أمیرالمؤمنین علیه السلام علی فخذیه فقطعهما جمیعاً فسقط علی ظهره، وسقطت الرایة، فذهب علیّ علیه السلام لیجهز علیه فحلّفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا

(۱) «.. عن هشام، عن أبی عبداللَّه علیه السلام أنه سئل عن معنی قول طلحة بن أبی طلحة لمّا بارزه علیّ علیه السلام یاقضم؟ قال: إنّ رسول اللَّه کان بمکة لم یجسر علیه أحد لموضع أبی طالب، وأغروا به الصبیان، وکانوا إذا خرج رسول اللَّه یرمونه بالحجارة والتراب، وشکی ذلک الی علیّ علیه السلام، فقال: بأبی أنت وأُمیّ یارسول اللَّه صلی الله علیه و آله، إذا خرجت فأخرجنی معک. فخرج رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ومعه أمیرالمؤمنین علیه السلام، فتعرّض الصبیان لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله کعادتهم، فحمل علیهم أمیرالمؤمنین علیه السلام، وکان یقضمهم فی وجوههم وآنافهم وآذانهم، فکان الصبیان یرجعون باکین الی آبائهم ویقولون: قضمنا علیّ، قضمنا علیّ، فسمّی لذلک القُضَم.». (البحار: ۲۰: ۵۲). قال ابن الأثیر: .. ومنه حدیث علی علیه السلام «کانت قریش إذا رأته قالت: احذروا الحُطَم، احذَروا القُضم ای الذی یَقضِم الناس فیهلِکهُم» (النهایة: ۴: ۷۸).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۵

أجهزت علیه؟ قال: قد ضربته ضربة لایعیش منها أبداً.

ثم أخذ الرایة أبوسعید بن أبی طلحة، فقتله علیّ علیه السلام، وسقطت رایته الی الأرض. فأخذها عثمان بن أبی طلحة فقتله علیّ، وسقطت الرایة الی الأرض.

فأخذها مسافع بن أبی طلحة، فقتله علیّ علیه السلام، وسقطت الرایة الی الأرض.

فأخذها الحارث بن أبی طلحة فقتله علیّ علیه السلام، وسقطت الرایة الی الأرض.

فأخذها عُزیر بن عثمان فقتله علیّ علیه السلام، وسقطت الرایة الی الأرض. فأخذها عبداللَّه بن جمیلة بن زهیر فقتله علیّ علیه السلام وسقطت الرایة الی الأرض. فقتل أمیر المؤمنین التاسع من بنی عبدالدار وهو أرطأة بن شرحبیل مبارزة، وسقطت الرایة إلی الأرض.

فأخذها مولاهم صوأب فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية الى الأرض، فأخذها بشماله، فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها، فسقطت الراية إلى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين ثم قال: يابنى عبدالدار، هل أُعذرت فيما بينى وبينكم؟ فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية الى الأرض ...». «۱»

فبنو عبدالدار يعادون بنى هاشم عامة وعلياً وآل علىّ عليهم السلام خاصة ويبغضونهم الى يوم الدين، حتى وإن عرفوا أنّ علياً «أحد الأربعة الذين أمر اللّه نبيّه أن يُحبّهم»، «۲» أو سمعوا أنّه يقول فيه: «لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق»، «۳» أو أنه «أحبّ الخلق إلى اللّه»، «۴» أو أنه «وليُّ النبىّ صلى الله عليه و آله فى الدنيا والآخرة». «۵»

---

(۱) البحار، ۲۰: ۵۰- ۵۱.

(۲) مسند أحمد بن حنبل، ۵: ۳۳۳.

(۳) مسند أحمد، ۱: ۸۴؛ وسنن الترمذى، ۵: ۶۳۴.

(۴) سنن الترمذى، ۵: ۶۳۴.

(۵) مسند أحمد، ۱: ۳۳۰؛ أنظر: ميزان الإعتدال، ۱: ۸۲.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۶

ولبطون قريش الأخرى نصيبها من القتلى الذين مضوا الى جهنم بسيف أميرالمؤمنين عليه السلام فى بدر وأحد ومعارك الإسلام الأخرى، هذا فضلًا عمّن قُتل منهم فى حربى الجمل وصفّين، وأولاء عدا من حدّه علىّ عليه السلام لفسقه، أو فرّ من طائلة عدل علىّ عليه السلام وقصاصه.

لذا فقد كان أهل مكّة وكثير من أهل الحجاز لايميلون الى بنى هاشم عامة والى علىّ وآل علىّ عليهم السلام خاصة، ومالوا الى قيادة السقيفة ثمّ إلى بنى أميّة بعدهم، يقول الإمام على بن الحسين عليهما السلام كاشفاً عن تلك الحقيقة:

«ما بمكّة والمدينة عشرون رجلًا يحبّنا ..». «۱»

ويقول أبوجعفر الإسكافى فى هذا الصدد: «أمّا أهل مكّة فكلّهم كانوا يبغضون علياً قاطبة، وكانت قريش كلّها على خلافه، وكان جمهور الخلق مع بنى أميّة عليه». «۲»

لقد كان لحركة النفاق بجميع فصائلها دور مدروس ومخطّط وذو أثر بالغ فى تأجيج ضغائن الجاهلية ضد أهل البيت عليهم السلام عامة وضد أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام خاصة، ولمّا تسلّم الحزب الأموى قيادة حركة النفاق بزعامة معاوية بن أبى سفيان الذى مابرح يبكى على قتلى مشركى قريش فى بدر حتى لحظات احتضاره، «۳» كان الهمّ الأكبر للأمويين هو فصل الأمّة عن أمير المؤمنين على عليه السلام حتىّ على الصعيد الوجدانى، فأمر معاوية بسبّه ولعنه والبراءة منه، واضطهد محبّيه معيشياً وسياسياً

---

(۱) الغارات: ۳۹۳؛ وشرح النهج لابن أبى الحديد، ۴: ۱۰۴؛ وبحار الأنوار، ۴۶: ۱۴۳.

(۲) شرح النهج لإبن أبى الحديد، ۴: ۱۰۴.

(۳) «عن اسماعيل بن عامر بإسناده: أنّ معاوية لمّا احتضر بكى، فقيل له: مايبكيك؟ فقال: مابكيتُ‌جزعاً من الموت، ولكنى ذكرتُ أهل القليب ببدر!» (شرح الأخبار، ۲: ۱۵۴).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷

اضطهاداً رهيباً. «۱»

من كلّ ما مضى تتأكد لنا حقيقة أنّ أهل البيت عليهم السلام لم تكن لهم قاعدة شعبية فى مكة المكرّمة خاصة، قاعدة شعبية واسعة

تتولاهم وتدعم مواقفهم وتنصرهم، أو تحبّهم على الأقلّ، والأمر كما وصفه الإمام السّجاد عليه السلام:

«ما بمكّة والمدينة عشرون رجلًا يحبّنا»!!

ومن هنا أيضاً تتأكّد لنا حقيقة أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقصد من توجّهه الى مكّة المكرّمة أهل هذه المدينة بالأساس، بل كان قصده الرئيسى فى التوجّه إليها هو إبلاغ وفود العالم الإسلامى من المعتمرين والحجّاج بقيامه ونهضته للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، طلباً للنصرة وإتماماً للحجّة على الناس.

ومن هنا نرجّح أنّ ماورد فى بعض الروايات من أنّ أهل «۲» مكّة فرحوا بالإمام عليه السلام فرحاً شديداً، أو عكف الناس بمكّة يفدون إليه، ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، وينتفعون بما يسمعون منه، ويضبطون مايروون عنه ... ليس المراد بذلك جلّ أهل مكّة بالذات بل المراد بذلك هم جموع الوافدين على مكّة من معتمرين وحجّاج ونزر قليل جداً من المكيّين الذين استوطنوا مكّة بعد فتحها وبعد انتشار الإسلام ومما يؤكّد ماذهبنا إليه أن التأريخ لم يحدّثنا أنّ أحداً من المكيين قد التحق بالإمام عليه السلام وسار معه الى العراق.

والأيام التى قضاها الإمام أبو عبداللّه الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة تشكّل

---

(۱) راجع: سليم بن قيس: ۲۰۳- ۲۰۴؛ وشرح نهج البلاغة، ۱۱: ۱۶ و ۲: ۱۴۴.

(۲) كمثل رواية ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة: «دخل الحسين مكّة المشرّفة ونزل بهاوأهلها يختلفون إليه ويأتونه، وكذلك من بها من المجاورين والحاج والمعتمرين من سائر اهل الافاق» (الفصول المهمة: ۱۸۳).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۸

المقطع الأطول من عمر النهضة الحسينيّة المقدّسة، ولاشك أنّ ما يقارب المائة وخمسة وعشرين يوماً مساحة زمنية حفلت ثناياها بكثير من الإتصالات واللقاءات والمحاورات والمراسلات وأنشطة أخرى متعدّدة غيرها كان الإمام أبوعبداللّه الحسين عليه السلام قد قام بها، ولو كان التأريخ قد سجّل لنا جميع تلك الوقائع وتفاصيلها، لكان أغنى المؤرخين والمتتبعين المحققّين بمادة تأريخية مهمة، ولأعانهم عوناً كبيراً على كشف كثير من الغموض المحيط ببعض الأحداث والمواقف الواقعة فى إطار تأريخ هذه النهضة المباركة.

لكنّ المؤسف فعلًا- كما قلنا فى بداية هذه المقدّمة- أنّ التأريخ لم يسجل لنا عن هذه الأيام المكيّة إلّا ملاحظات عامّة غضّت الطرف وأغمضته عن كثير من التفاصيل التأريخية اللازمة فى الإجابة على كثير من التساؤلات التى تنقدح فى ذهن المتأمل حول تلك الفترة وما جرى فيها وبعدها.

ويمكن للمتتبع أن يحدّد المحاور العامة التى سجلها التأريخ لهذه الفترة المكيّة بما يأتى:

۱- إنشداد الناس فى مكّة الى الإمام عليه السلام واحتفاؤهم به، وتضايق عبداللّه بن الزبير والسلطة الأموية المحلّية فى مكّة لذلك.

۲- محاولات بعض وجهاء الأمّة لثنى الإمام عليه السلام عن التوجّه الى العراق فى إطار لقاءات ومحاورات النصح والمشورة وبعض المكاتبات فى هذا الصدد.

۳- رسائل أهل الكوفة الى الإمام عليه السلام، ورسائل الإمام عليه السلام إليهم والى أهل البصرة.

۴- إرسال الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل عليه السلام إلى أهل الكوفة.

۵- خطب الإمام عليه السلام قبيل مغادرة مكّة، والمحاولات الأخيرة لثنيه عن التوجّه

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹

الى العراق.

ومجموع الروايات التأريخية الواردة فى إطار هذه المحاور تعتبر نزراً قليلًا جداً إذا قيست إلى ما يمكن أن تتضمّنه فترة لا تقلّ عن مائة

وخمسة وعشرين يوماً من وقائع وأحداث، خصوصاً فى مدينة مكّة المكرّمة وفى أيّام كانت هذه المدينة قد غصّت بجموع غفيرة من معتمرين وحجّاج وفدوا إليها من شتى أنحاء العالم الإسلامى، وفيهم شخصيات مهمة كثيرة يستبعد المتأمّل ألا تكون لها لقاءات كثيرة وطويلة مع الإمام الحسين عليه السلام الذى هو آنذاك الرمز الدينى والروحى لهذه الأمّة.

ومن أجل جبران هذا النقص فى المادّة التأريخية لفترة الأيام المكيّة من عمر النهضه الإسلامية رأينا أن نتابع وقائع وأحداث هذه الفترة من خلال الزوايا الثلاث التالية:

۱- حركة الإمام الحسين عليه السلام فى هذه الفترة.

۲- حركة السلطة الأموية فى مواجهة الإمام عليه السلام.

۳- حركة الأمّة إزاء قيام الإمام عليه السلام.

وقد حاولنا- فضلًا عن الروايات المبذولة فى إطار هذه الزوايا الثلاث- أن نلتقط كلّ الشوارد والإشارات التأريخيّة المتفرّقة فى كتب التأريخ والتراجم وغيرها ونجمعها فى متجهاتها كيما نزيح بأضواء جديدة بعض الغموض الجاثم على مساحة كبيرة من تلك الفترة، لنكون بذلك قد قدّمنا جديداً فى إطار هذه الدراسة التأريخية التحليلية النقدية.

تُرى هل وفّقنا الى ذلك؟

التقييم فى ذلك متروك الى القارىء الكريم.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۰

وفى الختام:

أود أن أتقدم بالشكر والتقدير الفائق إلى صاحب الفضيلة الأستاذ المحقّق على الشاوى المحترم حيث أتحفنا بملاحظات قيمة، مع بذل غاية جهده فى تنظيم وترصين هذا الجهد المتواضع: كتاب «الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة» فله الفضل علىَّ والأيادى.

واستميح سيّدى الوالد المرحوم آية الله الطبسى عذراً إذ لم أوفّق حتّى الآن لتنفيذ ما أوصى به إلينا من تحقيق وطبع ونشر مؤلّفه القيّم- المخطوط- مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وعسى أن يكون هذا الجهد المتواضع بداية خير لإنجاز ما طلبه منّا فى قريب عاجل إن شاء الله تعالى.

نجم الدين الطبسى

قم المقدّسة

۱۹/ محرّم الحرام/ ۱۴۲۱ ه. ق

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۳

الفصل الأول: حركة الإمام أبى عبدالله الحسين عليه السلام فى مكّة

ورود الإمام الحسين عليه السلام مكّة المكرّمة

اشارة

سار الإمام عليه السلام بالركب الحسينىّ من المدينة المنورة حتى وافى مكّة المكرّمة، فلمّا نظر إلى جبالها من بعيد جعل يتلو هذه الآية الكريمة: «ولمّا توجّه تلقاء مدين قال عسى ربّى أن يهدينى سواء السبيل»، «۱» وذلك ما قاله رسول اللّه موسى بن عمران عليه السلام حينما خرج من مصر إلى مدين.

وقيل: إنه لمّا قدم مكّة قال: «اللّهمَّ خِرْ لى واهدنى سواء السبيل». «۲»

وقد دخل عليه السلام مكّة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان. «۳» أو دخلها عليه السلام يوم الجمعة، «۴» ومكث فيها أربعة أشهر وخمسة أيّام.

الإستقبال الحافل والحفاوة البالغة

قال ابن كثير: «وعكف الناس بمكّة يفدون إليه، ويجلسون حواليه،

---

(۱) سورة القصص: الآية ۲۲.

(۲) الفتوح، ۶: ۲۵؛ وروضة الواعظين: ۱۷۲.

(۳) إعلام الورى: ۲۲۳؛ والبداية والنهاية: ۱۶۰؛ وأنساب الأشراف، ۳: ۱۲۹۷.

(۴) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ۱۴۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۴

ويستمعون كلامه، وينتفعون بما يسمعون منه، ويضبطون ما يروون عنه». «۱»

وقال الشيخ المفيد قدس سره: «فأقبل أهلها يختلفون إليه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق ...». «۲»

وقال ابن الصباغ: «فأقبل الحسين حتى دخل مكّة المشرّفة ونزل بها، وأهلها يختلفون إليه ويأتونه، وكذلك من بها من المجاورين والحجاج والمعتمرين من سائر أهل الآفاق». «۳»

وذكر بعض المؤرّخين أنّ أهل مكّة فرحوا به عليه السلام فرحاً شديداً، وجعلوا يختلفون إليه بكرة وعشيّاً. «۴»

ويبدو أنّ بعض المتتبعين المعاصرين- كباقر شريف القرشىّ- قد استفاد من مجموع مثل هذه النصوص أنّ المكيّين أنفسهم هم الذين احتفوا بالإمام عليه السلام وكانوا يختلفون إليه بكرة وعشياً، فأطلق القول هكذا: «وقد استقبل الإمام عليه السلام استقبالًا حافلًا من المكيّين، وجعلوا يختلفون إليه بكرة وعشيّاً، وهم يسألونه عن أحكام دينهم وأحاديث نبيّهم». «۵»

لكننا نرجّح- كما قدّمنا فى مقدمة الكتاب- أنّ الذين احتفوا بالإمام الحسين عليه السلام وكانوا يفدون إليه، ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، وينتفعون بما يسمعون منه، ويضبطون مايروون عنه، هم أهل الأقطار الأخرى من

---

(۱) البداية والنهاية، ۸: ۱۵۳.

(۲) الإرشاد: ۲۲۳.

(۳) الفصول المهمة: ۱۸۳.

(۴) راجع: الفتوح، ۵: ۲۶؛ وإعلام الورى: ۲۲۳.

(۵) حياة الإمام الحسين عليه السلام، ۲: ۸۰۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵

المعتمرين والحجاج المتواجدين آنذاك فى مكّة، وفيهم من المكيين القليل ممن ليسوا من بطون قريش، ممن سكن مكّة بعد الفتح وبعد انتشار الإسلام فى الأرض، ذلك لأنّ قريشاً توارثت العداء لعلىّ وآل علىّ عليهم السلام، والظاهر أنّ جلّ المكيّين آنذاك هم من قريش، ولا ننسى قول الإمام السجاد عليه السلام:

«ما بمكّة والمدينة عشرون رجلًا يحبّنا ...». «۱»

منزل الإمام الحسين عليه السلام بمكّة

صرّح الذهبى بأنّ الإمام الحسين عليه السلام «نزل بمكّة دار العبّاس»، «۲» وكذلك قال المزّى، «۳» ومن قبلهما ابن عساكر، «۴» غير أنّ بعضاً آخر من المؤرخين ذكروا أنه عليه السلام «نزل فى شِعب علىّ عليه السلام»، «۵» ولامنافاة بين القولين و لأنّ دارالعبّاس بن عبدالمطلب كانت فى شعب علىّ عليه السلام.

لكن السؤال الذى قد يفرض نفسه هنا هو:

لماذا اختار الإمام الحسين عليه السلام دار العبّاس بن عبدالمطّلب؟

هل هناك غرض سياسى أو اجتماعى أو تبليغى من وراء ذلك؟ أم أنه عليه السلام لم يُرد أن يكون لأحدٍ عليه منّة بذلك؟ أو أنّه عليه السلام خشى أن ينزل على أحدٍ فيكلّف المنزول به ثمناً باهضاً وحرجاً شديداً، لأنّ السلطة الأموية بعد ذلك سوف تضطهد صاحب المنزل بأشدّ عقوباتها؟ أو أنه عليه السلام لم يُرد أن يمنح رجلًا من أهل

---

(۱) الغارات: ۳۹۳؛ وشرح النهج لابن أبى الحديد، ۴: ۱۰۴.

(۲) تأريخ الإسلام: حوادث سنة ۶۱، صفحة ۸.

(۳) تهذيب الكمال، ۴: ۴۸۹.

(۴) تأريخ دمشق، ۱۴: ۱۸۲.

(۵) الأخبار الطوال: ۲۲۹، وحياة الإمام الحسين ۲: ۳۰۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶

مكّة بنزوله عنده اعتباراً اجتماعياً ومنزلة فى قلوب الناس لا يستحقّها أو يستثمرها بعد ذلك لمنافعه الخاصة؟

أم أنّ الإمام عليه السلام لم ينزل من دور بنى هاشم فى مكّة إلا دار العباس بن عبدالمطلب لأنّ بنى هاشم لم تبق لهم دار فى مكّة إلّا دار العبّاس، ذلك لأنّ عقيل ابن أبى طالب كان قد باع دور المهاجرين من بنى هاشم خشية أنّ تستولى عليها قريش وتصادرها، لأنّ قريشاً عمدت حينذاك الى مصادرة منازل المهاجرين من المسلمين الى المدينة انتقاماً وإرهاباً، ولم يكن العبّاس بن عبدالمطلب قد هاجر آنذاك على فرض إسلامه حين هجرة النبى صلى الله عليه و آله- فسلمت داره من المصادرة.

يقول الواقدى: «قيل للنبى: ألا تنزل منزلك من الشعب؟ قال: فهل ترك لنا عقيل منزلًا؟ وكان عقيل قد باع «۱» منزل رسول اللّه صلى الله عليه و آله ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكّة». «۲»

ويعلل السيد على خان الشيرازى هذه المصادرة قائلًا: «كان عقيل قد باع دور بنى هاشم المسلمين بمكّة، وكانت قريش تعطى من لم يُسلم مال من أسلم، فباع دور قومه حتى دار رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فلما دخل رسول اللّه صلى الله عليه و آله مكّة يوم الفتح قيل:

ألا تنزل دارك يارسول اللّه صلى الله عليه و آله؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل من دار؟». «۳»

أمّا الشيخ الطوسى فيعلّل هذه المصادرة بسبب الهجرة لا بسبب الإسلام فقط حيث يقول: «.. قول النبى صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّة وقد قيل له: ألا تنزل دارك؟ فقال:

---

(۱) ولعل عقيلًا قد قام بذلك برضا أصحاب المنازل من بنى هاشم أو محرزاً لرضاهم وتوكيلهم إيّاه، لأنّ عقيلًا أجل شأناً وأنزه من أن يدفع غصباً بغصب.

(۲) المغازى ۲: ۸۲۹.

(۳) الدرجات الرفيعة: ۱۵۴. وراجع الذريعة ۸: ۶۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷

وهل ترك لنا عقيل من ربع؟ لأنه كان قد باع دور بنى هاشم لمّا خرجوا الى المدينة ..». «۱»

وفى الإجابة عن السؤال المثار حول سبب اختيار الإمام عليه السلام دار العبّاس بن عبدالمطّلب نقول: مما لاشك فيه أنّ سبب هذا الإختيار لاينحصر فى كون دار العبّاس هى الدار السانحة آنذاك، وذلك لأنّ الإمام عليه السلام كان مقتدراً ذا سعة، وكان بإمكانه بل من اليسير عليه أن يهيأ داراً أو أكثر من دار فى مكة له ولغيره من أفراد الركب الحسينىّ، ونرى ألا منافاة بين جميع الدواعى المعقولة لهذا الإختيار، سواء التى ذكرناها فى معرض التساؤل أو التى لم نذكرها، فمن الممكن أن يجتمع السبب السياسى مع السبب الاجتماعى مع السبب التبليغى مع الأسباب الأخرى وتتعاضد جميعها فى متّجه واحد لتشكّل العلّة التامّة لهذا الإختيار.

رسائل الإمام عليه السلام إلى الولايات الأخرى

رسالته عليه السلام إلى البصرة

كانت الشيعة بعد استشهاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على صلة بالإمام أبى عبداللّه الحسين عليه السلام رغم الإضطهاد والإرهاب والمراقبة الشديدة من قبل الحكم الأموىّ على محبّى أهل البيت عليهم السلام، فكانت الشيعة فى أنحاء البلاد الإسلامية تبعث الى الإمام الحسين عليه السلام المكاتيب وتسأله عمّا يهمّها من أمور دينهم، وكان للبصرة نصيبها من الصلة بالإمام عليه السلام، وقد أثبت التأريخ بعض رسائل شيعتها إليه، كالرسالة التى بعثوا بها إلى الإمام عليه السلام يسألونه فيها عن معنى الصمد، وبعث إليهم

---

(۱) التبيان ۹: ۳۶۹، ومجمع البيان ۹: ۱۴۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۸

بجوابها ... «۱»

لكنّ الملفت للإنتباه فى الرسالة التى بعث بها الإمام عليه السلام إلى اشراف البصرة ورؤساء الأخماس «۲» فيها هو أنَّ الإمام عليه السلام كان البادىء بالمكاتبة، وقد دعا فيها أولئك الأشراف والرؤساء ومن يتبعهم من أهل البصرة إلى نصرته، فى وقت لم يكن أحدٌ من أولئك قد بعث من قبل إلى الإمام عليه السلام بكتاب يدعوه فيه إلى القيام والنهضة ضد الحكم الأموى، كما فعل أشراف الكوفة ووجهاؤها وكثير من أهلها الذين كانت رسائلهم تنهال على مكّة حتى بلغت فى يوم واحدٍ ستمائة رسالة!

فما هى علّة مبادرة الإمام عليه السلام الى الكتابة إلى أشراف البصرة ورؤسائها؟

لايشك مطّلع على التأريخ الإسلامى بالأهمية الخاصة التى كانت تتمتع بها كلٌ من ولايتى الكوفة والبصرة وأثرهما البالغ على حركة أحداث العالم الإسلامى آنذاك، خصوصاً وأنّ هاتين الولايتين المهمتين لم تنغلقا لصالح الحكم الأموى كما انغلق الشام تماماً لصالحه آنذاك، فمحبّو أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فى كلّ من هاتين الولايتين برغم الإرهاب والقمع الأموىّ كانت لهم اجتماعاتهم ومنتدياتهم السريّة، وتطلّعاتهم الى يوم الخلاص من كابوس الحكم الأموىّ.

نعم، هناك فارق واضح بين الكوفة والبصرة من حيث تأريخ كلّ منهما فى نصرة أمير المؤمنين عليه السلام، ومن حيث عدد الشيعة فى كلّ منهما، ومن حيث درجة

---

(۱) راجع: مكاتيب الأئمّة ۲: ۴۸ نقلًا عن التوحيد: ۹۰/ وكذلك: سير أعلام النبلاء ۳: ۲۹۳.

(۲) أخماس البصرة: كانت البصرة قد قسّمت خمسة أقسام، ولكل خمس منها رئيس من الأشراف. (وقعة الطف: ۱۰۴)/ وأخماس البصرة خمسة: فالخمس الأوّل: العالية، والخمس الثانى: بكر بن وائل، والخمس الثالث: تميم، والخمس الرابع: عبدالقيس، والخمس الخامس: الأزد. (لسان العرب: مادة خَمَسَ: ۶: ۷۱).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۹

تحفّزهم للتحرّك ضد الحكم الأموىّ.

ويُضافُ الى ذلك أنّ البصرة آنذاك كانت تحت سيطرة وال قوىّ وإرهابى مستبدّ هو عبيداللَّه بن زياد الذى كان قد هيمن على إدارة أمورها، وأحكم الرقابة الشديدة على أهلها، فى وقت كانت الكوفة قد تراخت أزمّة أمورها بيد وال ضعيف يميل الى العافية والسلامة هو النعمان بن بشير، فكان الشيعة فى الكوفة أقدر على الحركة والفعل من الشيعة فى البصرة عموماً، مما قد يفسّر سبب مبادرة أهل الكوفة وبهذا الكمّ الكثير إلى المبادرة فى الكتابة إلى الإمام عليه السلام ودعوته إليهم، فى وقت لم تصل إلى الإمام عليه السلام رسالة من أهل البصرة يدعونه فيها إليهم أو يظهرون فيها استعدادهم لنصرته. «۱»

فبادر الإمام عليه السلام إلى الكتابة إلى أهل البصرة عن طريق أشرافها ورؤساء الأخماس فيها، لأنَّ أهلها- عدا خُلَّص الشيعة منهم- لايتجاوزون أشرافهم فى اتخاذ موقف وقرار، فكان لابدَّ من مخاطبتهم عن طريق أشرافهم ورؤساء الأخماس، وإن كان بعض هؤلاء ممّن يميل إلى بنى أميّة، وبعضهم ممن لا يؤتمن، وبعضهم ممن لا تتسق مواقفه باتجاه واحد ..

و لعلّ الإمام عليه السلام أراد إلقاء الحجّة على الجميع، «۲» مع ما قد تثمره رسالته من صدّ

---

(۱) هذا هو المشهور الثابت، لكنّ الشيخ محمد السماوى فى كتابه إبصار العين يقول: «وبلغ أهل البصرة ما عليه أهل الكوفة، فاجتمعت الشيعة فى دار مارية بنت منقذ العبدى- وكانت من الشيعة- فتذاكروا أمر الإمامة وما آل إليه الأمر، فأجمع رأى بعض على الخروج فخرج، وكتب بعض بطلب القدوم ..» (إبصار العين: ۲۵).

لكنه لم يذكر من الذى كتب ولا ماذا كتب! كما لم يذكر عمّن أخذ هو هذا القول!

(۲) يقول الشيخ باقر شريف القرشى: «إنَّ رسالة الحسين إلى أهل البصرة ترينا كيف كان يعرف‌مسؤوليته ويمضى معها، فأهل البصرة لم يكتبوا إليه ولم يدعوه إلى بلدهم كما فعل أهل الكوفة، ومع هذا فهو يكتب إليهم، ويعدّهم للمجابهة المحتومة، ذلك أنّه حين قرّر أن ينهض بتبعات دينه وأمّته كان قراره هذا آتياً من أعماق روحه وضميره، وليس من حركة أهل الكوفة ودعوتهم إيّاه» (حياة الإمام الحسين عليه السلام ۲: ۳۲۲).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۰

المتردّد من الأشراف ورؤساء الأخماس عن الإنضمام إلى أىّ فعل مضاد لحركة الإمام عليه السلام، وما تثمره هذه الرسالة أيضاً من إعلام البصريين الراغبين فى نصرته بأمر نهضته وتعبئتهم لذلك من خلال أشرافهم الموالين لأهل البيت عليهم السلام كمثل يزيد بن مسعود النهشلى وأمثاله.

نصّ رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة

قال الطبرى: «قال أبومخنف: حدّثنى الصقعب بن زهير، عن أبى عثمان النهدى، قال: كتب الحسين مع مولىً لهم يُقال له سليمان، وكتب بنسخة إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف، فكتب إلى مالك بن مسمع البكرى، وإلى الأحنف بن قيس، وإلى المنذر بن الجارود، وإلى مسعود بن عمرو، وإلى قيس بن الهيثم، وإلى عمرو بن عبيداللَّه بن معمر.

فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها:

أمّا بعد، فإنّ اللَّه اصطفى محمّداً على خلقه وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثم قبضه اللَّه إليه، وقد نصح لعباده وبلّغ ما أرسل به، وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحقَّ الناس بمقامه فى الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحرّوا الحقّ، فرحمهم اللَّه وغفر لنا ولهم. «۱»

---

(۱) لايبعد أن تكون فقرة «وقد أحسنوا وأصلحوا وتحرّوا الحق ..» مدخولة من قبل بعض المؤرّخين على أصل متن الرسالة. أو أنّ الإمام عليه السلام اضطّر إلى ذلك تأليفاً لقلوب المخاطبين بهذه الرسالة ودفعاً لشرهم ومنعاً لتفرّق المسلمين خصوصاً وهو يعلم أنّ جلَّ المخاطبين بها ليسوا من شيعته.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۱

وقد بعثتُ رسولى إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب اللَّه وسنّة نبيّه، فإنّ السنّة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولى وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة اللَّه». «۱»

وقد نقل ابن نما الكتاب باختصار واختلاف قائلًا:

«كتب عليه السلام كتاباً إلى وجوه أهل البصرة، منهم الأحنف بن قيس، وقيس بن الهيثم، والمنذر بن الجارود، ويزيد بن مسعود النهشلى.

وبعث الكتاب مع زرّاع السدوسى، وقيل مع سليمان المكنّى بأبى رزين، فيه:

«أدعوكم إلى اللَّه وإلى نبيّه، فإنّ السنّة قد أُميتت، فإن تجيبوا دعوتى وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد». «۲»

نماذج من أشراف البصرة الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام

اشارة

من هم أولئك البصريون الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام رسالته؟ هل كانوا جميعاً من محبّى أهل البيت عليهم السلام أو شيعة لهم؟ أم كانوا جميعاً على هوى واحد لبنى أميّة؟ أم كانوا مختلفين فى الميل والهوى؟

يحسن منا هنا أن نلقى ضوءً- وإن كان يسيراً- يكشف لنا عن هوية نماذج من هذه الشخصيات ومتجهات ميولها، لعلّنا بذلك نتعرّف على حقيقة الوضع النفسى والإجتماعى لولاية البصرة آنذاك، كما يساعدنا ذلك على معرفة سبب كون رسالة

---

(۱) تأريخ الطبرى ۳: ۲۸۰، وراجع الفتوح ۵: ۴۲.

(۲) مثير الأحزان: ۲۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۲

الإمام عليه السلام بذلك النصّ بالتحديد، لأنّ نوع المخاطَب مؤثّر فى نوع الخطاب، فمن هذه الشخصيات المؤثرة فى حياة المجتمع البصرى آنذاك:

۱- مالك بن مسمع:

كان رأيه مائلًا إلى بنى أميّة، وكان مروان بن الحكم قد لجأ إليه يوم الجمل، وكان مالك بن مسمع يأمر الناس بعد واقعة الطف وقتل

الإمام الحسين عليه السلام بتجديد البيعة ليزيد بن معاوية. «۱»

۲- الأحنف بن قيس:

قيل إنّه ولد فى عهد النبىّ صلى الله عليه و آله ولم يدركه، ومات عام ۶۷ ه، وقد روى فضائل علىّ عليه السلام عن أبى ذر، وعندما قرأ ابن عبّاس كتاب علىّ عليه السلام على أهل البصرة كان الأحنف أوّل رجل أجابه وقال: نعم، واللَّه لنجيبنّك ... وهو الذى اقترح على أميرالمؤمنين عليه السلام أن يجعله حكماً، وقد وجّهه علىّ عليه السلام إلى الخوارج.

وهو الذى بعث إلى علىّ قائلًا: إن شئتَ أتيتك فى مائتى فارس فكنت معكَ، وإن شئتَ اعتزلت ببنى سعد فكففت عنك ستّة آلاف سيف. فاختار علىّ عليه السلام اعتزاله. «۲»

وعلى ضوء هذه المواقف يراه الرجالى المعروف المامقانىّ حسناً. «۳»

ويقول رجالىّ آخر وهو النمازى: «يظهر منه كماله وحكمته ورضايهٔ أميرالمؤمنين عليه السلام به، وأنه من السفراء الفصحاء». «۴»

ولكن أليس الأحنف بن قيس هو القائل بعد أن دعاه الإمام أبوعبداللَّه الحسين

---

(۱) راجع كتاب الغارات: هامش صفحهٔ ۲۶۶، (والهامش للمرحوم عبدالزهراء الخطيب).

(۲) الجمل (للمفيد): ۱۵۸؛ وقاموس الرجال ۱: ۶۹۱.

(۳) تنقيح المقال ۱: ۱۰۳.

(۴) مستدركات علم الرجال ۱: ۵۲۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۳

إلى نصرته ولم يجبه: «قد جرّبنا آل أبىالحسن فلم نجد عندهم إيالهٔ للملك ولا جمعاً للمال ولا مكيدهٔ للحرب». «۱»

أليس الأحنف بن قيس هو الذى ساعد مصعب بن الزبير على قتل المختار، «۲» وكان على خمس تميم فى قتل المختار. «۳»

أليس هو القائل فى صفين- وهو مع علىّ عليه السلام- «هلك العرب». «۴»

وفى هذا مؤشّر على ضعف اعتقاد الأحنف بأميرالمؤمنين عليه السلام وبالحسنين عليهما السلام، إذ لو كان له اعتقاد راسخ بهم عليهم السلام لكان سلماً لمن سالمهم وحرباً لمن حاربهم، ولما همّه بعد ذلك، هلكت العرب فى حقّ أو بقيت.

ولذا لم يرتض رجالىّ آخر وهو التسترى «۵» تحسين المامقانى له، كما سكت الخوئى «۶» فى المعجم عن تأييده أو تضعيفه.

ومن المواقف الدالّهٔ على عدم رسوخ اعتقاده بأمير المؤمنين عليه السلام بل الدالّهٔ على تردده وضعف يقينه ووهن موقفه فى وجوب نصرهٔ أهل الحقّ وخذلان أهل الباطل أنه حينما قرأت رسالهٔ معاوية على أهل البصرهٔ لتحريضهم على أميرالمؤمنين عليه السلام تحت شعار الأخذ بثأر عثمان أنّ الأحنف قال: «أمّا أنا فلا ناقهٔ

---

(۱) قاموس الرجال ۱: ۶۹۱.

(۲) تاريخ الطبرى ۶: ۹۵، وقاموس الرجال ۱: ۶۹۱.

(۳) قاموس الرجال ۱: ۶۹۱.

(۴) وقعهٔ صفين: ۳۸۷.

(۵) قاموس الرجال ۱: ۶۹۱.

(۶) معجم رجال الحديث ۲: ۳۷۲. مع الركب الحسينى ج۲ ۲ ۳۴ - الأحنف بن قيس: ..... ص : ۳۲

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۴

لى فى هذا ولا جمل، واعتزل أمرهم». «۱»

۳- مسعود بن عمرو بن عدى الأزدى:

وهو أحد قادة الأزد فى معركة الجمل فى جيش عائشة وطلحة والزبير، «۲» وهو الذى أجار ابن مرجانة لمّا نابذه الناس ومنعه منهم، «۳» ومكث ابن مرجانة تسعين يوماً بعد موت يزيد ثم خرج إلى الشام، وبعث معه مسعود بن عمرو مائة من الأزد عليهم قرّة بن قيس حتى قدموا به إلى الشام، وكان ابن زياد قد استخلف مسعود بن عمرو على البصرة حينما تركها متوجهاً إلى الشام. «۴»

۴- قيس بن الهيثم السلمى:

لمّا استنصر عثمان بأهل البصرة قام قيس فخطب وحرّض الناس على نصر عثمان، فسارع الناس إلى ذلك، وأتاهم قتل عثمان فرجعوا، «۵» وكان قيس هذا والياً لعثمان على خراسان، «۶» وقد ولى شرطة البصرة على عهد معاوية لعبد اللَّه بن عامر، ثم بعثه والياً على خراسان سنتين حيث عزله عنها بعد ذلك وعاقبه وسجنه، «۷» وكان من أخواله فتشفّعت فيه أمّه فأخرجه «۸» ... ثم عطف على قيس فاستخلفه على البصرة ... ثمّ ولىّ معاوية على البصرة زياد بن سميّة سنة ۴۵ ه، فبعث قيس بن الهيثم على مرود الروذ والفارياب والطالقان، ثم

---

(۱) الغارات: ۲۶۳.

(۲) تاريخ الطبرى ۵: ۵۰۵.

(۳) نفس المصدر ۵: ۵۲۵.

(۴) نفس المصدر ۵: ۵۱۹ و ۵۲۲ و ۵۲۵- وقعة الطف: ۱۰۶.

(۵) تاريخ الطبرى ۵: ۳۶۹.

(۶) تاريخ الطبرى ۵: ۱۷۲ و ۲۰۹.

(۷) نفس المصدر.

(۸) تاريخ الطبرى ۵: ۲۱۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۵

انعزل قيس بعزل يزيد لعبد الرحمن بن زياد، فلمّا هلك يزيد كان قيس بالبصرة.

وكان قيس هذا على المقاتلة لابن الزبير فى مقاتلة مثنّى بن مخربة الداعى إلى المختار سنة ۶۶ ه، وكان على خمس أهل العالية مع مصعب بن الزبير لمقاتلة المختار سنة ۶۷ ه، وكان قيس سنة ۷۱ ه يستأجر الرجال ليقاتلوا معه خالد بن عبداللَّه داعية عبدالملك بن مروان معيناً وناصراً لابن الزبير، وكان يحذّر أهل العراق من الغدر بمصعب. «۱»

۵- المنذر بن الجارود العبدى:

ولّاه الإمام علىّ عليه السلام بعض أعماله فخان فيه، فكتب عليه السلام إليه:

«أمّا بعد، فإنّ صلاح أبيك غرّنى منك، وظننت أنّك تتبع هديه وتسلك سبيله، فإذا أنت فيما رقى إلىَّ عنك لا تدع لهواك انقياداً،

ولا- تبقى لآخرتك عتاداً، أتعمّر دنياك بخراب آخرتك!؟ وتصل عشيرتك بقطيعة دينك!؟ ولئن كان ما بلغنى عنك حقاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك، من كان بصفتك فليس بأهل أن يُسدَّ به ثغر أو ينفذ به أمر أو يُعلى له قدر أو يُشرك فى أمانة أو يؤمن على جباية، فأقبل إلىَّ حين يصلُ إليك كتابى هذا إن شاء اللَّه».. «۲»

وقال عليه السلام فى المنذر بن الجارود هذا أيضاً:

«إنّه لنظّارٌ فى عطفيه، مختالٌ فى بُردَيْه، تفّال فى شِراكَيْه». «۳»

أى أنه ذو زهوٍ، معجب بنفسه ومظهره، متكبر، همّه فى نظافة ظاهره لا فى

---

(۱) راجع: وقعة الطف: ۱۰۶.

(۲) نهج البلاغة: ۴۶۱- ۲۶۲، كتاب رقم ۷۱.

(۳) بحار الأنوار ۳۳: ۵۰۶.

طهارة الباطن وتزكية النفس وتهذيب المحتوى والعروج إلى آفاق المعنويات السامية.

و «كان علىّ عليه السلام ولّاه فارساً فاحتاز مالًا من الخراج .. وكان المال أربعمائة ألف درهم، فحبسه علىّ عليه السلام، فشفع فيه صعصعة وقام بأمره وخلّصه». «۱»

ولقد شفّع المنذر بن الجارود خيانته فى الأموال بخيانته فى النفوس حيث قدّم نسخة رسالة الإمام الحسين عليه السلام إليه مع رسول الإمام عليه السلام سليمان بن رزين إلى عبيداللَّه بن زياد تقرّباً إليه وطمعاً فى الزلفة منه، وكانت نتيجة هذه الخيانة أن قُتل رسول الإمام عليه السلام صبراً.

ولقد كافأ ابن زياد ابن الجارود على خيانته فولاه السند حيث توفى فيها سنة ۶۱ ه، «۲» فلم يهنأ بجائزته إلا شهوراً قليلة.

هذه صورة موجزة لمجموعة من أشراف البصرة آنذاك، قد تمثّل جلّ أشراف البصرة المعروفين يومها، ورأيناها مؤلّفة من ذى هوىً أموى خالص كمالك بن مسمع، ومعادٍ لأهل البيت عليهم السلام كمسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم السلمى، أو ذى معرفة بحقّ أهل البيت عليهم السلام ضعيف اليقين مترددٍ واهن المواقف كالأحنف بن قيس، أو طالبٍ للدنيا متكبّر معجب بنفسه متملّق للأمراء غير مؤتمن كالمنذر بن الجارود العبدى.

وكما قلنا من قبل، فقد اضطرّ الإمام عليه السلام إلى الكتابة إلى هؤلاء لأنهم المنفذ الوحيد إلى جلّ أهل البصرة الذين كانوا تبعاً لأشرافهم فى فهم الأحداث وتبنّى المواقف، وكان لابدّ من إلقاء الحجّة على الجميع من خلال هذا الطريق، فلعلَّ ثمّة

---

(۱) بحار الأنوار ۳۴: ۳۳۳، و الغارات: ۳۵۷.

(۲) الغارات: ۳۵۸ (الهامش).

من يهتدى ويُسعد بإبلاغ الحجّة.

وهنا لابدّ من التنبيه أنّ من أشراف البصرة مجموعة تعرف حقّ أهل البيت عليهم السلام وتواليهم ولها مواقف كريمة ورائعة فى المبادرة إلى نصرة الإمام الحسين عليه السلام كمثل يزيد بن مسعود النهشلى الذى دعا قومه إلى نصرة الإمام عليه السلام وعبّأهم روحياً بهذا الإتجاه، وهو من الأشراف الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام بتلك النسخة أيضاً، وسيأتى تفصيل موقفه فى فصل حركة الأمّة فيما يأتى من البحث، وقد دعا له الإمام عليه السلام بهذا الدعاء المبارك:

«مالكَ، آمنك اللَّه يوم الخوف، وأعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر». «۱»

وكيزيد بن ثبيط العبدى، وهو من أشراف البصرة أيضاً، ومن الشيعة، وقد بادر- بعدما علم بما عزم عليه الإمام الحسين عليه السلام- إلى الإلتحاق بركب الإمام عليه السلام فى مكّة، مع ولديه عبداللَّه وعبيداللَّه وجماعة آخرين من الشيعة البصريين، ورزقوا الشهادة بين يدى الإمام أبى عبداللَّه الحسين عليه السلام فى كربلاء يوم العاشر من المحرم. «۲»

الشهيد الأوّل فى الثورة الحسينيّة:

يُطلق لقب (الشهيد الأوّل) فى الثورة الحسينية عادةً على مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام، وهو المشهور، وهذا صحيح إذا أردنا بذلك الشهيد الأوّل من شهداء بنى هاشم فى هذه الثورة المقدّسة، ولكننا إذا أردنا (الشهيد الأوّل) من شهداء هذه الثورة المقدّسة عموماً فإنّ رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أشراف البصرة ورؤساء الأخماس فيها هو ذلك الشهيد الأوّل رضوان اللَّه تعالى عليه، الذى قتله عبيداللَّه بن

---

(۱) اللهوف: ۱۹.

(۲) راجع: كتاب إبصار العين: ۱۸۹- ۱۹۲.

زياد قبل يوم من تركه البصرة متوجهاً إلى الكوفة، وذلك بسبب خيانة المنذر بن الجارود العبدى، الذى زعم «۱» أنه خاف أن يكون الكتاب دسيساً من عبيداللَّه بن زياد- وكانت بحرية بنت المنذر زوجة لعبيداللَّه بن زياد- فأخذ عبيداللَّه بن زياد الرسول فصلبه، «۲» أو قدّمه فضرب عنقه. «۳»

وقد ذهب جلّ المؤرّخين إلى أنّ اسم هذا الرسول هو سليمان، إلا أنّ ابن نما ذكر- على قول- أن إسمه زراع السدوسى حيث قال: «وبعث الكتاب مع زراع السدوسى، وقيل مع سليمان المكنّى بأبى رزين ..»، «۴» لكنّ السلام الوارد عليه فى زيارة الناحية المقدّسة يؤكّد أنّ إسمه سليمان: «السلام على سليمان مولى الحسين ابن أميرالمؤمنين، ولعن اللَّه قاتله سليمان بن عوف الحضرمى» «۵»

ويُكنى سليمان بأبى رزين، وقيل إنّ أبا رزين «هو إسم أبيه، وأمّه كبشة، جارية للحسين عليه السلام، فتزوجها أبورزين فولدها سليمان»، «۶» لكنّ المحقّق السماوى ضبط اسم هذا الشهيد هكذا: سليمان بن رزين. «۷»

وكان سليمان قد خرج مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة، ثم بعثه

---

(۱) راجع: تاريخ الطبرى ۳: ۲۸۰.

(۲) اللهوف: ۱۹.

(۳) تأريخ الطبرى ۳: ۲۸۰.

(۴) مثير الأحزان: ۲۷، ولواعج الأشجان: ۳۶.

(۵) البحار ۱۰۱: ۲۷۱/ ولعلّ سليمان بن عوف هو المباشر لقتله بأمر ابن زياد.

(۶) وقعة الطف: ۱۰۴.

(۷) إبصار العين: ۹۴.

الإمام عليه السلام برسالته إلى البصرة، «۱» وهذا كاشف عن ثقته به واعتماده عليه ومنزلته الخاصة عنده.

إجتماع الإمام عليه السلام برسل أهل الكوفة ومبعوثيهم

بعد أن علم أهل الكوفة بامتناع الإمام عليه السلام عن البيعة ليزيد، وأنه عليه السلام قد صار إلى مكّة، تقاطرت رسائلهم الكثيرة إليه بلا انقطاع، وقد أبدوا فيها استعدادهم لنصرته والقيام معه، ودعوه فيها إلى القدوم إليهم.

«وتلاقت الرسل كلها عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن الناس ...»، «۲» وكان هانى بن هانى وسعيد بن عبداللَّه الحنفى آخر الرسل القادمين عليه.

«فقال الحسين عليه السلام لهانى وسعيد بن عبداللَّه الحنفى:

خبّرانى من اجتمع على هذا الكتاب الذى كُتب معكما إلىّ؟

فقالا: يا أميرالمؤمنين، «۳» اجتمع عليه شبث بن ربعى، وحجّار بن أبجر، ويزيد

---

(۱) قال السيد عبدالمجيد الشيرازى الحائرى فى كتابه ذخيرة الدارين: «.. قال أبوعلى فى رجاله: سليمان المكنّى بأبى رزين مولى الحسين بن على، قُتل معه.

وقال المحقق الإسترابادى فى رجاله: سليمان بن أبى رزين، مولى الحسين، قُتل مع الحسين عليه السلام.

أقول: .. ظاهر كلامهما أنّ سليمان استشهد مع الحسين فى وقعة الطف، وهو خلاف ماذكره أهل السير والمقاتل من أنّه قُتل بالبصرة، وليس فى الزيارة دلالة على ذلك، نعم، ويمكن حمل كلامهما على أنّ من قُتل لأجل الحسين بن على فى الكوفة أو البصرة كسائر أصحابه الذين قُتلوا معه يوم الطف وإن لم يُقتلوا بين يديه». (ذخيرة الدارين: ۱۷۲/ المطبعة المرتضوية- النجف- ۱۳۴۵ ه. ق).

(۲) الإرشاد: ۲۰۴.

(۳) لايبعد أن يكون هذا التعبير من ابن أعثم الكوفى صاحب الفتوح أو من الناسخ، لأن المأثور أنّالأئمة عليهم السلام كانوا يرفضون أن يخاطبوا بهذا اللقب لاختصاص أمير المؤمنين على عليه السلام به، ففى الأثر: «دخل رجلٌ على أبى عبداللَّه عليه السلام فقال: السلام عليك ياأمير المؤمنين. فقام أبوعبداللَّه عليه السلام قائماً وقال: مه، إنّ هذا الإسم لا يصلح لأحد إلّا لأمير المؤمنين ...» (مستدرك الوسائل ۱۰: ۴۰۰ حديث رقم ۵».

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۴۰

ابن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج، ومحمد بن عمير بن عطارد. «۱»

قال: فعندها قام الحسين عليه السلام فتطهّر وصلّى ركعتين بين الركن والمقام، ثمّ انفتل من صلاته وسأل ربّه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة، ثمّ جمع الرسل فقال لهم: إنى رأيتُ جدّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى منامى، وقد أمرنى بأمر وأنا ماضٍ لأمره.

فعزم اللَّه لى بالخير، إنه ولىّ ذلك والقادر عليه إن شاء اللَّه تعالى» «۲».

رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة:

«... ثم كتب مع هانى بن هانى وسعيد بن عبداللَّه «۳»، وكانا آخر الرسل:

---

(۱) ستأتى ترجمة جلّ هؤلاء الذين كتبوا إلى الإمام عليه السلام فيما يأتى من المقاطع الأخرى من هذا البحث/ وفى تاريخ الطبرى (طبعة دار الكتب العلميّة- بيروت): ۳: ۲۷۸ ورد: يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم، وورد أيضاً عزرة يدل عروة، أمّا طبعة مؤسسة الأعلمى- بيروت: ۴: ۲۶۲ ففيها: يزيد بن الحارث ويزيد بن رويم أمّا فى كتاب الإرشاد: ۲۰۳ ففيه: يزيد بن الحارث بن رويم.

(۲) الفتوح ۵: ۳۴.

(۳) ذکر صاحب المناقب أنّ هذه الرسالة بعثها الإمام علیه السلام مع مسلم بن عقیل علیه السلام إلی أهل الکوفة لا مع هانیء وسعید (مناقب آل أبی طالب ۴: ۹۰).

لکنّ المامقانی ذهب إلی أنّ الإمام علیه السلام بعثها إلی أهل الکوفة مع هانی وسعید قبل مسلم بن عقیل، ثم قال:

«أمّا هانی هذا فهو مجهول الحال، ولیس هو ابن هانی بن عروة، فإنّ ابن ذاک یحیی، وقد نال الشهادة بالطّف» (تنقیح المقال ۳: ۲۹۰).

ویظهر من ترجمة المزّی لیحیی بن هانی، خلاف ذلک، وأن یحیی کان حیاً بعد والده، قال: «وکان من أشراف العرب وکان أبوه ممن قتله عبید اللّه بن زیاد فی شأن الحسین بن علی .. عن شعبة أنه کان سیّد أهل الکوفة وزاد أبوحاتم: صالح من سادات أهل الکوفة» (تهذیب الکمال، ۲۰: ۲۴۶).

أمّا سعید بن عبداللّه الحنفی: فهو فی أعلی درجة الوثاقة والجلالة، ومن أفاضل شهداء الطفّ، وهو الذی جعل نفسه وقایة لمولانا الحسین صلوات اللّه علیه یوم عاشوراء حین الصلاة». (مستدرکات علم الرجال ۴: ۶۸).

ولو لم یکن إلّا ماورد فی زیارة الناحیة المقدّسة فی حقّه لکفی فی الکشف عن ثقته وجلالته، ففی الزیارة: «السلام علی سعید بن عبداللّه الحنفی القائل للحسین وقد أذن له فی الإنصراف: لا واللّه، لا نخلّیک حتی یعلم اللّه أنّا قد حفظنا غیبة رسول اللّه صلی الله علیه و آله فیک، واللّه لو أعلم أنّی أُقتل ثم أحیی ثم أحرق ثم أُذری، ویفعل بی ذلک سبعین مرة ما فارقتک حتی ألقی حمامی دونک، وکیف أفعل ذلک وإنّما هی موتة أو هی قتلة واحدة، ثم بعدها الکرامة التی لا انقضاء لها أبداً. فقد لقیت حمامک وواسیت إمامک، ولقیت من اللّه الکرامة فی دار المقامة، حشرنا اللّه معکم فی المستشهدین ورزقنا مرافقتکم فی أعلی علّیین».

کما ازداد شرفاً بوقایته الحسین علیه السلام عند الصلاة، کما روی الطبری أنّه لمّا صلّی الحسین علیه السلام الظهر صلاة الخوف اقتتلوا بعد الظهر فاشتدّ القتال، ولما قرب الأعداء من الحسین علیه السلام وهو قائم بمکانه استقدم سعید الحنفی أمام الحسین علیه السلام فاستهدف لهم یرمونه بالنبل یمیناً وشمالًا وهو قائم بین یدی الحسین علیه السلام یقیه السهام طوراً بوجهه وطوراً بصدره وطوراً بجنبه، فلم یکد یصل الی الحسین علیه السلام شیء من ذلک، حتی سقط الحنفی الی الأرض وهو یقول: اللّهم العنهم لعن عاد وثمود، اللّهم أبلغ نبیّک عنی السلام، وأبلغه مالقیت من ألم الجراح، فإنی أردت ثوابک فی نصرة نبیّک، ثمّ التفت إلی الحسین علیه السلام فقال: أوفیت یابن رسول اللّه صلی الله علیه و آله؟ قال: نعم، أنت أمامی فی الجنّة. ثمّ فاضت نفسه النفیسة». (تنقیح المقال ۲: ۲۸).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۴۱

بسم اللّه الرحمن الرحیم

من الحسین بن علیّ إلی الملأ من المؤمنین والمسلمین:

أمّا بعدُ: فإنّ هانیاً وسعیداً قدما علیّ بکتبکم، وکانا آخر من قدم علیّ من رسلکم، وقد

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۴۲

فهمت کلّ الذی اقتصصتم وذکرتم، ومقالة جُلّکم: إنّه لیس علینا إمام فأقبل لعلّ اللّه أن یجمعنا بک علی الحق والهدی.

وإنّی باعث إلیکم أخی وابن عمّی وثقتی من أهل بیتی مسلم بن عقیل، فإن کتب إلیَّ أنه قد اجتمع رأی ملأکم وذوی الحجی والفضل منکم علی مثل ماقدمت به رسلکم وقرأت فی کتبکم فإنی أقدم إلیکم وشیکاً إن شاء اللّه، فلعمری ما الإمام إلّا الحاکم بالکتاب، القائم بالقسط، الداین بدین الحق، الحابس نفسه علی ذات اللّه، والسلام» «۱».

سفیر الإمام الحسین علیه السلام إلی الکوفة:

اشارة

«ودعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوى «۲»، وعمارة بن عبداللَّه السلولى «۳»، وعبداللَّه وعبدالرحمن ابنى شدّاد الأرحبى «۴»، وأمره

---

(۱) الإرشاد: ۲۰۴، وتاريخ الطبرى ۳: ۲۷۸. والأخبار الطوال: ۲۳۱ وفيه «ليعلم لى كنه أمركم ..».

(۲) قيس بن مسهر الصيداوى: تأتى ترجمته فى متن البحث فيما يأتى.

(۳) عمارة بن عبيداللَّه السلولى:

قال النمازى: «عمارة بن عبداللَّه السلولى: لم يذكروه، هو حامل كتاب أهل الكوفة إلى مولانا الحسين عليه السلام، ورجع مع مسلم إلى الكوفة» (مستدركات علم الرجال ۶: ۲۰).

وقال التسترى: «عمارة بن عبيد السلولى: فى الطبرى، مرض هانى فجاءه ابن زياد عائداً، فقال له عمارة: إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية .. فقد أمكنك اللَّه منه فاقتله! قال هانى: ما أحبّ أن يُقتل فى دارى.

وهو (أى عمارة) من أواسط رسل أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام، حملوا معه ومع قيس بن مسهّر وعبدالرحمن الأرحبى نحواً من ۳۵۰ صحيفة، وأرسل الحسين عليه السلام معهم مسلماً، كما فى الطبرى أيضاً». (قاموس الرجال ۸: ۵۴).

(۴) عبداللَّه وعبدالرحمن ابنى شدّاد الأرحبى:

قال النمازى: «عبدالرحمن بن شدّاد الأرحبى: لم يذكروه، هو وأخوه عبداللَّه بن شدّاد رسولان من قبل أهل الكوفة إلى مولانا الحسين صلوات اللَّه عليه، ثم أرسلهما الحسين عليه السلام مع ابن عمّه مسلم إلى الكوفة كما عن المفيد فى الإرشاد». (مستدركات علم الرجال ۴: ۴۰۱).

وقال التسترى: «عبدالرحمن بن عبداللَّه الأرحبى: عدّه الشيخ فى رجاله فى أصحاب الحسين عليه السلام، وذكر أهل السير أنه أحد الأربعة الذين مضوا إلى مكّة ومعهم نيف وخمسون صحيفة، ودخلوا مكّة لإثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وهو أحد من وجّههم الحسين عليه السلام مع مسلم، فلمّا قتل مسلم ردّ هذا من الكوفة إلى الحسين عليه السلام حتى استشهد، وورد التسليم عليه فى الناحية والرجبية.

أقول: إنّما هذا من رسل أهل الكوفة فى الوسط، والطبرى جعلهم ثلاثة: هذا وقيس وعمارة السلولى لا أربعة، وورودهم فى اليوم الذى قال غير معلوم، وإنّما قال الطبرى فى الرسل الأولين وكان قدومهم لعشر مضين منه، وكان تسريح هؤلاء بعد الأوّلين بعد يومين، وأما يوم قدومهم فلم يذكره، ولم يعلم كون سيرهما واحداً، وذكر الطبرى أيضاً بعث الثلاثة مع مسلم، وأمّا رجوع هذا إليه عليه السلام قبل قتل مسلم أو بعده فلم أقف عليه، والزيارتان تضمّنتا السلام عليه». (قاموس الرجال ۶: ۱۲۳ الرقم ۴۰۲۶).

وقال السماوى: «هو عبدالرحمن بن عبداللَّه بن الكدن بن أرحب ... وبنو أرحب بطن من همدان، كان عبدالرحمن وجهاً تابعياً شجاعاً مقداماً.

قال أهل السير: أوفده أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام فى مكة مع قيس بن مسهّر ومعهما كتب نحو من ثلاث وخمسين صحيفة .. وكانت وفادته ثانية الوفادات، فإنّ وفادة عبداللَّه بن سبع وعبداللَّه بن وال الأولى، ووفادة قيس وعبدالرحمن الثانية، ووفادة سعيد بن عبداللَّه الحنفى وهانى بن هانى السبعى الثالثة .. وقال أبومخنف: ولمّا دعا الحسين مسلماً وسرّحه قبله إلى الكوفة سرّح معه قيساً وعبدالرحمن وعمارة بن عبيدالسلولى، وكان من جملة الوفود. ثم عاد عبدالرحمن إليه فكان من جملة أصحابه، حتى إذا كان اليوم العاشر ورأى الحال استأذن فى القتال فأذن له الحسين عليه السلام، فتقدّم يضرب بسيفه فى القوم وهو يقول:

صبراً على الأسياف والأسنّةصبراً عليها لدخول الجنّة

ولم يزل يُقاتل حتى قتل. رضوان اللَّه عليه». (إبصار العين: ۱۳۱- ۱۳۲).

وهكذا ذهب المامقانى أيضاً إلى أنه: عبدالرحمن بن عبداللّه بن الكدن الأرحبى، وقال فيه أيضاً: «وهو أحد النفر الذين وجههم الحسين عليه السلام مع مسلم، فلما خذلوا أهل الكوفة وقتل مسلم ردّ عبدالرحمن هذا إلى الحسين عليه السلام من الكوفة ولازمه حتى نال شرفى الشهادة وتسليم الإمام عليه السلام فى زيارتى الناحية المقدسة والرجبية رضوان اللّه عليه». (تنقيح المقال ۲: ۱۴۵).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۴۴

بالتقوى، وكتمان أمره، واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك ..» «۱».

ماذا يعنى كتمان الأمر هنا؟

هل يعنى أن يكتم مسلم بن عقيل عليه السلام أمر سفارته مادام فى الطريق حتى يصل الى الكوفة؟ أم يعنى أن يتّبع مسلم بن عقيل عليه السلام الأسلوب السرّى فى تعبئة أهل الكوفة للنهضة مع الإمام عليه السلام؟ أم يعنى أن يكتم أمر مكانه وزمان تحركاته ومواقع مخازن أسلحته وأشخاص قياداته ومعتمديه من أهل الكوفة وكلمة السرّ فى وثبته؟ أم غير ذلك؟

وماذا يعنى اللطف هنا؟ هل هو اللطف مع الناس وهو من أخلاق الإسلام؟

أم اللطف هنا بمعنى عدم المواجهة المسلّحة مع السلطة المحلّية الأموية فى الكوفة حتى يصل إليها الإمام عليه السلام أو يأذن بذلك؟

وهل كانت مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام- على ضوء هذه الرواية- منحصرة فى معرفة الرأى العام الكوفى، ومعرفة صدق أهل الكوفة فيما كتبوا به إلى الإمام عليه السلام؟

هناك رواية أخرى تقول إنّ رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة حوت أيضاً هذه العبارات:

«... وقد بعثت إليكم أخى وابن عمّى مسلم بن عقيل بن أبى طالب، وأمرته

---

(۱) الإرشاد: ۴۴.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۴۵

أن يكتب إلىَّ بحالكم وخبركم ورأيكم ورأى ذوى الحجى والفضل منكم، وهو متوجّه إليكم إن شاء اللّه، ولا قوة إلّا باللّه، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت فى كتبكم، فقوموا مع ابن عمّى وبايعوه ولا تخذلوه، فلعمرى ما الإمام العامل بالكتاب القائم بالقسط كالذى يحكم بغير الحقّ ولا يهتدى سبيلًا ...» «۱».

ومن هذا النصّ يتجلّى لنا أنّ مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة لم تنحصر فى استطلاع الرأى العام الكوفى ومعرفة حقيقة ومصداقية التوجهات فيها، بل كانت مهمته الأساسية فيها هى الثورة بأهل الكوفة ضد السلطة المحلّية الأموية فيها والتمهيد للقضاء على الحكم الأموى كلّه، والدليل على هذا قوله عليه السلام:

«فقوموا مع ابن عمّى وبايعوه ولا تخذلوه ..».

ويتابع ابن أعثم الكوفى روايته التأريخية قائلًا:

«ثم طوى الكتاب، وختمه، ودعا بمسلم بن عقيل فدفع إليه الكتاب، وقال:

إنّى موجّهك إلى أهل الكوفة، وسيقضى اللّه من أمرك مايحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت فى درجة الشهداء، فامضِ ببركة اللّه وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق اهلها، وادع الناس الى طاعتى، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتى فعجّل علىّ بالخبر حتى أعمل على حساب ذلك إن شاء اللّه تعالى. ثم عانقه الحسين عليه السلام وودّعه وبكيا جميعاً» «۲».

ومن هذه الرواية نستفيد أنّ «كتمان الأمر» فى الرواية الأولى لايعنى اتّباع

(۱) الفتوح ۵: ۳۵، ومقتل الخوارزمی ۱: ۱۹۵- ۱۹۶.

(۲) الفتوح ۵: ۳۶، ومقتل الخوارزمی ۱: ۱۹۶.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۴۶

مسلم بن عقیل أسلوب العمل السرّی فی الدعوة إلی طاعة الإمام علیه السلام ذلک لأن ظاهر قوله علیه السلام «وادع الناس إلی طاعتی» هو العلانیة فی العمل. نعم قد یلزم الأمر أن تکون البدایة والمنطلق من أهل الثقة والولاء، وهذا ما یشعر به قوله علیه السلام: «فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها».

ویستفاد من هذه الروایة أیضاً أنّ الإمام علیه السلام قد أشعر مسلم بن عقیل علیه السلام أو أخبره بأنّ عاقبة أمره الفوز بالشهادة من خلال قوله علیه السلام: «وأنا أرجو أن أکون أنا وأنت فی درجة الشهداء!» والعلم بأن المصیر هو القتل لایمنع من المضیّ فی أداء التکلیف إذا کان الأمر متعلقاً بإحدی مصالح الإسلام العُلیا. ومما یدلّ علی أنّ مسلم بن عقیل علیه السلام قد علم من قول الإمام علیه السلام أنه متوجّه إلی الشهادة، وأنّ هذا آخر العهد بابن عمّه الإمام الحسین علیه السلام هو أنهما تعانقا وودّع أحدهما الآخر وبکیا جمیعاً!

وتقول روایة تأریخیة: «فخرج مسلم من مکّة فی النصف من شهر رمضان، حتی قدم الکوفة لخمس خلون من شوّال ..» «۱».

من هو مسلم بن عقیل علیه السلام

إنه مسلم بن عقیل بن أبی طالب، من أصحاب علیّ والحسنین علیهما السلام، وقد تزوّج رقیّة «۲» بنت الإمام علیّ علیه السلام، وکان علی میمنة جند أمیرالمؤمنین علیه السلام یوم صفین مع الحسن والحسین علیهما السلام وعبداللّه بن جعفر «۳».

---

(۱) مروج الذهب ۲: ۸۹.

(۲) المجدی فی أنساب الطالبیین: ۱۸ وأنساب الأشراف ۲: ۸۳۰.

(۳) بحار الأنوار ۴۲: ۹۳.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۴۷

قال الخوئی: «وکیف کان فجلالة مسلم بن عقیل وعظمته فوق ما تحویه عبارة، فقد کان بصفین فی میمنة أمیرالمؤمنین علیه السلام ..» «۱».

وعلیه لا یعقل أن یکون عمره الشریف یوم بعثه الإمام الحسین علیه السلام إلی الکوفة ۲۸ سنة علی ما قاله المامقانی «۲»، لأنّ صفین کانت عام ۳۷ للهجرة، ومعناه أن عمره یوم صفین کان أقل من عشر سنین!!.

هذا وقد أخبر النبی الأکرم صلی الله علیه و آله علیاً علیه السلام بأنّ مسلماً علیه السلام سوف یقتل فی محبّة الحسین علیه السلام، فقد روی الصدوق قدس سره فی أمالیه: «قال علیّ علیه السلام لرسول اللّه صلی الله علیه و آله: یارسول اللّه، إنّک لتحبّ عقیلًا؟ قال: إیواللّه، إنی لأحبّه حبین: حباً له، وحبّاً لحبّ أبی طالب له، وإنّ ولده لمقتول فی محبّة ولدک، فتدمع علیه عیون المؤمنین، وتصلّی علیه الملائکة المقرّبون، ثمّ بکی رسول اللّه صلی الله علیه و آله حتی جرت دموعه علی صدره، ثمّ قال: إلی اللّه أشکو ما تلقی عترتی من بعدی». «۳»

وکان مسلم علیه السلام مثالًا سامیاً فی الأخلاق الإسلامیة عامة وفی الشجاعة والجرأة والبأس خاصة، وقد شهدت له ملحمته فی الکوفة بتلک الأخلاقیة السامیة عامة وتلک الشجاعة خاصة، حتی قال عدوّه محمد بن الأشعث وهو یصفه لابن زیاد: «.. أولم تعلم أیها الأمیر أنّک بعثتنی إلی أسد ضرغام وسیف حسام فی کفّ بطل همام من آل خیر الأنام ..» «۴».

«ونقل عن بعض كتب المناقب: أنّ مسلم بن عقيل كان مثل الأسد، وكان من

---

(۱) معجم رجال الحديث ۱۸: ۱۵۰.

(۲) تنقيح المقال ۳: ۲۱۴.

(۳) أمالى الصدوق: ۱۱۱، المجلس ۲۷، حديث رقم ۳؛ وعنه البحار: ۲۲: ۲۸۸.

(۴) نفس المهموم: ۱۱۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۴۸

قوّته أنّه يأخذ الرجل بيده فيرمى به فوق البيت» «۱».

وفى بعض كتب المناقب: أرسل الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة وكان مثل الأسد «۲».

ومن مواقفه الكاشفة عن شجاعته الهاشمية الفذّة موقفه أمام معاوية أيّام حكمه وقد طلب منه ردّ المال وأخذ الأرض، حيث قال له مسلم: مه، دون أن أضرب رأسك بالسيف! «۳».

هل طلب مسلم الإستعفاء من السفارة؟!:

اشارة

روى الطبرى فى تأريخه، والشيخ المفيد قدس سره فى إرشاده أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام بعث إلى الإمام الحسين عليه السلام أثناء طريقه إلى الكوفة يطلب منه أن يعفيه من مهمة السفارة إلى أهل الكوفة، فى قصة هى على رواية الطبرى كمايلى:

«فأقبل مسلم حتى أتى المدينة، فصلّى فى مسجد رسول اللّه، وودّع من أحبّ من أهله، ثم استأجر دليلين من قيس فأقبلا به، فضلّا الطريق وجارا، وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان: هذا الطريق حتى تنتهى الى الماء، وقد كادوا أن يموتوا عطشاً (وفى رواية الإرشاد: ومات الدليلان عطشاً)، فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوى الى الحسين وذلك بالمضيق من بطن الخُبيت (وفى رواية الإرشاد: بطن الخبت): أمّا بعدُ، فإنّى أقبلت من المدينة معى دليلان لى فجارا عن الطريق وضلّا، واشتدّ علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا

---

(۱) نفس المصدر.

(۲) راجع: البحار ۴۴: ۳۵۴.

(۳) راجع البحار ۴۲: ۱۱۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۴۹

إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يُدعى المضيق من بطن الخبيت، وقد تطيّرتُ من وجهى هذا، فإن رأيت أعفيتنى منه وبعثت غيرى، والسلام.

فكتب إليه الحسين:

أمّا بعدُ، فقد خشيت ألّا يكون حملك على الكتاب إلىَّ فى الاستعفاء من الوجه الذى وجّهتك له إلا الجبن، فامضِ لوجهك الذى وجهتك له، والسلام عليك.

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب (وفى رواية الإرشاد: فلما قرأ مسلم الكتاب قال:) هذا مالستُ أتخوّفه على نفسى ..» «۱».

إنّ من يراجع ترجمة حياة مسلم بن عقيل- على اختصارها فى الكتب- وله معرفة بالعرف العربى آنذاك عامة وبالشمائل الهاشمية خاصة لايتردد فى أنّ هذه القصة مختلقة وأنها من وضع أعداء أهل البيت عليهم السلام لتشويه صورة وسمعة هذا السفير العظيم.

فإنّ مسلماً عليه السلام كان أحد قيادات ميمنة جيش أمير المؤمنين علىّ عليه السلام، وهو الذى خاطب معاوية وكان آنذاك الطاغية ذا اليد المطلقة فى العالم الإسلامى: مه، دون أن أضرب رأسك بالسيف!، وهو الذى ودّع الإمام الحسين عليه السلام وداع فراق لا لقاء بعده إلّا فى الجنّة بعد أن عرف أنّه متوجّه إلى الشهادة لا محالة من قول الإمام عليه السلام له: وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت فى درجة الشهداء.

---

(۱) تأريخ الطبرى ۳: ۲۷۸، والإرشاد: ۲۰۴، والأخبار الطوال: ۲۳۰.

تُرى هل تخشى الموت نفس مطمئنّة بالسعادة بعده!؟ وهل تتطيّر من لقاء الموت نفس مشتاقة الى لقاء اللّه ولقاء رسوله صلى الله عليه و آله والأحبّة الماضين من أهل البيت عليهم السلام!؟ وهل فارقت الطمأنينة نفس مسلم عليه السلام لحظة ما!؟ وهذه سيرته فى الكوفة تشهد له بثبات وطمأنينة مستيقن من أمره، لايفوقه فى مستوى ثباته إلّا الإمام المعصوم عليه السلام. وهل يعقل العارف المتأمّل أو يقبل أنّ الإمام الحسين عليه السلام يُرسل فى هذه السفارة الخطيرة من يعتوره جبن أو يتطيّر من وجهته لعارضٍ من المألوف أن يصيب كثيراً من المسافرين فى تلك الأيام!؟ ثمّ هل من الأدب الحسينى أنّ يخاطب الإمام عليه السلام ابن عمّه مسلماً عليه السلام بهذا النوع من الخطاب ويتهمه بالجبن!؟

يقول السيّد المقرّم قدس سره:

«فإنّ المتامّل فى صك الولاية الذى كتبه سيد الشهداء لمسلم بن عقيل لايفوته الإذعان بما يحمله من الثبات والطمأنينة ورباطة الجأش، وأنه لايهاب الموت، وهل يعدو بآل أبى طالب إلّا القتل الذى لهم عادة وكرامتهم من اللّه الشهادة؟ ولو كان مسلم هيّاباً فى الحروب لما أقدم سيد الشهداء على تشريفه بالنيابة الخاصة عن التى يلزمها كلّ ذلك.

فتلك الجملة التى جاء بها الرواة، وسجلها ابن جرير للحطّ من مقام ابن عقيل الرفيع متفككة الأطراف واضحة الخلل، كيف وأهل البيت ومن استضاء بأنوار تعاليمهم لايعبأون بالطيرة ولا يقيمون لها وزناً.

وليس العجب من ابن جرير إذا سجّلها ليشوّه بها مقام شهيد الكوفة كما هى عادته فى رجالات هذا البيت، ولكنّ العجب كيف خفيت على بعض أهل النظر والتدقيق حتى سجّلها فى كتابه، مع أنه لم يزل يلهج بالطعن فى أمثالها ويحكم

بأنها من وضع آل الزبير ومن حذا حذوهم» «۱».

ويظهر أنّ السيّد المقرّم يرى صحة أصل الحادثة وموت الدليلين وأنّ مسلم ابن عقيل عليه السلام بعث برسالة الى الإمام عليه السلام وأنّ الإمام عليه السلام قد بعث إليه بجواب، ولكن المضمون الذى ينسب فيه التطيّر والجبن الى مسلم بن عقيل عليه السلام هو من الموضوعات المختلقة التى لا صحة لها «۲».

غير أنّ الشيخ باقر شريف القرشى ينكر أصل الرسالة والجواب ويراهما من الموضوعات حيث يقول:

۱- «إنّ مضيق الخبت الذى بعث منه مسلم رسالته إلى الإمام يقع مابين مكّة والمدينة حسب مانصّ عليه الحموى (معجم البلدان ۲: ۳۴۳) فى حين أنّ الرواية تنصّ على أنّه استأجر الدليلين من يثرب، وخرجوا إلى العراق فضلّوا عن الطريق وماتا الدليلان، ومن الطبيعى أنّ هذه الحادثة وقعت مابين المدينة والعراق، ولم تقع مابين مكّة والمدينة.

۲- إنّه لو كان هناك مكان يُدعى بهذا الإسم يقع مابين يثرب والعراق لم يذكره الحموى فإنّ السفر منه الى مكّة ذهاباً وإياباً يستوعب زماناً يزيد على عشرة أيّام، فى حين أنّ سفر مسلم من مكّة الى العراق قد حدّده المؤرّخون فقالوا: إنّه سافر من مكّة فى اليوم الخامس عشر من رمضان، وقدم إلى الكوفة فى اليوم الخامس من شوّال، فيكون مجموع سفره عشرين يوماً، وهى أسرع مدّة يقطعها المسافر

---

(۱) مسلم بن عقيل: ۱۳۸.

(۲) راجع نفس المصدر: ۱۱۱- ۱۱۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۵۲

من مكّة الى المدينة (ثم الى الكوفة) «۱» ... وإذا استثنينا من هذه المدّة سفر رسول مسلم من ذلك المكان ورجوعه إليه، فإنّ مدّة سفره من مكّة إلى الكوفة تكون أقلّ من عشرة أيّام، ويستحيل عادة قطع تلك المسافة بهذه الفترة من الزمن.

۳- إنّ الإمام اتهم مسلماً- فى رسالته- بالجبن، وهو يناقض توثيقه له من أنه ثقته وكبير أهل بيته، والمبرّز بالفضل عليهم، ومع اتصافه بهذه الصفات كيف يتّهمه بالجبن!؟

۴- إنّ اتهام مسلم بالجبن يتناقض مع سيرته، فقد أبدى هذا البطل العظيم من البسالة والشجاعة النادرة ما يبهر العقول، فإنّه حينما انقلبت عليه جموع أهل الكوفة قابلها وحده من دون أن يعينه أو يقف إلى جنبه أىّ أحد، وقد أشاع فى تلك الجيوش المكثفة القتل مما ملأ قلوبهم ذعراً وخوفاً، ولمّا جيء به أسيراً الى ابن زياد لم يظهر عليه أىّ ذل أو انكسار، ويقول فيه البلاذرى: إنه أشجع بنى عقيل وأرجلهم (أنساب الأشراف ۲: ۸۳۶)، بل هو أشجع هاشمى عرفه التأريخ بعد أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

إنّ هذا الحديث من المفتريات الذى وضع للحطّ من قيمة هذا القائد العظيم الذى هو من مفاخر الأمّة العربية والإسلامية» «۲».

ولذا فنحن نرجّح رأى القرشى على رأى المقرّم فى هذه المسألة، ونذهب للذى ذهب إليه فى أنّ أصل الرسالة والجواب لا صحة لهما، والشك قوىّ فى أنّ الحادثة أيضاً لا صحة لها.

---

(۱)

مابين القوسين ليس من الأصل، ولكنّ الصحيح هو هكذا.

(۲) حياة الإمام الحسين عليه السلام ۲: ۳۴۳- ۳۴۴.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۵۳

مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة

اشارة

كان الإمام الحسين عليه السلام قد أوصى مسلم بن عقيل عليه السلام- كما مرَّ بنا- أن يكون نزوله فى الكوفة عند أوثق أهلها «فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها» «۱»، ذلك لأن من الطبيعى أن تكون انطلاقة عمله السياسى الثورى فى دعوة الناس الى طاعة الإمام عليه السلام وتعبئتهم للقيام معه، وتخذيلهم عن آل أبى سفيان، من منزل يكون صاحبه من أوثق أهل الكوفة فى الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

قال ابن كثير فى تأريخه: «فلمّا دخل الكوفة نزل على رجل يُقال له مسلم بن عوسجة الأسدى «۲».

---

(۱)

الفتوح ۵: ۳۶.

(۲) مسلم بن عوسجة الأسدى: ويكنّى أبا حجل، الأسدى السعدى، كان رجلًا شريفاً سريّاً عابداً متنسكاً. وكان صحابياً ممن رأى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وكان فارساً شجاعاً له ذكر فى المغازى والفتوح الإسلامية. قال أهل السير: إنّه ممن كاتب الحسين عليه السلام من الكوفة ووفى له، وممّن أخذ البيعة له عند مجيء مسلم بن عقيل الى الكوفة. ولمّا دخل عبيداللَّه بن زياد الكوفة وسمع به مسلم بن عقيل خرج إليه ليحاربه، فعقد لمسلم بن عوسجة على ربع مذحج وأسد، و ...، فنهدوا إليه حتى حبسوه فى قصره، ثمّ لمّا دارت رحى الأحداث على غير مايتمنّاه أنصار الحق وقبض على مسلم بن عقيل وهانى بن عروة اختفى مسلم بن عوسجه مدّة، ثمّ فرّ بأهله إلى الحسين عليه السلام فوافاه بكربلا وفداه بنفسه رضوان اللَّه تعالى عليه. وهو القائل للإمام عليه السلام لمّا رخّص أنصاره ليلة العاشر بالإنصراف عنه: أنحن نخلّى عنك ولم نعذر الى اللَّه فى أداء حقّك!؟ أم واللَّه لا ـ أبرح حتى أكسر فى صدورهم رمحى وأضربهم بسيفى ماثبت قائمه بيدى ولا أفارقك، ولو لم يكن معى سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك. ولمزيد من معرفة فضائل وتأريخ هذا الشهيد المقدّس راجع ترجمته فى كتاب (إبصار العين فى أنصار الحسين عليه السلام: ۱۰۷-۱۱۱).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۵۴

وقيل نزل فى دار المختار بن أبى عبيدالثقفى «۱» ..» «۲».

---

(۱) المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى: ولد عام الهجرة، وحضر مع أبيه بعض الحروب وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان يتفلّت للقتال فيمنعه عمّه، فنشأ مقداماً شجاعاً لا يتّقى شيئاً، وتعاطى معالى الأمور، وكان ذا عقل وافر، وجواب حاضر، وخلال مأثورة، ونفس بالسخاء موفورة.

وهو الذى فتك بمعظم الذين شركوا فى دم الإمام الحسين عليه السلام وزعمائهم أيّام ولايته التى دامت ثمانية عشر شهراً. وقُتل على يد مصعب بن الزبير وعمره ۶۷ سنة.

وقد اختلفت الروايات فيه، فبعضها مادحة، وبعضها ذامة، والذامّة منها ضعيفة السند، ومنها قاصرة الدلالة، أو صدرت تقيّة، والمادحة فيها روايات صحيحة.

كما اختلفت الأقوال فيه، ويكفينا هنا قول خمسة من المعاصرين:

۱- الخوئى: «يكفى فى حسن حال المختار إدخاله السرور فى قلوب أهل البيت عليهم السلام بقتله قتلة الحسين عليه السلام، وهذه خدمة عظيمة لأهل البيت عليهم السلام يستحق بها الجزاء من قبلهم، أفهل يحتمل أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأهل البيت عليهم السلام يغضّون النظر عن ذلك وهم معدن الكرم والإحسان .. وهذا محمد بن الحنفية بينما هو جالس فى نفر من الشيعة وهو يعتب على المختار- فى تأخير قتله عمر بن سعد- فما تمّ كلامه إلا والرأسان عنده، فخرَّ ساجداً وبسط كفيه وقال: اللّهمّ لا تنس هذا اليوم للمختار وأجزأه عن أهل بيت نبيّك محمّد خير الجزاء، فواللَّه ما على المختار بعد هذا من عتب ..». (معجم رجال الحديث ۱۸: ۱۰۰).

۲- المحدّث القمى: الروايات فى المختار الثقفى مختلفة، لكن المُسلّم بأنه أدخل السرور والفرح الى قلب الإمام زين العابدين، بل إنّه أدخل السرور والفرح الى قلوب آل الرسول عليه السلام والثكالى واليتامى الذين إستشهد آباؤهم مع الإمام الحسين عليه السلام، فخمس سنوات كان العزاء والحزن يخيمان على بيوت أصحاب المصيبة، فلم تُر مكحلة ولاخاضبة ولادخانٌ يتعالى من بيوتهن حتى شاهدن رأس عُبيد الله بن زياد فخرجن من العزاء، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ المختار أشاد البيوت التى هُدمت، وبعث بالعطايا الى المظلومين، فهنيئاً للمختار الذى بعمله هذا أدخل الفرح إلى قلوب أهل بيت رسول الله عليه السلام المطهرين (وقايع الايام ص ۴۰).

۳- النمازی: «والمختار- یعنی الذی أنا أختاره- أنه المختار لطلب الثار، شفی اللَّه به صدور الأطهار، وسرَّ به قلوب الأبرار، وینجو بشفاعة سیدنا الحسین صلوات اللَّه علیه من درک النار، جزاه اللَّه خیراً من لطف الغفّار». (مستدرکات علم الرجال ۷: ۳۸۵).

۴- الأمینی: «من عطف علی التأریخ والحدیث وعلم الرجال نظرة تشفعها بصیرة نفّاذة علم أنّ المختار فی الطلیعة من رجالات الدین والهدی والإخلاص، وأنّ نهضته الکریمة لم تکن إلا لإقامة العدل باستیصال شأفة الملحدین، واجتیاح جذوم الظلم الأمویّ، وأنّه بمنزح من المذهب الکیسانی، وأنّ کلّ مانبزوه من قذائف وطامات لا مقیل لها من مستوی الحقیقة والصدق وقد أکبره ونزّهه العلماء الأعلام منهم: ابن طاووس فی رجاله، والعلامة فی الخلاصة، وابن داود فی الرجال، والفقیه ابن نما فیما أفرد فیه من رسالته .. والمحقق الأردبیلی فی حدیقة الشیعة، وصاحب المعالم فی التحریر الطاووسی، والقاضی نور اللَّه فی المجالس، وقد دافع عنه الشیخ أبوعلی فی منتهی المقال (۶: ۲۴۰) وغیرهم». (الغدیر ۲: ۳۴۳).

۵- المامقانی: «ولا إشکال فی إسلامه بل کونه إمامیّ المذهب، بل الظاهر اتفاق الخاصة والعامة علیه، بل الحق أنّه کان یقول بإمامة مولانا السّجاد علیه السلام .. فتلخّص من جمیع ما ذکرنا أنّ الرجل إمامیّ المذهب، فإنّ سلطنته برخصة الإمام، وإنّ وثاقته غیر ثابتة، نعم هو ممدوح مدحاً مدرجاً له فی الحسان». (تنقیح المقال ۳: ۲۰۶).

هذا وقد توقّف المجلسیّ فی شأنه فلم یمدحه ولم یذمّه.

وإذا ثبت تأریخیاً نزول مسلم بن عقیل علیه السلام دار المختار- کما صرّح بذلک المؤرّخون- فإنَّ ذلک یثبت وثاقته، بل یثبت أنه من أوثق أهل الکوفة، وذلک لأن الإمام الحسین علیه السلام أمر مسلماً علیه السلام أن ینزل عند أوثق أهلها فنزل عند المختار، فیکون هذا النزول من باب تعیین المصداق لکلام الإمام الحسین علیه السلام، إن لم یکن هذا النزول بأمر من الإمام نفسه علیه السلام، واللَّه العالم.

ولعلّ هناک علّة أخری لاختیار مسلم دار المختار دون غیرها- مع فرض ثبوت ذلک- وهو أنه کان صهراً للنعمان بن بشیر حاکم الکوفة یومها- أی کان زوجاً لابنته عمرة- فلاتمدُ ید سوء إلی مسلم علیه السلام طالما هو فی بیت صهر والی الکوفة.

(۲) البدایة والنهایة ۳: ۲۷۹.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۵۶

وقال الشیخ المفید قدس سره:

«... ثمّ أقبل مسلم حتی دخل الکوفة، فنزل فی دار المختار بن أبی عبیدة، وهی التی تدعی الیوم دار مسلم بن المسیّب، وأقبلت الشیعة تختلف إلیه، فلمّا اجتمع إلیه منهم جماعة قرأ علیهم کتاب الحسین علیه السلام وهم یبکون، وبایعه الناس حتی بایعه منهم ثمانیة عشر ألفاً. فکتب مسلم الی الحسین علیه السلام یخبره ببیعة ثمانیة عشر ألفاً، ویأمره بالقدوم ..» «۱».

لکنّ مسلم بن عقیل علیه السلام بعد قدوم عبیداللَّه بن زیاد الی الکوفة والیاً علیها من قبل یزید، وحصول التطورات السریعة المتلاحقة التی أدّت إلی ضرورة تحوّل عمل مسلم بن عقیل من حالة العلانیة إلی السرّ، اضطرّ الی تغییر مقرّه فتحوّلَ الی دار هانی بن عروة «۲» زعیم مراد وشیخها وهو شریف من أشراف الکوفة ومن

---

(۱) الإرشاد: ۲۰۵، وتاریخ الطبری ۳: ۲۷۹ بتفاوت یسیر.

(۲) هانی بن عروة المرادی: کان هانی من أشراف الکوفة وأعیان الشیعة ومن رؤسائهم، وشیخ مرادوزعیمها، یرکب فی أربعة آلاف درع وثمانیة آلاف راجل. روی أنه أدرک النبی صلی الله علیه و آله وتشرّف بصحبته، واستشهد وله من العمر تسع وثمانون سنة (انظر: سفینة البحار ۸: ۷۱۴ و قاموس الرجال ۹: ۲۹۲/ الطبعة القدیمة).

ویشهد علی کماله وجلالة قدره وعظیم شأنه الزیارة التی نقلها السیّد ابن طاووس له: «سلام اللَّه العظیم وصلواته علیک یاهانی بن عروة، السلام علیک أیها العبد الصالح، الناصح للَّهولرسوله ولأمیر المؤمنین والحسن والحسین علیهما السلام، أشهد أنّک قتلت مظلوماً، فلعن اللَّه من قتلک واستحلّ دمک، وحشی اللَّه قبورهم ناراً، أشهد أنک لقیت اللَّه وهو راضٍ عنک بما فعلت ونصحت، وأشهد أنک قد بلغت درجة الشهداء، وجعل روحک مع أرواح السعداء بما نصحت للَّهولرسوله مجتهداً، وبذلت نفسک فی ذات اللَّه ورضائه، فرحمک اللَّه ورضی عنک، وحشرک مع محمد وآله الطاهرین، وجمعنا وإیاکم معهم فی دار النعیم، وسلام علیک ورحمة اللَّه ..» (بحار الأنوار ۱۰۰: ۴۲۹ نقلًا عن مصباح الزائر والمزار الکبیر ومزار الشهید).

کما أنه شارک فی حرب الجمل بین یدی أمیرالمؤمنین، ومن شعره فیها:

یالک حرباً حثّها جمّالُهاقائدة ینقصها ضُلّالها

هذا علیٌ حوله أقیالُها (البحار ۳۲: ۱۸۱).

*: مؤاخذات وردود:

رغم الموقف المشرّف لهانی وتضحیته بنفسه الزکیّة دون سفیر الحسین علیه السلام لم یسلم هذا الشهید البطل من المؤاخذات والانتقادات، وأهم هذه المؤاخذات:

الأولی: إنّ دفاعه عن مسلم بن عقیل علیه السلام لم یکن عن بصیرة دینیة، بل لمجرّد الحمیّة وحفظ الذمام ورعایة حقّ الضیف، فهو مثل مدلج بن سوید الطائی الذی یضرب به المثل فیقال: أحمی من مجیر الجراد. وقصته معروفة وهی أنه خلا ذات یوم فی خیمته فإذا بقوم من طیء ومعهم أوعیتهم، فقال: ما خطبکم؟ قالوا: جراد وقع بفنائک فجئنا لنأخذه، فرکب فرسه وأخذ رمحه وقال: واللَّه لا یتعرّض له أحد منکم إلا قتلته، أیکون الجراد فی جواری ثم تریدون أخذه. ولم یزل یحرسه حتی حمیت علیه الشمس فطار، فقال: شأنکم الآن به فقد تحوّل عن جواری! (راجع مجمع الأمثال ۱: ۳۹۳ والکنی والألقاب ۳: ۱۵۲).

قد أُجیب علی هذه المؤاخذة أنه: «اتفقت الأخبار علی أنّ هانیاً قد أجار مسلماً وحماه فی داره، وقام بأمره، وبذل النصرة وجمع له الرجال والسلاح فی الدور حوله، وامتنع من تسلیمه لابن زیاد، وأبی کلّ الإباء واختار القتل علی التسلیم حتی أُهین وضرب وعذّب وحبس وقتل صبراً علی ید الفاجر اللعین، وهذه کافیة فی حسن حاله وجمیل عاقبته ودخوله فی أنصار الحسین وشیعته المستشهدین فی سبیله،

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۵۷

ویدلّ علیه أمور:

۱- قوله لابن زیاد: فإنه قد جاء من هو أحقّ من حقّک وحقّ صاحبک.

۲- قوله: لو کانت رجلی علی طفل من أطفال أهل البیت مارفعتها حتی تقطع.

۳- قول الحسین علیه السلام لمّا بلغه قتله وقتل مسلم: قد أتانا خبرٌ فظیع، قتل مسلم وهانی وعبداللَّه بن یقطر.

۴- بعدما أُخبر الحسین علیه السلام بقتل مسلم وهانی استعبر باکیاً ثم قال: اللّهم اجعل لنا ولشیعتنا منزلًا کریماً، واجمع بیننا وبینهم فی مستقرّ رحمتک.

۵- زیارته المعروفة التی ذکرها أصحابنا رضوان اللَّه علیهم. (تنقیح المقال ۳: ۲۸۹).

أقول: قد تضمّنت هذه الإجابة علی دلائل ومؤکدات علی أنَّ ما فعله هانی کان عن بصیرة دینیة لا مجرّد حمیّة وحفظ للذمام ورعایة لحقّ الضیف.

الثانیة: دخول هانیء علی ابن زیاد حین أتی الکوفة، واختلافه إلیه فیمن اختلف إلیه من أعیانها وأشرافها حتی جاء مسلم، مما یدلّ

على أنه كان مع السلطة.

وقد أجيب عنها بأنّ: «هذا أيضاً لا يُعدُ طعناً فيه لأنّ أمر مسلم كان مبنياً على التستر والإستخفاء، وكان هانى رجلًا مشهوراً يعرفه ابن زياد ويصادفه، فكان انزواؤه عنه يحقق عليه الخلاف، وهو خلاف ما كانوا عليه من التستر، فلذا ألزمه الإختلاف- أى المراودة- إليه دفعاً للوهم. فلمّا لجأ إليه مسلم انقطع عنه خوفاً، وتمارض حتى يكون المرض عذراً، فجاءه من الأمر مالم يكن فى حسابه». (تنقيح المقال ۳: ۲۸۹).

الثالثة: أنّ هانياً نهى مسلماً عن الخروج على ابن زياد!

وأجيب عنها: «فلعلّه رأى أنّ المصلحة فى التأخير حتى يتكاثر الناس وتكمل البيعة ويصل الحسين عليه السلام الى الكوفة، ويتهيأ لهم الأمر بسهولة، ويكون قتالهم مع الإمام مرّة واحدة». (تنقيح المقال ۳: ۲۸۹).

الرابعة: أنّ هانياً منع مسلماً من قتل ابن زياد فى داره!

وأجيب عنها: «فقد عرفت اختلاف الأخبار فى ذلك، إذ فى بعضها: أنه هو الذى أشار بقتله، وتمارض لابن زياد حتى يأتيه عائداً فيقتله مسلم، وأنه عاتبه على ترك قتله بعد تهيؤه له بسهولة، وقد اعتذر مسلم تارة: بتعلّق المرأة وبكائها فى وجهه ومناشدتها فى ترك ما همّ به، وأخرى: بحديث الفتك، وهو المشهور عنه، وأشار إليه المرتضى فى تنزيه الأنبياء». (تنقيح المقال ۳: ۲۸۹).

(وراجع: فى أن هانياً هو الذى أشار بقتل ابن زياد: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۱۶: ۱۰۲).

الخامسة: قوله لابن زياد: واللّه ما دعوته إلى منزلى، ولا علمت بشىء من أمره حتى جاءنى يسألنى النزول فاستحييت من ردّه وداخلنى من ذلك ذمام ...

وأجيب عنها ب: «أنّه قال ذلك يريد التخلّص منه، ومن البعيد أن يأتيه مسلم من غير ميعاد ولا استيثاق، ويدخل فى أمانه وهو لايدرى به ولم يعرفه ولم يختبره، وكذا عدم اطّلاع هانى- وهو شيخ المصر وسيّده ووجه الشيعة- على شىء من أمره فى تلك المدّة حتى دخل عليه بغتة وفاجأه باللقاء مرّة». (تنقيح المقال ۳: ۲۸۹). مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۵۸

السادسة: تصريح صاحب- (روضة الصفا) و (حبيب السير) بأنّ هانياً قال لمسلم حين دخل عليه: لقد أوقعتنى فى عناء وتكليف، ولولا أنّك دخلت دارى لرددتك!

أقول: إن سائر الكتب المعتبرة خالية من هذا القول، فهما قد تفرّدا بهذا النقل، ولم يثبت ذلك.

السابعة: ولعلّها من أشدّ المؤاخذات عليه، وهى أنّ هانياً كان مروّجاً ومبلّغاً لولاية عهد يزيد فى الكوفة على عهد معاوية إستناداً إلى ما أورده ابن أبى الحديد فى شرح النهج: «وفد أهل الكوفة على معاوية حين خطب لابنه يزيد بالعهد بعده، وفى أهل الكوفة هانى بن عروة المرادى وكان سيّداً فى قومه، فقال يوماً فى مسجد دمشق والناس حوله: العجب لمعاوية يريد أن يقسرنا على بيعة يزيد، وحاله حاله، وما ذاك واللّه بكائن. وكان فى القوم غلام من قريش جالساً، فتحمّل الكلمة الى معاوية، فقال معاوية: أنت سمعت هانئاً يقولها؟ قال: نعم. قال: فاخرج فأتِ حلقته، فإذا خفّ الناس عنه فقل له: أيها الشيخ، قد وصّلت كلمتك إلى معاوية، ولستَ فى زمن أبى‌بكر وعمر، ولا أحبّ أن تتكلم بهذا الكلام فإنهم بنو أميّة، وقد عرفت جرأتهم وإقدامهم، ولم يدعنى الى هذا القول لك إلّا النصيحة والإشفاق عليك، فانظر مايقول فإتنى به. فأقبل الفتى الى مجلس هانىء، فلمّا خفّ مَن عنده دنا منه فقصّ عليه الكلام، وأخرجه مخرج النصيحة له، فقال هانىء: واللّه يابن أخى ما بلغت نصيحتك كلّ ما أسمع، وإنّ هذا الكلام كلام معاوية أعرفه! فقال الفتى: وما أنا ومعاوية! واللّه ما يعرفنى. قال: فلا عليك، إذا لقيته فقل له: يقول لك هانىء: واللّه ما إلى ذلك من سبيل، انهض ياابن أخى راشداً. فقام الفتى فدخل على معاوية فأعلمه، فقال: نستعين باللّه عليه. ثم قال معاوية بعد أيّام للوفد: إرفعوا حوائجكم- وهانىء فيهم-. فعرض عليه كتابه فيه ذكر حوائجه، فقال: ياهانىء، ما أراك صنعت شيئاً! زد. فقام هانىء فلم يدع حاجة عرضت له إلا وذكرها، ثم عرض

علیه الکتاب، فقال: أراک قصّرت فیما طلبت! زد. فقام هانی فلم یدع حاجة لقومه ولا لأهل مصره إلّا ذکرها، ثم عرض علیه الکتاب، فقال: ماصنعت شیئاً! زد. فقال: یاأمیر المؤمنین، حاجة بقیت! قال: ماهی!؟ قال: أن أتولّی أخذ البیعة لیزید بن أمیر المؤمنین بالعراق! قال: افعل، فما زلت لمثل ذلک أهلًا. فلمّا قدم هانی العراق قام بأمر البیعة لیزید بمعونة من المغیرة بن شعبة وهو الوالی بالعراق یومئذٍ». (شرح النهج ۱۸: ۴۰۸).

وقد أُجیب عن هذه المؤاخذة من وجوه: «أولًا: أنها قصة مرسلة تفرّد الحدیدی بنقلها، ولم یذکر لها مأخذاً رغم أنّ طریقته غالباً نقل المأخذ والمستند. ثانیاً: المتن یستظهر منه الکذب، إذ کیف یقول هانی بملأ من قومه وأهل الشام جهراً: إنّ معاویة یرید أن یقسرنا علی بیعة یزید، ثم یکون هو الطالب للقیام ببیعة یزید!!. ثالثاً: إنّ ما ختم به لهانی من ردّه بیعة یزید وقیامه بنصر الحسین علیه السلام حتی قتل یأتی علی کلّ ما فرط منه قبل ذلک لو کان، وما أشبه حاله بحال الحرّ إذ تاب وقبلت توبته بعدما وقع وصدر ما صدر، وقد کان الأمر فیه أشدّ، وفی هانی أهون، فهو إلی القبول أقرب». (تنقیح المقال ۳: ۲۸۹، وانظر الفوائد ۴: ۴۱، ونفس المهموم: ۱۱۵).

ویلاحظ فی کلّ الردود التی أوردناها عن صاحب تنقیح المقال أنه ینقلها عن السید الطباطبائی وهو بحر العلوم (ره).).

الثامنة: وقوفه بوجه علیّ علیه السلام واعتراضه علیه حینما عزل الأشعث بن قیس عن رئاسة کندة ونصب حسّان بن مخدوج مکانه، حیث قام إلی علیّ علیه السلام وقال: إنّ رئاسة الأشعث لاتصلح إلّا لمثله! وما حسّان مثل الأشعث

وأجیب عنها: أولًا: لم یکن هو المعترض فحسب، بل کان الأشتر، وعدی بن حاتم الطائی، و ... ضمن المعترضین. ثانیاً: أنهم رجعوا عن قولهم ورضوا بما فعله أمیرالمؤمنین علیه السلام کما یظهر من نص (وقعة صفین: ۱۳۷).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۶۰

وجوه الشیعة فیها.

رسالة الإمام علیه السلام الی محمد بن الحنفیة ومن قِبله من بنی هاشم

اشاره

روی ابن عساکر وابن کثیر أنّ الإمام علیه السلام بعث الی المدینة (وهو فی مکّة) یستقدم إلیه من خفّ من بنی هاشم، فخفَّ إلیه جماعة منهم، وتبعهم إلیه محمد

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۶۱

ابن الحنفیة، ولکنّ الروایة لم تحدّد من هم أفراد هذه الجماعة الهاشمیة «۱».

وقال الذهبی: «بعث الحسین علیه السلام الی المدینة، فقدم علیه من خفَّ معه من بنی عبدالمطلب، وهم تسعة عشر رجلًا، ونساء ...» «۲».

ومفاد ذلک أنّ هؤلاء لم یرافقوا الحسین علیه السلام حین خروجه من المدینة بل التحقوا به بعد الدعوة التی حملتها تلک الرسالة إلی المدینة.

لکنّ المصادر التأریخیة الشیعیة روت أنّ الإمام الحسین علیه السلام بعث من مکّة إلی أخیه محمد بن الحنفیة ومن قبله من بنی هاشم فی المدینة رسالة موجزة العبارة عظیمة الدلالة هی من روائع رسائله علیه السلام.

ففی روایة عن الإمام الباقر علیه السلام أنّ الإمام الحسین علیه السلام کتب هذه الرسالة من مکّة ونصّها:

بسم اللّه الرحمن الرحیم

من الحسین بن علیّ إلی محمّد بن علیّ ومن قبله من بنی هاشم.

أمّا بعدُ: فإنّ من لحق بى استشهد، ومن لم يلحق بى لم يُدرك الفتح والسلام.» «۳»

كما رويت رواية هذه الرسالة بتفاوت يسير عن الإمام الصادق عليه السلام، وظاهرها

---

(۱) راجع تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام/ تحقيق المحمودى: ۲۹۸ ح ۲۵۶)، والبداية والنهاية ۸: ۱۷۸.

(۲) تأريخ الإسلام: حوادث سنة ۶۱ ص ۹.

(۳) كامل الزيارات: ۷۵ باب ۲۴ حديث رقم ۱۵، ومثير الأحزان: ۳۹ بتفاوت يسير.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۶۲

أنّ الإمام الحسين عليه السلام كتبها بعد خروجه من مكّة «۱».

معنى محتوى الرسالة:

قال المجلسى قدس سره فى تعليقة له على هذه الرسالة: «لم يبلغ الفتح أى لم يبلغ ما يتمنّاه من فتوح الدنيا والتمتّع بها، وظاهر هذا الجواب ذمّه، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه السلام خيّرهم فى ذلك فلا إثمَ على من تخلّف». «۲»

فالمجلسى قدس سره فسّر الفتح بالمكاسب والفتوح الدنيوية والتمتّع بها، كما احتمل أن يكون المعنى أنّ الإمام عليه السلام خيّر بنى هاشم فى مسألة الإلتحاق به فلا إثم على من تخلّف عنه ولم يلتحق به!!

لكنّ القرشىّ فسّره بفتح من نوع آخر لم يكن ولا يكون لغير الإمام أبى عبداللّه الحسين عليه السلام مدى العصور وإلى قيام الساعة، فقال: «لقد أخبر الأسرة النبوية بأنّ من لحقه منهم سوف يظفر بالشهادة، ومن لم يلحق به فإنه لاينال الفتح، فأى فتح هذا الذى عناه الإمام؟

إنّه الفتح الذى لم يحرزه غيره من قادة العالم وأبطال التأريخ، فقد انتصرت مبادئه وانتصرت قيمه، وتألّقت الدنيا بتضحيته، وأصبح إسمه رمزاً للحق والعدل، وأصبحت شخصيته العظيمة ليست ملكاً لأمّة دون أمّة ولا لطائفة دون أخرى، وإنّما هى ملك للإنسانية الفذّة فى كلّ زمان ومكان، فأى فتح أعظم من هذا الفتح، وأى نصرٍ أسمى من هذا النصر؟» «۳».

وقد يفسّر هذا الفتح بتفسير آخر، وهو أنّ المراد بهذا الفتح هو التحولات

---

(۱) بصائر الدرجات: ۴۸۱ حديث رقم ۵، كما رواها عن الإمام الصادق عليه السلام محمد بن يعقوب الكلينى (ره) فى كتاب الرسائل (راجع بحار الأنوار ۴۴: ۳۳۰، و ۴۵: ۸۴).

(۲) بحار الأنوار ۴۲: ۸۱- مثله القمى فى سفينة البحار ۷: ۴۲۹.

(۳) حياة الإمام الحسين عليه السلام ۳: ۴۵.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۶۳

والتغيرات الحاسمة لصالح الإسلام الناشئة عن شهادته عليه السلام فى عصره وفى العصور المتعاقبة إلى قيام الطالب بدمه الإمام المهدى عليه السلام الذى يمثل قيامه الفصل الأخير من نهضة جدّه الحسين عليه السلام، والذى يمثّل ظهوره على كلّ الأرض ظهور الدين المحمدىّ على الدين كلّه وذلك هو الثمرة الأخيرة لنهضة عاشوراء «۱».

ولعلّ المرحوم السيّد المقرّم ذهب إلى بعض أبعاد هذا المعنى بقوله: «كان الحسين عليه السلام يعتقد فى نهضته أنه فاتح منصور لما فى شهادته من إحياء دين رسول اللّه، وإماتة البدعة، وتفظيع أعمال المناوئين، وتفهيم الأمّة أنهم أحقّ بالخلافة من غيرهم، وإليه يشير فى كتابه الى بنى هاشم: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح.

فإنه لم يرد بالفتح إلّا ما يترتّب على نهضته وتضحيته من نقض دعائم الضلال وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهّرة، وإقامة أركان العدل والتوحيد، وأنّ الواجب على الأمّة القيام فى وجه المنكر.

وهذا معنى كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام لإبراهيم بن طلحة بن عبيداللّه لمّا قال له حين رجوعه إلى المدينة: من الغالب!؟ فقال السجّاد عليه السلام:

إذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم تعرف الغالب! «۲»

فإنه يشير إلى تحقق الغاية التى ضحّى سيد الشهداء نفسه القدسية لأجلها، وفشل يزيد بما سعى له من إطفاء نور اللّه، وما أراده أبوه من نقض مساعى الرسول صلى الله عليه و آله، وإماتة الشهادة له بالرسالة بعد أن كان الواجب على الأمّة فى

---

(۱) راجع: الجزء الأول من هذه الدراسة: مقالة (بين يدى الشهيد الفاتح).

(۲) انظر: أمالى الشيخ الطوسى: ۶۷۷، ح ۱۴۳۲، وبحار الأنوار ۴۵: ۱۷۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۶۴

الأوقات الخمس الإعلان بالشهادة لنبىّ الإسلام ...» «۱».

وقد راجعنا موارد كلمة الفتح فى القرآن الكريم فوجدناها إثنى عشر هى:

۱- «فإن كان لكم فتح من اللّه قالوا ألم نكن معكم ...». «۲»

۲- «فعسى اللّه أن يأتى بالفتح أو أمرٍ من عنده ...». «۳»

۳- «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح). «۴»

۴- «ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين». «۵»

۵- «قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم». «۶»

۶- «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً». «۷»

۷- «فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً». «۸»

۸- «فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً». «۹»

---

(۱) مقتل الحسين عليه السلام/ للمقرّم: ۶۶.

(۲) سورة النساء، الآية ۱۴۱.

(۳) سورة المائدة، الآية ۵۲.

(۴) سورة الأنفال، الآية ۱۹.

(۵) سورة السجدة، الآية ۲۸.

(۶) سورة السجدة، الآية ۲۹.

(۷) سورة الفتح، الآية ۱.

(۸) سورة الفتح، الآية ۱۸.

(۹) سورة الفتح، الآية ۲۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۶۵

۹- «فافتح بينى وبينهم فتحاً ونجنى ومن معى من المؤمنين». «۱»

۱۰- «لایستوی منکم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ...». «۲»

۱۱- «وأخری تحبّونها نصر من اللَّه وفتح قریب». «۳»

۱۲- «إذا جاء نصر اللَّه والفتح». «۴»

ومعنی الفتح فی هذه الموارد: إمّا فتح مکّة، أو فتح بلاد المشرکین، أو فتح اللَّه لمحمّد صلی الله علیه و آله علی جمیع خلقه، أو بمعنی نصر محمّد صلی الله علیه و آله، أو النصر بمحمد صلی الله علیه و آله، أو بمعنی القضاء والحکم، أو القضاء بعذاب المشرکین فی الدنیا، أو الحکم بالثواب والعقاب یوم القیامة «۵».

وورد فی تفسیر القمی فی (وأخری تحبّونها نصر من اللَّه وفتح قریب): یعنی فی الدنیا بفتح القائم، وأیضاً قال: فتح مکّة «۶».

وورد فی کتاب تأویل الآیات عن الإمام الصادق علیه السلام فی قوله تعالی: «قل یوم الفتح لاینفع الذین کفروا إیمانهم ولا هم یُنظرون» «۷» أنه قال:

«یوم الفتح یوم تفتح الدنیا علی القائم، لا ینفع أحداً تقرّب بالإیمان مالم یکن قبل ذلک مؤمناً وبهذا الفتح موقناً، فذلک الذی ینفعه إیمانه، ویعظم عند اللَّه

---

(۱) سورة الشعراء، الآیة ۱۱۸.

(۲) سورة الحدید، الآیة ۱۰.

(۳) سورة الصف، الآیة ۱۳.

(۴) سورة النصر، الآیة ۱.

(۵) انظر مجمع البیان ۳: ۲۰۷ و ۴: ۵۳۱، و ۸: ۳۳۲، و ۹: ۲۳۳، و ۱۰: ۵۵۴.

(۶) تفسیر القمی، ۲: ۳۶۶؛ تفسیر الصافی، ۵: ۱۷۱؛ نور الثقلین، ۵: ۳۱۸؛ البحار، ۵۱: ۴۹.

(۷) سورة السجدة، الآیة ۲۹.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۶۶

قدره وشأنه، وتزخرف له یوم البعث جنانه، وتحجب عنه نیرانه، وهذا أجر الموالین لأمیر المؤمنین وذرّیته الطیبین صلوات اللَّه علیهم أجمعین» «۱».

والمتأمل یجد أنّ الفتح فی رسالة الإمام الحسین علیه السلام بأیّ معنیً کان من معانیه القرآنیة لاینسجم مع ماذهب إلیه العلامة المجلسی قدس سره فی أنّ المراد به فی هذه الرسالة هو ما یُتمنّی من فتوح الدنیا والتمتّع بها!.

رسالة أخری من الإمام الحسین علیه السلام

روی صاحب الفتوح أنّ یزید بن معاویة کتب من الشام کتاباً إلی أهل المدینة من قریش وبنی هاشم، وأرفق مع کتابه أبیاتاً من الشعر یخاطب فیها الإمام الحسین علیه السلام أساساً، ویفهم من سیاق روایة ابن أعثم الکوفی أنّ الرسالة وصلت إلی المدینة والإمام علیه السلام فی مکّة، کما یقوّی هذا الظن قول ابن أعثم بعد ذکره الأبیات الشعریة: «فنظر أهل المدینة إلی هذه الأبیات ثم وجّهوا بها وبالکتاب إلی الحسین ابن علیّ علیهما السلام».

والأبیات هی:

«یاأیها الراکب الغادی لطیّتهعلی عذافرة فی سیره «۲» قحمُ

أبلغ قریشاً علی نأی المزار بهابینی وبین الحسین اللَّهُ والرحمُ

وموقف بفناء البيت ينشدهعهد الإله وما توفى به الذممُ

غنيتم قومكم فخراً بأمِّكمُأمٌّ لعمرى حصان برّة كرمُ

---

(۱) نفس المصدر ۵: ۳۴۵ رقم ۱۷۸۲.

(۲) هكـذا فى الأصل، والصـحيح هو: (فى سـيرها)، لأن العـذافر الجمل الشديـد الصـلب، والعـذافرة هى الأنثى (الناقـة) .. (راجع لسان العرب: مادة عذفر). مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۶۷ هى التى لايُدانى فضلها أحدٌبنت الرسول وخير الناس قد علموا

وفضلها لكم فضلٌ وغيركممن يومكم لهم فى فضلها قسمُ

إنى لأعلم حقاً غير ما كذبٍوالطرف يصدقُ أحياناً ويقتصمُ

أن سوف يُدرككم ما تدّعون بهاقتلى تهاداكم العُقبان والرخمُ

ياقومنا لاتشبّوا الحرب إذ سكنتْتمسّكوا بحبال الخير واعتصموا

قد غرّت الحرب من قد كان قبلكممن القرون وقد بادت بها الأممُ

فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاًفرُبّ ذى بذخ زلّت به قدم» «۱»

وتقول الرواية أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا نظر فى الكتاب علم أنه كتاب يزيد ابن معاوية، فكتب عليه السلام الجواب:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم «وإنْ كذّبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون ممّا أعمل وأنا برىء مما تعملون» «۲». والسّلام» «۳».

ومن ظاهر هذه الرواية لايمكن القطع بأنّ الإمام كتب الجواب ليزيد أو أرسله إليه وإن كان المخاطَب فيها هو يزيد، إذ قد يكون الإمام عليه السلام بعث بالجواب إلى أهل المدينة الذين وجّهوا بالكتاب وبالأبيات إليه، ثم هم بعد ذلك يوصلونه أو ينقلون محتوى الجواب إلى يزيد.

ولم تذكر هذه الرواية من هم أهل المدينة من قريش وبنى هاشم الذين أرسل إليهم يزيد الكتاب، لكن ابن عساكر قال: كتبه يزيد إلى عبداللَّه بن العباس، وذكر

---

(۱) الفتوح ۵: ۷۶.

(۲) سورة يونس: ۴۱.

(۳) الفتوح ۵: ۷۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۶۸

الأبيات الشعرية بتفاوت «۱».

والمتأمّل فى أبيات يزيد وفى جواب الإمام عليه السلام يرى سنن اللَّه تكرر نفسها فى المواجهات بين الربانيين والطواغيت، فهذا يزيد بمنطق الطاغوت فى أبياته يهدّد الإمام عليه السلام بالإضطهاد والقتل فى الدنيا! وذلك قصارى ما يستطيعه الطغاة.

أمّا الإمام عليه السلام فبمنطق الرَّبانيّين فيصرّح بانفصام الآصرة بين عمل المهتدين وعمل الضالين وبالبراءة بينهم، تصريحاً يستبطن التهديد بالجزاء الأخروى وبعذاب اللَّه الذى لافتور فيه ولا انقطاع.

وفى متن الجواب ازدراء كامل بيزيد إذ لم يذكر الإمام عليه السلام اسمه ولم يلقّبه بلقب، ولم يسلّم عليه، مما يُفهم منه أنّ يزيد لعنه اللَّه مصداق تام للمكذّب بالدين وبالرسل والأوصياء عليهم السلام.

إرساله عليه السلام قيس بن مسهّر إلى الكوفة مرّة ثانية

اشارة

يظهر من النصوص التأريخية أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعث قيس بن مسهّر الصيداوى إلى الكوفة مرّتين، إذ كان قد بعثه فى المرّة الأولى مع مسلم بن عقيل عليه السلام فدخل الكوفة «۲»، ثم بعثه مسلم عليه السلام سفيراً عنه إلى الإمام الحسين عليه السلام، ثم بعثه الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة مرّة ثانية ليستعلم خبر مسلم بن عقيل عليه السلام، فاعتقل فى الطريق وجرى عليه ماجرى.

ففى التذكرة: «ثم دعا مسلم بن عقيل فبعثه مع قيس بن مسهّر الصيداوى ...» «۳».

وفيها أيضاً: «كان الحسين عليه السلام قد بعث قيس بن مسهّر إلى مسلم بن عقيل ليستعلم

---

(۱) انظر: تأريخ ابن عساكر ۱۴: ۲۱۰.

(۲) انظر: مروج الذهب ۲: ۸۶، و وقعة الطف: ۹۹.

(۳) تذكرة الخواص: ۲۲۰.

خبره قبل أن يصل إليه، فأخذه ابن زياد وقال له: قم فى الناس واشتم الكذّاب ابن الكذّاب، يعنى الحسين عليه السلام!

فقام على المنبر وقال: أيّها الناس، إنّى تركت الحسين بالحاجز، وأنا رسوله إليكم لتنصروه، فلعن اللَّه الكذّاب بن الكذّاب ابن زياد.

فطرح من القصر فمات» «۱».

من هو قيس بن مسهّر الصيداوى؟

لم نعثر على ترجمة وافية لهذا البطل الفذّ رغم التتبع والإستقصاء! فجميع من ترجموا له اكتفوا بأنه حمل كتاباً من أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام، وأنه رجع مع مسلم إلى الكوفة، ثمّ إنّه حمل كتاباً من مسلم إلى الإمام عليهما السلام فى الطريق إلى الكوفة، ثم إنه حمل كتاباً من الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة، وتعرّض أثناء الطريق إليها إلى الإعتقال فى القادسية، ثمّ كان منه ذلك الموقف الصلب الذى عبّر عن شجاعته وولائه وعظمته.

إنّه: «قيس بن مُسَهَّر بن خالد بن جندب ... الأسدىّ الصيداوى، وصيدا بطن من أسد. كان قيس رجلًا شريفاً فى بنى الصيدا شجاعاً مخلصاً فى محبّة أهل البيت عليهم السلام.

قال أبو مخنف: اجتمعت الشيعة بعد موت معاوية فى منزل سليمان بن صرد الخزاعى، فكتبوا للحسين بن على عليهما السلام كتباً يدعونه فيها للبيعة، وسرّحوها إليه مع عبداللَّه بن سبع وعبداللَّه بن وال، ثم لبثوا يومين فكتبوا إليه مع قيس بن مسهّر الصيداوى وعبدالرحمن بن عبداللَّه الأرحبى، ثم لبثوا يومين فكتبوا إليه مع سعيد

---

(۱) نفس المصدر: ۲۲۱.

بن عبداللَّه وهانى بن هانى ...

فدعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل وأرسله إلى الكوفة، وأرسل معه قيس بن مسهّر وعبدالرحمن الأرحبى، فلما وصلوا إلى المضيق من بطن خبت كما قدّمنا جار دليلاهم فضلّوا وعطشوا، ثم سقطوا على الأرض، فبعث مسلم قيساً بكتاب إلى الحسين عليه السلام يخبره بما كان، فلمّا وصل قيس إلى الحسين بالكتاب أعاد الجواب لمسلم مع قيس وسار معه إلى الكوفة «۱». قال: ولمّا رأى مسلم اجتماع الناس على البيعة فى الكوفة للحسين كتب إلى الحسين عليه السلام بذلك، وسرّح الكتاب مع قيس وأصحبه عابس

الشاكرى وشوذباً مولاهم، فأتوه إلى مكّة ولازموه، ثمّ جاءوا معه.

قال أبو مخنف: ثمّ إنّ الحسين لما وصل إلى الحاجر من بطن الرمّة كتب كتاباً إلى مسلم وإلى الشيعة بالكوفة وبعثه مع قيس، فقبض عليه الحصين بن تميم، وكان ذلك بعد قتل مسلم، وكان عبيداللّه نظّم الخيل ما بين خفّان إلى القادسيّة وإلى القطقطانة «۲» والى لعلع «۳» وجعل عليها الحصين، وكانت صورة الكتاب:

«من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم. فإنى أحمد إليكم اللّه الذى لا إله إلّا هو. أمّا بعدُ: فإنّ كتاب مسلم جاءنى يخبرنى

---

(۱) فيما مضى من هذا الكتاب كنا قد ناقشنا صحة أصل وقوع هذه القصة وتفاصيلها. ويبدو أنّصاحب (إبصار العين) يرى هنا صحة أصل القصة ولا يرى صحة أنّ مسلماً طلب من الإمام عليه السلام أن يعفيه، أو أنّ الإمام عليه السلام اتهم مسلماً بالجبن (حاشاهما).

(۲) بضم القاف وسكون الطاء موضع فوق القادسية فى طريق من يريد الشام من الكوفة. (إبصار العين: ۱۱۴)؛ وعن الحموى: انه قرب الكوفة من جهة البرية بالطف به كان سجن النعمان بن المنذر (معجم البلدان ۴: ۳۷۴).

(۳) بفتح اللام وسكون العين، جبل فوق الكوفة. (إبصار العين: ۱۱۴)؛ وانظر معجم البلدان، ۵: ۱۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۷۱

فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقّنا، فسألت اللّه أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أحسن الأجر، وقد شخصتُ إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة يوم التروية، فإذا قدم رسولى عليكم فانكمشوا فى أمركم وجدّوا، فإنى قادم عليكم فى أيامى هذه إن شاء اللّه، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته».

قال: فلمّا قبض الحصين على قيس بعث به إلى عبيداللّه، فسأله عبيداللّه عن الكتاب، فقال: خرقته.

قال: ولِمَ!؟

قال: لئلا تعلم مافيه.

قال: إلى من؟

قال: إلى قوم لا أعرف أسماءهم.

قال: إنْ لم تخبرنى فاصعد المنبر وسبّ الكذّاب بن الكذّاب يعنى به الحسين عليه السلام.

فصعد المنبر فقال:

أيّها الناس، إنّ الحسين بن علىّ خير خلق اللّه، وابن فاطمة بنت رسول اللّه، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقته بالحاجر، فأجيبوه.

ثمّ لعن عبيداللّه بن زياد وأباه، وصلّى على أميرالمؤمنين، فأمر به ابن زياد، فأُصعد القصر، ورمى به من أعلاه، فتقطّع ومات.

وقال الطبرى: لمّا بلغ الحسين عليه السلام إلى عذيب الهجانات فى ممانعة الحرّ

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۷۲

جاءه أربعة نفر ومعهم دليلهم الطرمّاح «۱» بن عدىّ الطّائى، وهم يجنبون فرس نافع المرادى، فسألهم الحسين عليه السلام عن الناس وعن رسوله، فأجابوه عن الناس، وقالوا له: رسولك من هو؟

قال: قيس!

فقال مجمع العائذى:

أخذه الحصين فبعث به إلى ابن زياد، فأمره أن يلعنك وأباك، فصلّى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعانا إلى نصرتك، وأخبرنا بقدومك، فأمر به ابن زياد فأُلقى من طمار القصر، فمات رضى اللّه عنه.

فترقرقت عينا الحسين عليه السلام وقال:

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، اللّهمَّ اجعل لنا ولهم الجنّة منزلًا، واجمع بيننا وبينهم فى مستقرّ رحمتك ورغائب مذخور ثوابك» «۲».

---

(۱)

عدة الشيخ الطوسى فى رجاله فى اصحاب على عليه السلام قائلًا: رسوله عليه السلام الى معاوية، وفى‌اصحاب الحسين عليه السلام وكان الطرماح مع الحسين عليه السلام حتى سقط بين القتلى، فحمله قومه وبه رمق، وداووه، فبرىء. ولكن التسترى يرى خلاف ذلك حيث قال: بل لحقه عليه السلام فى الطريق واستأذنه للرواح إلى أهله ثم رجع، فأذن عليه السلام له فرجع فسمع نعيه- عليه السلام- فى الطريق (قاموس الرجال، ۵: ۵۶۰ عن الطبرى، ۵: ۴۰۴).

وعن النمازى: «من اصحاب أمير المؤمنين والحسين صلوات الله عليهم فى غاية الجلالة والنبالة وهو رسول أمير المؤمنين الى معاوية. وله كلمات شريفة ظريفة فصيحة بليغة مع معاوية، بحيث أظلم الدنيا فى عينيه ... وذكر شهادته يوم الطف فى الناسخ ويظهر من المامقانى أنه سقط جريحاً فأخذه قومه وحملوه وداووه، فبرى وعوفى» (مستدركات علم الرجال، ۴: ۲۹۴) و (انظر: معجم رجال الحديث، ۹: ۲۶۱).

(۲) إبصار العين: ۱۱۲- ۱۱۴.

فهو رضوان اللّه تعالى عليه من شهداء الثورة الحسينيّة فى الكوفة وليس من شهداء الطف، لكنّه شريكهم فى الأجر والشرف، ولذا خُصَّ بالسلام عليه فى زيارة الناحية المقدّسة والرجبية «۱».

وليس صحيحاً ما ورد فى المناقب أنّه كان حاملًا رسالة الإمام الحسين عليه السلام من كربلاء إلى سليمان بن صرد والمسيّب بن نجبة ورفاعة بن شدّاد وعبداللّه بن وال وآخرين، وذلك لأنّ قيساً قتل قبل ورود الإمام عليه السلام كربلاء «۲».

نعم، لقد كان قيس بن مسهّر رضوان اللّه تعالى عليه رسولًا أساسياً بين مكّة والكوفة أو على وجه الدقّة بين الإمام الحسين ومسلم عليهما السلام، فقد بعثه الإمام عليه السلام مع مسلم فى النصف من شهر رمضان، وعلى فرض صحة أصل وقوع حادثة المضيق من بطن الخبت فقد أرسله مسلم إلى الإمام عليه السلام، ثم حمل جواب الإمام عليه السلام إلى مسلم. ثم «لمّا رأى مسلم اجتماع الناس على البيعة فى الكوفة للحسين كتب إلى الحسين عليه السلام بذلك، وسرّح الكتاب مع قيس وأصحبه عابساً الشاكرى وشوذباً مولاهم، فأتوه إلى مكّة ولازموه، ثمّ جاؤوا معه» «۳»، ثم بعثه الإمام عليه السلام من بطن الرمّة فى الثامن من ذى الحجّة أو بعده.

رسالة مسلم بن عقيل إلى الإمام عليه السلام

روى الطبرى أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان قد كتب إلى الإمام عليه السلام من الكوفة قبل أن يُقتَل لسبع وعشرين ليلة:

---

(۱) انظر: تنقيح المقال ۲: ۳۴.

(۲) انظر: قاموس الرجال ۸: ۵۵۰، والبحار ۴۴: ۳۸۱- ۳۸۲.

(۳) تاريخ الطبرى ۳: ۲۷۷، وإبصار العين: ۱۱۲.

«أمّا بعدُ، فإنّ الرائد لايكذب أهله، إنّ جمعَ أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابى، والسلام عليك» «۱».

وفى رواية ابن نما:

«أمّا بعدُ، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعنى منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابى، والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاتُه» «۲».

وفى رواية الدينورى:

«... فأقدم، فإنّ جميع الناس معك، ولا رأى لهم فى آل أبى‌سفيان» «۳».

وتقول الرواية التأريخية أنّ قيس بن مسهّر الصيداوى حمل هذه الرسالة الى الإمام عليه السلام فى مكّة، وأصحبه مسلم عابسَ الشاكرى وشوذباً مولاه «۴».

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام قد علّق عزمه فى التوجّه الى الكوفة على تقرير مسلم عن حال أهل الكوفة، وقد صرّح عليه السلام لأهل الكوفة فى رسالته الأولى إليهم بذلك حيث قال:

«... فإن كتب إلىَّ أنه قد اجتمع رأى ملأكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت فى كتبكم فإنى أقدم إليكم وشيكاً إن

---

(۱) تأريخ الطبرى ۳: ۲۹۰.

(۲) مثير الأحزان: ۳۲.

(۳) الأخبار الطوال: ۲۴۳.

(۴) إبصار العين: ۱۱۲.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۷۵

شاء اللّه ...». «۱»

وعلى ضوء رسالة مسلم عليه السلام عقد الإمام الحسين عليه السلام عزمه على التوجّه إلى الكوفة، وكتب رسالته الثانية إلى أهلها «۲» فى الحاجر من بطن الرمّة «۳»، وحملها قيس ابن مسهّر إلى الكوفة، لكنه قبض عليه أثناء هذه السفارة فى الطريق، فمزّق الرسالة كى لا تقع فى أيدى الأعداء.

خُطَبُ الإمام عليه السلام فى مكّة المكرّمة

اشارة

من المؤسف أنّ التأريخ لم يسجّل لنا طيلة مكث الإمام عليه السلام فى مكّة المكرمة إلا خطبته المشهورة التى ورد فيها قوله عليه السلام خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وهى الخطبة التى خطبها قبل خروجه من مكّة، وخطبة أخرى قصيرة تضمّنت باقة من قصار الحكم!!

ويصعب على المتأمل أن يقتنع بأنّ الإمام عليه السلام طيلة ما يقارب مائة وخمسة وعشرين يوماً فى مكّة وفى أيّام موسم الحجّ آنذاك لم يخطب فى محافل مكّة إلّا هاتين الخطبتين، مع ما حدّثنا به التأريخ أنّ الناس كانوا يجتمعون إليه ويلتفون حوله، ويأخذون عنه، ويضبطون ما يسمعونه منه!

فهل يُعقل أنّ الإمام عليه السلام لم يستثمر تلك الأجواء الدينية القدسية فى بيت اللّه

---

(۱) الإرشاد: ۲۰۴.

(۲) أوردناها فی ترجمة قیس بن مسهّر الصیداوی، فراجع.

(۳) ویضبطها بعضهم (الحاجز)، وبطن الرمّة: منزل یجمع طریق البصرة والکوفة الی المدینة المنورة. (راجع: إبصار العین: ۲۸).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۷۶

الحرام للتبلیغ بالحقّ والتعریف به وبنهضته المقدّسة!؟

إنها ثغرة من ثغرات التأریخ المبهمة، وعثرة من عثراته المؤلمة!

الخطبة الأولی

اشارة

قال المحقّق المتتبع الشیخ السماوی قدس سره: «ولمّا جاء کتاب مسلم الی الحسین عزم علی الخروج، فجمع أصحابه فی اللیلة الثامنة من ذی الحجّة فخطبهم ..» «۱».

غیر أنّ السید ابن طاووس قدس سره لم یذکر أنه خطبها فی أصحابه، بل قال: «ورُوی أنه علیه السلام لمّا عزم علی الخروج الی العراق قام خطیباً ...» «۲».

وقال ابن نما قدس سره: «ثم قام خطیباً ...» «۳».

وقد یستفاد من نص ابن طاووس وابن نما أنّ الإمام علیه السلام خطب هذه الخطبة فی الناس فی مکة لا فی خصوص أصحابه.

والخطبة هی:

«الحمد للَّه، ما شاء اللَّه، ولا قوّة إلّا باللَّه، وصلی اللَّه علی رسوله، خُطّ الموت علی ولد آدم مخطَّ القلادة علی جید الفتاة، وما أولهنی إلی أسلافی اشتیاق یعقوب الی یوسف، وخِیرَ لی مصرع أنا لاقیه، کأنی بأوصالی تقطّعها عسلان الفلوات بین النواویس وکربلا فیملأن منّی أکرُشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محیص عن یوم خُطَّ بالقلم، رضی اللَّه رضانا أهل البیت، نصبر علی بلائه ویوفینا أجر الصابرین، لن تشذّ عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لحمته، وهی مجموعة له فی حظیرة القدس، تقرُّبهم عینه، وینجز بهم وعده، من کان باذلًا فینا مهجته

---

(۱) إبصار العین: ۲۷.

(۲) اللهوف: ۱۲۶.

(۳) مثیر الأحزان: ۴۱.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۷۷

وموطّناً علی لقاء اللَّه نفسه فلیرحل معنا فإننی راحل مصبحاً إن شاء اللَّه تعالی» «۱».

---

(۱) اللهوف: ۲۶، ومثیر الأحزان: ۴۱، وکشف الغمة ۲: ۲۹.

قال الشیخ السماوی:

مخطّ القلادة: یعنی موضع خطّ القلادة، وهی فی الحقیقة الجلد المستدیر من الجید، فکما أنّ ذلک الجلد لازم علی الرقبة کذلک الموت علی ولد آدم!

هـذا إذا قلنـا إنّ مخـطّ اسم مكان، وإن قلنا إنه اسم مصـدر بمعنى خطّ فيعنى به أنّ الموت دائرة لا يخرج ابن آدم من وسـطها كما أنّ القلادة دائرة لا يخرج الجيد منها فى حال تقلّده.

ما أولهنى:- يعنى ما أشدَّ شوقى، والوله شدّة الشوق.

خِيرَ لى:- يعنى خار اللَّه لى مصرعاً، أى اختاره. ويمضى على بعض الألسنة وفى بعض الكتب «خُيِّر» بالتشديد وهو غلط فاحش.

عُسـلان الفلوات: بضم العين وسـكون السـين، جمع عاسل، وهو المهتزّ والمضطرب، يُقال للرمح وللذئب وأمثالهما، والمراد هنا المعنى الثانى.

لا يُقال: إنّ العسلان لا تتسلّط على أوصال صفوة اللَّه، لطفاً من اللَّه وإيثاراً له.

لأنا نقول: إنّ الكلام جرى على القواعـد العربيـة والأساليب الفصـيحة كما يقول قائلهم: عنـدى جفنة يقعد فيها الخمسة، يعنى لو كانت ممـا يُفعـل به ذلـك لقعـد فيهـا خمسـة رجال. فيكون معنى الكلام: لو جاز ذلك على أوصالى لفُعل بها، وهـذا كنايـة عن قتله وتركه بالعراء.

النواويس:- جمع ناوس فى الأصل، وهو القبر للنصرانى، والمراد به هنا القرية التى كانت عند كربلاء.

جُوفاً:- بضم الجيم وسكون الواو، جمع جوفاء، وهى الواسعة، ويجرى على بعض الألسن تحريك الواو أو تشديدها وهو غلط.

أجربة سُغُباً: أجربة جمع جراب، كأغلمة وغلام، والمراد به البطن مجازاً، وسـغباً جمع سـغبى من السَغَب وهو الجوع. ورأيت فى نسخة «أحوية» فكأنه جمع ل حوية البطن وهى أمعاؤها، والمعروف حوايا، فإن وردت أحوية فما أحسبها إلّا خيراً من أجربة.

لن تشذّ:- لن تنفرد وتتفرّق.

لُحمته:- بضمّ اللام وهى القرابة. (إبصار العين: ۴۲- ۴۳).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۷۸

ملاحظات مستفادة من هذه الخطبة الشريفة:

۱- شبّه الإمام عليه السلام حتمية عدم انفلات الإنسان من طوق قهرية الموت بعدم انفلات عنق الفتاة من طوق القلاد المحكم، وتشبيه الموت بالقلادة على جيـد الفتاة وهى زينـة لها إلفاتـة رائعـة إلى أنّ الموت خطوة تكاملية فى مسار حركة الإنسان التكوينية، وهو زينة للمؤمن خاصـة فى مسـار حركـة المصير لكونه معبراً للمؤمن من دار العنـاء والتزاحم والإبتلاء والشدائـد الى دار النعيم والجزاء الأوفى والسعادة الأبدية، ولاشك أنّ الشهادة وهى أفضل وأشرف الموت أحرى بحقيقة الزينة من مطلق الموت، ولا يؤتاها إلا ذو حظّ عظيم.

۲- فى قوله عليه السـلام: «خِيرَ لى مصـرع أنا لاقيه» إشارة إلى أنّ هذا المصرع اختيار إلهى لا على نحو القهر والجبر طبعاً، بل على نحو التشـريف بكرامة التكليف فى الظروف الصـعبة الخاصة المؤدية إلى أنْ يتحرّك الإمام عليه السلام نحو هذا المصرع تعبّداً وامتثالًا لأمر اللَّه تعالى فى آداء هذا التكليف فى مثل تلك الظروف.

كما أنّ فى قوله هذا إشارة إلى علمه بمصيره ومآل أمره.

۳- فى قوله عليه السـلام: «لامحيص عن يوم خُطّ بالقلم» إشارة جليّة إلى حتمية وقوع هذا المصرع، وتحقّق ذلك المصير قضاء من اللَّه تعالى، لا على نحو القهر والجبر كـذلك، بل على نحو أنّ حركـة الأحـداث فى علم اللَّه تبارك وتعالى سـتؤول فى النهاية بمشـيئة اللَّه تعالى إلى تحقّق هذا المصرع وبالكيفية التى وقع بها.

۴- فى هذه الخطبة ركّز الإمام عليه السـلام على أن مصـيره فى التوجه إلى العراق هو القتل، واشار إلى بشاعة القتلة بأنّ أوصاله تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۷۹

وكربلاء، ولعلّ فى قوله عليه السلام بين النواويس وكربلاء إشارة إلى امتداد الجيش الأموى وكثافته الشديدة على امتداد مابين هاتين المنطقتين ..

وشرط على من يلتحق به أن يكون باذلًا فى موالاة أهل البيت عليهم السلام مهجته، وموطّناً على لقاء اللَّه نفسه، أى لا مصير إلّا القتل والصبر على السيوف والأسنّة!

فماذا اراد الإمام عليه السلام من وراء ذلك .. ولماذا!؟

إنّ القائد الربانى فى حركته نحو تحقيق أهدافه يسعى كغيره من القادة إلى تهيأة العدّة والعدد ويتوسّل الى ذلك بالأسباب الظاهرة المألوفة، ولكنه يختلف عن القادة الساعين الى تحقيق النصر الظاهرى فقط فى انّه لا- يبتغى الأعوان كيفما كانوا، بل القائد الربّانى يبتغى أعواناً ربّانين من نوعه، هدفهم الأساس فى كلّ ما هم ساعون إليه مرضاة الربّ تبارك وتعالى، أعواناً هادين مهديين، مصرّين على المضىّ فى طريق ذات الشوكة مع علمهم بمصيرهم، ومن أولئك تتشكّل العدّة الحقيقية للقائد الربّانى التى يرسم بحسبها خطّة الفعل ونوع المواجهة، فهو لا- يعتمد فى رسم خطط ونوع المواجهة على كلّ من التحق به، وكثير منهم الطامعون وأهل الريبة والعصيان، فلابد من تمحيصهم، ولابدّ من تنقية الركب الحسينىّ من كلّ أولئك قبل الوصول الى ساحة المواجهة، ولذا كان لابدّ من أن يختبر حقيقة النيّات والعزائم بالإعلام والتأكيد على أنّ المصير هو القتل والصبر على السيوف والأسنة، وأنّ ذلك لا يقوى عليه إلّا باذل فى حقيقة الموالاة مهجته، موطّن على لقاء اللَّه نفسه!!

وهذا الإختبار من سنن منهج القيادة الربانيّة، وقد حدّثنا القرآن الحكيم عن هذه السنّة فى اختبار النهر على يد طالوت عليه السلام:

«فلمّا فصل طالوت بالجنود قال إنّ اللَّه مبتليكم بنهر، فمن شرب منه فليس

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۸۰

منى، ومن لم يطعمه فإنه منى، إلّا من اغترف غرفة بيده، فشربوا منه إلّا قليلًا منهم، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، قال الذين يظنّون أنهم ملاقوا اللَّه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللَّه واللَّه مع الصابرين» «۱».

يُضاف الى ذلك أنّ القائد الربّانى حينما يُطلع أنصاره على ما سوف يلقى ويلقونه من مصير وما سوف يواجهونه من شدائد ومكاره يكون بذلك قد فتح لهم باب علّو الدرجة وسمّو المنزلة والمثوبة العليا عند اللَّه تبارك وتعالى فى حال إصرارهم على المضىّ على طريق الجهاد فى سبيل اللَّه.

والمتأمل فى تفاصيل حركة الإمام الحسين عليه السلام يرى أنّ الإمام عليه السلام كان قد دأب على الإخبار بمصرعه منذ أن كان فى المدينة، وفى الطريق الى مكة، وفى مكّة، وفى منازل الطريق منها الى العراق، مغربلًا بذلك الركب الحسينى من جميع من أرادوا الدنيا من وراء الإلتحاق به، ولم يكتف بذلك بل عرّض حتى الصفوة الخالصة من أنصاره لهذا الاختبار، لتعلو بثباتهم درجاتهم الرفيعة عند اللَّه تبارك وتعالى، وهكذا كان، حتى رأوا منازلهم فى الجنّة عياناً تلكم العشيّة، ثمّ فى الغد الرهيب نراه عليه السلام قد رسم خطّته الحربية على أساس قوّته الحقيقية المؤلّفة من تلكم الصفوة القليلة الخالصة من كل شائبة!

۵- فى قوله عليه السلام: «لن تشذّ عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لُحمته، وهى مجموعة له فى حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده ...» إشارة إلى أنّ مسار أهل البيت عليهم السلام امتداد لمسار رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وهم معه فى درجته ومنزلته، وتقرّ عين الرسول صلى الله عليه و آله بما

---

(۱) سورة البقرة: ۲۴۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۸۱

جعل اللَّه لهم وخصّهم به من كرامة الدنيا والآخرة «۱». ولعل فى قوله عليه السلام «وينجز بهم وعده» إشارة إلى أنّ الوعد الإلهى

بإظهار دين اللَّه على الـدين كلّه على كلّ الأرض سيتحقق فى النهاية على يد رجل من أبناء رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله ومن أبناء الحسين عليه السلام هو الإمام المهدى المنتظر عليه السلام «۲».

الخطبة الثانية

إنّ التأمّل فى محتوى الخطبـة الثانيـة وعدم ارتباط مضامينها بمضامين الخطبة الأولى يقوّى الظنّ فى أنّ مناسـبة الخطبة الثانية بعيدة عن مناسـبة الخطبة الأولى زماناً ومكاناً، غير أن الحائرى صاحب كتاب معالى السـبطين أورد الخطبة الأولى نقلًا عن اللهوف لابن طاووس، ثمّ قال بعدها: «وخطب بعدها هذه الخطبة ...»

وأورد الخطبـة الثانيـة، علمـاً بأنّ اللهوف لم يحتو لا على هـذه الإشارة ولا على الخطبـة الثانيـة نفسـها! واللَّه العالم عن أىّ مصـدر أخذ صاحب معالى السبطين هذه الخطبة وتلكم الإشارة.

ونحن نورد هذه الخطبة هنا بعد الخطبة الأولى، لأنّ هذا الفصل يختصّ بكلّ

---

(۱) عن محمد بن مسـلم قال: سمعت أباجعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان: إنّ اللَّه تعالى عوّض‌الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة فى ذريته، والشفاء فى تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تُعدّ أيّام زائريه جائياً وراجعاً من عمره.

قال محمد بن مسـلم: فقلت لأبى عبداللَّه عليه السلام: هذه الخلال تُنال بالحسين عليه السلام، فماله فى نفسه؟ قال: إنّ اللَّه تعالى ألحقه بالنبىّ فكان معه فى درجته ومنزلته، ثمّ تلا أبوعبـداللَّه عليه السـلام: (والـذين آمنوا واتّبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيتهم) الآيـة». (البحار ۴۴: ۲۲۱).

(۲) والروايات فى هـذا المعنى كثيرة يجـدها من أرادها فى الكتب المؤلّفـة فى غيبته عليه السـلام، كالغيبـة للطوسـى، والغيبة للنعمانى، وكمال الدين للصدوق، ويحتويها بشكل مجموع كتاب معجم أحاديث المهدى عليه السلام. فراجع.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۸۲

ما يرتبط بحركـة الإمام عليه السـلام فى مكّـة المكرّمـة، ولأنّ من المحتمل أن يكون الإمام عليه السـلام قـد اشار عقيب الخطبة الأولى بالإشارات الأخلاقية التى تضمنتها مقاطع الحكم القصار التى احتوتها الخطبة الثانية.

والخطبة الثانية هى:

«إنّ الحلم زينة، والوفاء مروّة، والصـلة نعمة، والإسـتكبار صـلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلوّ ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شرّ، ومجالسة أهل الفسق ريبة» «۱».

يوم الخروج من مكّة المكرّمة

روى الشـيخ المفيـد قدس سـره، وكذلك الطبرى روى عن أبى مخنف أنّ يوم خروج الإمام الحسـين عليه السـلام من مكّة متجهاً الى العراق كان يوم الثامن من ذى الحجّة: «ثمّ خرج منها لثمان مضـين من ذى الحجّة، يوم الثلاثاء، يوم التروية، فى اليوم الذى خرج فيه مسلم بن عقيل» «۲»، وهذا هو المشهور.

لكنّ المزّى وابن عساكر ذكرا أنّ خروجه عليه السـلام من مكّة كـان فى يـوم الإثنين فى العاشـر من ذى الحجّة سـنة سـتين: «فخرج متوجهاً إلى العراق فى أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة، وذلك يوم الإثنين فى عشر من ذى الحجّة سنة ستين» «۳».

لكنّ السيّد ابن طاووس قدس سره قال: «كان قد توجّه الحسين عليه السلام من مكّة يوم

---

(۱) معالی السبطین ۱: ۲۵۱، ورواها الشبلنجی فی نور الأبصار: ۲۷۷ ولم یذکر قول صاحب معالی السبطین: «وخطب بعدها هذه الخطبة»، ورواها الإربلی فی کشف الغمة ۲: ۲۴۲، ووردت فی الفصول المهمّة: ۱۷۸.

(۲) الإرشاد: ۲۱۸ و تاریخ الطبری ۳: ۳۰۱ و ۲۹۳.

(۳) تهذیب الکمال ۴: ۴۹۳، وتاریخ دمشق ۱۴: ۲۱۲.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۸۳

الثلاثاء لثلاث مضین من ذی الحجّة» «۱».

وأمّا سبط ابن الجوزی فقد قال فی تذکرة الخواص: «وأمّا الحسین علیه السلام فإنه خرج من مکّة سابع ذی الحجّة سنة ستین ...» «۲».

ولا یخفی أنّ المشهور هو الصحیح والقول الفصل لأنه ورد عن لسان الإمام علیه السلام نفسه فی رسالته الثانیة إلی أهل الکوفة، حیث قال فیها:

«... وقد شخصت إلیکم من مکّة یوم الثلاثاء لثمان مضین من ذی الحجّة یوم الترویة ...» «۳».

وروی ابن کثیر فی تاریخه عن الزبیر بن بکّار عن محمد بن الضحاک أنّ الإمام الحسین علیه السلام لمّا أراد الخروج من مکّة الی الکوفة مرّ بباب المسجد الحرام وقال:

لا ذعرتُ السوام فی فلق الصبح مغیراً ولا دُعیت یزیدا

یوم أُعطی مخافة الموت ضیماًوالمنایا یرصدننی أن أحیدا» «۴»

---

(۱) الملهوف: ۱۲۴.

(۲) تذکرة الخواص: ۲۱۷.

(۳) تأریخ الطبری ۳: ۳۰۱.

(۴) البدایة والنهایة ۸: ۱۶۷، وشرح الأخبار ۳: ۱۴۴، وتاریخ دمشق ۱۴: ۲۰۴. لکن هناک روایة عن أبی سعید المقبری (أو المنقری) مفادها أنّ الإمام علیه السلام تمثّل بهذین البیتین فی المدینة المنورة حین دخل مسجد رسول اللّه صلی الله علیه و آله، قال أبوسعید: «واللّه لرأیت الحسین وإنه لیمشی بین رجلین، یعتمد علی هذا مرّة، وعلی هذا مرّة، وعلی هذا أخری حتی دخل مسجد رسول اللّه صلی الله علیه و آله وهو یقول من الخفیف (أی وزن الشعر الذی تمثل علیه السلام به فعلمت عند ذلک أن لایلبث إلّا قلیلًا حتی یخرج، فما لبث أن خرج حتی لحق بمکّة ..». (مختصر تاریخ دمشق ۷: ۱۳۶ أقول: لا مانع من تکرّر تمثله علیه السلام بهذین البیتین فی الموضعین، کما أشار إلی ذلک القاضی نعمان المصری بعد شرح مفردات البیتین حیث قال: «السوام: النعم السائمة، وأکثر ما یقولون هذا الإسم علی الإبل خاصة. والسائمة: الراعیة التی تسوم الکلأ إذا داومت رعیه، وهی سوام، والرعاة یسومونها أی یرعونها. وفی روایة أخری: تمثّل بهذین البیتین بالمدینة. وهذان البیتان لابن المفرغ الحمیری، تمثل بهما الحسین علیه السلام .. (ثم قال): وقد یکون قال ذلک فی الموضعین جمیعاً». (شرح الأخبار ۳: ۱۴۵). وهناک روایة أوردها الشیخ عباس القمی هکذا: «روی»: عن ابن عبّاس قال: «رأیت الحسین علیه السلام قبل أن یتوجّه الی العراق علی باب الکعبة وکفّ جبرئیل علیه السلام فی کفّه، وجبرئیل ینادی: هلمّوا إلی بیعة اللّه عزّوجلّ» (نفس المهموم: ۱۶۳). ولا یخفی علی متأمّل أنّ ما ورد فی متن هذه الروایة لیس بعزیز علی الإمام علیه السلام ولا مستغرب وهو زین السماوات والأرض کما ورد عن لسان جدّه صلی الله علیه و آله، وجبرئیل علیه السلام والملأ الأعلی یتشرّفون بخدمته، لکن الملاحظ علی هذه الروایة قول ابن عبّاس «رأیت» فهل کان (رض) مؤهلًا لمثل هذه الرؤیة (رؤیة جبرئیل علیه السلام)، أم أنّه رآه بإذن خاص من الإمام علیه السلام فی تلک الواقعة، أم أنه رآه متمثّلًا بشراً سویاً، ثمّ عرّفه الإمام علیه السلام أن هذا الذی رآه هو جبرئیل علیه السلام؟ وملاحظة أخری: إذا کان ابن عباس (رض) قد شاهد هذا الأمر، فهل بایع؟ وإذا کان قد بایع فکیف اطاق

التخلّف عن الإلتحاق بركب سيّد الشهداء عليه السلام؟ حتى على فرض معذوريّته فى ذلك. وملاحظة أخرى: هل انكشف أمر هذه الرؤية لابن عبّاس (رض) فقط؟ أم أنّ «هلمّوا إلى بيعة اللَّه عزّوجلّ» كاشفة عن أنّ الخطاب موجّه للناس الآخرين؟ فهل سمعوا النداء؟ وماذا كانت الإجابة!؟ أم أنّ تلكم الرؤية كانت رؤيا منام؟ وهناك تساؤلات أخرى.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۸۴

لماذا أصرَّ الإمام عليه السلام على مغادرة مكّة أيّام الحج؟

اشارة

فى حركة أحداث النهضة الحسينية هناك مجموعة من الوقائع ملفتة للإنتباه

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۸۵

ومثيرة للإستغراب وداعية إلى التساؤل عن العلّة من ورائها، ومن أبرز هذه الوقائع خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة فى يوم التروية، وللمؤرّخين والمحققين والفقهاء تعاليق وآراء فى صدد هذه الواقعة نورد منها هنا ثلاثة أقوال، أحدها للعلّامة المجلسىّ (ره) والثانى للشيخ التسترى (ره) والثالث للسيّد المرتضى (ره)، ولنا بينها رأى وإيضاح:

تعليقة العلّامة المجلسى قدس سره

قال العلامة المجلسى فى بحار الأنوار: «قد مضى فى كتاب الإمامة وكتاب الفتن أخبار كثيرة دالّة على أنّ كلًّا منهم عليهم السلام كان مأموراً بأمور خاصة مكتوبة فى الصحف السماوية النازلة على الرسول صلى الله عليه و آله فهم كانوا يعملون بها. ولاينبغى قياس الأحكام المتعلّقة بهم على أحكامنا، وبعد الاطّلاع على أحوال الانبياء عليهم السلام، وانّ كثيراً منهم كانوا يبعثون فرادى على ألوف من الكفرة، .....

ويدعونهم الى دينهم، ولايبالون بماينالهم من المكاره والضرب والحبس والقتل والإلقاء فى النار وغير ذلك.

لاـينبغى الاـعتراض على أئمّة الدين فى أمثال ذلك، مع أنه مع ثبوت عصمتهم بالبراهين والنصوص المتواترة لاـ مجال للإعتراض عليهم، بل يجب التسليم لهم فى كلّ ما يصدر عنهم.

على أنّك لو تأملت حقّ التأمّل علمت أنه عليه السلام فدى نفسه المقدسّة دين جده، ولم يتزلزل أركان دولة بنى أميّة إلّا بعد شهادته، ولم يظهر للناس كفرهم وضلالتهم إلّا عند فوزه بسعادته. ولوكان عليه السلام يسالمهم ويوادعهم كان يقوى سلطانهم، ويشتبه على الناس أمرهم، فتعود بعد حين أعلام الدين طامسة، وآثار الهداية مندرسة، مع أنه قد ظهر لك من الاخبار السابقة أنه عليه السلام هرب من المدينة

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۸۶

خوفاً من القتل الى مكّة، وكذا خرج من مكّة بعدما غلب على ظنّة أنهم يريدون غيلته وقتله، حتّى لم يتيسّر له- فداه نفسى وأبى وأمى وولدى- أن يتمّ حجّه، «۱» فتحلّل وخرج منها خائفاً يترقّب، وقد كانوا لعنهم اللَّه ضيّقوا عليه جميع الأقطار، ولم يتركوا له موضعاً للفرار.

ولقد رأيت فى بعض الكتب المعتبرة أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فى عسكر عظيم، وولّاه أمر الموسم، وأمّره على الحاجّ كلهم، وكان قد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سرّاً، وإن لم يتمكّن منه يقتله غيلة، ثمّ إنه دسَّ مع الحاجّ فى تلك السنة ثلاثين رجلًا من شياطين بنى أميّة، وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام على أى حال اتفق، فلمّا علم الحسين عليه السلام بذلك حلّ من إحرام

الحجّ وجعلها عمرة مفردة. «۲»

وقد روى بأسانيد أنّه لمّا منعه عليه السلام محمد بن الحنفية عن الخروج الى الكوفة قال:

واللَّه ياأخى لو كنت فى حُجر هامة من هوامّ الأرض لاستخرجونى منه حتى يقتلونى! «۳»

بل الظاهر أنّه صلوات اللَّه عليه لو كان يسالمهم ويبايعهم لايتركونه لشدّة عداوتهم وكثرة وقاحتهم، بل كانوا يغتالونه بكلّ حيلة، ويدفعونه بكلّ وسيلة، وإنّما كانوا يعرضون البيعة عليه أوّلًا لعلمهم بأنّه لا يوافقهم فى ذلك، ألا ترى إلى مروان لعنه اللَّه كيف كان يشير على والى المدينة بقتله قبل عرض البيعة عليه، وكان عبيداللَّه بن زياد عليه لعائن اللَّه إلى يوم التنادِ يقول: إعرضوا عليه فلينزل على

---

(۱)

(۲) (۱) و (۲) سيأتى فى ص ۹۳، أنّ الدليل التأريخى والفقهى يُثبت أنه عليه السلام أحرم منذ البدء لعمرة مفردة لا لعمرة التمتع.

(۳) انظر تاريخ الطبرى ۳: ۲۹۶ و ۳۰۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۸۷

أمرنا ثمّ نرى فيه رأينا، ألا ترى كيف أمّنوا مسلماً ثم قتلوه!!

فأمّا معاوية لعنه اللَّه فإنه مع شدّة عداوته وبغضه لأهل البيت عليهم السلام كان ذا دهاء ونكراء وحزم، وكان يعلم أنّ قتلهم علانية يوجب رجوع الناس عنه وذهاب ملكه وخروج الناس عليه، فكان يداريهم ظاهراً على أىّ حال، ولذا صالحه الحسن عليه السلام ولم يتعرّض له الحسين، ولذلك كان يوصى ولده اللعين بعدم التعرّض للحسين عليه السلام لأنه كان يعلم أنّ ذلك يصير سبباً لذهاب دولته ...» «۱».

تعليل الشيخ جعفر التسترى قدس سره

اشارة

وللشيخ التسترى كلام عميق فى تفسير سرّ إصدار الإمام الحسين عليه السلام على مغادرة مكّة أيّام الحجّ والخروج الى العراق، يقول قدس سره:

«كان للحسين عليه السلام تكليفان واقعى وظاهرى:

أمّا الواقعىّ

الذى دعاه للإقدام على الموت، وتعريض عياله للأسر وأطفاله للذبح مع علمه بذلك، فالوجه فيه أنّ عتاة بنى أميّة قد اعتقدوا أنهم على الحق وأنّ علياً وأولاده وشيعتهم على الباطل «۲» حتى جعلوا سبّه من أجزاء صلاة الجمعة، وبلغ الحال ببعضهم أنّه نسى اللعن فى خطبة الجمعة فذكره وهو فى السفر فقضاه! وبنوا مسجداً سمّوه «مسجد الذكر»، فلو بايع الحسين عليه السلام يزيد وسلّم الأمر إليه لم يبق من الحقّ أثر، فإنّ كثيراً من الناس يعتقد بأنّ المحالفة لبنى أميّة دليل استصواب رأيهم وحسن سيرتهم، وأمّا بعد محاربة الحسين عليه السلام لهم

---

(۱) بحار الأنوار ۴۵: ۹۸- ۱۰۰.

(۲) الأمر ليس كما ذهب إليه الشيخ التسترى (ره)، بل بنو أميّة عرفوا الحقّ وأنّ أهله محمدوآله صلى الله عليه و آله، ولكنهم جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، حسداً لأهل البيت عليهم السلام لما فضّلهم اللّه به على الناس أجمعين، فأصرّوا على الصدّ عن الحق بكل ما أوتوا من حيلة وقوّة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۸۸

وتعريض نفسه المقدّسة وعياله وأطفاله للفوادح التى جرت عليهم فقد تبين لأهل زمانه والأجيال المتعاقبة أحقيّته بالأمر وضلال من بغى عليه.

وأمّا التكليف الظاهرى

فلأنه عليه السلام سعى فى حفظ نفسه وعياله بكلّ وجه فلم يتيسّر له، وقد ضيّقوا عليه الأقطار حتى كتب يزيد إلى عامله على المدينة أن يقتله فيها، فخرج منها خائفاً يترقّب، فلاذ بحرم اللّه الذى هو أمن الخائف وكهف المستجير، فجدّوا فى إلقاء القبض عليه أو قتله غيلة ولو وجد متعلّقاً بأستار الكعبة، فالتزم بأن يجعل إحرامه عمرة مفردة وترك التمتع بالحجّ، فتوجّه إلى الكوفة لأنهم كاتبوه وبايعوه وأكّدوا المصير إليهم لإنقاذهم من شرور الأمويين، فألزمه التكليف بحسب الظاهر الى موافقتهم إتماماً للحجّة عليهم لئلا يعتذروا يوم الحساب بأنّهم لجأوا إليه واستغاثوا به من ظلم الجائرين فاتهمهم بالشقاق ولم يُغثهم، مع أنه لو لم يرجع إليهم فإلى أين يتوجّه وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وهو معنى قوله لابن الحنفية: لو دخلتُ فى حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقتلونى!» «۱».

تمام الحق فى القول ...

وأقول: لاشك فى دقّة جلّ المضامين التى طرحها الشيخ التسترى أعلى اللّه مقامه، خصوصاً فى الإلفات إلى أنّ للإمام عليه السلام تكليفين أحدهما ظاهرى وآخر واقعى هما فى طول بعضهما ولا تنافى بينهما، وقد أجاد قدس سره فى تفصيل هذه الإلتفاتة التى هى من جديد ما قدّمه الشيخ التسترى فى وقته، لكنّ لنا تحفّظاً على قوله قدس سره: «مع أنه لو لم يرجع إليهم- أى إلى أهل الكوفة- فإلى أين يتوجّه وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت ...» ذلك لأنّ هناك أكثر من رواية تأريخية تفيد أنه

---

(۱) الخصائص الحسينية: ۸۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۸۹

كان بإمكانه عليه السلام أن يتوجّه إلى اليمن مثلًا ومناطق أخرى غيرها، فهذا محمّد بن الحنفيه يقول له:

«تخرج إلى مكة، فإن اطمأنّت بك الدار بها فذاك، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدّك وأبيك، وهم أرأف الناس وأرقّهم قلوباً وأوسع الناس بلاداً، فإن اطمأنت بك الدار وإلا بالرمال وشعوب الجبال، وجزت من بلد الى بلد، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم اللّه بيننا وبين القوم الفاسقين» «۱».

وهذا الطرمّاح يقول له:

«فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك اللّه به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذى يُدعى (أجأ)، فأسير معك حتى أُنزلك (القُرَيّة)». «۲»

وفى نصّ آخر:

«فإن كنت مجمعاً على الحرب فانزل (أجأ) فإنه جبل منيع، واللّه ما نالنا فيه ذلٌ قطّ، وعشيرتى يرون جميعاً نصرك، فهم يمنعونك ما أقمت فيهم». «۳»

إذن فالحقّ فى هـذه النقطة ليس كما ذهب إليه الشيخ التسترى قدس سره فى أنه عليه السلام لم يكن له ملجأ يتوجّه إليه من مكّة إلا الكوفة.

ولعلّ الصواب فى هذه المسألة إضافة إلى ما تفضّل به العلامة المجلسى قدس سره

---

(۱) الفتوح ۵: ۲۲.

(۲) تاريخ الطبرى ۳: ۳۰۸.

(۳) مثير الأحزان: ۳۹- ۴۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۹۰

والشيخ التسترى قدس سره هو: أنّ الإمام عليه السلام أراد أن (ينجو) من أن يُقتل فى المدينة أو فى مكّة خاصة، قتلة يُقضى بها على ثورته فى مهدها، وتهتك بها حرمة البيت:

«ياأخى، قد خفت أن يغتالنى يزيد بن معاوية فى الحرم فأكون الذى يُستباح به حرمة هذا البيت.» «۱»، حيث يتمكّن الأمويون فى كلّ ذلك أن يدّعوا أنهم بريئون مما جرى على الإمام عليه السلام سواء فى المدينة أو فى مكّة أو فى الطريق، فيحافظوا بذلك على الإطار الدينى لحكمهم، أو أن تزداد المصيبة سوءً حين يطالبون هم بدم الإمام عليه السلام، فيقتلون من أمروه هم بقتله! أو يتّهمون بريئاً ليقتلوه! فيخدعون الناس بادعائهم أنهم أصحاب دمه الآخذون بثأره، فيزداد الناس انخداعاً بهم ومحبّة لهم وتصديقاً بما يستظهرون من التدين والإلتزام، فتكون المصيبة على الإسلام والأمة الإسلامية أدهى وأمرّ!! ... فحيث إن لم يبايع يقتل، فقد سعى عليه السلام ألّا يقتل فى ظروف زمانية ومكانية وبكيفية يختارها ويخطط لها ويعدّها العدوّ، وسعى عليه السلام بمنطق الشهيد الفاتح أن يتحقّق مصرعه الذى لابدّ منه على أرض يختارها هو، ولا يستطيع العدوّ فيها أن يعتّم على مصرعه، فتختنق الأهداف المرجوّة من وراء هذا المصرع الذى سيهزّ الأعماق فى وجدان الأمة ويحرّكها بالإتجاه الذى أراده الحسين عليه السلام، كما سعى عليه السلام أن تجرى وقائع المأساة فى وضح النار لا فى ظلمة الليل ليرى جريان وقائعها أكبر عدد من الشهود، فلا يتمكّن العدوّ من أن يعتّم على هذه الوقائع الفجيعة ويغطّى عليها، ولعل هذا هو الهدف المنشود من وراء العامل الإعلامى والتبليغى فى طلب الإمام عليه السلام عصر تاسوعاء أن يمهلوه إلى صبيحة عاشوراء!» «۲». فتأمّل!

---

(۱) اللهوف: ۲۷.

(۲) راجع الجزء الأوّل من هذا الكتاب: مقالة بين يدى الشهيد الفاتح: ۱۵۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۹۱

قول السيد المرتضى قدس سره

اشارة

مع الركب الحسينى ج۲ ۹۱ قول السيد المرتضى قدس سره ..... ص : ۹۱

لسيّد الشريف المرتضى أعلى اللّه مقامه فى سرّ إصرار الإمام عليه السلام على التوجّه الى الكوفة رأى غريب حيث قال قدس سره: «فإن قيل: ما العذر فى خروجه صلوات اللّه عليه من مكّة بأهله وعياله إلى الكوفة، والمستولى عليها أعداؤه، والمتأمّر فيها من قبل يزيد اللعين، منبسط الأمر والنهى!؟ وقد رأى صنع أهل الكوفة بأبيه وأخيه صلوات اللّه عليهما، وأنّهم غادرون خوّانون، وكيف خالف ظنّه

ظنّ جميع نصحائه فى الخروج، وابن عبّاس رحمه اللَّه يشير بالعدول عن الخروج! ويقطع على العطب فيه! وابن عمر لمّا ودّعه عليه السلام يقول له: «أستودعك اللَّه من قتيل» إلى غير ذلك ...

الجواب:

قلنا قد علمنا أنّ الإمام متى غلب على ظنه أنه يصل إلى حقّه والقيام بما فُوِّض إليه بضرب من الفعل، وجب عليه ذلك وإن كان فيه ضرب من المشقّة يتحمّل مثلها، وسيّدنا أبوعبداللَّه عليه السلام لم يسرِ طالباً الكوفة إلا بعد توثّق من القوم، وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين، ومبتدئين غير مجيبين، وقد كانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرّائها تقدّمت إليه فى أيّام معاوية، وبعد الصلح الواقع بينه وبين الحسن عليه السلام فدفعهم وقال فى الجواب ما وجب، ثمّ كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلام ومعاوية باقٍ، فوعدهم ومنّاهم، وكانت أيّام معاوية صعبة لايطمع فى مثلها، فلما مضى معاوية وأعادوا المكاتبة وبذلوا الطاعه وكرّروا الطلب والرغبة، ورأى عليه السلام من قوّتهم على ما كان يليهم فى الحال من قبل يزيد، وتسلّطهم عليه، وضعفه عنهم ما قوى فيه ظنّه أنّ المسير هو الواجب، تعيّن عليه ما فعله من الإجتهاد والتسبّب، ولم يكن فى حسبانه عليه السلام أنّ القوم يغدر بعضهم، ويضعف أهل الحقّ عن نصرته، ويتّفق ما اتفق من الأمور الغريبة، فإنّ

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۹۲

مسلم بن عقيل لمّا دخل الكوفة أخذ البيعة على أكثر أهلها! ...» «۱».

وواضحٌ أنّ جواب السيد الشريف المرتضى قدس سره قائم على مبنى أهل التسنن فى أنّ الإمام عليه السلام كغيره من الناس يعمل على أساس ما يؤدّى إليه الظن، وهو مأجور على اجتهاده أخطأ أم اصاب إلّا أنّ أجره على الصواب أجران! وأنّ الإمام لم يكن يعلم منذ البدء بمصيره! وأنّه إنّما قام بسبب رسائل أهل الكوفة!

ويبدو أن الشريف المرتضى قدس سره- وهو من أكابر متكلّمى الشيعة- قد اعتمد هذا اللون من الإجابة على تلك التساؤلات ليخاطب به العقل السنّى فى بغداد آنذاك، والمتسننون آنئذٍ هم الأكثرية فيها ..

وإلّا فإنّ هذا الجواب مخالف لاعتقاداتنا بالإمامة وأنّ الأئمّة عليهم السلام يعلمون ما كان وما هو كائن وما يكون إلى يوم القيامة علماً موهبياً من اللَّه تبارك وتعالى، هذا فضلًا عن الروايات التأريخية الكثيرة التى مفادها أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم بمصيره ومصرعه، وأنه كان يخبر عن ذلك حتى فى أيّام طفولته.

ثمّ إنّ قيام الإمام الحسين عليه السلام ورفضه البيعة ليزيد لم يكن بسبب رسائل أهل الكوفة إليه بعد موت معاوية، ذلك لأنّ الثابت أنّ هذه الرسائل لم تصل إليه إلّا بعد رفضه البيعة وقيامه وخروجه من المدينة وورود مكّة، وهى لم تصل إليه إلّا بعد حوالى أربعين يوماً من أيامه فى مكّة!

---

(۱) بحار الأنوار ۴۵: ۹۶- ۹۸ عن كتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى (ره).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۹۳

عمرة التمتع أم عمرة مفردة؟

هل بدّل الإمام عليه السلام إحرامه من عمرة التمتّع إلى العمرة المفردة؟

أم أنه عليه السلام ابتداءً دخل فى إحرام العمرة المفردة لعلمه بأنّ الظالمين سوف يصدّونه عن إتمام حجّه!؟

إنّ الذى يظهر من بعض المتون التأريخية «۱» ومن صريح أقوال بعض المحدّثين هو أنّ الإمام عليه السلام قد بدّل إحرامه من الحجّ أو من عمرة التمتع إلى العمرة المفردة.

ولكنّ ظاهر بل صريح بعض النصوص- ومنها نصوص صحيحة- هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد دخل فى إحرام العمرة المفردة ابتداءً ولم يكن ثمّة تبديل فى الإحرام، وقد تبنّى هذا القول من الفقهاء السيّد محسن الحكيم قدس سره والسيّد

---

(۱) «قال الطبرسى لمّا أراد الخروج الى العراق طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة لأنه لم يتمكّن من إتمام الحجّ مخافة أن يقبض عليه بمكة ...». (إعلام الورى: ۲۳۰).

«وقال ابن فتّال وأحلَّ من إحرامه وجعلها عمرة لأنه لايتمكن من إتمام الحج ...». (روضة الواعظين: ۱۷۷).

وظاهرهما أنّ الإمام عليه السلام قد بدّل نيّة إحرامه لعمرة التمتع إلى المفردة.

ولكن عبارة الشيخ المفيد (ره) فى (الإرشاد: ۲۱۸): «لأنه لم يتمكّن من تمام الحجّ» لا تفيد أنه أحلّ إحرام الحجّ.

وقد فرّق بعض المحققين المعاصرين بين عبارتى (تمام) و (إتمام) فذهب إلى أنّ مفاد الإتمام أنه عليه السلام قد تلبّس بإحرام الحج حيث قال: «لأنّ كلمة الإتمام تفيد أنه عليه السلام قد تلبّس بإحرام الحج دون كلمة تمام الحجّ». (وقعة الطف: ۱۴۹).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۹۴

الخوئى قدس سره والسيد السبزوارى قدس سره، وأشار إليه بعض المؤرّخين «۱».

لقد تعرّض الفقهاء لهذا البحث فى مسألة حكم الخروج من مكّة لمن أتى بالعمرة المفردة فأقام الى هلال ذى الحجّة، فقد ذهب بعضهم الى القول بوجوب أداء الحجّ فيما لو أدرك يوم التروية، وهو رأى ابن البرّاج «۲» وهو قول نادر. كما ذهب بعض آخر الى القول بالاستحباب خصوصاً إذا أقام إلى هلال ذى الحجّة ولاسيّما إذا أقام فى مكّة الى يوم التروية وهو اليوم الثامن، وهو قول صاحب الجواهر «۳».

وبعض الروايات التى مفادها حرمة الخروج حملت على الكراهة استناداً الى روايات أخرى منها خبر اليمانى فى أنّ الإمام الحسين عليه السلام خرج قبل يوم التروية بيوم وقد كان معتمراً.

وفيما يلى النصوص ثم كلمات الفقهاء:

۱- الكلينى: «على بن ابراهيم، عن أبيه، ومحمد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حمّاد بن عيسى، عن ابراهيم بن عمر اليمانى، عن أبى عبداللَّه عليه السلام أنه سُئل عن رجل خرج فى أشهر الحجّ معتمراً ثم رجع الى بلاده؟ قال: لابأس وإن حَجَّ فى عامه ذلك وأفرد الحجّ، فليس عليه دم، فإنّ الحسين بن على عليهما السلام خرج

---

(۱) قال الشيخ باقر شريف القرشى: «وهذا- أى التبديل- لا يخلو من تأمّل، فإنّ المصدود عن الحجّ يكون إحلاله بالهدى حسب ما نصّ عليه الفقهاء لا- بقلب إحرام الحجّ إلى عمرة، فإنّ هذا لايوجب الإحلال من إحرام الحج». (راجع: حياة الإمام الحسين بن على عليهما السلام ۳: ۵۰).

(۲) راجع: المهذّب ۱: ۲۷۲ «من اعتمر عمرة- غير متمتع بها الى الحج- فى شهور الحج ثم أقام بمكة إلى أن أدرك يوم التروية كان عليه أن يحرم بالحج ويخرج الى منى ...».

(۳) راجع: جواهر الكلام ۲۰: ۴۶۱ و انظر: الدروس ۱: ۳۳۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۹۵

قبل التروية بيوم الى العراق وقد كان دخل معتمراً» «۱».

ومفاد هذا الخبر: أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يوم خروجه من مكّة محرماً حتى بإحرام العمرة، بل كان قد أحرم للعمرة يوم وروده مكّة المكرّمة. فتأمل.

وقد عبّر المجلسى فى المرآة عن هذا الحديث بالحسن كالصحيح «۲».

ولقد روى الشيخ الطوسى هذا الحديث فى التهذيب عن الكلينى، غير أنّ فيه:

«إنّ الحسين خرج يوم التروية» «۳».

وعبّر المجلسىُ عنه أيضاً فى ملاذ الأخيار بالحسن الصحيح «۴».

وقال صاحب الجواهر: «وفى التهذيب: خرج يوم التروية، ولعلّه الأصحّ لصحيح معاوية ...» «۵».

۲- الكلينى: «على بن إبراهيم، عن أبيه، عن اسماعيل بن مرّار، عن يونس، عن معاوية بن عمّار، قال: قلت لأبى عبداللّه عليه السلام: من أين افترق المتمتّع والمعتمر؟

فقال: إنّ المتمتّع مرتبط بالحجّ، والمعتمر إذا فرغ منها ذهب حيث شاء، وقد اعتمر الحسين بن على فى ذى الحجّة ثمّ راح يوم التروية إلى العراق والناس يروحون إلى منى، ولابأس بالعمرة فى ذى الحجّة لمن لا يريد الحجّ.» «۶».

---

(۱) الكافى ۴: ۵۳۵ حديث رقم ۳ وعنه الوسائل ۱۴: ۳۱۰ باب ۷ حديث رقم ۲/ و ۱۰: ۲۴۶.

(۲) مرآة العقول ۱۸: ۲۳۴.

(۳) التهذيب ۵: ۴۳۶ حديث رقم ۱۶۲، والاستبصار ۲: ۳۲۷ رقم ۱۱۶۰.

(۴) ملاذ الأخيار ۸: ۴۵۹.

(۵) جواهر الكلام: ۲۰: ۴۶۱.

(۶) الكافى ۴: ۵۳۵ حديث رقم ۴ باب العمرة المقبولة فى أشهر الحجّ. وعنه الوسائل ۱۴: ۳۱۰ باب ۷ حديث رقم ۳ (باب أنه يجوز أن يعتمر فى أشهر الحج عمرة مفردة ويذهب حيث شاء، ويجوز أن يجعلها عمرة التمتّع إن أدرك الحج).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۹۶

وعبّر عنها المجلسى فى الملاذ: «مجهول» وقال: «قوله: وقد اعتمر: لعلّ المراد أنّ عمرة التمتع أيضاً إذا اضطر الإنسان يجوز أن يجعلها عمرة مفردة كما فعله الحسين عليه السلام، ويحتمل أن يكون عليه السلام لعلمه بعدم التمكّن من الحجّ نوى الإفراد ولعلّه من الخبر أظهر.» «۱».

إذن فالمجلسى يرى فى الحديث احتمالين:

الأوّل: التبديل من عمرة التمتع الى عمرة مفردة.

الثانى: أنّه عليه السلام منذ البدء قد نوى الإفراد، وليس ثمّ تبديل.

ويرى المجلسى أنّ الإحتمال الثانى أظهر من الخبر، لكنه فى البحار يصرّح بالإحتمال الأوّل حيث يقول: «ولقد رأيت فى بعض الكتب المعتبرة ... حلّ من إحرام الحجّ وجعلها عمرة مفردة.» «۲»

وقال فى نفس الصفحة من كتابه قبل هذا: «وكذا خرج من مكّة بعدما غلب على ظنه أنهم يريدون غيلته وقتله، حتى لم يتيسّر له- فداه نفسى وأبى وأمى وولدى- أن يتمّ حجّة، فتحلّل وخرج منها خائفاً يترقّب ...» «۳».

كلمات بعض الفقهاء

۱- قال السيد محسن الحكيم فى مستمسك العروة الوثقى: «... وأمّا مافى

(۱) ملاذ الأخيار ۸: ۴۶۱، وعن التسترى: «فالتزم بأن يجعل إحرامه عمرة مفردة وترك التمتع بالحج.» (الخصائص الحسينيّة: ۳۲).

(۲) البحار ۴۵: ۹۹.

(۳) نفس المصدر.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۹۷

بعض كتب المقاتل من أنّه عليه السلام جعل عمرته عمرة مفردة، ممّا يظهر منه أنها كانت عمرة تمتّع وعدل بها إلى الافراد، فليس مما يصحّ التعويل عليه فى مقابل الأخبار المذكورة التى رواها أهل البيت عليهم السلام» «۱».

۲- ويقول السيد السبزوارى قدس سره فى مهذّب الأحكام: «... كما يسقط بهما- أى رواية اليمانى ورواية معاوية بن عمار- مافى بعض المقاتل من أنّ الحسين عليه السلام بدّل حجّة التمتّع الى العمرة المفردة، لظهورهما فى أنه عليه السلام لم يكن قاصداً للحجّ من أوّل الأمر، بل كان قاصداً للعمرة المفردة، فلا يبقى موضوع للتبديل حينئذ.» «۲».

۳- وقال السيّد الخوئى فى معتمد العروة الوثقى: «لاريب فى أنّ المستفاد من الخبرين أنّ خروج الحسين عليه السلام يوم التروية كان على طبق القاعدة لا لأجل الإضطرار «۳»، ويجوز ذلك لكلّ أحد وإن لم يكن مضطرّاً، فيكون الخبران- أى خبر اليمانى وخبر معاوية- قرينة على الإنقلاب الى المتعة قهراً والإحتباس بالحجّ إنّما هو فيما إذا أراد الحجّ، وأمّا إذا لم يرد الحجّ فلا يحتبس بها للحجّ ويجوز له الخروج حتى يوم التروية.» «۴».

وممّا يضعّف القول بوقوع التبديل الى العمرة المفردة قول المشهور بعدم جواز التبديل الى العمرة المفردة.

(۱) مستمسك العروة الوثقى ۱۱: ۱۹۲.

(۲) مهذّب الأحكام ۱۲ : ۳۴۹/ ومثله علماء آخرون، أنظر: كتاب الحج: تقريرات السيّد الشاهرودى: ۲ : ۳۱۲ وتقريرات الحج للگلبايگانى: ۱: ۵۸، والمحقّق الداماد: كتاب الحج: ۱: ۳۳۳.

(۳) خلافاً لما احتمله المجلسى فى مرآة العقول ۱۸: ۲۳۴ حيث قال: «وفى رواية عمر بن يزيد إذاأهلّ عليه هلال ذى الحجة، ويحمل على الندب، لأن الحسين عليه السلام خرج بعد عمرته يوم التروية وقد يجاب بأنه مضطّر.».

(۴) معتمد العروة الوثقى ۲: ۲۳۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۹۸

قال الشيخ الوالد قدس سره: «المشهور بين الأصحاب رضوان اللّه عليهم أنّ من دخل مكّة بعمرة التمتع فى أشهر الحج لم يجز له أن يجعلها مفردة، ولا- أن يخرج من مكّة حتّى يأتى بالحجّ لأنها مرتّبة (مرتبطة) بالحجّ، نعم عن ابن إدريس القول بعدم الحرمة وأنه مكروه، وفيه أنه مردود بالأخبار.» «۱».

كما يضعّف أيضاً القول بوقوع التبديل الى العمرة المفردة هو أنه لو كان لأجل الصدّ ومنع الظالم فإنّ المصدود عن الحجّ يكون إحلاله بالهدى كما أشار إليه الشهيد الأوّل فى الدروس «۲» والشهيد الثانى فى المسالك «۳».

فلابدّ إذن من تأويل العبارات التى ظاهرها التبديل، والمهمّ المعوّل عليه هو عبارة الشيخ المفيد قدس سره فى الإرشاد: «لأنه لم يتمكّن من تمام الحج»، وأمّا القول الوارد فى بعض الكتب من أنّه عليه السلام: «لم يتمكن من إتمام الحجّ» فهو مما ورد بعد زمان كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد قدس سره، ولعلّه وقع بسبب تصحيف غير مقصود، أو بسبب تصرّف مقصود قام على عدم التفريق بين «التمام» و «الإتمام»، واللّه العالم.

هل خرج الإمام عليه السلام من مكّة سرّاً!؟

قال المرحوم المحقّق الشيخ السماوى فى كتاب (إبصار العين): «ولمّا جاء كتاب مسلم إلى الحسين عزم على الخروج، فجمع أصحابه فى الليلة الثامنة من

---

(۱) ذخيرة الصالحين ۳: ۱۲۴.

(۲) «قال الشهيد الأول: اذا منع المحرم عدو من إتمام نسكه كما مرّ فى المحصر، ولا طريق غير موضع العدو .. ذبح هديه أو نحره مكان الصدّ بنية التحلل فيحل على الإطلاق» (الدروس ۱: ۴۷۸).

(۳) مسالك الأفهام ۲: ۳۸۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۹۹

ذى‌الحجّة، فخطبهم فقال: ..» «۱»، ثم أورد خطبته المعروفة بعبارتها الشهيرة «خُطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة» والتى ورد فى آخرها قوله عليه السلام:

«فمن كان باذلًا فينا مهجته، موطّناً على لقاء اللَّه نفسه فليرحل معنا، فإننى راحل مصبحاً إن شاء اللَّه تعالى».

وقد يُستفاد من قول الشيخ السماوى قدس سره: «فجمع أصحابه ..» أنّ هذه الخطبة التى أعلن فيها الإمام عليه السلام عن موعد ارتحاله عن مكّة لم تكن أمام محضر عام، بل كانت فى اجتماع خاص اقتصر على أصحابه عليه السلام فقط، فموعد السفر لم يعلم به إلّا أصحابه، ولم يخرج الموعد إذن عن كونه سراً من أسرار حركة الركب الحسينى من مكّة، أى أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج بركبه من مكّة الى العراق سرّاً!

لكنّ الملفت للإنتباه أنّ الشيخ السماوى قدس سره لم يذكر المصدر الذى أخذ عنه قوله «فجمع أصحابه ..»، كما أننا لم نعثر على مصدر من المصادر التأريخية المعروفة والمعتبرة- والتى يحتمل أنّ الشيخ السماوى قدس سره قد أخذ عنها- كان قد ذكر هذه العبارة «فجمع أصحابه ..».

بل إنّ المصادر التى ذكرت هذه الخطبة بالذات لم تذكر تلكم العبارة، ففى اللهوف: «وروى أنّه عليه السلام لمّا عزم على الخروج الى العراق قام خطيباً فقال: ..» «۲»،

وفى مثير الأحزان: «ثم قام خطيباً فقال: ..» «۳»، وفى كشف الغمة: «ومن كلامه عليه السلام لمّا عزم على الخروج الى العراق، قام خطيباً فقال: ..» «۴».

---

(۱)

إبصار العين: ۲۷.

(۲) اللهوف: ۱۲۶.

(۳) مثير الأحزان: ۴۱.

(۴) كشف الغمة ۲: ۲۴۱/ دار الكتاب الإسلامى- بيروت.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۰۰

هذه هى المصادر الأساسية التى نعلم أنها ذكرت هذه الخطبة ..

ومع هذا، فإنّ خروج الإمام عليه السلام من مكّة لم يكن سرّاً حتى على فرض أنّ الإمام عليه السلام كان قد خطب هذه الخطبة فى أصحابه فقط، ذلك لأنّ الذين كانوا ملتفّين حول الإمام عليه السلام وهو فى مكّة كثيرون، وفيهم من يريد الدنيا وفيهم من يريد

الآخرة، ولم يُغربل هذا الجمع الكبير إلّا فى منازل الطريق إلى العراق منزلًا بعد منزل حتى لم يبق معه إلا الصفوة التى استشهدت بين يديه فى الطف. فمن البعيد جداً أن تكون حركة الركب الحسينى من مكّة إلى العراق سرّاً، والمحيطون بالإمام عليه السلام فى مكّة آنذاك خليط من أناس نواياهم شتّى، ثمّ هل يُتصوَّر أنّ حركة الركب الحسينى وهو كبير نسبياً فى مكّة المكرّمة وهى آنذاك صغيرة نسبياً- بكلّ ما تستلزمه حركة مثل هذا الركب الكبير من مقدّمات واستعدادات- تخفى عن أعين السلطة الذين كانوا يتحسسون الصغيرة والكبيرة من حركة الإمام عليه السلام!؟

يذهب بعض المحقّقين المتتبعين إلى عكس ما أورده الشيخ السماوى قدس سره حيث يقول: «ولمّا عزم الإمام عليه السلام على مغادرة الحجاز والتوجّه إلى العراق أمر بجمع الناس ليلقى عليهم خطابه التأريخى، وقد اجتمع إليه خلق كثير فى المسجد الحرام من الحجّاج وأهالى مكّة، فقام فيهم خطيباً، فاستهلّ خطابه بقوله ..» «۱»، ثم أورد تلكم الخطبة نفسها.

ومن الأدلّة على أنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة لم يكن سرّاً أنّ والى مكة يومئذٍ عمرو بن سعيد بن العاص أمر صاحب شرطته باعتراض الركب الحسينى عند الخروج، يقول التأريخ: «ولمّا خرج الحسين من مكّة اعترضه صاحب شرطة أميرها عمرو بن سعيد بن العاص فى جماعة من الجند.

---

(۱)

حياة الإمام الحسين بن على عليهما السلام ۳: ۴۷.

فقال: إنّ الأمير يأمرك بالإنصراف فانصرف وإلا منعتك.

فامتنع عليه الحسين، وتدافع الفريقان، واضطربوا بالسياط.

وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل إلى صاحب شرطته يأمره بالإنصراف.» «۱».

إذن فخروج الركب الحسينىّ من مكّة لم يكن سرّاً، وهذا لا ينافى الحقيقة

---

(۱) الأخبار الطوال: ۲۴۴/ وراجع: الكامل فى التاريخ ۲: ۵۴۷ وفيه: «ثم خرج الحسين يوم التروية فاعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص ..». وتاريخ الطبرى ۳: ۹۶ وفيه: «لمّا خرج الحسين من مكّة اعترضه رسل عمرو بن سعيد». لكنّ ابن عبد ربّه فى كتابه العقد الفريد ۴: ۳۷۷ تفرّد بهذا النقل الغريب: «ثم خرج- أى عمرو بن سعيد- إلى مكّة، فقدمها قبل يوم التروية بيوم، ووفدت الناس للحسين يقولون: ياأبا عبداللّه، لو تقدّمت فصلّيت بالناس فأنزلتهم بداركَ! إذ جاء المؤذّن بالصلاة، فتقدّم عمرو بن سعيد فكبّر، فقيل للحسين: أخرج أبا عبداللّه إذ أبيت أن تتقدّم. فقال: الصلاة فى الجماعة أفضل. قال: فصلّى، ثمّ خرج، فلمّا انصرف عمرو بن سعيد بلغه أنّ حسيناً قد خرج، فقال: اطلبوه، إركبوا كلّ بعير بين السماء والأرض فاطلبوه! قال: فعجب الناس من قوله هذا، فطلبوه فلم يدركوه.».

وهذه الرواية مع مخالفتها لحقائق تأريخية عديدة، أهمّها أنّ التأريخ الموثّق لم يروِ أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد صلّى خلف أحد ولاة يزيد بن معاوية فى جماعة أبداً، نراها تضطرب اضطراب خيال الأطفال فتصوّر أنّ الإمام عليه السلام ما إنْ يخرج من المسجد حتى يختفى مع الركب الحسينى الكبير فى خروجه من مكّة الى درجة أنّ عمرو بن سعيد لمّا انصرف من نفس الصلاة التى كان الإمام عليه السلام معه فيها! (على فرض الرواية) طلب من جلاوزته أن يطلبوا الإمام عليه السلام على كلّ بعير بين السماء والأرض فلم يدركوه!!

يقول العلامة الأمينى (ره) فى كتابه الغدير ۳: ۷۸ «قد يحسب القارىء لأوّل وهلة أنه- أى العقد الفريد- كتاب أدب لا كتاب مذهب، فيرى فيه نوعاً من النزاهة، غير أنّه متى أنهى سيره إلى مناسبات المذهب تجد مؤلّفه ذلك المهوّس المهملج، ذلك الأفّاك الأثيم.».

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۰۲

التأريخية فى أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد استبق الأحداث والزمان فخرج من مكّة مبادراً قبل أن يغتاله الحكم الأمويّ فيها أو يُقبَض عليه، لأن خروج الإمام عليه السلام من مكّة بالركب الحسينى الكبير نسبياً وقتذاك كان على امتناع وأهبة واستعداد لكلّ احتمال، فى وقت لم يكن من مصلحة الحكم الأموى أن تواجه سلطته المحلّية فى مكّة- على فرض امتلاكها القوّة العسكرية الكافية- «۱» الإمام الحسين عليه السلام مواجهة حربية علنية فى مكّة أو فى أطرافها، لأنّ الأمويين يعلمون ما للإمام الحسين عليه السلام من مكانة سامية عزيزة وقدسية بالغة فى قلوب جموع الحجيج الذين لازالوا آنذاك فى مكّة، فهم يخافون من انقلاب الأمر وتفاقمه عليهم، ولعلَّ رواية الدينورى السابقه تشعر بهذه الحقيقة حيث تقول: «.. وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل إلى صاحب شرطته يأمره بالإنصراف».

وعلى ضوء ما تقدّم تتأكّد صحة ماتقدّم فى الجزء الأوّل «۲» من هذا الكتاب (مع الركب الحسينى من المدينة إلى المدينة): أنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة المكرّمة (وكذلك من المدينة) فى السحر أو فى أوائل الصبح فى ستر الظلام من أجل ألّا تتصفح أنظار الناس فى مكّة (وكذلك فى المدينة) فى وضح النهار حرائر

---

(۱) «فقد روى أنه لما كان يوم التروية قدم عمرو بن سعيد بن العاص إلى مكّة فى جند كثيف، قدأمره يزيد أن يناجز الحسين عليه السلام (إن هو ناجزه!) أو يقاتله (إن قدر عليه!)، فخرج الحسين عليه السلام يوم التروية.» (نفس المهموم: ۱۶۳)، ويلاحظ على هذه الرواية- وهى تؤكّد وجود قوّة عسكرية كثيفة لدى السلطة الأموية المحلّية فى مكّة- أنها لا تقطع بأنّ هذه القوّة العسكرية تملك القدرة على إنزال الهزيمة بقوة الإمام عليه السلام، بدليل قول الرواية (إن قدر عليه)، كما أنّ هذه الرواية تؤكّد أنّ السلطة الأموية لاتريد مناجزة الإمام عليه السلام (فى قتال علنى) فى مكّة إلا إذا اضطرّت الى ذلك، بدليل قول الرواية (إن هو ناجزه). فتأمّل.

(۲) الإمام الحسين عليه السلام فى المدينة المنورة: ۳۹۹- ۴۰۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۰۳

بيت العصمة والرسالة والنساء الأُخريات فى الركب الحسينى، وهذا هو السبب الأقوى- إن لم يكن السبب الوحيد- فى مجموعة الأسباب التى دفعت الإمام عليه السلام إلى الخروج فى السحر أو فى أوائل الصبح، وهذا ما يتناسب تماماً مع الغيرة الحسينية الهاشمية.

لماذا حمل الإمام عليه السلام النساء والأطفال معه!؟

فى السحر الذى أرتحل فيه الإمام الحسين عليه السلام خارجاً عن مكّة الى العراق كان أخوه محمد بن الحنفية (رض) قد هرع إليه، حتى إذا أتاه أخذ زمام ناقته التى ركبها «فقال له: يا أخى، ألم تعدنى النظر فيما سألتك!؟

قال عليه السلام: بلى!

قال: فما حداك على الخروج عاجلًا؟

فقال عليه السلام: أتانى رسول اللّه صلى الله عليه و آله بعدما فارقتك فقال: يا حسين، أخرج فإنّ اللّه شاء أن يراك قتيلا!

فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال!؟

فقال له عليه السلام: قد قال لى: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا!

وسلّم عليه ومضى». «۱»

وفى إحدى محاوراته عليه السلام مع ابن عباس (رض):

---

(۱) اللهوف: ۱۲۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۰۴

قال له ابن عبّاس: «جُعلتُ فداك يا حسين، إن كان لابدّ من المسير إلى الكوفة فلا تَسِر بأهلك ونسائك، فوالله إنّى لخائف أن تُقتل ...

فقال عليه السلام: يا ابن العمّ، إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله فى منامى وقد أمرنى بأمرٍ لا أقدر على خلافه، وإنه أمرنى بأخذهم معى، إنهنّ ودائع رسول الله صلى الله عليه و آله، ولا آمن عليهنّ أحداً، وهنّ أيضاً لايفارقننى ...». «۱»

وفى محاورته عليه السلام مع أمّ سلمة (رض) فى المدينة:

كان عليه السلام قد قال لها: «يا أمّاه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يرانى مقتولًا مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمى ورهطى ونسائى مشرّدين، وأطفالى مذبوحين مظلومين مأسورين مقيّدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولامعيناً». «۲»

لقد علّل الإمام عليه السلام حمله لأهله ونسائه معه- فى محاوراته مع ثلاثة من أشدّ الناس إخلاصاً له- بأنّ ذلك تحقيق لمشيئة الله سبحانه، وامتثال لأمر رسول الله صلى الله عليه و آله، وأنه عليه السلام يخاف أن تتعرض ودائع رسول الله صلى الله عليه و آله للأذى والمكروه من بعده إذا فارقنه و بقين فى المدينة أو فى مكّة! كما علّل ذلك بإصرارهن على الخروج معه! «۳»

---

(۱) مدينة المعاجز، ۳: ۴۵۴.

(۲) بحار الانوار، ۴۴: ۳۳۱.

(۳) بعدما أنهى الإمام عليه السلام قوله لابن عبّاس (رض): «... وإنهن ودائع رسول الله صلى الله عليه و آله ولا آمن عليهن أحداً وهنّ ايضاً لايفارقننى.» سمع ابن عبّاس بكاءً من ورائه وقائلة تقول: «يا ابن عبّاس، أتشير على شيخنا وسيّدنا أن يخلّفنا هاهنا و يمضى وحده!؟ وهل أبقى الزمان لنا غيره!؟ لا والله بل نحيى معه ونموت معه!». (راجع: مدينة المعاجز، ۳: ۴۵۴).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۰۵

فكيف نفهم ملامح الحكمة فى هذه المشيئة الإلهية وهذا الأمر النبوى وفى مخافة الإمام عليه السلام على ودائع النبوّة وفى إصرارهن على الخروج معه!؟

ماذا سيجرى على عقائل بيت الرسالة لو بقين خلاف الإمام عليه السلام فى المدينة أو فى مكّة مثلًا؟

يرى الشيخ المرحوم عبدالواحد المظفّر فى كتابه: (توضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض) أنّ: «الحسين عليه السلام لو أبقى النساء فى المدينة لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر، لا بل اعتقلتها علناً وزجّتها فى ظلمات السجون، ولابدّ له حينئذٍ من أحد أمرين خطيرين، كلّ منهما يشلّ أعضاء نهضته المقدّسة!

إمّا الإستسلام لأعدائه وإعطاء صفقته لهم طائعاً ليستنقذ العائلة المصونة، وهذا خلاف الإصلاح الذى يُنشده وفرض على نفسه القيام به مهما كلّفه الأمر من الأخطار، أو يمضى فى سبيل إحياء دعوته ويترك المخدّرات اللواتى ضرب عليهنّ الوحى ستراً من العظمة والإجلال، وهذا ما لاتطيق إحتماله نفس الحسين الغيور.

ولايردع أميّة رادع من الحياء، ولايزجرها زاجرٌ من الإسلام، إنّ أميّة لايهمّها اقتراف الشائن فى بلوغ مقاصدها وإدراك غاياتها، فتتوصل إلى غرضها ولو بارتكاب أقبح المنكرات الدينية والعقلية!

ألم يطرق سمعك سجن الأمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعى، وزوجة عبيدالله بن الحرّ الجعفى، وأخيراً زوجة الكُميت الأسدى؟». «۱»

---

(۱) حیاة الامام الحسین بن علی علیه السلام، ۲: ۳۰۰؛ وروی أطلق من سجن الحجاج ثلثمائة الف ما بین رجل وامرأة- ومات فی حبسه خمسون الف رجل وثلاثون الف إمرأة، منهن ستة عشر ألفا مجردات، عاریات، (حیاة الحیوان ۱: ۹۶ و ۲۴۱). وأنّ أمّ خالد (الأحمسیة) حبست بأمر من یوسف بن عمر- حاکم العراق- ثمّ أیام ثورة زید- ثم أمر بها فقطعت یداها. (انظر: معجم رجال الحدیث، ۴: ۱۰۹).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۰۶

وهذا الإحتمال الذی نظر إلیه الشیخ المظفّر (ره) وارد بقوّة، لأنّ السلطة الأمویّة کانت ترید منع الإمام علیه السلام من القیام والخروج الی العراق بکلّ وسیلة، حتی وإن کانت هذه الوسیلة اعتقال الودائع النبویة من نساء وأطفال یعزُّ علی الإمام الحسین علیه السلام تعرّضهم للأذی والإهانة والسجن، فیضطّر الی التحرّک لإنقاذهم، الأمر الذی یشلّ حرکة النهضة أو یقضی علیها!

وإمکان إقدام السلطة الأمویة علی مثل هذه الفعلة لایحتاج إلی أدنی تأمّل، لقد کان ضغط السلطة الأمویة علی المناهضین لها وإحراجها إیاهم من خلال إیذاء عوائلهم وإرهابها وسجنها سنّة من سنن الحکم الأموی، وإضافة الی الأمثلة التی قدّمها الشیخ المظفّر (ره)، فإنّ ما قامت به السلطة الأمویة فی واقعة الحرّة من انتهاک حرمات الأعراض واستباحتها، بل ما فعلته السلطة الأمویة بالودائع النبویة نفسها فی السبی بعد استشهاد الإمام علیه السلام دلیل علی سهولة مثل هذه الجسارة العظیمة عند طغاة بنی أمیّة، وبهذا قد یتجلّی لنا هنا بعد من أبعاد الحکمة فی الأمر النبوی بحملهن!

وهذا المحذور- حدث تعرّض الودائع النبویة للأذی والسجن- سواء وقع قبل خروج الإمام علیه السلام (من المدینة أو مکّة)، أو بعد خروجه (وقبل استشهاده)، سیکون حدثاً خارجاً عن مسار حرکة أحداث النهضة وأجنبیاً عنها، وذا أثر مضادّ لمتّجه آثارها، بخلاف ما إذا وقع هذا الحدث فی إطار حرکة أحداث هذه النهضة وفی مسارها المرسوم، إذ إنه یکون حینذاک امتداداً لها، وتبلیغاً بحقائقها، وتحقیقاً لغایاتها.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۰۷

فکان لابدّ للإمام علیه السلام من حمل هذه الودائع العزیزة ونسائه معه کیلا یعوّق العدوّ من خلالها علی مسار النهضة المقدّسة.

ومع تفویت الإمام علیه السلام الفرصة علی أعدائه بذلک- والحمد لله الذی جعل أعداء أهل البیت علیه السلام من الحمقی- کان الإمام علیه السلام عالماً منذ البدء بضرورة حمل هذه الودائع النبویة معه تحقیقاً (لمسیرة التبلیغ الکبری)- بعد استشهاده- بدواعی النهضة الحسینیة، وبأهدافها، وبمظلومیة أهل البیت علیه السلام وأحقیتهم بالخلافة، وبحقیقة کفر آل أمیّة ونفاقهم وعدائهم للإسلام الحقّ وأهله.

کان الإمام علیه السلام عالماً منذ البدء بضرورة هذه المسیرة الإعلامیة التبلیغیة الکبری من بعده، والتی ینهض بأعبائها بقیّة الله الإمام السجّاد علیه السلام ووداائع النبوة فی أیّام السبی والترحیل من بلد إلی بلد، إذ لولا هذه المسیرة الإعلامیّة التبلیغیة لما کان یمکن للثورة الحسینیة أن تحقّق کامل أهدافها فی عصرها وفی مابعده من العصور إلی قیام الساعة، ولعلّ هاهنا مکمن السرّ فی «إنّ الله قد شاء أن یراهنّ سبایا»، وفی الأمر النبوی بحملهنّ.

إذن فحمل الإمام علیه السلام لودائع النبوّة معه ضرورة من ضرورات نجاح الثورة الحسینیة، وکان لابدّ للإمام علیه السلام أن یقوم بذلک حتی ولو لم یکن هناک احتمال لتعرّض هذه الودائع النبویة للأذی والسجن إذا بقین خلاف الإمام علیه السلام فی المدینة أو مکّة! فما بالک واحتمال سجنهنّ وارد بقوّة؟

والمتأمل فی تفاصیل ماجری علی بقیّة الرکب الحسینی بعد استشهاد الإمام علیه السلام حتی عودتهم الی المدینة المنوّرة یشاهد بوضوح الأثر العظیم المترتب علی العمل الإعلامی والتبلیغی الکبیر الذی قام بأعبائه أعلام بقیة الرکب الحسینی،

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۰۸

ويؤمن أنّ الثورة الحسينية لم تكن لتصل إلى تمام غاياتها لولم تكن تلك الودائع النبوية فى الركب الحسينى. «۱»

---

(۱) يقول المرحوم المحقّق الكبير السيّد المقرّم: «ان الكلمة الناضجة فى وجه حمل الحسين عياله الى العراق مع علمه بما يقدم عليه ومن معه على القتل هو أنه عليه السلام لمّا علم بأن قتلته سوف تذهب ضياعاً لو لم يتعقبها لسان ذرب وجنان ثابت يعرِّفان الامة ضلال ابن ميسون وطغيان ابن مرجانة باعتدائهما على الذرية الطاهرة الثائرة فى وجه المنكر ودحض ما ابتدعوه فى الشريعة المقدسة.

كما عرف «أبىّ الضيم» خوف رجال الدين من التظاهر بالانكار وخضوع الكلّ للسلطة الغاشمة ورسوف الكثير منهم بقيود الجور بحيث لايمكن لأكبر رجل الاعلان بفظاعة اعمالهما، وما جرى على ابن عفيف الازدى يؤكد هذه الدعوى المدعومة بالوجدان الصحيح.

وعرف سيد الشهداء من حرائر الرسالة الصبر على المكاره وملاقاة الخطوب والدواهى بقلوب أرسى من الجبال، فلا يفوتهن تعريف الملأ المغمور بالترهات والاضاليل نتائج اعمال هؤلاء المضلين وما يقصدونه من هدم الدين، وان الشهداء ارادوا بنهضتهم مع امامهم قتيل الحنيفية إحياء شريعة جده صلى الله عليه و آله.

والعقائل من آل الرسول وان استعرت اكبادهن بنار المصاب وتفاقم الخطب عليهن وأشجاهن الاسى لكنهن على جانب عظيم من الأخذ بالثأر والدفاع عن قدس الدين.

وفيهن «العقيلة» ابنة أمير المؤمنين عليها السلام التى لم يرعها الاسر وذل المنفى وفقد الأعزاء وشماتة العدو وعويل الأيامى وصراخ الاطفال وأنين المريض، فكانت تلقى خواطرها بين تلك المحتشدات الرهيبة أو فقل بين المخلب والناب غير متلعثمة، وتقذفها كالصواعق على مجتمع خصومها فوقفت أمام ابن مرجانة ذلك الالدّ، وهى امرأة عزلاء ليس معها من حماتها حمى ولا من رجالها ولى، غير الامام الذى أنهكته العلّة ونسوة مكتنفة بها، بين شاكية وباكية، وطفل كظّه العطش، إلى اخرى أقلقها الوجل، وأمامها رأس علّة الكائنات ورؤوس صحبه وذويه، وقد تركت تلك الأشلاء المقطّعة فى البيداء تصهرها الشمس، والواحدة من هذه تهد القوى وتبلبل الفكر.

لكن «ابنة حيدرة» كانت على جانب عظيم من الثبات والطمأنينة، فأفرغت عن لسان أبيها بكلام أنفذ من السهم، وألقمت ابن مرجانة حجراً إذ قالت له: «هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة».

وأوضحت للملأ المتغافل خبثه ولؤمه وأنه لن يرحض عنه عارها وشنارها، كما انها أدهشت العقول وحيّرت الفكر فى خطبتها بكناسة الكوفة والناس يومئذ حيارى يبكون لايدورن ما يصنعون «وأنّى يرحض عنهم العار بقتلهم سليل النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة، وقد خاب السعى وتبّت الايدى، وخسرت الصفقة، وباءوا بغضب من الله وخزى فى الآخرة، ولعذاب الله أكبر لو كانوا يعلمون»

وبعد أن فرغت من خطابها اندفعت فاطمة ابنة الحسين بالقول الجزل مع ثبات جأش وهدوء بال، فكان خطابها كوخز السنان فى القلوب، ولم يتمالك الناس دون أن ارتفعت اصواتهم بالبكاء، وعرفوا عظيم الجناية والشقاء فقالوا لها: حسبك يا ابنة الطاهرين فقد احرقت قلوبنا وانضجعت نحورنا!

وما سكتت حتى ابتدرت أم كلثوم زينب بنت على بن أبى طالب عليه السلام فعرّفت الحاضرين عظيم ما اقترفوه، فولول الجمع وكثر الصراخ ولم يُرَد إذ ذاك أكثر باك وباكية.

فهل يا ترى يمكنك الجزم بأن أحداً يستطيع فى ذلك الموقف الرهيب الذى تحفّه سيوف الجور أن يتكلم بكلمة واحدة مهما بلغ من المنعة فى عشيرته؟ وهل يقدر احد أن يعلن بموبقات ابن هند وابن مرجانة غير بنات أمير المؤمنين عليه السلام؟ ... كلا.

إن على الألسن أوكية، والايدى مغلولة، والقلوب مشفقة!

على أنّ هـذا إنمـا يقبـح ويسـتهجن اذا لم يترتب عليه إلاـ فوائـد دنيويـة مثارها رغبات النفس الامارة، وأمّا إذا ترتّبت عليه فوائـد دينية أهمها تنزيه دين الرسول عما ألصقوه بساحته من الباطل فلا قبح فيه عقلًا ولا يستهجنه العرف، ويساعد عليه الشرع.

والمرأة وإن وضع الله عنها الجهاد ومكافحة الاعداء، وأمرها سبحانه وتعالى أن تقرّ فى بيتها، فذاك فيما إذا قام بتلك المكافحة غيرها من الرجال، وأمّا إذا توقف إقامة الحق عليها فقط بحيث لولا قيامها لدرست أسـس الشريعة وذهبت تضحية اولئك الصفوة دونه أدراج التمويهات كان الواجب عليها القيام به. ولـذلك نهضت سـيدة نساء العالمين «الزهراء» عليها السـلام للدفاع عن خلافة الله الكبرى حين أخـذ العهـد على سـيد الأوصـياء بـالقعود، فخطبـت فى مسـجد النـبى صـلى الله عليه و آله الخطبـة البليغـة فى محتشـد من المهـاجرين والانصار.

على أنّ الحسـين عليه السلام كان على علم بأخبار جدّه الامين بأن القوم وان بلغوا الغاية وتناهوا فى الخروج عن سبيل الحمية لايمدّون الى النساء يد السوء، كما أنبأ عنه سـلام الله عليه بقوله لهنّ ساعة الوداع الاخيرة: «إلبسوا أزركم واستعدّوا للبلاء واعلموا أنّ الله حاميكم وحافظكم وسـينجيكم من شـر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم الى خير، ويعذّب أعاديكم بأنواع العذاب ويعوّضـكم عن هذه البليّة بأنواع النعم والكرامة! فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم»، (مقتل الحسين عليه السلام: ۱۱۵- ۱۱۸).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۱۰

أمّـا قوله عليه السـلام: «وهنّ أيضاً لايفارقننى!» الحاكى عن إصـرارهنّ على السـفر معه وملازمته فى رحلـة الفتـح بالشـهادة، فيمكن أن يُفسّـر بـأنّ الودائع النبويـة (خصوصاً بنات أمير المومنين عليه السـلام وعلى رأسـهن زينب الكبرى عليها السـلام) كنّ قـد أصـررن على ملازمـة الإمام عليه السـلام فى نهضـته لأنهنّ- إضافـة الى البُعد العاطفى والتعلّق الروحى بالإمام عليه السـلام- كنّ يعلمن بأهمية الدور الإعلامى والتبليغى الـذى بإمكانهن القيام به فى مسار النهضـة خصوصاً بعـد استشـهاد الإمام عليه السـلام، إذ من المحتمل جدّاً أنّ «۱» الإمـام عليـه السـلام كـان قـد أطلعهـنّ على تفاصـيل مـا يجرى عليه وعلى من معه، وكشـف لهنّ عن أهميّـة الـدور الـذى يمكنهنّ أن يضـطلعن بأعبائه من بعـده، وإن كان من الثابت عنـدنا أنّ العقيلة زينب عليها السـلام كانت تعلم كلّ ذلك بالعلم اللدنّى موهبة من الله تبارك وتعالى، فقد وصفها الإمام السجّاد عليه السلام ذات مرّة بأنها: «عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهّمة!»، «۲» ولقد كشفت هى عليها السلام عن علمها حتى بما يجرى

---

(۱) بل كان الإمام أميرالمؤمنين علىّ عليه السـلام قـد أطلع زينب عليها السـلام على جميع ما يجرى عليها (راجع: كتاب زينب الكبرى: ۳۶).

(۲) الإحتجاج، ۲: ۳۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۱۱

على جثمان أخيها عليه السـلام الى قيام الساعـة حينما رأت الإمام السـجّاد عليه السـلام يجود بنفسه حزناً وهو ينظر الى مصارع شـهداء الطفّ، فقالت: «مالى أراك تجود بنفسك يا بقيّـة جـدّى وأبى وإخوتى؟ فوالله إنّ هذا لعهدٌ من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس لاتعرفهم فراعنـة هذه الارض، وهم معروفون فى أهل السـموات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة والجسوم المضـرّجة، فيوارونها وينصـبون بهذا الطفّ عَلَماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لايُدرس أثره ولايمحى رسمه على كرور الليالى والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلال فى محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلّا علوّاً!». «۱»

رضى الله عنه رضى الله عنه

---

(۱) كامل الزيارات: ۲۵۹، باب ۸۸ فضل كربلاء وزيارة الحسين عليه السلام.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۱۳

الفصل الثانى حركة السلطة الأموية فى الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية

اشارة

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۱۵

الفصل الثانى: حركة السلطة الأمويةفى الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية

وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى مكّة المكرّمة بعد أن استطاع عليه السلام النفاذ من حصار خطة (البيعة أو القتل) فى المدينة المنورة، تلك الخطّة التى أرادها يزيد، وتمنّاها وسعى إلى تنفيذها مروان بن الحكم، لكنّ الوليد بن عتبة والى المدينة آنذاك تردّد فى تنفيذها وتمنى النجاة من تبعاتها.

وبذلك كان الإمام الحسين عليه السلام بدخوله مكّة المكرّمة قد اخترق المرحلة الأولى من الحصار العام الذى بادرت السلطة الأموية إلى فرضه عليه.

ولقد انتاب السلطة الأموية خوف شديد، واعتراها اضطراب لا تماسك معه، وقلق لا استقرار فيه، حينما علمت بدخول الإمام عليه السلام مكّة المكرّمة فى الأيّام التى تتقاطر إليها جموع المعتمرين والحجّاج من جميع أقطار العالم الإسلامى آنذاك.

فهرعت هذه السلطة على جميع مستوياتها إلى اتخاذ التدابير اللازمة لمواصلة فرض الحصار على حركة الإمام عليه السلام من جديد، ولمنع انفلات الأمور فى الولايات المهمّة عامة وفى الكوفة منها خاصة.

فما إن رُفعت الى يزيد تقارير جواسيسه فى الكوفة عن ضعف موقف واليها النعمان بن بشير فى مواجهة التحوّلات الناشئة عن تواجد مسلم بن عقيل عليه السلام فيها، حتى اجتمع يزيد مع مستشار القصر الأموىّ سرجون النصرانى ليتلقى منه

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۱۶

تعليماته فى كيفية معالجة مستجدّات الأمور قبل انفلاتها وفقدان السيطرة عليها.

وينتهى الإجتماع باتخاذ قرارات خطيرة شملت عزل بعض الولاة ونشر سلطة بعض آخر، وتوجيه رسائل إلى بعض وجهاء الأمة تدعوهم إلى التدخل وممارسة الضغط على الإمام عليه السلام وبذل قصارى سعيهم لإخراج السلطة الأمويّة من مأزقها الكبير، ورسائل أخرى أيضاً تضمّنت تهديداً وإنذاراً لأهل المدينة عامة وبنى هاشم خاصة، تحذّرهم من مغبّة الإلتحاق بالإمام عليه السلام والإنضمام الى حركته.

ومن قرارات هذا الإجتماع أيضاً أن خطّطت حركة النفاق الحاكمة أن تغتال الإمام عليه السلام فى مكّة، وقد بعثت جمعاً من جلاوزتها بالفعل الى مكّة لتنفيذ هذه المهمّة، إذا لم تُوفّق هذه الزمرة الغادرة بمساعدة السلطة المحلّية فى مكّة فى محاولة لإلقاء القبض على الإمام عليه السلام وإرساله الى دمشق، هذا على صعيد قرارات السلطة المركزية فى الشام.

ولم يقلّ حال السلطات المحلّية فى المدينة ومكّة والكوفة والبصرة فى خوفها وقلقها واضطرابها عن حال السلطة المركزية فى الشام، ففى مكّة يجتهد واليها فى متابعة الصغيرة والكبيرة من حركات الإمام عليه السلام، ويطلب منه البقاء فى مكة ويبذل له الأمان والصلة ويتعهّد له بذلك، ثمّ حيث يُصرّ الإمام عليه السلام على الخروج نرى هذا الوالى يبعث بقوة عسكرية لمنع الإمام عليه السلام من ذلك، ثمّ يكفّ عن منع الإمام عليه السلام خشية من تفاقم الأمر وانقلابه عليهم.

وفى البصرة نرى ابن مرجانة يبادر الى تهديد أهلها ويحذّرهم من مغبّة التمرّد والإستجابة لنداء الإمام عليه السلام والإنضمام إلى حركته، كما يبادر ابن مرجانة قبيل تركه البصرة الى قتل سليمان بن رزين قدس سره رسول الإمام عليه السلام إلى أشراف البصرة

ورؤساء الأخماس فيها، ثم يبادر مسرعاً لايثنيه شيء فى سفره الى الكوفة ليستبق الزمن والأحداث فى الوصول إليها، وليدير دفّة الأمور هناك فى أصعب

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۱۷

أيّامه والكوفة تكاد تسقط حينها فى يد سفير الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل رضوان اللَّه تعالى عليه.

نشر ابن مرجانة فى الكوفة جوّاً رهيباً من الرعب والخوف وحبس الأنفاس من خلال أعمال منوّعة بادر إليها، منها خطب وبيانات التهديد والوعيد بالتعذيب والتنكيل، ومنها حملة واسعة من ممارسات القمع والاعتقالات، ومنها محاولات اختراق صفوف الثوّار بواسطة جواسيس ذوى خبرة وفنّ من اجل الوصول الى مكان ومخبأ قيادة الثورة فى الكوفة، ومنها سلسلة من الإعدامات كان من أبرز ضحاياها نخبة من سفراء النهضة الحسينية، مثل مسلم بن عقيل عليه السلام، وقيس بن مسهر الصيداوى (رض)، وعبداللَّه بن يقطر (رض)، ومن أبرز ضحاياها أيضاً الوجيه الكوفى الصحابى الشيعى المبرز هانى بن عروة المرادى (رض).

هذا استعراض مجمل لأهم معالم تحرّك السلطة الأموية فى مواجهة حركة الأحداث الناشئة عن قيام الإمام الحسين عليه السلام فى الأيام المكيّة من عمر نهضته المباركة.

وفى المتابعة التأريخية لتفاصيل حركة السلطة الأموية فى مواجهة قيام الإمام الحسين عليه السلام يحسن بنا على ضوء التسلسل التأريخى أن نقرأ حركة الأحداث فى إطار الترتيب التالى:

۱- حركة السلطة الأموية المحلّية فى الكوفة.

۲- حركة السلطة الأموية المركزية فى الشام.

۳- حركة السلطة الأموية المحلّية فى البصرة.

۴- حركة السلطة الأمويّة المحلّية الجديدة فى الكوفة.

۵- حركة السلطة الأمويّة المحلّية فى مكّة. مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۱۸

حركة السلطة الأمويّة المحلّية فى الكوفة

اشارة

كان والى الكوفة حينما دخلها مسلم بن عقيل عليه السلام هو النعمان بن بشير، «۱» فلمّا رأى النعمان استقبال أهل الكوفة الكبير لمسلم عليه السلام وحفاوتهم البالغة به وتجاوبهم الرهيب معه، خرج إلى المسجد وخطب فى الناس يحذّرهم من إثارة الفتنة والفرقة وشقّ عصا الأمّة.

يقول الطبرى: «.. عن أبى الودّاك قال: خرج إلينا النعمان بن بشير فصعد المنبر، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعدُ، فاتّقوا اللَّه عبادَ اللَّه، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنّ فيهما يهلك الرجال وتُسفك الدماء وتغصب الأموال- وكان حليماً ناسكاً يحبّ العافية!- قال: إنى لم أقاتل من لم يقاتلنى، ولا أثب على من لايثب علىَّ، ولا أُشاتمكم، ولا أتحرّش بكم، ولا آخذ بالقرف «۲» ولا الظنّة ولا التهمة، ولكنّكم إنْ أبديتم صفحتكم لى ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فواللَّه الذى لا إله غيره لأضربنّكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى ولو لم يكن لى منكم

---

(۱) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى، ولد فى العام الثانى من الهجرة- أو عام‌الهجرة- وعُدَّ من الصحابة الصبيان، وكان من أمراء معاوية، فولاه الكوفة مدّة، ثمّ ولى قضاء دمشق، ثمّ ولى إمرة حمص، وقيل إنه لما دعا أهل حمص إلى بيعة ابن الزبير

ذبحوه. وقيل: قُتل بقرية بيرين- من قرى حمص- قتله خالد بن خَلى بعد وقعة مرج راهط فى آخر سنة أربع وستين. (راجع: سير أعلام النبلاء، ۳: ۴۱۲). وهو الذى أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التى قطعت وقميص عثمان الذى قُتل فيه وهرب الى معاوية بالشام، ولم يكن مع معاوية فى صفين من الأنصار إلا هو ومسلمة بن مخلّد الأنصارى. (راجع: وقعة صفّين: ۴۴۵ و ۴۴۸؛ ومستدركات علم الرجال، ۸: ۷۹).

(۲) قرف فلان فلاناً: إذا عابه واتهمه. (مجمع البحرين، ۵: ۱۰۸).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۱۹

ناصر، أما إنى أرجو أن يكون من يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يُرديه الباطل.

قال: فقام إليه عبداللَّه بن مسلم بن سعيد الحضرمى «۱»- حليف بنى أميّة- فقال:

إنّه لا يُصلح ما ترى إلا الغشم، إنّ هذا الذى أنت عليه فيما بينك وبين عدوّك رأى المستضعفين!!

فقال: أن أكون من المستضعفين فى طاعة اللَّه أحبّ إلىَّ من أن أكون من الأعزّين فى معصية اللَّه.

ثمّ نزل، ..

وخرج عبداللَّه بن مسلم، وكتب إلى يزيد بن معاوية:

أمّا بعدُ، فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن علىّ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلًا قوياً، ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك فى عدوّك، فإنّ النعمان بن بشير رجلٌ ضعيف أو هو يتضعّف!

فكان أوّل من كتب إليه، ثمّ كتب إليه عمارة بن عقبة «۲» بنحو من كتابه، ثمّ كتب

---

(۱) عبداللَّه بن مسلم بن سعيد الحضرمى: كان أحد الذين شهدوا للإيقاع بالشهيد البطل حجر بن‌عدى (رض). (راجع: وقعة الطف: ۱۰۱؛ وتاريخ الطبرى ۵: ۲۶۹).

(۲) هو أخو الوليد بن عقبة بن أبى معيط، خرج هو وأخوه الوليد من مكّة إلى المدينة يسألان‌رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن يردّ عليهما أختهما أمّ كلثوم المهاجرة بعد الحديبية، فأبى صلى الله عليه و آله. وكان منزل عمارة مع أخيه الوليد برحبة الكوفة، وكانت ابنته أمُ أيّوب تحت المغيرة بن شعبة، فلمّا مات تزوّجها زياد بن أبيه، وعمارة هو الذى سعى عند زياد على عمرو بن الحمق (رض)، وكان حاضراً فى القصر يوم مقتل مسلم، وهو الذى سعى على المختار عند ابن زياد يوم خروج مسلم. (راجع: وقعة الطفّ: ۱۰۲).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۲۰

إليه عمر بن سعد بن أبى وقّاص «۱» بمثل ذلك». «۲»

---

(۱) عمر بن سعد بن أبى وقّاص الزهرى، المدنىّ، ولد سنة ۲۳ للهجرة يوم مات عمر بن الخطّاب، فيكون عمره يوم كربلاء سنة ۶۱ للهجرة ۳۸ سنة. وهو الذى أطمع أباه فى حضور التحكيم، وقال له: يا‌أبت، اشهدهم فإنك صاحب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأحد الشورى، فاحضر فإنّك أحقّ الناس بالخلافة!!، وهو ممن شهد على حُجر بن عدى، وقد أفشى لابن زياد وصيّة مسلم بن عقيل عليه السلام التى أسرَّ إليه بها قبل قتله، فوبّخه ابن زياد قائلًا: لايخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن. وقد أراد ابن الأشعث أن يؤمّره على الكوفة بعد قتل ابن زياد، فجاء رجال بنى همدان متقلّدين السيوف، وجاءت نساؤهم يبكين حسيناً عليه السلام، وقد بعث إليه المختار أبا عمرة فقتله وجاءه برأسه، ثم قتل ابنه حفص بن عمر، وقال المختار: واللَّه، لو قتلت ثلاثة أرباع قريش ماوفوا بأنملة من أنامل الحسين عليه السلام. وبعث برأسيهما إلى المدينة الى محمد بن الحنفية. (راجع: وقعة الطف: ۱۰۲) و (تاريخ الطبرى، ۳: ۴۶۵).

«وروى عبداللَّه بن شريك العامرى قال: كنت أسمع أصحاب علىّ عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا

قاتل الحسين بن على عليهما السلام. وذلك قبل أن يُقتل بزمان. وروى سالم بن أبى حفصة قال: قال عمر بن سعد للحسين: ياأبا عبداللَّه، إنّ قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أنّى أقتلك. فقال له الحسين عليه السلام: إنهم ليسوا بسفهاء، ولكنّهم حلماء، أما إنّه تقرّ عينى أن لا تأكل من برّ العراق بعدى إلّا قليلًا.» (الإرشاد: ۲۵۱؛ وتهذيب الكمال، ۱۴: ۷۴).

و «عن الأعمش قال: سمعت أبا صالح التمّار يقول: سمعت حذيفة يقول: سمعت الحسين بن على يقول: واللَّه ليجتمعن على قتلى طغاة بنى أميّة ويقدمهم عمر بن سعد.- وذلك فى حياة النبى صلى الله عليه و آله- فقلت له: أنبأك بهذا رسول اللَّه؟ قال: لا. فأتيت النبىّ فأخبرته، فقال: علمى علمه، وعلمه علمى، وإنّا لنعلم بالكائن قبل كينونته.». (دلائل الإمامة: ۷۵).

«وعن أصبغ بن نباتة قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلونى قبل أن تفقدونى، فواللَّه لا تسألوننى عن شىء مضى ولا- عن شىء يكون إلا- أنبأتكم به. فقام إليه سعد بن أبى وقّاص فقال: ياأمير المؤمنين، أخبرنى كم فى رأسى ولحيتى من شعرة!؟ فقال له: أما واللَّه لقد سألتنى عن مسألة حدّثنى خليلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنك ستسألنى عنها، ومافى رأسك ولحيتك من شعرة ل (۲) تأريخ الطبرى، ۳: ۴۶۵؛ وراجع: الإرشاد: ۲۰۵.

إلّا وفى أصلها شيطان جالس، وإنّ فى بيتك لسخلًا يقتل الحسين إبنى ..». (البحار، ۴۴: ۲۵۶ رقم ۵ عن أمالى الصدوق: ۱۱۵ المجلس ۲۸، حديث رقم ۱).

و «روى عن محمد بن سيرين، عن بعض أصحابه قال: قال علىّ لعمر بن سعد: كيف أنت إذا قُمت مقاماً تُخيَّر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار.». (تهذيب الكمال، ۱۴: ۷۴).

وكان عمر بن سعد قد تعوّد من قبل على الظلم والقسوة والغشم، و «عن أبى المنذر الكوفى: كان عمر بن سعد بن أبى وقّاص قد اتخذ جعبة، وجعل فيها سياطاً نحواً من خمسين سوطاً، فكتب على السوط عشرة، وعشرين، وثلاثين، إلى خمسمائة على هذا العمل، وكان لسعد بن أبى وقّاص غلام ربيب مثل ولده، فأمره عمر بشىء فعصاه، فضرب بيده إلى الجعبة فوقع بيده سوط مائة فجلده مائة جلدة، فأقبل الغلام إلى سعد دمه يسيل على عقبيه، فقال: مالك!؟ فأخبره، فقال: اللّهم اقتل عمر، وأرسل دمه على عقبيه. قال فمات الغلام وقتل المختار عمر بن سعد». (تهذيب الكمال ۱۴: ۷۴).

و «عن الفلاس قال: سمعت يحيى بن سعيد القطّان، وحدثنا عن شعبة وسفيان، عن أبى إسحاق، عن العيزار بن حُريث، عن عمر بن سعد. فقام إليه رجل (أى إلى القطّان) فقال: أما تخاف اللَّه تروى عن عمر بن سعد!؟ فبكى وقال: لا أعود أحدّث عنه أبداً!. (تهذيب الكمال، ۱۴: ۷۴).

ومما يؤسف له أنّ بعض الرجاليين السنّيين من أهل التعصب الأعمى يترجم لعمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام كما يترجم لمؤمن تقىّ من أهل الجنّة!! هذا الذهبى يقول: «ابن سعد أمير السريّة الذين قاتلوا الحسين، ثم قتله المختار، وكان ذا شجاعة وإقدام، روى له النسائى، قُتل هو وولداه صبراً!» (سير أعلام النبلاء، ۴: ۳۵۰)، ويقول ابن عبدون العجلى: «كان عمر بن سعد يروى عن أبيه أحاديث، وروى عنه الناس، قَتَل الحسين، وهو تابعى ثقة!!». (تهذيب الكمال، ۱۴: ۷۳ رقم ۴۸۲۸)، انظر الى هذا الأحمق الأعمى قلبه كيف يوثّق قاتل سيد شباب أهل الجنّة!!؟

«قال أحمد بن زهير: سألت ابن معين: أعمرُ بن سعد ثقة؟ فقال: كيف يكون من قتل الحسين ثقة!؟» (ميزان الإعتدال، ۳: ۱۹۸)؛ و (القاموس، ۸: ۲۰۰).

(۲) تأريخ الطبرى، ۳: ۴۶۵ و راجع: الارشاد: ۲۰۵

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۲۱

وفى رواية الدينورى أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام لمّا وافى الكوفة، نزل فى دار المختار، فكانت الشيعة تختلف إليه وهو يقرأ عليهم كتاب الإمام الحسين عليه السلام، «ففشا أمره بالكوفة حتى بلغ ذلك النعمان بن بشير أميرها، فقال: «لا أقاتل إلا من

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۲۲

قاتلنى، ولا أثب إلّا على من وثب علىَّ، ولا آخذ بالقرفة والظنّة، فمن أبدى صفحته ونكث بيعته ضربته بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى، ولو لم أكن إلّا وحدى». وكان يحب العافية ويغتنم السلامة.

فكتب مسلم بن سعيد الحضرمى وعُمارة بن عقبة- وكانا عينى يزيد بن معاوية- إلى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعياً للحسين بن علىّ، وأنه قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإنْ يكن لك فى سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك، ويعمل مثل عملك فى عدوّك، فإن النعمان رجل ضعيف أو متضاعف، والسلام». «۱»

أمّا البلاذرى فقد قال فى روايته: «فكتب وجوه أهل الكوفة: عمر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى، ومحمّد بن الأشعث الكندى، «۲» وغيرهما إلى يزيد بخبر مسلم

---

(۱) الأخبار الطوال: ۲۳۱.

(۲) محمّد بن الأشعث الكندى: وهو ابن الأشعث بن قيس الذى أُسِرَ فى الكفر مرّة وفى الإسلام (منافقاً) مرّة أخرى، وقد اعترض الأشعث على بعض كلام أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام، فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال: «مايُدريك ما علىَّ مما لى!؟ عليك لعنة اللَّه ولعنة اللاعنين، حائك ابن حائك! منافق ابن كافر! واللَّه لقد أسرك الكفر مرّة والإسلام مرّة أخرى! فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك! وإنّ امرأً دلَّ على قومه السيف، وساق إليهم الحتف، لحريٌّ أن يمقته الأقرب، ولا يأمنه الأبعد!» (نهج البلاغة، ضبط صبحى الصالح: ۶۱- ۶۲ رقم ۱۹)، وقد اشترك هذا الأشعث اللعين فى المؤامرة المتعدّدة الأطراف لقتل أمير المؤمنين علىّ عليه السلام.

فمحمّد بن الأشعث هذا، أخو جعدة بنت الأشعث التى سمّت الإمام الحسن عليه السلام، ومحمد هذا وأخوه قيس ممّن ساهم مساهمة قياديّة فعالة فى قتل الإمام الحسين عليه السلام، ولمحمّد هذا دور قيادى بارز فى قتال مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة.

وروى عن أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام أنه قال: «إنّ اللَّه لعن أقواماً فسرت اللعنة فى أعقابهم، منهم الأشعث ...» (تنقيح المقال، ۲: ۸۳).

وكان محمّد بن الأشعث ضعيف النفس يتملّق للسلطان حتى مع مخالفة الأدب فيعرّض نفسه للإهانة ولا يبالى فقد: «وقف الأحنف بن قيس، ومحمد بن الأشعث بباب معاوية، فأذن للأحنف، ثم أذن لابن الأشعث، فأسرع فى مشيته حتى تقدّم الأحنف ودخل قبله، فلمّا رآه معاوية غمّه ذلك وأحنقه، فالتفت إليه فقال: واللَّه إنى ما أذنت له قبلك! وأنا أريد أن تدخل قبله، وإنّا كما نلى أموركم كذلك نلى آدابكم، ولا يزيد متزيّد فى خطوه إلّا لنقص يجده من نفسه!» (العقد الفريد، ۱: ۶۸).

وقال عبيداللَّه بن زياد فى مدحه محمّد بن الأشعث: «مرحباً بمن لايُستَغشُّ ولا يُتَّهم!». (البحار، ۴۴: ۳۵۲).

كيف لا، فقد كان ابن الأشعث من سواعد ابن زياد فى جلّ جرائمه، فى مواجهة مسلم عليه السلام، وفى مواجهة الحسين عليه السلام، وفى مواجهة عبداللَّه بن عفيف (رض) وجموع الأزد الذين دافعوا عنه، وفى المكر بهانى بن عروة واستقدامه الى ابن زياد، وفى رفع راية أمان ابن زياد الكاذبة لمن جاءه من الناس فى الكوفة بعد انتفاضة مسلم عليه السلام، ومن قبلُ فى البحث عن حجر بن عدى (أيّام معاوية) لإلقاء القبض عليه!، وغير ذلك من مواطن ومواقف السوء والخزى!

وقيل فى موت عدوّ اللَّه هذا- وقد كان على رأس ألف فارس فى جيش ابن سعد فى كربلاء- إنّه خاطب الإمام عليه السلام يوم عاشوراء قائلًا: «ياحسين بن فاطمة، أية حرمة لك من رسول اللَّه ليست لغيرك!؟ فتلا الحسين هذه الآية: (إنَّ اللَّه اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل‌عمران على العالمين) الآية، ثم قال: واللَّه إنّ محمداً لمن آل إبراهيم، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمد، من الرجل؟ فقيل: محمد بن الأشعث بن قيس الكندى، فرفع الحسين عليه السلام رأسه الى السماء فقال: اللّهم أر محمّد بن الأشعث ذلًا فى هذا

اليوم لا تُعزّه بعد هذا اليوم أبداً. فعرض له عارض، فخرج من العسكر يتبرّز، فسلّط اللّه عليه عقرباً فلدغته، فمات بادى العورة. (البحار، ۴۴: ۳۱۷).

وقيل إنه جاء «فقال: أين الحسين؟ فقال: ها أنا ذا. قال: أبشر بالنار تردها الساعة. قال: بل أُبشّر برب رحيم وشفيع مطاع، من أنت؟ قال: أنا محمّد بن الأشعث. قال: اللّهمّ إن كان عبدك كاذباً فخذه الى النار، واجعله اليوم آية لأصحابه!. فما هو إلا أن ثنى عنان فرسه فرمى به، وثبتت رجله فى الركاب فضربه حتّى قطعه ووقعت مذاكيره فى الأرض ..» (البحار، ۴۵: ۳۱).

لكنّ جلّ المؤرّخين يذكرون أنّ محمّد بن الأشعث بقى الى ما بعد ثورة المختار فهرب منه وانضمّ الى مصعب بن الزبير، وقتل محمد بن الأشعث فى المواجهة بين جيش مصعب وجيش المختار. (راجع: الكامل فى التاريخ، ۳: ۱۳؛ وتأريخ الطبرى، ۳: ۴۹۶؛ والأخبار الطوال: ۳۰۶؛ والمعارف: ۴۰۱).

ويبدو أنّ صاحب قاموس الرجال (التسترى) يميل إلى أنّ محمد بن الأشعث لم يشترك فى معركة كربلاء فى مواجهة الإمام الحسين عليه السلام، حيث يقول: «ورد فى خبر أنّ محمّد بن الأشعث شرك فى دم الحسين عليه السلام، إلّا أنّ الخبر أعمُّ من شهوده حربه!. وذكر أهل السير أنّ أخاه قيس بن الأشعث شهد حربه، وأمّا محمد فإنّما أعطى مسلماً الأمان، ولم يجزه ابن زياد فسلّم (أى رضى وقبل) وأنّ أخاه قيس بن الأشعث قال يوم الطفّ للحسين عليه السلام: أوَلا تنزل على حكم بنى عمّك، فإنّهم لن يروك إلّا ماتحبّ ولن يصل إليك منهم مكروه. فقال له الحسين عليه السلام: أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنوهاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ..» (قاموس الرجال، ۹: ۱۲۳).

ومع أنّ استفادات صاحب القاموس (ره) فى هذه المسألة لا تنهض إلى مستوى الدليل على ما يميل إليه، فإنّ مايميل إليه خلاف ظاهر النصوص بل خلاف صريحها.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۲۴

وتقديم الحسين إيّاه إلى الكوفة أمامه، وبما ظهر من ضعف النعمان بن بشير وعجزه ووهن أمره». «۱»

تأمّلٌ وملاحظات

۱) – سكون ما قبل العاصفة فى الكوفة

أحدث دخول مسلم بن عقيل عليه السلام مدينة الكوفة داعياً للإمام الحسين عليه السلام

---

(۱) أنساب الأشراف، ۲: ۸۳۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۲۵

تحوّلًا كبيراً فى ظاهر الحياة السياسية فى تلك المدينة بعد أن «انثالت الشيعة على مسلم تبايعه للإمام الحسين عليه السلام، وكانت صيغة البيعة الدعوة الى كتاب اللّه وسنّة رسوله، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين، وقسمة الغنائم بين المسلمين بالسوية، وردّ المظالم إلى أهلها، ونصرة أهل البيت عليهم السلام، والمسالمة لمن سالموا، والمحاربة لمن حاربوا ..»، «۱» حتى كان عدد من بايعه من أهلها على أقل التقادير ثمانية عشر ألفاً، وعلى أعلاها أربعين ألفاً.

وكأنّ الكوفة- على أساس هذا التحوّل الظاهرى- كانت قد سقطت سياسياً وعسكرياً أو تكاد فى يد سفير الإمام الحسين عليه السلام، ولم يبق دون أن يتحقّق ذلك فعلًا إلّا أن يأمر مسلم بن عقيل عليه السلام بهبوب عاصفة الثورة والتغيير، لكنّ التزام مسلم عليه السلام بحدود صلاحياته التى رسمها الإمام عليه السلام حال دون هبوب العاصفة التى تنتزع الكوفة فعلًا من يد الحكم الأموى، فظلّت الكوفة

تعيش أيّامها تلك فى سكون يُنذر باحتمال هبوب العاصفة فى أية لحظة إذا ما أخلّ بذلك السكون سبب غير محتسب.

۲)- «الغشم» وسيلة خروج الأمويين من مأزقهم الكبير!

فزع الأمويّون وعملاؤهم وجواسيسهم من تجاوب الرأى العام فى الكوفة مع مسلم بن عقيل عليه السلام، ورأوا أنّ زمام الأمور سيكون بيد الثوّار تماماً إن لم تبادر السلطة الأموية المحلّية فى الكوفة إلى اتخاذ التدابير اللازمة الكفيلة بإعادة الوضع الكوفى إلى سابق عهده أو منع تدهوره إلى حدّ سقوط الكوفة فعلًا بيد الثوّار.

ولعلم الأمويين «بالحالة النفسية الكوفية» العامة آنذاك ولخبرتهم الطويلة فى التعامل معها، كان رأيهم أنه لا وسيلة لهم للخروج من هذا المأزق الكبير إلّا

---

(۱) حياة الإمام الحسين بن على عليهما السلام، ۲: ۳۴۵- ۳۴۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۲۶

«الغشم» وهو الظلم والغصب، وأنه لابدّ للكوفة من حاكم أموىّ «غشوم» وهو الظالم المبادر بالظلم، الآخذ بالقهر كلَّ ما قدر عليه.

وقد أرادوا من النعمان بن بشير ذى التأريخ الأسود فى معاداة أهل البيت عليهم السلام أن يكون هو هذا الحاكم الغشوم المنشود، وطلبوا إليه- بعد أن أنكروا عليه تراخيه فى مواجهة مستجدّات الأحداث- «۱» أن يبادر إلى تهديد الكوفيين وإرهابهم وقمعهم.

لكنّ الأمويين وعملاءهم فى الكوفة أحسّوا بالخيبة حينما خطب النعمان بأهل الكوفة خطبته التى كشف فيها عن ضعفه أو تضاعفه، وجرّأ الكوفيين على مواصلة التعبئة للثورة والتأهب لها، فبادروا- وهم على خوف من تسارع الأيام والأحداث- إلى رفع تقاريرهم الى السلطة المركزية فى الشام، والتى طلبوا فيها من يزيد أن يسارع إلى إقالة النعمان بن بشير وتعيين حاكم آخر غشوم يأخذ أهل الكوفة بالإحتيال والقوّة والقهر.

۳)- سرّ التراخى فى موقف النعمان بن بشير

للنعمان بن بشير بن سعد الخزرجى ولأبيه بشير تأريخ أسود طويل فى نصرة حركة النفاق بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فإنّ أباه بشير بن سعد الخزرجى لحسده سعد بن عبادة على موقعه المرموق فى الخزرج خاصة والأنصار عامة، ولبغضه لأهل البيت عليهم السلام، كان أوّل من بادر إلى مبايعة أبى‌بكر فى السقيفة، وظلّ موالياً لحزب السلطة ومعادياً لأهل بيت النبوّة عليهم السلام، وابنه النعمان «كان قد ولاه معاوية الكوفة بعد عبدالرحمن بن الحكم، «۲» وكان عثمانىّ الهوى، يجاهر ببغض علىّ عليه السلام

---

(۱) راجع: حياة الإمام الحسين بن على عليهما السلام، ۲: ۳۵۰.

(۲) هرب هو وأخوه (يحيى) يوم الجمل بعد أن شججوا بالجراحات، فأجارهم عصمة بن أبيرحولًا. (راجع: تاريخ الطبرى، ۳: ۵۶).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۲۷

ويسىء القول فيه، وقد حاربه يوم الجمل وصفين، وسعى بإخلاص لتوطيد الحكم لمعاوية، وهو الذى قاد بعض الحملات الإرهابية على بعض المناطق العراقية، ويقول المحقّقون: إنّه كان ناقماً على يزيد، ويتمنّى زوال الملك عنه شريطة أن لا تعود الخلافة إلى آل علىّ عليهم السلام ..». «۱»

ويُروى أنّ سبب نقمة النعمان على يزيد هو أنّ يزيد كان يبغض الأنصار بغضاً شديداً، ويُغرى الشعراء بهجائهم، الأمر الذى أثار حفيظة

النعمان بن بشير فطلب من معاوية قطع لسان الشاعر الأخطل النصرانى الذى هجاهم، وأجابه معاوية إلى ذلك، لكنّ يزيد أجار الأخطل عنـد أبيه، فعفا معاويـة عن الأخطل بـدعوى أنه «لا سبيل إلى ذمّـة أبى خالـد- يعنى يزيـد»، وكُتب بـذلك النعمان، فلم يزل ناقماً على يزيد. «۲»

ويروى التأريخ أنّ عمرة بنت النعمان بن بشير كانت زوجة المختار بن أبى عبيدة الثقفى الذى نزل عنده مسلم بن عقيل عليه السلام، ويرى بعض المتتبعين أنّ هـذه الصلة أيضاً كانت سبباً فى تراخى موقف النعمان من الثوار، إضافة إلى السبب الأهم وهو نقمته على يزيد. «۳»

ولعلّ بإمكاننا هنا أن نضيف سبباً آخر إلى أسباب تراخى موقف النعمان من الثوار، وهو أنّ النعمان وإن كان أنصارياً إلّا أنه كان أحد أفراد حركة النفاق، عُرف عنه أنه عثمانىّ الهوى، متفانٍ فى حبّ بنى أميّة، ومتبّنٍ لسياسة معاوية فى قيادة

---

(۱) حياة الإمام الحسين بن على عليهما السلام، ۲: ۳۴۹.

(۲) راجع: حياة الإمام الحسين بن على عليهما السلام، ۲: ۱۸۸- ۱۹۰.

(۳) راجع: نفس المصدر، ۲: ۳۴۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۲۸

حركـة النفاق تبنياً تاماً، وكان من معالم هـذه السياسة أنّ معاويـة كان يتحاشـى المواجهـة العلنية مع الإمام الحسـين عليه السـلام، وأنّ معاوية لو اضـطرّ إلى مواجهة علنية أى إلى قتالٍ ضدّ الإمام الحسين عليه السلام، وظفر بالإمام عليه السلام لعفا عنه، وليس ذلك حباً للإمـام عليه السـلام وإنّما لأنّ معاويـة- وهو من دهاة السياسة النكراء والشـيطنة- يعلم أنّ إراقـة دم الإمام عليه السـلام علناً وهو بتلك القدسـية البالغـة فى قلوب الأمّة كفيل بأن يفصل الأمويّة عن الإسـلام ويذهب بجهود حركة النفاق عامة والحزب الأموى خاصة أدراج الرياح، خصوصاً الجهود التى بذلها معاوية فى مزج الأموية بالإسلام فى عقل الأمّة وعاطفتها مزجاً لم يعد أكثر هذه الأمّة بعدها يعرف إلا (الإسـلام الأموى)، حتّى صار من غير الممكن بعـد ذلك الفصل بين الإسـلام والأموية إلا إذا أريق ذلك الدم المقدّس- دم الإمام عليه السلام- على مذبح القيام ضد الحكم الأموى. «۱»

ولقد صرّح معاوية بذلك حتى للإمام الحسين عليه السلام نفسه قائلًا: «.. ولكننى قد ظننتُ ياابن أخى أنّ فى رأسك نزوة، وبودّى أن يكون ذلك فى زمانى فأعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك، ولكننى واللَّه أتخوّف أن تُبلى بمن لاينظرك فواق ناقة». «۲»

وقال فى وصيته لابنه يزيـد بصدد الإمام الحسـين عليه السـلام: «.. ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإنْ خرج وظفرت به فاصـفح عنه فإنّ له رحماً ماسّة وحقاً عظيماً وقرابة من محمّد». «۳»

---

(۱) وقـد كشف النعمان عن معرفته بموقف معاويـة من قتل الإمام الحسـين عليه السـلام فى محاورته مع يزيـد (كما فى رواية الصـفحة التالية).

(۲) شرح نهج البلاغة، ۱۸: ۴۰۹.

(۳) الكامل فى التأريخ، ۲: ۵۲۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۲۹

وكان النعمان بن بشير مؤمناً بصحة نظر معاوية فى هذا الصدد، وقد أراد أن يذكّر يزيد نفسه بذلك، حينما استدعاه يزيد الى القصر بعد مقتل الإمام عليه السلام وبعد نصب الرأس المقدّس بدمشق، فلمّا جاءه سأله يزيد قائلًا: كيف رأيت ما فعل عبيداللَّه بن زياد؟

قال النعمان: الحرب دُوَل.

فقال يزيد: الحمد للّه‌الذى قتله!

قال النعمان: قد كان أميرالمؤمنين- يعنى به معاوية- يكره قتله. «۱»

ولا شك أن معاوية- كما قلنا من قبل- يكره قتل الإمام عليه السلام فى مواجهة علنية، أمّا فى مواجهة سريّة فما أكثر من قتلهم معاوية بالسّم أو الاغتيال، ومنهم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فمعاوية لايتورّع قيد أنملة فى المبادرة الى قتل الإمام الحسين عليه السلام فى مواجهة سرية بسمّ أو اغتيالًا مادعته الضرورة إلى ذلك.

من كلّ ما تقدّم نرجّح أنّ موقف النعمان بن بشير من الثوّار ومن بوادر الثورة إنّما اتسم ظاهراً باللين والتسامح لأنه كان يرى- إيماناً بنظرة معاوية- أنّ المواجهة العلنيّة مع الإمام الحسين عليه السلام ليست فى صالح الحكم الأموى.

فلم يكن النعمان ضعيفاً، بل كان يتضعّف مكراً وحيلة، معوّلًا على الأسلوب السرّى والخدعة الخفية للقضاء على الثورة والتخلّص من مسلم بن عقيل عليه السلام، بل حتى من الإمام الحسين عليه السلام.

فالنعمان لم يكن «حليماً ناسكاً يحبّ العافية!» كما صوّرته رواية الطبرى، أو «يحب العافية ويغتنم السلامة!» كما صوّرته رواية الدينورى، بل كان شيطاناً يحذو

---

(۱) راجع: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى، ۲: ۵۹- ۶۰.

حذو معاوية كبيرهم الذى علّمهم الشيطنة فى رسم الخطط الماكرة، لكنّه أخطأ هذه المرّة فى حساباته، تماماً كما صوّرت ذلك التقارير المرفوعة إلى يزيد من عملاء وجواسيس الحكم الأموىّ فى الكوفة، لأنّ الزمن آنذاك كان يجرى فى صالح النهضة الحسينية، وكان لابدّ من المسارعة الى عزل النعمان والإتيان بوالٍ غشوم كعبيد اللّه بن زياد، يبادر إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة التى تقلب مسار حركة الأحداث فى العاجل لصالح الحكم الأموى، وهكذا كان.

ونحن- مع هذا- لاننفى احتمال أن يكون لسخط النعمان على يزيد، ولوجود صلة المصاهرة بينه وبين المختار تأثير على موقفه من الثوار، لكننا نرجّح أنّ السبب الذى بيّناه كان هو السبب الأهم.

حركة السلطة الأموية المركزية فى الشام

اشاره

لنعد إلى متابعة حركة الأحداث حسب تسلسلها التأريخى، وننظر ماذا صنعت فى دمشق التقارير التى رفعها إلى يزيد من الكوفة الأمويون فيها مثل عمارة بن عقبة، وعملاؤهم مثل عمر بن سعد بن أبى وقاص، وجواسيسهم مثل عبداللّه بن مسلم بن سعيد الحضرمى!

يتابع الطبرىّ رواية القصة قائلًا: «فلمّا اجتمعت الكتب عند يزيد، ليس بين كتبهم إلّا يومان، دعا يزيد بن معاوية سرجون «۱» مولى معاوية.

---

(۱) هو سرجون بن منصور الرومى (النصرانى): كان كاتب معاوية وصاحب سرّه، ثمّ صار كاتب يزيد وصاحب سرّه أيضاً بعد موت معاوية. (راجع: تاريخ الطبرى، ۳: ۲۷۵ و ۲۸۰ و ۵۲۴؛ والكامل فى التأريخ، ۲: ۵۳۵؛ والعقد الفريد، ۴: ۱۶۴)؛ ويقول ابن كثير: كان كاتب معاوية وصاحب أمره (البداية والنهاية، ۸: ۲۲ و ۱۴۸)؛ وكان يزيد ينادم على شرب الخمر سرجون النصرانى (الأغانى، ۱۶: ۶۸).

فهو إذن مستشاره وصاحب سرّه وأمره ونديمه على الإثم، وهكذا كان المبرّزون من رجال فصيل منافقى أهل الكتاب فى خدمة أهداف حركة النفاق، يعملون تحت ظلّ فصائل حركة النفاق الأخرى مثل فصيل حزب السلطة، وفصيل الحزب الأموى، مقرّبين من الحكّام ومستشارين لهم وندماء!

يقول ابن عبد ربه: «سرجون: كتب لمعاوية، ويزيد ابنه، ومروان ابن الحكم، وعبدالملك بن مروان، إلى أن أمره عبدالملك بأمرٍ فتوانى فيه، ورأى منه عبدالملك بعض التفريط، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل: إنّ سرجون يُدّل علينا بضاعته، وأظنّ أنه رأى ضرورتنا إليه فى حسابه، فما عندك فيه حيلة؟ فقال: بلى، لو شئت لحوّلت الحساب من الرومية الى العربية. قال: افعل. قال: أنظرنى أُعانى ذلك. قال: لك نظرةٌ ماشئت. فحوّل الديوان، فولاه عبدالملك جميع ذلك. (العقد الفريد، ۴: ۱۶۹، عنوان: من نبل بالكتابة وكان خاملًا).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۳۱

فقال: مارأيُك؟ فإنّ حسيناً قد توجّه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، وقد بلغنى عن النعمان ضعفٌ وقول سيءٌ- وأقرأه كتبهم- فماترى؟ من أَستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيداللّه بن زياد.

فقال سرجون: أرأيت معاوية لو نُشر لك أكنت آخذاً برأيه؟

قال: نعم.

فأخرج عهد عبيداللّه على الكوفة ..

فقال: هذا رأى معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب.

فأخذ برأيه، وضمّ المصرين إلى عبيداللّه، وبعث إليه بعهده على الكوفة» «۱».

ثمّ يتابع الطبرى رواية القصة قائلًا:

---

(۱) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۸۰؛ والإرشاد: ۲۰۶ بتفاوت يسير.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۳۲

«ثمّ دعا مسلم (۱) بن عمرو الباهلى وكان عنده، فبعثه إلى عبيداللّه بعهده إلى البصرة، وكتب إليه معه:

أمّا بعدُ، فإنّه كتب إلىَّ شيعتى! من أهل الكوفة يخبروننى أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشقّ عصا المسلمين، فَسِرْ حين تقرأ كتابى هذا حتى تأتى أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه.

والسلام.

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيداللّه بالبصرة. فأمر عبيداللّه بالجهاز والتهيء والمسير الى الكوفة من الغد». (۲)

هذا وقد نقل الموسوى الكركى فى كتابه (تسلية المجالس) رسالة يزيد إلى ابن زياد بتفاوت مهم، ونصّها:

«سلام عليك. أمّا بعد: فإنّ الممدوح مسبوب يوماً، والمسبوب ممدوح يوماً، ولك ما لك، وعليك ما عليك، وقد انتميت ونُميتَ إلى كلّ منصب كما قال الأوّل:

رُفِعتَ فجاوزتَ السحاب برفعةٍفمالك إلّا مقعدُ الشمسِ مقعَدُ

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۳۳

وقد ابتلى زمانك بالحسين من بين الأزمان، وابتلى بلدك دون البلدان. وقد أخبرتنى شيعتى من أهل الكوفة أنّ مسلم بن عقيل فى الكوفة يجمع الجموع ويشق عصا المسلمين وقد اجتمع إليه خلق كثير من شيعة أبى تراب، فإذا أتاك كتابى هذا فسر حين تقرأه حتى تقدم الكوفة فتكفينى أمرها، فقد ضممتها إليك، وجعلتها زيادة فى عملك فاطلب مسلم بن عقيل طلب الخرز، فإذا ظفرت به فخذ

بیعته أو اقتله إن لم یبایع واعلم أنه لا عذر لک عندی دون ما أمرتک، فالعجل العجل، الوحا الوحا، والسلام». «۱»

وقد روی الوالد قدس سره فی کتابه (مقتل الإمام الحسین علیه السلام) نقلًا عن کتاب ناسخ التواریخ أن یزید فی رسالته لابن زیاد قال: «بلغنی أنّ أهل الکوفة قد اجتمعوا علی البیعة للحسین، وقد کتبت إلیک کتاباً، فاعمل علیه، فإنی لا أجد سهماً أرمی به عدوّی أجرأ منک، فإذا قرأت کتابی هذا فارتحل من وقتک وساعتک، وإیّاک والإبطاء والتوانی، واجتهد ولا تبق من نسل علیّ بن أبی طالب أحداً، واطلب مسلم بن عقیل وابعث إلیَّ برأسه». «۲»

تأمّل وملاحظات

۱) - سرجون النصرانی .. والإقتراح المتوقَّع!

فی إطار حرکة النفاق- بعد وفاة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله- کان فصیل منافقی أهل الکتاب یری أنّ غایة وجوده وعلّة تأسیسه هی دعم خطّ الإنحراف عن أهل البیت علیهم السلام، وتکفی نظرة عابرة علی سیرة أمثال: کعب الأحبار، وتمیم الداری،

---

(۱) تسلیة المجالس، ۲: ۱۸۰.

(۲) مقتل الإمام الحسین علیه السلام للمرحوم آیة الله الشیخ محمدرضا الطبسی (مخطوط): ۱۳۷.

ووهب بن منبّه، ونافع بن سرجس مولی عبداللَّه بن عمر، وسرجون مستشار معاویة ویزید، وأبی‌زبید مستشار الولید بن عقبة، دلیلًا علی منهج هذا الفصیل فی نوع حرکته علی أساس العداء لأهل البیت علیهم السلام.

فکان من المتوقّع بما یشبه الیقین- علی ضوء التحلیل التأریخی والنفسی- أن یبادر سرجون نفسه فیقترح علی یزید تعیین عبیداللَّه بن زیاد والیاً علی الکوفة بدلًا من النعمان بن بشیر لمواجهة المستجدّات الصعبة هناک، لما یعلمه سرجون من حقد عبیداللَّه علی أهل البیت علیهم السلام وبغضه الشدید لهم، وهذا أهم مزایا عبیداللَّه فی نظر سرجون، ولما یعلمه فیه من عدم التورع عن الغشم والظلم والقتل، وقدرة إداریة عمادها المکر والحیلة، فهو الرجل المناسب لإدارة الأمور فی الکوفة فی ذلک الظرف الإستثنائی المعقّد.

لکنّ سرجون یعلم أیضاً أنّ هذا الإقتراح قد لایقبله یزید لأنّه کان یبغض عبیداللَّه بغضاً شدیداً «۱» أو کان عاتباً علیه، «۲» فسعی سرجون إلی دعم هذا الإقتراح بکتاب معاویة- الذی أمر به قبیل وفاته- بتولیة عبیداللَّه بن زیاد علی الکوفة، مؤکداً بذلک مطابقة رأی معاویة لرأیه فی هذه المسألة أو العکس.

فسرجون وهو ممثل فصیل منافقی أهل الکتاب فی البلاط الأموی لم یکن غیر ذی رأی فی المسألة، بل کان قد اقترح ما یراه هو- بطریقة غیر مباشرة- فی إطار رأی معاویة فی نفس المسألة، وما یدرینا فلعلّه کان قد أشار علی معاویة أیضاً بنفس هذا الرأی فتبنّاه معاویة، ثمّ أظهره سرجون لیزید فی الوقت المناسب علی أنه رأی أبیه، واللَّه العالم.

---

(۱)

راجع: تذکرة الخواص: ۲۱۸.

(۲) راجع: تأریخ الطبری، ۲: ۲۸۰.

۲) - ماذا یعنی عهد معاویة- أواخر أیّامه- لعبیداللَّه علی الکوفة!؟

لقـد أحسَّ معاويـة بن أبى سـفيان قبيـل وفاته بإرهاصات تمرّد الكوفيين على الحكم الأموى، ذلك لأنّ عامـة أهل العراق بنوع خاص نتيجة مالمسوه من فداحة الظلم الأموى صاروا يرون بغض بنى أميّة وحبّ أهل البيت عليهم السلام ديناً لأنفسهم. «۱»

فكان لابدَّ للكوفة خاصة من إدارة قويّة تمسك بأزمّة الأمور فيها، الأمر الذى لم يوفّق فيه النعمان بن بشير واليها وقتذاك، فبادر معاوية إلى استباق الأحداث وعهد الى عبيداللَّه بن زياد بالولاية على الكوفة، ليضبط الأمور فيها، لكن الموت أدرك معاوية قبل التنفيذ العملى لهذا العهد، وبقى كتاب هذا العهد محفوظاً عند مستشاره سرجون النصرانى، الذى ربّما كان هو الذى حرّك معاوية باتجاه اتخاذ مثل هذا القرار.

هذا، وهناك رأى آخر يقول: إنّ قرار معاوية- بمشورة سرجون- بتعيين عبيداللَّه بن زياد والياً على الكوفة يعتبر الخطوة العملية الأولى لقتل الإمام الحسين عليه السلام، ذلك لأنّ معاوية يعلم أنّ الإمام عليه السلام- بعد موت معاوية- لن يبايع ليزيد، ولابدّ له من القيام، ولابدّ لأهل الكوفة من تأييده ودعوته إليهم، فلابُدَّ إذن من المواجهة العلنية مع الإمام عليه السلام.

ومعاوية يعلم أنّ يزيد وعبيداللَّه بن زياد بما يحملانه من حقد شديد على أهل البيت عليهم السلام واعتساف فى معالجة الأمور وقلّة فى التدبّر والدهاء والصبر سوف يقدمان على قتل الإمام الحسين عليه السلام، بل كان معاوية قد أخبر الإمام عليه السلام بذلك فى إحدى رسائله إليه. «۲»

---

(۱) راجع: الفتنة الكبرى: ۲۹۵.

(۲) راجع: شرح نهج البلاغة، ۱۸: ۴۰۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۳۶

إذن فمعاوية بهذا مشارك فعّال فى جريمة قتل الإمام عليه السلام!

ونقول: إنّ هذا صحيح من حيث النظر الى النتيجة العملية، وقد أدرك معاوية هذه النتيجة فى حياته، فى إصراره على البيعة لإبنه يزيد ولياً للعهد من بعده- وتولية يزيد على كلّ البلاد أهمّ من تولية عبيداللَّه على الكوفة- وكان معاوية يعلم بأنّ يزيد سيرتكب تلك الجريمة- التى تحاشا معاوية أن يرتكبها هو فى حياته- لأنه يعلم أنّ قتل الإمام عليه السلام فى مواجهة علنية، سوف يقضى بالنتيجة على الحكم الأموى نفسه، وعلى كلّ جهود حركة النفاق منذ وفاة الرسول صلى الله عليه و آله، إلى موت معاوية، ولذا كان معاوية إذا تأمّل فى النتيجة العملية تأكلُ قلبه الحسرة إزاء ضعفه أمام عاطفته ليزيد وهواه فيه، فكان يقول: «ولولا هواى فى يزيد لأبصرت رشدى وعرفت قصدى ..». «۱»

وقد حاول معاوية قبل موته أن يحتاط لهذا الأمر وأن يحول دون أن يرتكب يزيد من بعده حماقة قتل الإمام الحسين عليه السلام فى مواجهة علنية، فأوصاه بذلك، «۲» ولعلّه أكّد عليه فى هذه المسألة بأكثر من سبيل، ولات حين فائدة!!

۳)- يزيد يستخدم أسلحة أبيه فى الإرهاب الدينى!!

من التضليل الدينى الذى ابتدعه معاوية لتثبيت ملكه، ولاستخدامه فى إرهاب الأمّة إرهاباً دينياً من أجل تحذيرها وتخديرها عن التفكير بالقيام ضده، الأحاديث الكثيرة التى وضعها له وافتراها على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عملاؤه من صحابة وتابعين معروفين بنفاقهم وتهالكهم على دنيا معاوية، كأبى هريرة، وعمرو بن العاص،

---

(۱) الفتوح، ۴: ۳۴۴؛ والبداية والنهاية، ۸: ۱۲۶.

(۲) وقد رویت هذه الوصیة فی مصادر الفریقین مع تفاوت فی الألفاظ: راجع مثلًا: تأریخ‌الطبری، ۳: ۲۶۰؛ والکامل فی التاریخ، ۲: ۵۲۳؛ وأمالی الصدوق: ۱۲۹ المجلس ۳۰، حدیث رقم ۱.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۳۷

وعبداللَّه بن عمر، والمغیرة بن شعبة، وسمرة بن جندب، وغیرهم من النفعیین، الذین تفنّنوا فی وضع مفتریات تدعو الأمّة الی الصبر علی ظلم الحاکم الجائر والخضوع له وعدم الخروج علیه، فمن مفتریات ابن عمر- علی سبیل المثال لا الحصر- «ستکون هنات وهنات فمن أراد أن یفرّق أمر هذه الأمّة وهی جمع فاضربوه بالسیف کائناً ما کان» و «من رأی من أمیره شیئاً یکرهه فلیصبر علیه، فإنّ من فارق الجماعة شبراً فمات إلا میتة جاهلیة!» و «أدّوا إلیهم حقّهم- أی الحکام- واسألوا اللَّه حقّکم!» «۱» وأمثال ذلک.

فأراد یزید أن یعزف علی نفس النغمة فی رسالته الی عبیداللَّه بن زیاد بقوله:

«فإنه کتب إلیَّ شیعتی! من أهل الکوفة یخبروننی أنّ ابن عقیل بالکوفة یجمع الجموع لشقّ عصا المسلمین ..»، وکأنّ یزید أراد أن ینبّه ابن زیاد لیقوم باستخدام تهمة «شقّ عصا المسلمین» فی مواجهة مسلم إعلامیاً، ویعرّفه أن عقوبة هذه التهمة هی‌القتل، وما یجری علی مسلم من التهم عند الأمویین یجری بالضرورة علی سیّده الإمام الحسین علیه السلام، بل لقد وجّه الأمویون هذه التهمة إلی الإمام علیه السلام بشکل سافر لمّا أرادوا منعه عن الخروج من مکّة المکرّمة فأبی علیهم، حیث نادوه: «یاحسین، ألا تتقی اللَّه؟ تخرج من الجماعة، وتفرّق بین هذه الأمّة!!». «۲»

ولقد أسرف ابن زیاد فی استخدام هذه التهمة إعلامیاً ضدّ مسلم بن عقیل علیه السلام والثوّار فی الکوفة لتنفیر الناس عنهم، وخاطب مسلماً علیه السلام بهذه التهمة مباشرة بعد أن تمکّنوا منه وأحضروه فی القصر قائلًا: «یاعاقّ، یاشاقّ، خرجت علی إمامک، وشققت عصا المسلمین، وألقحت الفتنة!»، لکنّ البطل الشجاع مسلم

---

(۱) راجع: ثورة الحسین علیه السلام ظروفها الإجتماعیة وآثارها الإنسانیة: ۱۰۵- ۱۱۴.

(۲) تأریخ الطبری، ۳: ۲۹۶.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۳۸

بن عقیل علیه السلام ردّ علیه قائلًا: «کذبت یاابن زیاد، إنّما شقّ عصا المسلمین معاویة وابنه یزید، وأمّا الفتنة فإنّما ألقحها أنت وأبوک زیاد ..». «۱»

۴)- من هو عبیداللَّه بن زیاد!؟

کان زیاد بن أبیه قبل استلحاق معاویة إیّاه وادعّائه أنه أخوه من أبیه یری نفسه من الموالی، لأنه ولد علی فراش عبید الرومی، «۲» فکان زیاد یحنو علی الموالی ویدافع عنهم ویدرء عنهم الغوائل، کما فعل فی ردّ عمر بن الخطاب عن خطّته فی الفتک بالموالی والأعاجم التی کتب بها الی أبی موسی الأشعری. «۳»

ولعلّ هذا العامل النفسی کان أقوی عوامل انتماء زیاد بن أبیه إلی صفّ أمیرالمؤمنین علیّ علیه السلام والعمل تحت لوائه حینذاک.

وکان معاویة بدهائه وخبثه ومعرفته بنفسیة زیاد بن أبیه قد انتبه الی هذا العامل النفسی المؤثّر جدّاً فی نوع انتماء زیاد فکریاً وسیاسیاً، فبادر إلی القول بتلک الدعوی المختلقة، دعوی الإستلحاق، لیُطلق زیاداً من عقدة انتمائه الی الموالی، وینسبه إلی نسبه (إلی أبیه) أی إلی بیت معروف من بیوتات قریش، وبهذا ضمن معاویة- بماله من معرفة بزیاد- تحوّله إلی صفّه وباطله.

وهکذا کان، فبعد أن تحوّل زیاد إلی باطل معاویة متحرراً من عقدة الموالی بطش بالموالی أشدّ البطش، وکان جلّ الشیعة منهم، وساعده علی ذلک معرفته السابقة بهم وبأشخاصهم ورموزهم وأمکنتهم.

(۱) اللهوف: ۱۲۱.

(۲) وقيل: هو أبوعبيد عبد بنى علاج من ثقيف (نهج الحق وكشف الصدق: ۳۰۷).

(۳) راجع: تفصيل القصة فى كتاب سليم بن قيس: ۱۷۴- ۱۷۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۳۹

وفى الرسالة الإحتجاجية الشاملة التى بعثها الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية أشار عليه السلام إلى هذا البعد النفسى من وراء الإستلحاق إضافة إلى مخالفة هذا الإستلحاق للشريعة المقدّسة، تأمّل فى قوله عليه السلام فى هذه الرسالة:

«أولستَ المدّعى زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد ثقيف!؟ فزعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وتركت سُنّة رسول اللَّه تعمّداً وتبعت هواك بغير هدى من اللَّه، ثُمَّ سلّطته على العراقين، يقطّع أيدى المسلمين وأرجلهم، ويسمّل أعينهم، ويصلّبهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأمّة وليسوا منك ..». «۱»

ولقد نشأ عبيداللَّه بن زياد فى ظلّ الإعتزاز بالنسب السفيانى، وكان يفخر به، «۲» وأجّج فيه وهم هذا الإنتساب نيران حقد شديد على أهل البيت عليهم السلام خاصة والشيعة عامة، فسجّل له التأريخ ملفاً أسود مليئاً بأبشع الجرائم التى يندى لها جبين التأريخ نفسه!

وروى أنّ عبيداللَّه ولد سنة ۲۰ ه، «۳» وكانت أمّه مرجانة مجوسية معروفة بالبغاء، فارقها زياد وتزوّج بها شيرويه (الأسوارى)، «۴» ودفع زياد إليها عبيداللَّه فنشأ فى بيت شيرويه (ولم يكن مسلماً) وتربّى فى بيته، فكانت فيه لكنة لايستطيع

(۱) إختيار معرفة الرجال، ۱: ۲۵۲- ۲۵۹ رقم ۹۹.

(۲) فقد قال لأهل البصرة مثلًا: «.. وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبى سفيان» (تاريخ‌الطبرى، ۳: ۲۸۱).

(۳) راجع: تأريخ الطبرى، ۳: ۲۴۶.

(۴) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ... والإسوار والأسوار. الواحد من أساورة فارس‌وهو الفارس من فرسانهم المقاتل .. (راجع: لسان العرب، ۴: ۳۸۸).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۴۰

بسببها أداء بعض الحروف العربية كماهى، فكان يقول للحرورى مثلًا: هرورى، فيضحك سامعوه. «۱»

وهلك أبوه زياد سنة ۵۳ ه، فوفد ابنه عبيداللَّه على معاوية فولاه خراسان سنة ۵۴ ه، «۲» ثمّ ولاه البصرة سنة ۵۵ ه، فترك على خراسان أسلم بن زرعة الكلابى ورجع إلى البصرة. «۳» ولما مات معاوية كان عبيداللَّه لم يزل والياً عليها.

ومع أنّ حقد عبيداللَّه بن زياد على أهل البيت عليهم السلام كان كافياً فى دفعه الى ارتكاب جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام، لكنّ خوفه من نقمة يزيد عليه وبغضه له، ورغبة عبيداللَّه فى ترضية يزيد والتودّد إليه، شكّلا دافعاً مضافاً فى العزم على قتل الإمام عليه السلام وإظهار الإخلاص التام ليزيد. «۴»

وكان يزيد قد استخدم مع عبيداللَّه نفس سلاح أبيه معاوية مع زياد فى تهديده بسحب هوية النسب الأموى المكذوب منه فيعود كما هو عبداً لثقيف، حينما حثّه على امتثال أمره فى قتل الإمام عليه السلام إذ كتب إليه: «إنه قد بلغنى أنّ حسيناً سار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك بين البلدان، وابتليت به من بين العمّال، وعنده تُعتق أو تعود عبداً، فقتله عبيداللَّه وبعث برأسه وثقله إلى

(۱) راجع: سير أعلام النبلاء، ۳: ۵۴۵؛ والعقد الفريد، ۲: ۴۷۷؛ والملحمة الحسينية، ۳: ۱۴۰.

(۲) راجع: تأريخ الطبرى، ۳: ۲۴۲ و ۲۴۶.

(۳) نفس المصدر.

(۴) ولعلّ بغض يزيد لعبيداللَّه (كما فى تذكرة الخواص: ۲۱۸) أو عتبه عليه (كما فى تاريخ الطبرى، ۳: ۲۸۰) كان نتيجة لبغض يزيد لزياد أبى عبيداللَّه بسبب ماكان يراه زياد من عدم لياقة يزيد للخلافة بسبب افتضاح فسقه وفجوره، وكان زياد يُثنى معاوية عن الإقدام على أخذ البيعة بولاية العهد ليزيد ويحذّره من عواقب ذلك.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۴۱

يزيد». «۱»

وكان عبيداللَّه قبيح السريرة، فاسقاً ظالماً غشوماً جباناً إذا ضعف، جبّاراً إذا تمكّن، قال الحسن البصرى: «قدم علينا عبيداللَّه، أمّره معاوية غلاماً سفيهاً، سفك الدماء سفكاً شديداً .. وكان عبيداللَّه جباناً». «۲»

«وكان الحسن البصرى يسمّيه الشابّ المترف الفاسق، وقال فيه: مارأينا شراً من ابن زياد!». «۳»

و «جىء إليه بسيّد من سادات العراق، فأدناه منه ثمّ ضرب وجهه بقضيب كان فى يده حتى كسر أنفه وشقّ حاجبيه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه». «۴»

«وغضب على رجل تمثّل بآية من القرآن، فأمر أن يُبنى عليه ركن من أركان قصره!». «۵»

«وكان يقتل النساء فى مجلسه، ويتشفّى بمشاهدتهن يعذّبن وتقطّع أطرافهن!». «۶»

«عاش مكروهاً عند أهل العراق» «۷» و «مهيناً عند أهل الحجاز». «۸»

---

(۱) العقد الفريد، ۴: ۳۸۲.

(۲) راجع: سير أعلام النبلاء، ۳: ۵۴۹.

(۳) أنساب الأشراف، ۵: ۸۳.

(۴) مروج الذهب، ۲: ۴۴؛ ولعلّ ذلك السيّد الوجيه هو هانى بن عروة (رض).

(۵) المحاسن والمساوىء، ۲: ۱۶۵.

(۶) بلاغات النساء: ۱۳۴؛ وأنساب الأشراف، ۵: ۲۸۹.

(۷) الإمامة والسياسة ۲: ۱۶.

(۸) الأغانى، ۱۸: ۲۷۲.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۴۲

«لما مات يزيد أغرى بعضَ البصريين أن يبايعوه، ثم جبن عن مواجهة الناس فاستتر ثم هرب الى الشام .. وكان عبيداللَّه من الأكلة، كان يأكل جدّياً أو عناقاً يُتخيّر له فى كلّ يوم فيأتى عليه! وأكل مرّة عشر بطّات وزبيلًا من عنب، ثمّ عاد فأكل عشر بطّات وزبيلًا من عنب وجدياً!!». «۱»

«قال التنوخى: إنّ عبيداللَّه بن زياد لمّا بنى داره البيضاء بالبصرة بعد قتل الحسين صوّر على بابها رؤوساً مقطّعة، وصوّر فى دهليزها أسداً وكبشاً وكلباً، وقال: أسد كالح، وكبش ناطح، وكلب نابح.

فمرّ بالباب أعرابىّ فرأى ذلك فقال: أما إنّ صاحبها لا يسكنها إلّا ليلة واحدة لا تتم!

فرفع الخبر إلى ابن زياد، فأمر بالأعرابى فضُرب وحُبس، فما أمسى حتى قدم رسول ابن الزبير إلى قيس بن السكون ووجوه أهل البصرة فى أخذ البيعة له، ودعا الناس الى طاعته فأجابوه، وراسل بعضهم بعضاً فى الوثوب عليه فى ليلتهم (أى على ابن زياد)، فأنذره

قوم كانت له صنائع عندهم، فهرب من داره فى ليلته تلك، واستجار بالأزد فأجاروه، ووقعت الحرب المشهورة بينهم وبين بنى تميم بسببه، حتى أخرجوه فألحقوه بالشام، وكُسِر الحبس فخرج الأعرابى، ولم يعد ابن زياد الى داره، وقتل فى وقعة الخازر». «۲»

ولما رأى ابن زياد- بعد فاجعة كربلاء- أنه لم يجنِ إلا غضب اللَّه وسخط الناس عليه «۳» سعى إلى التنصّل من مسؤولية قتل الإمام عليه السلام، فكان يدّعى قائلًا: «أمّا

---

(۱) أنساب الأشراف، ۵: ۸۶.

(۲) راجع: الفرج بعد الشدّة، ۲: ۱۰۱.

(۳) زار ابن زياد عبداللَّه بن مغفل الصحابى فى مرضه، وقال له: أتعهد إلينا شيئاً قال: لا تصلِّ علىَ ولا تقم على قبرى. (سير أعلام النبلاء ۳: ۵۴۹)، وقالت له أمّه مرجانة: ياخبيث، قتلت ابن بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله!؟ لا ترى الجنة أبداً (الكامل فى التأريخ ۳: ۸).

وقال أخوه عثمان وهو يسمع: لوددتُ أنه ليس من بنى زياد رجلٌ إلا وفى أنفه خزامة الى يوم القيامة وأنَّ حسيناً لم يُقتل. (تاريخ الطبرى ۳: ۳۴۲، والكامل فى التأريخ ۲: ۵۸۲).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۴۳

قتلى الحسين فإنّه أشار إلىّ يزيد بقتله أو قتلى فاخترتُ قتله!». «۱»

ولمّا جاء نعى يزيد هرب عبيداللَّه بعد أن كاد يؤسر، واخترق البرية إلى الشام، وانضم إلى مروان وقاتل معه، فلمّا ظفر مروان ردّه إلى العراق، فلمّا دخل أرض العراق وجّه المختار إليه إبراهيم بن مالك الأشتر، فالتقوا بقرب الزاب، وقتل إبراهيم بن الأشتر عبيداللَّه بن زياد بضربة نجلاء قدَّه بها نصفين، وكان ذلك فى يوم عاشوراء سنة ۶۷ ه. «۲»

«وأُنفذ رأس عبيداللَّه بن زياد الى المختار ومعه رؤوس قوّاده، فأُلقيت فى القصر، فجاءت حيّة دقيقة فتخلّلت الرؤوس حتى دخلت فى فم عبيداللَّه بن زياد ثم خرجت من منخره، ودخلت فى منخره وخرجت من فيه، فعلت هذا مراراً، أخرج هذا الترمذىّ فى جامعه». «۳»

وكانت جثّته قد أحرقت بعد قطع رأسه. «۴»

وهلك هذا الطاغية حين هلك ولم يكن له عقب. «۵»

---

(۱) الكامل فى التأريخ، ۲: ۶۱۲.

(۲) راجع: المعارف: ۳۴۷؛ وسير أعلام النبلاء، ۳: ۵۴۹.

(۳) الكامل فى التأريخ، ۳: ۸؛ وقد أخرجه الترمذى فى المناقب من سننه، ۵: ۶۶۰ رقم ۳۷۸۰ وقال: حسن صحيح. كما أورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء، ۳: ۵۴۹ وصححه.

(۴) الكامل فى التأريخ، ۳: ۸.

(۵) راجع: المعارف: ۳۴۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۴۴

ومع أننا نجد فى كتاب اللَّه الحكيم أنّ اللَّه تعالى لعن المفسدين فى الأرض القاطعين الرحم فى قوله تعالى: «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطّعوا أرحامكم* أولئك الذين لعنهم اللَّه فأصمّهم وأعمى أبصارهم»، «۱» ولا نظن أنّ مسلماً عاقلًا عالماً يشك فى أنّ يزيد وعبيداللَّه بن زياد وأضرابهم كانوا المصداق الأتمّ لمفهوم المفسد فى الأرض والقاطع الرحم، كيف لا وقد قتلوا عامدين ريحانة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الإمام الحسين عليه السلام شرّ قتلة مع أنصاره من أهل بيته وأصحابه وسبوا حريم رسول اللَّه

صلى الله عليه و آله على أفجع حالـة، يتصـفّح وجوههنّ الأعـداء والغربـاء من كربلاء الى الشام!؟ وهل هناك عنـد اللّه وعنـد المؤمنين رَحِم أعزّ وأولى بالصـلة من رحم رسول اللّه صـلى الله عليه و آله!؟ وهـل هنـاك إفسـاد مُتصوَّر أكـثر وأكـبر وأنكر ممـا اجترحه يزيد وعبيداللّه وأضرابهم!؟

مع كلّ هـذا، يقول الـذهبى فى شـدّة ورع وتقوى!!: «الشـيعى لايطيب عيشه حتى يلعن هذا ودونه، ونحن نبغضـهم فى اللّه!، ونبرأ منهم ولا نلعنهم، وأمرهم إلى اللّه!». «۲» ونقول: شنشنة أعرفها من أخزمِ!! «۳»

هل غيّرت السلطة الأموية المركزية والى مكّة؟

يـذهب بعض المؤرّخين إلى أنّ معاويـة مات حين مات: «وعلى المدينـة الوليد بن عتبة بن أبى سـفيان، وعلى مكّة يحيى بن حكيم بن صفوان بن أميّة، «۴» وعلى

---

(۱) سورة محمد صلى الله عليه و آله: الآية ۲۲ و ۲۳.

(۲) سير أعلام النبلاء، ۳: ۵۴۹.

(۳) عجز بيت شعر قديم، مضى مثلًا للقضية المعروف أصل سببها.

(۴) يحيى بن حكيم بن صـفوان بن أميّـة: وهو من بنى جمـح الذين كانوا مع عائشة يوم الجمل، فقُتل منهم إثنان وهرب الباقون، وكان يحيى هذا ضـمن الذين هربوا ونجا بنفسه، ويروى أنّ أميرالمؤمنين علياً عليه السـلام لمّا مرَّ بقتلى موقعة الجمل بعد انتهائها قال: «.. لقد كنـت أكره أن تكـون قريش قتلى تحت بطـون الكـواكب! أدركت وترى من بنى عبـدمناف وأفلتنى أعيـار بنى جُمـح ..» (شـرح نهج البلاغة، ۱۱: ۱۲۳؛ وروى ابن أبى الحديد: أن يحيى هذا عاش حتى استعمله عمرو بن سعيد الأشدق على مكة لمّا جمع له يزيد الولاية على مكة والمدينة فأقام عمرو بالمدينة ويحيى بمكة؛ راجع ۱۱: ۱۲۵).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۴۵

الكوفة النعمان بن بشير الأنصارىّ، وعلى البصرة عبيداللّه بن زياد». «۱»

وهـذا يعنى أنّ السـلطة الأمويـة المركزيـة فى دمشق قد عزلت يحيى بن حكيم عن ولاية مكّة، وأحلّت مكانه عمرو بن سـعيد الأشدق، ضمن الإجراءات الجديدة التى اتخذتها على أثر وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة المكرّمة.

غير أنّ مؤرّخين آخرين رووا أنّ عمرو بن سـعيد بن العاص الأشـدق هو الـذى كان والياً على مكّـة حين مات معاويـة، «۲» ثم جمع له يزيد الولاية على مكّة والمدينة بعد عزله الوليد بن عتبة عن منصب الولاية فى المدينة.

ومما يؤيد هذا ماروى أنّ الإمام الحسين عليه السـلام لمّا ورد مكّة قال له عمرو بن سـعيد: ما إقدامك!؟ فقال عليه السـلام: عائذاً باللّه وبهذا البيت. «۳» فتأمّل.

عزل الوليد بن عتبة عن ولاية المدينة

كان الوليد بن عتبة «۴» أمويّاً مخلصاً كلّ الإخلاص للحكم الأموىّ عن وعيٍ تام

---

(۱) الأخبار الطوال: ۲۲۷.

(۲) راجع: تأريخ الطبرى، ۳: ۲۷۲؛ والكامل فى التأريخ، ۲: ۵۲۹.

(۳) تذكرة الخواص: ۲۱۴.

(۴) راجع عنوان (شخصیة الولید بن عتبة) فی الجزء الأول من هذا الکتاب (مع الرکب الحسینی منالمدینة إلی المدینة): ۳۶۱- ۳۶۵.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۴۶

لانتمائه القبلی وحرص بالغ علی تقدیم بنی أمیّة علی من سواهم، وکان فی نفس الوقت یتمنّی أن لایصطدم مع بنی هاشم عامة وأهل البیت خاصة، ویطلب العافیة من ذلک ویرجوها.

وفی صدد الموقف من الإمام الحسین علیه السلام خاصة کان الولید یتبنّی نظرة معاویة الذی کان یری أنّه لیس من مصلحة الحکم الأموی أن یدخل فی مواجهة علنیة مع الإمام الحسین علیه السلام، مع ماروی أنّ الولید کان یری لأهل البیت علیهم السلام حرمة ومنزلة عند اللَّه تعالی!، ولذا فقد اتّسم موقفه من رفض الإمام الحسین علیه السلام بالتسامح واللّین، الأمر الذی أغضب السلطة الأمویة المرکزیة فی دمشق وأسخطها علی الولید، فقام یزید بعزل الولید عن ولایة المدینة فی شهر رمضان من نفس السنة، «۱» وأضاف ولایة المدینة لعمرو بن سعید الأشدق مع ولایة مکّة المکرّمة.

رسالة یزید إلی عبداللَّه بن عبّاس

ومن الإجراءات التی بادرت إلیها السلطة الأمویة المرکزیة فی الشام بعد وصول الإمام الحسین علیه السلام إلی مکّة إرسال الکتب إلی من یحتمل أن یکون له تأثیر علی موقف الإمام الحسین علیه السلام من بنی هاشم خاصة أو من وجهاء الأمّة الإسلامیة عامة، «۲» وقد سجّل لنا التأریخ فی هذا الإطار قصة الرسالة التی بعث بها یزید الی عبداللَّه بن عباس یطلب إلیه فیها أن یردَّ الإمام علیه السلام عن الخروج علی النظام

---

(۱) راجع: تأریخ الطبری، ۳: ۲۷۲؛ والبدایة والنهایة، ۸: ۱۵۱؛ وتاریخ الخلیفة: ۱۴۲.

(۲) نظنّ ظنّاً قویاً تدعمه دلائل تأریخیّة أنّ حماسة عبداللَّه بن عمر فی محاولاته ردّ الإمام علیه السلام عنالقیام ونهیه عن الخروج إلی العراق کانت بدفع من السلطة الأمویة، لکننا لم نعثر علی وثیقة تأریخیة تنهض بهذا الظن القویّ إلی مستوی القطع، ونذکّر هنا بأنّ معاویة فی وصیته لیزید یقول: «فأمّا عبداللَّه بن عمر فهو معک فالزمه ولا تدعه ..» (أمالی الصدوق: ۱۲۹، المجلس ۳۰ حدیث رقم ۱).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۴۷

الأموی، وأن یحذّره من مغبّة ذلک، ویمنّیه بالأمان والصلة البالغة والمنزلة الخاصة عند السلطان الأموی!

«قال الواقدی: ولمّا نزل الحسین مکّة کتب یزید بن معاویة إلی ابن عباس:

أمّا بعدُ: فإنّ ابن عمّک حسیناً وعدوّ اللَّه ابن الزبیر التویا ببیعتی ولحقا بمکّة مرصدین للفتنة، معرّضین أنفسهما للهلکة، فأمّا ابن الزبیر فإنه صریع الفناء وقتیل السیف غداً، وأمّا الحسین فقد أحببت الإعذار إلیکم أهل البیت مما کان منه، وقد بلغنی أنّ رجالًا من شیعته من أهل العراق یکاتبونه ویکاتبهم ویمنّونه الخلافة ویمنّیهم الإمرة، وقد تعلمون مابینی وبینکم من الوصلة وعظیم الحرمة ونتایج الأرحام، وقد قطع ذلک الحسین وبتّه، وأنت زعیم أهل بیتک وسیّد أهل بلادک، فالقه فاردده عن السعی فی الفرقة، وردّ هذه الأمّة عن الفتنة، فإنْ قبل منک وأناب إلیک فله عندی الأمان والکرامة الواسعة، وأجری علیه ما کان أبی یجریه علی أخیه، وإنْ طلب الزیادة فاضمن له ما أراک اللَّه أنفذ ضمانک، وأقوم له بذلک وله علیَّ الأیمان المغلّظة والمواثیق المؤکّدة بما تطمئن به نفسه ویعتمد فی کلّ الأمور علیه.

عجّل بجواب کتابی وبکلّ حاجة لک إلیَّ وقِبلی، والسلام». «۱»

وأضاف صاحب تذکرة الخواص قائلًا:

«قال هشام بن محمد: وکتب یزید فی أسفل الکتاب:

یاأیها الراکب الغادی لمطیته «۲»علی عذافرة فی سیرها قحمُ

---

(۱) تذکرة الخواص: ۲۱۵.

(۲) هکذا فی الأصل، والصحیح «لطیّته» کما هو فی روایة الفتوح، ۵: ۷۶.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۴۸ أَبلغ قریشاً علی نأی المزار بهابینی وبین الحسین اللَّهُ والرحمُ

وموقف بفناء البیت أنشدهعهد الإله غداً یوفی به الذممُ

هنیتمُ قومکم فخراً بأمِّکمُأُمٌّ لعمری حسانٌ «۱» عفّة کرمُ

هی التی لایُدانی فضلها أحدٌبنت الرسول وخیر الناس قد علموا

إنّی لأعلم أو ظنّاً لعالمهوالظنّ یصدق أحیاناً فینتظمُ

أنْ سوف یترککم ماتدّعون بهقتلی تهاداکم العقبان والرخمُ

یاقومنا لاتشبّوا الحرب إذ سکنتْوأمسکوا بحبال السلم واعتصموا

قد غرَّتالحرب من قد کان قبلکممن القرون وقد بادت بها الأممُ

فأنصفوا قومکم لا تهلکوا بذخاًفَرُبَّ ذی بذخ زلّت به القدمُ» «۲»

ملاحظات حول هذه الرسالة

۱)- هناک مشترکات نفسیة أساسیة بین متن الرسالة وبین أبیات الشعر التی قال (هشام بن محمّد) إنّ یزید أرفقها مع الرسالة، وأهم هذه المشترکات هو أنّ کلیهما تضمّن الترغیب والترهیب معاً، ومخاطبة الإمام علیه السلام عن طریق ابن عبّاس الذی عبّر عنه یزید ب (قریش) فی الشعر، وهناک مشترک نفسی آخر فیهما وهو أنّ یزید اجتهد فی هذه الرسالة أن یمسک بزمام حنقه وغضبه، وهو الناصبیّ الفظّ

---

(۱) هکذا فی الأصل، وفی روایة الفتوح، ۵: ۷۶ (حصانٌ) وهو الصحیح.

(۲) تذکرة الخواص: ۲۱۵- ۲۱۶.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۴۹

الغلیظ الجلف الذی لایتناهی عن منکراته، «۱» وهذا التماسک فرضته الضرورة السیاسیة علی مزاج یزید الذی تعوّد الإستهتار، ولا یبعد أن تکون هذه الموازنة فی الترغیب والترهیب من تأثیر وإملاء سرجون المستشار النصرانی المعتّق صاحب الخبرة فی الحرب النفسیة ومعالجة الأزمات السیاسیة منذ عهد معاویة.

۲)- ونقف فی هذه الرسالة مرّة أخری أیضاً أمام نفس النغمة التی یعزفها الحکم الأمویُّ بوجه المعارضة، وهی التحذیر من شقّ عصا الأمّة وتفریق کلمة المسلمین وإرجاعهم إلی الفتنة وما إلی ذلک.

هذا السلاح الذی ابتکره معاویة واستخدمه فی وجه معارضیه بعد أن روّج له فی الأمّة من خلال أحادیث مفتریات علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله تدعو الأمّة الی الخنوع للحاکم الظالم والصبر علی جوره، وتدعو إلی قتل کلّ من ینهض للخروج علی الحکّام الجائرین بتهمة شقّ عصا الأمّة وتفریق کلمتها.

فلیس من المستغرب أن یخاطب یزید ابن عبّاس بذلک فیقول: «فالقه فارددہ عن السعی فی الفرقة، ورُدَّ هذه الأمّة عن الفتنة!»، ولیس بمستغرب أن یخاطب ابن زیاد مسلم بن عقیل قائلًا: «أتیتَ الناسَ وهم جمیع فشققتَ بینهم وفرّقتَ کلمتهم وحملت بعضهم علی

بعض!»، «۲» فمن قبل كان معاوية يدسُ تلك التهم إلى الإمام الحسين عليه السلام ويعزف نفس النغمة من خلال تحذيره بألّا يشقّ عصا هذه

---

(۱) يقول الذهبى فى يزيد: «كان ناصبياً، فظاً غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر .. وقال فيهالنبى صلى الله عليه و آله: لايزال أمرُ أمّتى قائماً حتى يثلمه رجل من بنى أميّة يقال له يزيد ..» (سير أعلام النبلاء، ۳: ۳۷).

(۲) الإرشاد: ۲۱۶؛ وعنه البحار، ۴۴: ۳۵۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۵۰

الأمّة وألّا يردّها فى الفتنة، وكان الإمام أبو عبداللّه الحسين عليه السلام يجيبه قائلًا: «.. فلا أعرف فتنة أعظم من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسى وولدى وأمّة جدّى أفضل من جهادك، فإن فعلته فهو قربة إلى اللّه عزوجلّ، وإن تركته فاستغفر اللّه لذنبى وأسأله توفيقى لإرشاد أمورى ..». «۱»

۳)- سعى يزيد فى هذه الرسالة الى اتهام الإمام عليه السلام بأنّ غاية خروجه طلب الملك والدنيا، ولذا فقد طلب فى الرسالة الى ابن عبّاس أن يمنّى الإمام عليه السلام- فى حال تخلّيه عن القيام- بالأمان والكرامة الواسعة! وإجراء ماكان معاوية يجريه على أخيه عليه السلام! وأنّ له ما يشاء من الزيادة على ذلك!

ويزيد يعلم تمام العلم أنّ الإمام عليه السلام لم يقم ولم يخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرج لطلب الإصلاح فى هذه الأمّة المنكوبة بكارثة الحكم الأموى الجاثم على صدرها سنين طويلة، لكنّها عادة الطغاة فى مواجهة الثائرين وعادة الضلال فى مواجهة الهدى، فمن قبل سعى أبو سفيان جدُّ يزيد وأعلام جاهلية قريش إلى إتهام النبى صلى الله عليه و آله بتهمة طلب الملك والدنيا، وشرطوا لأبى طالب عليه السلام أن يحققوا له صلى الله عليه و آله كلّ مايتمنّاه من ذلك فيهم إذا هو تخلّى عن دعوته، لكنّ النبى صلى الله عليه و آله ردّ على إغرائهم وتهمتهم بقاطعية يخلد ذكرها ما خلد الدهر:

«ياعم واللّه، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يُظهره اللّه أو أهلك فيه ماتركته». «۲»

۴)- ومع ماقدّمناه من ملاحظات حول متن هذه الرسالة، ينبغى أن نلفت الإنتباه إلى أنّ الواقدى الذى رويت عنه قصة هذه الرسالة قد تأمّل علماء الرجال فيه أو رموه بالكذب، فقد قال الذهبى: «قال البخارى: سكتوا عنه، تركه أحمد وابن

---

(۱) الإحتجاج، ۲: ۲۱.

(۲) السيرة النبوية، ۱: ۲۸۵.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۵۱

نمير، وقال أسلم وغيره: متروك الحديث، وقال النسائى: ليس بثقة. وقال الشافعى:

كُتُب الواقدى كذب. وقال ابن معين: ليس الواقدى بشىء. وقال مرّة: لايُكتب حديثه. وقال أحمد بن حنبل: الواقدىّ كذّاب. وقال إسحاق: هو عندى يضع الحديث. وقال النسائى: المعروفون بوضع الحديث على رسول اللّه أربعة ..

والواقدى ببغداد. وقال أبوزرعة: ترك الناس حديث الواقدى. وروى عبداللّه بن على المدينى، عن أبيه قال: عند الواقدى عشرون ألف حديث لم أسمع بها، ثمّ قال: لا يُروى عنه وضعّفه». «۱»

هذا عند رجاليّى العامة، وأمّا عندنا فلم يتعرّضوا له بمدح أو ذم، «۲» وإن حاول المامقانى جعله فى سلك الحسان، «۳» كما تفرّد ابن النديم فى نسبته إلى التشيّع.

هذا فضلًا عن أنّ الرواية مرسلة، لأنّ الواقدى وراوى الرسالة ولد بعد المائة والعشرين للهجرة، والرسالة- على الفرض التأريخى- تكون قد صدرت عام ستين للهجرة.

والظاهر أنّ أوّل من ذكر أنّ هذه الرسالة كانت موجّهة الى ابن عباس هو ابن عساكر المتوفّى سنة ۵۷۱ ه، «۴» وبعده سبط ابن الجوزى المتوفى ۶۵۴ ه، ثمَّ المزّى المتوفى ۷۴۲ ه، أمّا الكتب التأريخية التى هى أقدم من هذه الكتب كالفتوح وتأريخ الطبرى فهى خالية من هذه الرسالة، والأبيات الشعرية التى أوردها سبط ابن الجوزى فى ذيل الرسالة أو ردها صاحب الفتوح على أنّ المخاطب بها هم أهل

---

(۱) سير أعلام النبلاء، ۹: ۴۶۲.

(۲) معجم رجال الحديث، ۱۷: ۷۲.

(۳) تنقيح المقال، ۳: ۱۶۶.

(۴) معجم المؤلّفين، ۷: ۶۹.

المدينة- وسيأتى ذكرها- مما يثير الشبهة فى أنّ هذا الكتاب- الرسالة- ربّما كان من مفتعلات مرتزقة التأريخ الساعين فى خدمة الشجرة الملعونة، ظنّاً منهم أنّ ذكر مثل هذه الرسالة يشكّل تبريراً لموقف يزيد بأنّه قد بادر وكتب الى ابن عبّاس (بنى هاشم) وخاطب الحسين عليه السلام من خلالهم، وأنّه قد أعذر من أنذر!

رسالة يزيد إلى (القرشيين) فى المدينة

ويروى التأريخ أيضاً أنّ يزيد بعث برسالة الى أهل المدينة تتضمّن أبياتاً من الشعر- وهى التى مرّ ذكرها- تحتوى على تهديدهم وتحذيرهم من أى تحرك يتنافى ومصالح السلطة الأموية، فعن ابن أعثم الكوفى: «وإذا كتاب يزيد بن معاوية قد أقبل من الشام إلى أهل المدينة على البريد- من قريش وغيرهم من بنى هاشم، وفيه هذه الأبيات ..

قال: فنظر أهل المدينة إلى هذه الأبيات، ثمّ وجّهوا بها وبالكتاب إلى الحسين ابن علىّ- رضى اللَّه عنهما- فلمّا نظر فيه علم أنّه كتاب يزيد بن معاوية، فكتب الحسين الجواب:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم «وإنْ كذّبوك فقل لى عملى ولكم عملكم، أنتم بريئون مما أعمل، وأنا برىء مما تعملون». «۱» والسلام. «۲»

ويظهر من قول المزّى أنّ يزيد كان قد كتب هذه الأبيات إلى ابن عبّاس وإلى من كان فى مكّة والمدينة من قريش، حيث يقول: «كتب بهذه الأبيات إليه وإلى من

---

(۱) سورة يونس عليه السلام: الآية ۴۱.

(۲) الفتوح، ۵: ۷۷.

بمكّة والمدينة من قريش». «۱»

والملفت للإنتباه هنا أنّ جواب الإمام عليه السلام كاشف عن ازدرائه عليه السلام الكامل ليزيد إذ لم يذكر فى الجواب إسمه، كما لم يلقّبه بلقب، ولم يسلّم عليه، مما يتبيّن منه أنّ يزيد لعنه اللَّه مصداق تام للمكذّب بالدين وبالرسل والأوصياء عليهم السلام، وقد فصّلنا القول فى التعليق على هذه الرسالة فى الفصل الأوّل فراجع.

التخطيط لإغتيال الإمام عليه السلام أو إعتقاله فى مكّة

ومن الإجراءات السرية التى اتخذتها السلطة الأموية المركزية فى الشام بعد فشل خطّتها الرامية الى اعتقال الإمام عليه السلام أو قتله فى المدينة المنوّرة، «۲» هو قيامها بالتدابير اللازمة لاغتيال الإمام عليه السلام أو اعتقاله فى مكّة المكرّمة.

وخطّة السلطة الأموية لاغتيال الإمام عليه السلام فى مكة المكرّمة أو اعتقاله من المسلّمات التأريخية التى يكاد يجمع على أصلها المؤرّخون، وكفى بتصريح الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمّد بن الحنفية:

«ياأخى، قد خفت أن يغتالنى يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذى يُستباح به حرمة هذا البيت!» «۳»

وقوله عليه السلام للفرزدق: «لو لم أعجل لأخذت». «۴»

---

(۱) تهذيب الكمال، ۴: ۴۹۳؛ والبداية والنهاية، ۸: ۱۶۷.

(۲) راجع الجزء الأول من هذه الدراسة (مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة): الفصل الرابع، عنوان: لماذا لم يبق الإمام عليه السلام فى المدينة المنوّرة؟ ص ۳۷۳- ۳۷۶.

(۳) اللهوف: ۱۲۸.

(۴) الإرشاد: ۲۰۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۵۴

ذكرت بعض المصادر التأريخية: «أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فى عسكر، وأمّره على الحاج وولاه أمر الموسم وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد ..». «۱»

ويقول مصدر آخر: «وبعث ثلاثين من بنى أميّة مع جمع وأمرهم أن يقتلوا الحسين». «۲»

ويقول آخر: «إنهم جدّوا فى إلقاء القبض عليه وقتله غيلة ولو وجد متعلّقاً بأستار الكعبة». «۳»

ومن الوثائق التأريخية الكاشفة عن هذه الحقيقة رسالة ابن عباس الى يزيد والتى ورد فيها: «.. وما أنسَ من الأشياء، فلست بناسٍ اطّرادك الحسين بن على من حرم رسول اللّه الى حرم اللّه، ودسّك عليه الرجال تغتاله .. فأكبر من ذلك مالم تكبر حيث دسست عليه الرجال فيها ليقاتل فى الحرم ..». «۴»

وفى هذا القدر من المتون التأريخية كفاية فى الدلالة على خطة السلطة الأموية المركزية فى الشام لإلقاء القبض على الإمام عليه السلام أو اغتياله فى مكّة المكرّمة.

---

(۱) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ۱۶۵.

(۲) تذكرة الشهداء: ۶۹.

(۳) الخصائص الحسينية: ۳۲، طبعة تبريز.

(۴) تأريخ اليعقوبى، ۲: ۲۴۸- ۲۴۹؛ والبحار، ۴۵: ۳۲۳- ۳۲۴؛ وفى تذكرة الخواص: ۲۴۸ «أنسيت إنفاذ أعوانك الى حرم اللّه لقتل الحسين ..».

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۵۵

حركة السلطة الأموية المحليّة فى البصرة

كان عبيداللّه بن زياد مدّة ولايته على البصرة قد هيمن على ظاهر الحياة السياسية والإجتماعية فيها، لما عُرف عنه من قدرة على الغَشَم

والظلم والجور، والتفريق بين القبائل، وخَلْقِ الكراهية بين الوجهاء والأشراف، وما إلى ذلك من فنون المكر فى إدارة شؤون الأمّة التى تعرف فساد حكّامها وفسقهم، وتنطوى على كرههم.

لكنّ باطن الحياة السياسية والإجتماعية فى البصرة آنذاك كان يشهد أمراً آخر وهو النشاط السرّى للمعارضة الشيعية بشكل أساسى، فقد كان للشيعة فى الخفاء منتدياتهم الخاصة التى يتداولون فيها الأخبار ووقائع الأحداث ومستجدّات الأمور ويتشاورون بصددها فيما بينهم، وكان ابن زياد على علم إجمالى بمثل هذه الحركة الخفية، وكان يتوجّس منها، والدليل على ذلك لحن الخطاب الأخير الذى ألقاه فى البصرة قبل سفره منها الى الكوفة.

تلقّى ابن زياد رسالة يزيد التى حملها إليه مسلم بن عمرو الباهلى والتى ولّاه فيها على الكوفة إضافة إلى البصرة، ودعاه فيها الى المبادرة- حين قراءة الرسالة- الى التوجّه الى الكوفة ليطلب مسلم بن عقيل طلب الخرزة حتى يثقفه فيوثقه أو يقتله أو ينفيه.

وما إنْ قرأ ابن زياد الرسالة حتى أمر بالجهاز والتهيء والمسير الى الكوفة من الغد، «۱» لكنّ المفاجأة التى أذهلته قبيل سفره إليها هى معرفته بأنّ الإمام عليه السلام قد ارسل رسولًا إلى البصرة إلى الأشراف ورؤساء الأخماس فيها يدعوهم فيها إلى تأييده والإنضمام إليه فى قيامه (وإن كان المتيقّن أنّ عبيداللَّه بن زياد قد اطّلع

---

(۱) راجع: تأريخ الطبرى، ۳: ۲۸۱.

بالفعل على نسخة رسالة الإمام عليه السلام الى المنذر بن الجارود فقط، لكنّ مما لاريب فيه أنّ خبرة ابن زياد الإدارية والسياسية تجعله على يقين بأنّ المنذر بن الجارود كان واحداً من الأشراف الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام ولم يكن الوحيد فيهم).

ولم يحدّثنا التأريخ- بل لم نقع على وثيقة تحدّثنا- أنّ ابن زياد قد سعى إلى معرفة الأشراف الآخرين الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام، أو سعى إلى مطاردتهم واضطهادهم مثلًا، ولعلّ ذلك بسبب ضيق الوقت والعجالة التى كان عليها فى عزمه على السفر الى الكوفة وهى الساحة الأهمّ والمضطربة الأحداث آنذاك، أو لأنه كان مطمئناً لولاء أكثر هؤلاء الأشراف للحكم الأموىّ.

لنعد إلى مجرى حركة الأحداث فى البصرة قبيل يوم واحد من سفر ابن زياد إلى الكوفة ..

وصلت نسخة من رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى اشراف البصرة بيد رسوله سليمان بن رزين إلى المنذر بن الجارود- الذى كانت ابنته بحرية زوجة لعبيداللَّه بن زياد- فلم يُخفِ أمر الرسالة كما فعل الآخرون ولم يحفظ الأمان للرسول، بل عزم على الخيانة التى تعوّدها من قبل، فأقبل بالرسالة وبالرسول الى عبيداللَّه بن زياد، زعماً منه «۱» أنه خاف أن يكون الكتاب دسيسة من عبيداللَّه نفسه، فصلبه عبيداللَّه بن زياد، «۲» أو قدّمه فضرب عنقه على رواية أخرى. «۳»

ثمّ صعد عبيداللَّه منبر البصرة، وقلبه يرتعد خيفة من استجابة أهلها لنداء الإمام عليه السلام، ويعتصره القلق من انتفاضة المعارضة الخفية وقيامها مع الإمام عليه السلام،

---

(۱) راجع: تأريخ الطبرى، ۳: ۲۸۰.

(۲) راجع: اللهوف: ۱۱۴.

(۳) راجع: تأريخ الطبرى، ۳: ۲۸۰؛ وابصار العين: ۲۷.

فكان خطابه مليئاً بالتهديد والوعيد، كاشفاً بذلك عن قلقه وخوفه، وعن قوّة المعارضة التى يخشاها، فقد قال فى خطابه بعد أن حمد اللَّه وأثنى عليه: «أمّا بعدُ، فواللَّه ما تُقَرنُ بى الصعبة، «۱» ولا يُقعقع لى بالشّنان، «۲» وإنّى لَنَكِلٌ «۳» لمن عادانى، وسمٌّ لمن حاربنى،

أنصف القارة من راماها. «۴»

يا أهل البصرة، إنَّ أميرالمؤمنين ولّانى الكوفة، وأنا غادٍ إليها الغداة، وقد استخلفتُ عليكم عثمان بن زياد بن أبى سفيان، «۵» وإيّاكم والخلاف والإرجاف،

---

(۱) الصعبة: الناقة صعبة القياد.

(۲) القعقعة: الصوت، كأنه يقول: لا أدع الناس يتكلّمون ببغضى وكراهتى.

(۳) نكل: أى معذِّب لمن عادانى، من النكال: أى العذاب والإنتقام.

(۴) أنصف القارة من راماها: رجز لرجل من قبيلة (القارّة)، وكانوا حُذَّقاً فى الرماية، فالتقى رجل منهم بآخر من غيرهم فقال له القارى: إنْ شئتَ صارعتك، وإنْ شئت سابقتك، وإنْ شئت راميتك. فقال الآخر: قد اخترتُ المراماة.

فقال القارى:

قد أنصف القارة من راماهاإنّا إذا ما فئة نلقاها

نردُّ أولاها على أُخراها

فرماه بسهم فشك به فؤاده.

فكأنّ ابن زياد أراد أن يدّعى: أنّ بنى أميّة حُذَّق فى أمور السياسة والمواجهات السياسية، وأنّ من أراد مواجهتهم- وقد أنصفهم- لابدّ أنه سيخسر فى المواجهة.

(۵) عثمان بن زياد بن أبيه: أخو عبيداللَّه، توفى شاباً وله ثلاث وثلاثون سنة. (راجع: تاريخ‌الإسلام للذهبى: حوادث سنة ۶۱ الى ۸۰: ص ۵). وقد استخلفه أخوه عبيداللَّه على البصرة حين ذهب الى الكوفة (راجع: البداية والنهاية، ۸: ۱۶۰).

ويبدو أنّه كان أهون من أخيه عبيداللَّه بكثير، وكان إدراكه لعواقب الأمور فيه بقية من بصيرة حيث قال فى محضر أخيه عبيداللَّه: «.. ولوددت واللَّه أنه ليس من بنى زياد رجلٌ إلا وفى أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأنّ حسيناً لم يُقتل». (البداية والنهاية، ۸: ۲۱۰).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۵۸

فوالذى لا إله غيره لئن بلغنى عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنّه وعريفه ووليّه، ولآخذنّ الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لى ولا يكون فيكم مخالفٌ ولا مشاق، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطىء الحصى ولم ينتزعنى شَبهُ خالٍ ولا ابن عمّ». «۱»

ويلاحظ المتأمّل هنا أيضاً أنّ عبيداللَّه بن مرجانة مع كلّ ما أظهره من استعداد للظلم والغشم والقتل الكاشف عن خوفه وتوجّسه من قدرة المعارضة الخفية على التحرّك لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، كان قد افتخر بانتسابه الموهوم إلى أبى سفيان حيث قال: «وقد استخلفتُ عليكم عثمان بن زياد بن أبى سفيان»، ومراده من هذا الإفتخار تحذير أهل البصرة وتخويفهم بتذكيرهم أنه وأخوه امتداد لعائلة معروفة بالحيلة والمكر والدهاء وبسابقة طويلة فى الممارسة السياسية.

حركة السلطة الأموية المحلية الجديدة فى الكوفة

السفر السريع إلى الكوفة

بعد أن تسلّم عبيداللَّه بن زياد رسالة يزيد التى حملها إليه مسلم بن عمرو الباهلى، أمر بالجهاز من وقته والمسير والتهيؤ إلى الكوفة من الغد، «۲» فلم يبق فى البصرة بعدها إلّا يوماً قتل فيه سليمان بن رزين (رض) رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أشراف البصرة، وألقى فيه خطاباً على منبر البصرة أعلن فيه لأهلها عن استخلافه أخاه عثمان بن زياد عليها، وهدّد فيه أهل البصرة وحذّرهم من

الخلاف والإرجاف! وتوعّدهم على ذلك، وفى غد ذلك اليوم خرج من البصرة إلى الكوفة.

---

(۱) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۸۰؛ وتذكرة الخواص: ۲۱۸؛ والأخبار الطوال: ۲۳۲.

(۲) راجع: الإرشاد: ۲۰۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۵۹

تقول رواية تأريخية: «وأقبل الى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلى، وشريك بن الأعور الحارثى، «۱» وحشمه وأهل بيته حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهو متلثّم ..». «۲»

---

(۱)

شريك بن الأعور الحارثى: كان من شيعة علىّ، وكان ساكناً بالبصرة (سفينةالبحار، ۴: ۴۲۴- الغارات: ۲۸۱)، وكان من رؤوس الأخماس، وكان على خمس العالية، وقدم معهم برفقة ابن عبّاس إلى علىّ عليه السلام تلبية لدعوته لحرب معاوية (وقعة صفين: ۱۱۷). كان اسم والده الحارث، ومن ثَمَّ يُطلق على شريك: الحارثى. (معجم رجال الحديث، ۹: ۲۴). وكان من خواص أصحاب علىّ عليه السلام، شهد معه الجمل وصفين، وكان قوىّ الإيمان صلب اليقين، وكان رداً لجارية بن قدامة فى محاربة ابن الحضرمى بالبصرة، ولمعقل بن قيس الرياحى فى محاربة الخوارج بالكوفة وهو فى ثلاثة آلاف مقاتل من أهل البصرة.

جاء من البصرة مع ابن زياد إلى الكوفة فمرض، فنزل دار هانى أيّاماً، ثم قال لمسلم بن عقيل: إنّ عبيداللَّه يعودنى، وإنّى مطاوله الحديث، فاخرج إليه واقتله ...

وعن المحدّث القمى أنه مات قبل شهادة مسلم وهانى، ودفن فى الكوفة.

وله حوار صاخب مع معاوية، أغضبه فى الحوار فخرج من عنده وهو يقول:

أيشتمنى معاوية بن صخرٍوسيفى صارم ومعى لسانى

فلا تبسط علينا ياابن هندٍلسانك أن بلغت ذُرى الأمانى

وإنْ تَك للشقاء لنا أميراًفإنّا لا نقرُّ على الهوانِ

وإنْ تك فى أميّة من ذراهافإنّا من ذُرى عبد المُدانِ

(راجع: سفينة البحار، ۴: ۴۲۶؛ ومستدركات علم الرجال، ۴: ۲۰۹). مع الركب الحسينى ج۲ ۱۵۹ السفر السريع إلى الكوفة ..... ص : ۱۵۸

استُعمل على اصطخر فارس فبنى مسجداً عام ۳۱ ه. ق؛ وولى كرمان من قبل عبيداللَّه بن زياد عام ۵۹ ه. ق؛ ولبث بعد وصوله الكوفة أيّاماً فمات فصلّى عليه ابن زياد. (تأريخ الطبرى، ۵: ۳۶۴).

(۲) الإرشاد: ۲۰۶؛ وقال المزّى فى تهذيب الكمال، ۱۴: ۷۵ «وبلغ مسيره- أى الحسين عليه السلام- عبيداللَّه بن زياد وهو بالبصرة، فخرج على بغالهم هو وإثنا عشر رجلًا حتى بلغ الكوفة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۶۰

وتقول رواية أخرى: «فتعجّل ابن زياد المسير إلى الكوفة مع مسلم بن عمرو الباهلى، والمنذرُ بن الجارود، وشريك الحارثى، وعبداللَّه بن الحارث بن نوفل، فى خمسمائة رجل انتخبهم من أهل البصرة، فجدَّ فى السير، وكان لا يلوى على أحد يسقط من أصحابه، حتى أنّ شريك بن الأعور سقط أثناء الطريق، وسقط عبداللَّه بن الحارث رجاء أن يتأخّر ابن زياد من أجلهم، فلم يلتفت ابن زياد إليهم مخافة أن يسبقه الحسين عليه السلام إلى الكوفة، ولمّا ورد القادسية سقط مولاه مهران.

فقال له ابن زياد: إنْ أمسكتَ على هذا الحال، فتنظر القصر فلك مائة ألف.

قال: واللَّه لا أستطيع.

فتركه عبيداللَّه، ولبس ثياباً يمانية وعمامة سوداء وانحدر وحده، وكلّما مرّ (بالمحارس) ظنّوا أنّه الحسين عليه السلام فقالوا: مرحباً بابن رسول اللَّه. وهو ساكت، فدخل الكوفة مما يلى النجف». «۱»

ونتابع القصة على رواية الطبرى حيث يقول: «والناسُ قد بلغهم إقبال الحسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنّوا حين قدم عبيداللَّه أنّه الحسين، فأخذ لايمرّ على جماعة من الناس إلّا سلّموا عليه «۲» وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول اللَّه! قدمت خير مقدم. فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ماساءه، فقال مسلم بن عمرو لمّا أكثروا: تأخّروا، هذا الأمير عبيداللَّه بن زياد!

فأخذ- حين أقبل- على الظَهر، «۳» وإنّما معه بضعة عشر رجلًا. فلمّا دخل

---

(۱) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ۱۴۹- دار الكتاب الإسلامى.

(۲) وفى رواية (الأخبار الطوال: ۲۳۲): «فكان لايمرّ بجماعة إلا ظنّوا أنّه الحسين، فيقومون لهويدعون، ويقولون: مرحباً بابن رسول اللَّه، قدمت خير مقدم!».

(۳) الظَهر: أى ظهر الكوفة وهو النجف.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۶۱

القصر وعلم الناس أنه عبيداللَّه بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد، وغاظ عبيداللَّه ما سمع منهم، وقال: الا أرى هؤلاء كما أرى!». «۱»

إنّ المتون التأريخية التى وصفت الطريقة التى دخل بها ابن مرجانة الكوفة تكشف لنا أنّ حالة التأهب (بل الغليان!) والتوتر التى كانت تعيشها الكوفة وهى تنتظر قدوم الإمام الحسين عليه السلام ما كانت تسمح لأىمبعوث أموى أن يدخلها علناً وبسهولة لأنّ الأمّة منتفضة على السلطة الأموية أو تكاد، فكان لابدّ لأىمبعوث أو مسؤول أموى من التخفّى والتنكّر ومخادعة الناس، فيأتى من طريق غير الطريق التى يأتى منها المسؤولون الرسميّون فى العادة، ويتنكّر فى زىّ آخر، ويشبّه على الناس أنه محبوبهم الذى ينتظرون قدومه بكلّ اشتياق، كى يستطيع العبور بسلام والوصول الى القصر، ليباشر منه التخطيط والقيام بالإجراءات اللازمة للقضاء على انتفاضة الأمة فى الكوفة أوّلًا ثم القضاء على محبوب الأمة القادم إليها.

خدعة ابن زياد تنطلى حتى على النعمان بن بشير!

وتواصل الرواية التأريخية قصة خدعة ابن زياد فتقول: «وسار حتى وافى القصر بالليل، ومعه جماعة قد التقوا به لا يشكّون أنّه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان ابن بشير الباب عليه وعلى خاصته، فناداه بعض من كان معه ليفتح لهم الباب، فاطّلع عليه النعمان وهو يظنّه الحسين عليه السلام.

فقال: أُنشدك اللَّه إلّا تنحيت، واللَّه ما أنا بمسلّم إليك أمانتى، ومالى فى قتالك من أرب.

فجعل لا يكلّمه، ثم إنّه دنى وتدلّى النعمان من شرف القصر فجعل يكلّمه ..

---

(۱) تاريخ الطبرى، ۳: ۲۸۱؛ وانظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى، ۱: ۲۹۰؛ والإرشاد: ۲۰۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۶۲

فقال: إفتح لا فتحت، فقد طال ليلك!

وسمعها إنسان خلفه فنكص إلى القوم الذين اتبعوه من أهل الكوفة على أنه الحسين عليه السلام، فقال: ياقوم، ابن مرجانة والذى لا إله غيره!

ففتح له النعمان فدخل وضربوا الباب فى وجوه الناس وانفضّوا». «۱»

هذا النصّ كاشف تماماً عن درجة الضعف المذهل التى كان عليها ممثّلو النظام الأموىّ فى الكوفة يومذاك، فابن بشير يلبد فى القصر ويخشى الخروج منه لمقابلة القادم الذى ظنّ أنّه الحسين عليه السلام، وعبيداللّه وهو بين مجموعة من أهل الكوفة يخشى حتى من إظهار صوته مخافة أن يُعرف .. فما أقوى دلالة هذا النصّ على حالة (الإنقلاب) التى كانت الكوفة تعيشها فى رفضها النظام الأموىّ، وانتظارها لوصول القيادة الشرعية القادمة إليها.

الخطاب الإرهابىّ الأوّل

اشارة

ما إن دخل ابن مرجانة القصر وهدأت أنفاسه المضطربة من الخوف والتعب حتى أمر الناس بالإجتماع فى المسجد ليعلن لهم عن وصوله وعن بداية قرارات الغشم الإرهابية، تقول الرواية التأريخية: «لمّا نزل القصر نودى: الصلاة جامعة، قال: فاجتمع الناس، فخرج إلينا، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعدُ، فإنّ أميرالمؤمنين أصلحه اللّه ولّانى مصركم وثغركم، وأمرنى بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متّبع فيكم أمره، ومنفّذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطى وسيفى على من ترك أمرى وخالف عهدى، فليُبقِ امرؤ على

---

(۱) الإرشاد: ۲۰۶؛ وعنه بحار الأنوار، ۴۴: ۳۴۰.

نفسه. الصدق ينبىء عنك لا الوعيد! ثمّ نزل». «۱»

إشارة:

تلفت انتباه المتأمّل فى هذه الخطبة دعوى ابن مرجانة بأنّ يزيد أمره فيما أمره به «بالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم!» فمع أنّ هذه الدعوى لم تصدّقها وثائق التأريخ وهى أكذوبة من أكاذيب ابن زياد الكثيرة، وهذا الإحسان- لو تحقّق- مشروط بالإنقياد التام والخنوع للسلطة الأموية، فإنّ موعدة الإحسان الكاذبة هذه جاءت متأخرة جداً بعد سنين متمادية تعمّد فيها طاغية الأمويين الأكبر معاوية أن يُذيق أهل الكوفة الضيم والجوع والحرمان، وأن يجعلهم وقود حروبه فى الثغور وفى مواجهة الخوارج، عقوبة لولائهم لعلى عليه السلام، وكان معاوية لايعبأ بشكاية أهل الكوفة، بل يردّ على من يحمل إليه الشكوى منهم أسوأ الردّ ويعامله بالإستخفاف والقسوة.

هذه سودة بنت عمارة تأتيه من العراق وتشكو إليه جور ولاته الذين حكّمهم فى رقاب وأموال أهل الكوفة، فتقول: «لا تزال تُقدم علينا من ينهض بعزّك ويبسط سلطانك فيحصدنا حصاد السنبل، ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة، هذا ابن أرطاة قُدم بلادى، وقتل رجالى وأخذ مالى ..». «۲»

فما كان جواب الطاغية إلا أن قال لها: «هيهات، لمّظكم ابن أبى طالب الجرأة!». «۳»

وقالت له عكرشة بنت الأطرش: «إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتُرَدُّ

(۱) تاریخ الطبری، ۳: ۲۸۱؛ والإرشاد: ۲۰۲.

(۲) العقد الفرید، ۲: ۱۰۴.

(۳) نفس المصدر.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۶۴

علی فقرائنا، وإنّا قد فقدنا ذلک، فما یجبر لنا کسیر ولا یُنعشُ لنا فقیر. فإنْ کان ذلک عن رأیک فمثلک من انتبه عن الغفلة وراجع التوبة، وإنْ کان عن غیر رأیک فما مثلک من استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة!». «۱»

فما کان جواب معاویة إلا أن قال لها: «هیهات یاأهل العراق، نبّهکم علیّ بن أبی طالب فلن تُطاقوا ..». «۲»

فلم تکن الکوفة تنتظر من السلطة الأمویة المرکزیة ولا من ولاتها إحساناً ورأفة ورفقاً طیلة سنین متمادیة جرّعها فیها معاویة کأس الهوان والمذلّة والحرمان.

لکنّ برکان الکوفة لما فارت أعماقه بالحمم، ودوّت فی فمه صرخة النُذُر بالتمرّد والقیام مع الحسین علیه السلام ضد الحکم الأموی، عزف الوالی الجدید ابن زیاد نغمة الإحسان لتهدئة ثورة البرکان المتأزّم بقذائف الحمم، بعد سنین طویلة، فلعلّ وعسی! ولکن أی إحسان هو!؟ إنه الإحسان الخاص للمنقادین السامعین الطائعین فقط.

الإجراء الإرهابی الأوّل

اشارة

ثمّ إنّ عبیداللّه بن مرجانة أتبع خطابه الإرهابی الأوّل بعمل إرهابی کان الأوّل

(۱) نفس المصدر، ۲: ۱۱۲.

(۲) العقد الفرید، ۲: ۱۱۲؛ وهناک وافدات أخریات وفدن علی معاویة بالشکاة والتبرّم من جوره وجور ولاته، منهن: الدارمیة، وأمّ الخیر، وأروی بنت عبدالمطلب، وأم سنان، والزرقاء، وبکارة الهلالیة (راجع: العقد الفرید، ۲: ۱۰۲- ۱۲۱). وظاهرة وفود النساء دون الرجال علی معاویة بالشکوی والتظلّم کاشفة عن أنّ الإرهاب الأموی بلغ آنذاک حدّاً من التعاظم علی رجال الکوفة الی درجة أنّ أحداً منهم لم یکن لیستطیع التشکّی والتظلّم خوفاً من قسوة العقوبة والنکال.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۶۵

أیضاً فی سلسلة أعماله القمعیة: «فأخذ العرفاء والناس أخذاً شدیداً، فقال: اکتبوا إلیّ الغرباء، ومن فیکم من طلبة «۱» أمیرالمؤمنین، ومن فیکم من الحروریة، «۲» وأهل الریب الذین رأیهم الخلاف والشقاق، فمن کتبهم لنا فبریء، ومن لم یکتب لنا أحداً فیضمن لنا مافی عرافته ألاـ یخالفنا منهم مخالف، ولاـ یبغی علینا منهم باغٍ، فمن لم یفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله وسفک دمه، وأیُما عریف وُجدَ فی عرافته من بُغیة أمیرالمؤمنین أحد لم یرفعه إلینا صُلب علی باب داره، وأُلغیت تلک العرافة من العطاء، وسُیّر إلی موضع بعُمان الزارة «۳»». «۴»

إشارة:

کانت العرافة من وظائف الدولة لمعرفة الرعیّة وتنظیم عطائهم من بیت المال، وقد کان فی الکوفة مائة عریف، وکان العطاء یُدفع إلی

أمراء أرباع الكوفة الأربعة فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه هؤلاء إلى أهله فى دورهم، وكان يؤمر لهم بعطائهم فى المحرّم من كلّ سنة، وبفيئهم عند طلوع الشعرى فى كلّ سنة حيث إدراك الغلات. وكانت العرافة على عهد النبى صلى الله عليه و آله. «۵»

«وكانت الدولة تعتمد على العرفاء، فكانوا يقومون بأمور القبائل ويوزّعون عليهم العطاء، كما كانوا يقومون بتنظيم السجلات العامة التى فيها أسماء الرجال

---

(۱) أى الذين يطلبهم يزيد ويبحث عنهم ليعاقبهم.

(۲) أى الخوارج، نسبة الى حروراء من نواحى الكوفة، أوّل موضع اجتمع فيه الخوارج فى منصرفهم من صفين قبل وصولهم الى الكوفة.

(۳) وهى المعروفة على ساحل الخليج قرب عمان، وهى شديدة الحرارة، ولذا يوعد ابن مرجانة بتبعيد المخالفين إليها لشدّة وصعوبة العيش فيها (راجع: معجم البلدان، ۴: ۱۵۰).

(۴) تاريخ الطبرى، ۳: ۲۸۱؛ والإرشاد: ۲۰۲؛ وتذكرة الخواص: ۲۰۰.

(۵) وقعة الطفّ: ۱۱۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۶۶

والنساء والأطفال، وتسجيل من يولد ليفرض له العطاء من الدولة، وحذف العطاء لمن يموت، كما كانوا مسؤولين عن شؤون الأمن والنظام، وكانوا فى أيّام الحرب يندبون الناس للقتال ويحثّونهم على الحرب، ويخبرون السلطة بأسماء الذين يتخلفون عن القتال، وإذا قصّر العرفاء أو أهملوا واجباتهم فإنّ الحكومة تعاقبهم أقسى العقوبات.

ومن أهمّ الأسباب فى تفرّق الناس عن مسلم بن عقيل هو قيام العرفاء بتخذيل الناس عن الثورة، وإشاعة الإرهاب بين الناس، كما كانوا السبب الفعّال فى زجّ الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام». «۱»

قتل عبداللَّه بن يقطر «۲» الحميرى (رض)

اشارة

إنّ المشهور عند أهل السير «۳» هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام سرّح عبداللَّه بن يقطر (رض) إلى مسلم بن عقيل عليه السلام بعد خروجه من مكّة فى جواب كتاب مسلم عليه السلام إلى الحسين عليه السلام يسأله القدوم ويخبره باجتماع الناس، فقبض عليه الحصين بن نمير «۴» (أو بن تميم) «۵» بالقادسية .. إلى آخر قصة استشهاده (رض).

ولذا فقصة استشهاده (رض) من مختصات تأريخ فترة وقائع الطريق بين مكّة

---

(۱) حياة الإمام الحسين بن على عليهما السلام، ۲: ۴۴۷.

(۲) ضبطه التسترى: بقطر، وقال إنَّ يقطر غلط. (راجع: قاموس الرجال، ۶: ۶۶۶)؛ وقال المحقق السماوى: «ضبطه الجزرى فى الكامل بالباء الموحّدة، لكنّ مشيختنا ضبطوه بالياء المثنّاة تحت» (إبصار العين: ۹۴).

(۳) راجع: إبصار العين: ۹۳.

(۴) راجع: الإرشاد: ۲۲۳.

(۵) راجع: إبصار العين: ۹۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۶۷

وكربلاء، أى من مختصات (الجزء الثالث) من هذه الدراسة.

لكنّ هناك روايتين تحدّثتا فى قصة قتله (رض) مفادهما أنه قُتل فى الفترة التى كان فيها الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة، ولذا فنحن نتعرّض لهاتين الروايتين هنا فى هذا الموقع.

الرواية الأولى:

وهى رواية ابن شهرآشوب، وفيها أنّ عبيداللّه بن زياد بعد أن زار شريك بن الأعور الحارثى فى مرضه (فى بيت هانىء بن عروة)، وجرى ما جرى من حثّ شريك مسلماً عليه السلام على قتل عبيداللّه من خلال رمز «ما الإنتظار بسلمى أن تحييها ..»، فأوجس عبيداللّه منهم خيفة فخرج: «فلمّا دخل القصر أتاه مالك بن يربوع التميمى بكتاب أخذه من يدى عبداللّه بن يقطر، فإذا فيه:

«للحسين بن على: أما بعدُ، فإنى أُخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة كذا، فإذا أتاك كتابى هذا فالعجل العجل، فإنّ الناس معك، وليس لهم فى يزيد رأى ولا هوى» فأمر ابن زياد بقتله». «۱»

أما الرواية الثانية:

وهى رواية محمّد بن أبى طالب فى كتابه (تسلية المجالس) فتفصّل القصة هكذا: أنّه بينما كان عبيداللّه يتكلّم مع أصحابه فى شأن عيادة هانى: «إذ دخل عليه رجل من أصحابه يُقال له مالك بن يربوع التميمى، فقال: أصلح اللّه الأمير، إنى كنت خارج الكوفة أجول على فرسى، إذ نظرتُ إلى رجل خرج من الكوفة مسرعاً إلى البادية، فأنكرته، ثمّ إنى لحقته، وسألته عن حاله فذكر أنه من أهل المدينة! ثمّ نزلت عن فرسى ففتشته فأصبت معه هذا الكتاب.

فأخذه ابن زياد ففضّه فإذا فيه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم: إلى الحسين بن على: أمّا بعدُ: فإنّى أُخبرك أنّه بايعك من أهل الكوفة نيفاً على عشرين ألف رجل،

---

(۱) مناقب آل أبى طالب، ۴: ۹۴؛ وعنه البحار، ۴۴: ۳۴۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۶۸

فإذا أتاك كتابى فالعجل العجل، فإنّ الناس كلّهم معك، وليس لهم فى يزيد هوى ..».

فقال ابن زياد: أين هذا الرجل الذى أصبت معه الكتاب؟

قال: هو بالباب.

فقال: إئتونى به.

فلمّا وقف بين يديه قال: ما اسمُك؟

قال: عبداللّه بن يقطين.

قال: من دفع إليك هذا الكتاب؟

قال: دفعته إلىَّ امرأة لا أعرفها!

فضحك ابن زياد وقال: إختر أحد اثنين، إمّا أن تخبرنى من دفع إليك الكتاب أو القتل!

فقال: أمّا الكتاب فإنّى لا أخبرك، وأمّا القتل فإنّى لا أكرهه لأنّى لا أعلم قتيلًا عند الله أعظم أجراً ممّن يقتله مثلك!

قال فأمر به فضربت عنقه». «۱»

فهذا الشهيد (رض) فى هاتين الروايتين- وخلافاً للمشهور- هو رسول من مسلم عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام، «۲» وهو فى رواية (تسلية المجالس) ابن يقطين

---

(۱) تسلية المجالس، ۲: ۱۸۲.

(۲) وقال بهذا أيضاً ابن قتيبة وابن مسكويه، أى: أنّ الذى أرسله الحسين قيس بن مسهّر .. وأنّعبداللّه بن يقطر بعثه الحسين عليه السلام مع مسلم، فلمّا رأى مسلم الخذلان قبل أن يتمّ عليه ما تمَّ بعث عبداللّه الى الحسين يخبره بالأمر الذى انتهى، فقبض عليه الحصين وصار ما صار من الأمر عليه. (راجع: إبصار العين: ۹۴).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۶۹

وليس ابن يقطر أو بقطر.

وهنا قد ينقدح فى الذهن احتمال أنّ عبدالله بن يقطر هو غير عبدالله بن يقطين هذا، بقرينة: اختلاف إسم الأب أوّلًا. وثانياً اختلاف اسم الرجل الذى ألقى القبض على ابن يقطر وهو حسب المشهور الحصين بن نمير (او ابن تميم) عن اسم الرجل الذى ألقى القبض على ابن يقطين هذا وهو مالك بن يربوع التميمى.

وثالثاً أنّ الأوّل أُلقىَ عليه القبض خارج الكوفة. ورابعاً أنّ الأوّل كما هو مشهور قُتل برميه من فوق القصر، بينما الثانى ضُربت عنقه.

ويمكن أن يُردّ على هذه المرتكزات التى يقوم عليها هذا الإحتمال:

أولًا: أنّ هناك ظنّاً قوياً فى أن يكون اسم يقطين تصحيفاً لإسم يقطر خصوصاً فى الكتب المخطوطة قديماً، ويقوّى هذا الظنّ أنّ اسم يقطين لم يرد إلّا فى كتاب تسلية المجالس، كما أن إسم الأب فى رواية ابن شهراشوب المشابهة لهذة الرواية هو يقطر «۱» وليس يقطين، هذا فضلًا عن أنّ رواية كتاب تسلية المجالس نفسها تذكر أنّ عبدالله هذا رجل من أهل المدينة، والتأريخ لم يذكر لنا رجلًا من شهداء النهضة الحسينية من أهل المدينة بهذا الإسم (من غير بنى هاشم) سوى عبدالله بن يقطر.

وثانياً: أنّه لايمنع من وحدة الشخص أنّ الأوّل ألقى القبض عليه الحصين بن

---

(۱) ويستفاد من كلام السيد الخوئى أنه يرى عبدالله بن يقطر شخصاً واحداً فى روايات القصةالمشهورة وفى رواية ابن شهراشوب الشاذة عن المشهور، حيث يقول: «وقد ذكر قصة قتله غير واحد من الأعلام، إلّا أنّ ابن شهراشوب ذكر أنه كان رسول مسلم الى الحسين عليه السلام وأنّ مالك بن يربوع أخذ الكتاب منه.» (معجم رجال الحديث، ۱۰: ۳۸۴).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷۰

نمير (أو تميم) وأنّ الثانى ألقى القبض عليه مالك بن يربوع التميمى، إذ قد يكون مالك بن يربوع أحد مأمورى الحصين، فتصحّ عندئذٍ نسبة إلقاء القبض إلى كليهما.

وثالثاً: أنّ قول مالك بن يربوع كما فى رواية تسلية المجالس: «كنت خارج الكوفة أجول على فرسى إذ نظرت الى رجل خرج من الكوفة مسرعاً يريد البادية ..» قد يعنى أنه نظر الى رجل أقبل من ناحية الكوفة مسرعاً يريد البادية، ولاينافى ذلك أنه نظر إليه فى القادسية أو قريباً منها (من ناحية الكوفة) حيث تنتشر قوّات الرصد الأموى على اتساع تلك المنطقة.

ورابعاً: أنه لا منافاة فى الإخبار عن قتله بأنه ضُربت عنقه فى حين أنّ ابن يقطر (رض) رُمى به من فوق القصر فتكسّرت عظامه وبقى به رمق ثم ذبحه اللخمى كما هو مشهور، ذلك لأنّ هذا التفاوت فى التعبير عن القتل غير مستغرب فى الاستعمال العرفى، وهو ليس فى

مستوى دقّة التعبير الفقهى أو الرياضى كما نعلم، ثمّ إنّ رواية ابن شهرآشوب ذكرت فقط أنّ ابن زياد أمر بقتله، ولم تتعرّض لطريقة القتل.

من هو عبداللَّه بن يقطر الحميرى؟

«كانت أمّه حاضنة للحسين عليه السلام كأمّ قيس بن ذريح للحسن عليه السلام، ولم يكن رضع عندها، ولكنّه يُسمّى رضيعاً له لحضانة أمّه له. وأمّ الفضل بن العبّاس لبابة كانت مربية للحسين عليه السلام ولم ترضعه أيضاً، كما صحّ فى الأخبار أنه لم يرضع من غير ثدى أمّه فاطمة صلوات اللَّه عليها وإبهام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تارة، وريقه تارة أخرى». «۱»

---

(۱) إبصار العين: ۹۳ لكنّ هناك روايات تذكر أنّه عليه السلام لم يرتضع حتى من ثدى أمّه فاطمة عليها السلام، منها عن الإمام الصادق عليه السلام: «.. ولم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام ولا من أُنثى، كان يُؤتى به النبىّ فيضع إبهامه فى فيه فيمصّ منها مايكفيه اليومين والثلاث، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول اللَّه ودمه». (الكافى، ۱: ۴۶۵، الحديث رقم ۴).

وعن الإمام أبى الحسن الرضا عليه السلام: «أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله كان يؤتى به الحسين فيلقمه لسانه، فيمصّه فيجتزىء به، ولم يرتضع من أُنثى» (الكافى، ۱: ۴۶۵).

لكنّ العلامة المجلسى رمى هاتين الروايتين بالإرسال. (مرآة العقول، ۵: ۳۶۵)؛ وللسيد عبدالحسين شرف الدين فيهما نظر (راجع: أجوبة موسى جار اللَّه).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷۱

وذكر ابن حجر فى الإصابة أنّ عبداللَّه بن يقطر كان صحابياً لأنّه لِدَةٌ للحسين عليه السلام. «۱»

وكان عبداللَّه بن يقطر رضوان اللَّه تعالى عليه من أهل اليقين والشجاعة الفائقة، إذ لمّا أمره ابن مرجانة قائلًا: «إصعد القصر والعن الكذّاب بن الكذّاب، ثمّ انزل حتى أرى فيك رأيى». «۲» صعد هذا البطل القصر «فلمّا أشرف على الناس قال:

أيّها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إليكم لتنصروه وتوازروه على ابن مرجانة وابن سميّة الدعىّ بن الدعىّ!». «۳»

والظاهر أنّ عبداللَّه بن يقطر رضوان اللَّه تعالى عليه قُتل قبل قيس بن مسهّر الصيداوى رضوان اللَّه تعالى عليه، الذى قتل بعد قتل مسلم عليه السلام، بدليل أنّ خبر مقتل عبداللَّه ورد إلى الإمام عليه السلام بزبالة فى الطريق إلى العراق فى نفس خبر مقتل مسلم عليه السلام وهانى رضوان اللَّه تعالى عليه، فنعاهم الإمام عليه السلام قائلًا: «أمّا بعدُ، فقد أتانا خبر فظيع، قُتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبداللَّه بن يقطر، وقد خذلنا

---

(۱) إبصار العين: ۹۳.

(۲) نفس المصدر.

(۳) نفس المصدر.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷۲

شيعتنا ..». «۱»

وبذلك يكون عبداللَّه بن يقطر رضوان اللَّه تعالى عليه ثانى رسل الإمام الحسين عليه السلام الذين استشهدوا أثناء أداء مهمة الرسالة، بعد شهيد النهضة الحسينية الأوّل سليمان بن رزين رضوان اللَّه تعالى عليه، رسول الإمام عليه السلام إلى أشراف البصرة، بل إنّ عبداللَّه

بن يقطر هو الشهيد الثانى فى النهضة الحسينية المباركة إذا ثبت تأريخياً أنه قُتل قبل قيام انتفاضة مسلم عليه السلام فى الكوفة.

اضطهاد رجال المعارضة وحبسهم وقتلهم

«إنّ ابن زياد لمّا اطّلع على مكاتبة أهل الكوفة الحسين عليه السلام حبس أربعة آلاف وخمسمائة رجل من التوابين من أصحاب أميرالمؤمنين وأبطاله الذين جاهدوا معه، منهم سليمان بن صرد وابراهيم بن مالك الأشتر و ... وفيهم ابطال وشجعان ولم يكن له سبيل الى نصر الحسين عليه السلام لأنهم كانوا مقيّدين مغلولين وكانوا يوماً يطعمون ويوماً لا يُطعمون». «۲»

وينقل المحقّق الشيخ باقر شريف القرشى عن كتاب (المختار مرآة العصر الأموى) أنّ عدد الذين اعتقلهم ابن زياد فى الكوفة إثنا عشر ألفاً، كما ينقل عن كتاب (الدرّ المسلوك فى أحوال الأنبياء والأوصياء) أنّ من بين أولئك المعتقلين سليمان بن صرد الخزاعى، والمختار بن ابى عبيد الثقفى وأربعمائة من الوجوه والأعيان. «۳»

---

(۱) نفس المصدر: ۹۴.

(۲) تنقيح المقال، ۲: ۶۳؛ وانظر: قاموس الرجال، ۵: ۲۸۰.

(۳) راجع: حياة الإمام الحسين بن على عليهما السلام، ۲: ۴۱۶؛ وقال المحقق القرشى: «وقد اثارت هذه الإجراءات عاصفة من الفزع والهلع، لا فى الكوفة فحسب وإنّما فى جميع أنحاء العراق، وقد ابتعد الكوفيون عن التدخل فى أية مشكلة سياسية، ولم تبدُ منهم أية حركة من حركات المعارضة، وأيقنوا أن لا قدرة لهم على الإطاحة بالعرش الأموىّ، وظلّوا قابعين تحت وطأة سياطه القاسية» (نفس المصدر، ۲: ۴۱۶).

ولنا تأمّل فى هذا القول، ولعلّنا نناقشه فى فصل حركة الأمة من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷۳

وذكر الطبرى أنّ ابن زياد «أمر أن يُطلب المختار وعبداللّه بن الحارث، «۱» وجعل فيهما جعلًا، فأُتى بهما فحبسا». «۲»

وقال البلاذرى: «أمر ابن زياد بحبسهما- المختار وابن الحارث- بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه، وبقيا فى السجن إلى أن قتل الحسين». «۳»

«ثمّ إنّ الحصين «۴»- صاحب شرطة ابن زياد- وضع الحرس على أفواه السكك، وتتبّع الأشراف الناهضين مع مسلم، فقبض على عبد الأعلى بن يزيد

---

(۱) عبداللّه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب: وهو الذى أنفذه الحسن عليه السلام إلىمعاوية، وله رواية عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى فضل فاطمة، وهو الذى حبسه ابن زياد مع المختار وميثم. (مستدركات علم رجال الحديث، ۴: ۵۰۸).

ولد فى حياة النبى صلى الله عليه و آله، واجتمع أهل البصرة عند موت يزيد على تأميره عليهم، وقال الزبير بن بكّار: هو ابن أخت معاوية بن أبى سفيان وأسمها هند، اصطلح عليه أهل البصرة فأمّروه عند هروب عبيداللّه بن زياد، وكتبوا إلى ابن الزبير بالبيعة له فأقرّه عليهم، خرج هارباً من البصرة إلى عمان خوفاً من الحجّاج عند فتنة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، فمات بها عام ۸۴ ه، (راجع: سير أعلام النبلاء، ۱: ۲۰۰)؛ وكان من سادة بنى هاشم. (نفس المصدر، ۳: ۵۳۱).

(۲) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۹۴.

(۳) أنساب الأشراف، ۵: ۲۱۵؛ عنه مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ۱۵۷.

(۴) الحصين بن نمير: «ملعون خبيث، من رؤساء جند ابن زياد، وكان من أتباع معاوية» (الغدير، ۱۰: ۲۹۵)؛ وكان مأموراً من قبل يزيد

لقتال ابن الزبير بمكة. (البحار، ۳۸: ۱۹۳ ومستدركات علم رجال الحديث، ۳: ۲۲۱).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷۴

الكلبى، «۱» وعمارة بن صلخب الأزدى «۲» فحبسهما، ثمّ قتلهما، وحبس جماعة من

---

(۱) عبدالأعلى بن يزيد الكلبى: فارس شجاع من الشيعة بالكوفة، بايع مسلماً وكان يأخذ البيعة لهوللحسين عليه السلام، فلما قُتل مسلم حبسه ابن زياد، وأمر بقتله فقتل. (مستدركات علم رجال الحديث، ۴: ۳۶۶).

قال الطبرى: «ثمّ إنّ عبيداللّه بن زياد لمّا قُتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة دعا بعبدالأعلى الكلبى الذى كان أخذه كثير بن شهاب فى بنى فتيان، فأُتى به فقال له: أخبرنى بأمرك. فقال: أصلحك اللّه، خرجت لأنظر ما يصنع الناس، فأخذنى كثير بن شهاب. فقال له: فعليك وعليك من الأيمان المغلّظة إن كان أخرجك إلا ما زعمت. فأبى أن يحلف! فقال عبيداللّه: انطلقوا بهذا إلى جبانة السبع فاضربوا عنقه. قال فانطلقوا به فضربت عنقه». (تأريخ الطبرى ۳: ۲۹۲).

وفى رواية أخرى للطبرى عن أبى مخنف قال: «حدّثنى أبوجناب الكلبى أنّ كثيراً ألفى رجلًا من كلب يُقال له عبد الأعلى بن يزيد قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل فى بنى فتيان، فأخذه حتى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنّما أردتك. قال: وكنت وعدتنى ذلك من نفسك! فأمر به فحُبس». (تأريخ الطبرى، ۳: ۲۸۷).

(۲) عمارة بن صلخب الأزدى: ذكر أهل السير أنه كان فارساً شجاعاً، من الشيعة الذين بايعوا مسلماً، وكان يأخذ البيعة للحسين عليه السلام، فلمّا تخاذل الناس عن مسلم أمر ابن زياد بقبضه وحبسه، ثمّ بعد شهادته أمر بضرب عنقه فضرب رضوان اللّه عليه. (تنقيح المقال، ۲: ۳۲۳).

وقال الطبرى: «وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دور بنى عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدى وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه». (تاريخ الطبرى، ۳: ۲۹۲)، ثمّ إنّ عبيداللّه- بعد قتل مسلم وهانى- «أخرج عمارة بن صلخب الأزدى، وكان ممن يريد أن يأتى مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره، فأُتىَ به أيضاً عبيداللّه، فقال له: ممن أنت؟ قال: من الأزد. قال: انطلقوا به إلى قومه. فضربت عنقه فيهم». (تاريخ الطبرى، ۳: ۲۹۲).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷۵

الوجوه استيحاشاً منهم، وفيهم الأصبغ بن نباتة، «۱» والحارث الأعور الهمدانى «۲»». «۳»

حبس ميثم التمّار

يُستفاد من ظاهر بعض المتون التى تروى قصة مقتل الشهيد الفذّ ميثم التمّار (رض) أنّ قتله كان فى أواخر شهر ذى الحجّة سنة ستين للهجرة، كقول الشيخ المفيد (ره): «وحجّ فى السنة التى قُتل فيها»، «۴» وتصرّح بعض المتون أنه (رض) قتل قبل وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق: «وكان مقتل ميثم قبل

---

(۱) الأصبغ بن نباتة: مشكور، من خواصّ أصحاب أميرالمؤمنين والحسنين عليهم السلام، وروى عنه عهد الأشتر ووصيته إلى ابنه محمد بن الحنفية، وهو من شرطة الخميس الذين ضمنوا له الذبح وضمن لهم الفتح. وعدّه أميرالمؤمنين عليه السلام من ثقاته العشرة، وهو الذى أعانه على غسل سلمان الفارسى، وممن حمل سرير سلمان لمّا أراد أن يكلّم الموتى. وكان الأصبغ يوم صفين على شرطة الخميس وقال لعلى عليه السلام: قدّمنى فى البقية من الناس فإنك لا تفقد لى اليوم صبراً ولا نصراً. قال عليه السلام: تقدّم باسم اللّه والبركة. فتقدّم وأخذ رايته وسيفه فمضى بالراية مرتجزاً، فرجع وقد خضب سيفه ورمحه دماً. وكان شيخاً ناسكاً عابداً، وكان إذا لقى

القوم لايغمد سيفه، وكان من ذخائر على، ممن قد بايعه على الموت، وكان من فرسان العراق، وهو الذى يقول: حفظت مائة فصل من مواعظ أميرالمؤمنين عليه السلام، وحفظت من خطاباته كنزاً لايزيده الإنفاق إلّا سعة وكثرة. (مستدركات علم رجال الحديث، ۱: ۶۹۲).

(۲) الحارث الأعور الهمدانى: كان من أولياء أميرالمؤمنين، وعدّه علىّ عليه السلام من ثقاته العشرة، وعن ابن أبى الحديد: وكان أحد الفقهاء. توفى عام ۶۵ ه. ق (مستدركات علم رجال الحديث، ۲: ۲۶۰).

«وعن الطبرى: كان من مقدّمى أصحاب علىّ فى الفقه والعلم بالفرائض والحساب» (قاموس الرجال، ۳: ۱۴).

وثّقه العامّة ومدحوه، ونقلوا الروايات عنه فى الصحاح وغيرها. (الغدير، ۱۱: ۲۲۲).

(۳) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ۱۵۷.

(۴) الإرشاد: ۱۷۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷۶

قدوم الحسين بن على عليهما السلام إلى العراق بعشرة أيّام»، «۱» بل تصرّح أخرى قائلة:

«وشهادته قبل يوم عاشوراء بعشرين يوماً أو عشرة أيام». «۲»

وعلى أىٍ من هذه الأقوال، يكون ميثم التمار (رض) قد قتل فيما بعد خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة، وفى أثناء أيّام الرحلة إلى العراق.

أمّا حبسه (رض) فى سجن ابن زياد فهناك إشاره تأريخية يمكن الإستفادة منها أنه حُبس مع المختار فى وقت معاً، كما فى قول الشيخ المفيد (ره): «فحبسه وحبس معه المختار ..»، «۳» أى قبل مقتل مسلم عليه السلام، وعلى هذا يكون حبسه (رض) فى الفترة التى كان فيها الإمام عليه السلام بمكّة المكرّمة.

ميثم التمّار رضوان اللّه تعالى عليه

يندُر أن ترى كتاباً يتناول تأريخ النهضة الحسينية وفاجعة عاشوراء يذكر ميثم التمّار (رض) فى جملة شهداء فترة تأريخ تلك النهضة المقدّسة مع أنه (رض) من طليعة الأبرار وخواص الأولياء الذين استشهدوا فى تلك الفترة لولائهم لأهل البيت عليهم السلام وعدائهم للحكم الأموىّ، ولشهادته نفسها خصوصية تجعلها فى العلياء من روائع تأريخ وقائع الإستشهاد فى سبيل اللّه تعالى وفى القمة من نوادره.

هو ميثم بن يحيى- أو عبداللّه- التمّار الأسدىّ الكوفى، وهو من حوارىّ أميرالمؤمنين والحسن والحسين صلوات اللّه عليهم، والروايات فى مدحه وجلالته وعظم شأنه وعلمه بالمغيّبات كثيرة لاتحتاج إلى البيان، ولو كان بين

---

(۱) إعلام الورى: ۱۷۴؛ وعنه تنقيح المقال، ۳: ۲۶۲؛ وانظر أيضاً: الإرشاد: ۱۷۱.

(۲) مستدركات علم رجال الحديث، ۸: ۴۴.

(۳) الإرشاد: ۱۷۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷۷

العصمة والعدالة مرتبة وواسطة لأطلقناها عليه. «۱»

كان ميثم (رض) لمنزلته الخاصة عند اللّه تبارك وتعالى وعند أهل البيت عليهم السلام قد رزق علم المنايا والبلايا، وقد شاعت عنه إخباراته بمغيّبات كثيرة، ومنها أنه أخبر حبيب بن مظاهر باستشهاده فى نصرة الحسين عليه السلام وأنه يُجال برأسه فى الكوفة كما

أخبر المختار بأنه ينجو من سجن ابن زياد، ويخرج ثائراً مطالباً بدم الحسين عليه السلام فيقتل ابن زياد ويطأ بقدميه على وجنتيه، «۲» بل أخبر ابن زياد نفسه بأنه يقتله وبالطريقة التى يقتله بها وأنّه أوّل من يُلجم فى الإسلام. «۳»

روى «أنّ ميثم التمّار كان عبداً لامرأة من بنى أسد، فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام منها فأعتقه، فقال له: ما اسمك؟

فقال: سالم.

فقال: أخبرنى رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّ اسمك الذى سمّاك به أبواك فى العجم ميثم.

قال: صدق اللّه ورسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنه لأسمى!

قال: فارجع إلى اسمك الذى سمّاك به رسول اللّه صلى الله عليه و آله ودع سالماً، فرجع إلى ميثم واكتنى بأبى سالم.

فقال له علىّ عليه السلام ذات يوم: إنك تُؤخذ بعدى فتُصلب وتُطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً يخضّب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب، فتُصلب على باب

---

(۱) راجع: مستدركات علم رجال الحديث، ۸: ۴۴؛ وانظر: تنقيح المقال، ۳: ۲۶۲؛ فقد قال المامقانى أيضاً: «بل لو كانت بين العصمة والعدالة مرتبة واسطة لأطلقناها عليه».

(۲) راجع: بحار الانوار، ۴۵: ۳۵۳.

(۳) كما سيأتى فى نفس رواية الإرشاد الآتية.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷۸

عمرو بن حُريث عاشر عشرة، أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهّرة، وامضِ حتى أريك النخلة التى تُصلب على جذعها.

فأراه إيّاها. وكان ميثم يأتيها فيصلّى عندها ويقول: بوركتِ من نخلة، لكِ خُلِقتُ ولى غُذِيتِ، ولم يزل يتعاهدها حتى قُطعت، وحتى عرف الموضع الذى يُصلب عليها «۱» بالكوفة.

قال: وكان يلقى عمرو بن حُريث فيقول له: إنّى مجاورك فأحسن جوارى!

فيقول له عمرو: أتريد أن تشترى دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم؟

وهو لايعلم ما يريد.

وحجّ فى السنة التى قُتل فيها، فدخل على أمّ سلمة رضى اللّه عنها.

فقالت: من أنت؟

قال: أنا ميثم.

قالت: واللّه لربّما سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يذكرك ويوصى بك عليّاً فى جوف الليل.

فسألها عن الحسين عليه السلام، فقالت: هو فى حايط له.

قال: أخبريه أنّنى قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين إن شاء اللّه تعالى. «۲»

---

(۱) هكذا فى الأصل، والصحيح (عليه).

(۲) فى قول الشيخ المفيد قدس سره: «وحجّ فى السنة التى قُتِل فيها»، وفى قوله: «فسألها عن الحسين عليه السلام، فقالت: هو فى حايط له. قال: أخبريه أننى قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين ...» مدعاة للإستغراب والتأمّل!

تُرى كيف يكون قد حجّ فى تلك السنة ولم يكن قد رأى أو التقى الإمام عليه السلام فى مكّة المكرّمة طيلة المدّة الطويلة التى كان الإمام عليه السلام فيها بمكة!؟

الراجح أنّ مراد الشيخ المفيد قدس سره من قوله «وحجّ» أصل زيارة بيت اللّه الحرام، وإن كانت هذه الزيارة عمرة، ولدينا فى رواية أخرى تصريح من ابنه وهو حمزة بن ميثم (يصف أحداث نفس هذه الزيارة) يقول فيه: «خرج أبى الى العمرة ..» (بحار الأنوار، ۴۲: ۱۲۹). فهذه الزيارة كانت عمرة، والراجح أيضاً أنّ وصوله الى المدينة المنوّرة كان قبل شهر رجب سنة ستين أو فيه، فيما قبل وصول نبأ موت معاوية إلى المدينة، أىّ قبل مطالبة السلطة الأموية الإمام الحسين عليه السلام بالبيعة ليزيد، ذلك لأنّ الظاهر من تأريخ ما بعد ذلك الى خروج الإمام عليه السلام من المدينة هو أنّ الإمام عليه السلام لم يخرج الى حائط له خارج المدينة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۷۹

فدعت أمّ سلمة بطيب وطيّبت لحيته، وقالت له: أما إنّها ستُخضّب بدم!

فقدم الكوفة، فأخذه عبيد اللّه بن زياد لعنه الله، فأُدخل عليه

فقيل له: هذا كان من آثر الناس عند علىّ!

قال: ويحكم، هذا الأعجمىّ!

قيل له: نعم!

قال له عبيد اللّه: أين ربّك!؟

قال: لبالمرصاد لكلّ ظالم، وأنت أحد الظلمة!

قال: إنّك على عجمتك لتبلغ الذى تريد! ما أخبرك صاحبك أنى فاعل بك؟

قال: أخبرنى أنّك تصلبنى عاشر عشرة، أنا أقصرهم خشبة، وأقربهم إلى المطهّرة.

قال: لنخالفنّه.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۸۰

قال: كيف تخالفه!؟ فوالله ما أخبرنى إلّا عن النبىّ صلى الله عليه و آله عن جبرئيل عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء!؟ ولقد عرفت الموضع الذى أُصلب عليه أين هو من الكوفة، وأنا أوّل خلق اللّه أُلجم فى الإسلام!

فحبسه وحبس معه المختار بن أبى عبيدة، قال له ميثم: إنّك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذى يقتلنا.

فلمّا دعا عبيد اللّه بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله فخلّا عنه، «۱» وأمر بميثم أن يصُلب، فأُخرج.

فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم!؟

فتبسّم وقال وهو يومى إلى النخلة: لها خُلقتُ، ولى غُذيتْ!

فلمّا رفع على الخشبة اجتمع النّاس حوله على باب عمرو بن حُريث، قال عمرو: قد كان واللّه يقول إنّى مجاورك! فلمّا صُلب أمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشّه وتجميره، فجعل ميثم يحدّث بفضائل بنى هاشم، فقيل لابن زياد:

قد فضحكم هذا العبد! فقال: ألجموه. وكان أوّل خلق الله أُلجم فى الإسلام، وكان قتل ميثم رحمة الله قبل قدوم الحسين بن على عليه السلام بعشرة أيّام، فلمّا كان اليوم الثالث من صلبه طُعن ميثم بالحربة، فكبّر، ثمّ انبعث فى آخر النهار فمه وأنفه دماً». «۲»

---

(۱) إن المتأمل فى دلالة هذا يستنتج أنّ المختار كان طليقاً قبل وصول الإمام عليه السلام الى العراق- لأنّ ميثم قُتل قبل وصول الإمام عليه السلام الى العراق- وهذا خلاف المشهور، وعليه يمكن القول: لعلّ المختار (ره) كان تحت رقابة شديدة أو إقامة جبرية منعته من الإلتحاق بالإمام عليه السلام، والله العالم.

(۲) الإرشاد: ۱۷۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۸۱

التجسس لمعرفة مكان قيادة الثورة

لمّا علم مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام بالإجراءات الإرهابية المتسارعة التى اتخذها عبيد الله بن زياد «وما أخذ به العرفاء والناس، خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هانىء بن عروة فدخلها، فأخذت الشيعة تختلف إليه فى دار هانىء على تستّر واستخفاء من عبيد اللّه، وتواصوا بالكتمان، فدعا ابن زياد مولى له يُقال له معقل، فقال: خذ ثلاثة آلاف درهم، واطلب مسلم بن عقيل والتمس أصحابه، فإذا ظفرت بواحدٍ منهم أو جماعة فأعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم، وقل لهم:

استعينوا بها على حرب عدوّكم، وأعلمهم أنّك منهم، فإنّك لو قد أعطيتهم إيّاها لقد اطمأنّوا إليك ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئاً من أمورهم وأخبارهم، ثمّ اغدُ عليهم ورُحْ حتى تعرف مستقرّ مسلم بن عقيل وتدخل عليه.

ففعل ذلك، وجاء حتى جلس إلى مسلم بن عوسجة الأسدى فى المسجد الأعظم وهو يصلّى، فسمع قوماً يقولون: هذا يبايع للحسين، فجاء وجلس إلى جنبه حتى فرغ من صلاته ثم قال: يا عبدالله، إنّى امرؤ من أهل الشام، أنعم الله علىَّ بحبّ أهل البيت وحبّ من أحبهم. وتباكى له، وقال: معى ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغنى أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلّنى عليه، ولا أعرف مكانه، فإنّى لجالس فى المسجد الآن إذ سمعت نفراً من المؤمنين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت وإنّى أتيتك لتقبض منّى هذا المال، وتدخلنى على صاحبك فإنّى أخ من إخوانك وثقة عليك، وإن شئت أخذت بيعتى له قبل لقائه.

فقال له ابن عوسجة: أحمُد الله على لقائك إيّاى، فقد سرّنى ذلك، لتنال الذى تحبّ، ولينصرنّ اللّه بك أهل بيت نبيّه عليه وعليهم السلام، ولقد ساءنى معرفة الناس إيّاى بهذا الأمر قبل أن يتمّ مخافة هذا الطاغية وسطوته.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۸۲

فقال له معقل: لايكون إلّا خيراً، خذ البيعة علىَّ!

فأخذ بيعته، وأخذ عليه المواثيق المغلّظة ليناصحنّ وليكتمن، فأعطاه من ذلك مارضى به، ثمّ قال له: إختلف إلىَّ أيّاماً فى منزلى فإنّى طالب لك الأذن على صاحبك. وأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الأذن فأُذِنَ له، وأخذ مسلم بن عقيل بيعته، وأمر أبا ثمامة الصّائدى بقبض المال منه، وهو الذى كان يقبض أموالهم وما يعين به بعضهم بعضاً، ويشترى لهم به السلاح، وكان بصيراً وفارساً من فرسان العرب، ووجوه الشيعة، وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أوّل داخل وآخر خارج، وحتى فهم ما احتاج إليه ابن زياد من أمرهم، فكان يخبره به وقتاً فوقتاً». «۱»

حبس هانى بن عروة المرادى

ولمّا كثر تردد الرجال من أهل الكوفة على مسلم بن عقيل عليه السلام فى بيت هانى بن عروة، أو جس فى نفسه المحذور «وخاف هانى بن عروة عبيد الله على نفسه، فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه: مالى لا أرى هانياً!؟

فقالوا: هو شاكٍ. فقال: لو علمتُ بمرضه لعدته.

ودعى محمّد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجّاج الزبيدى وكانت رويحة بنت عمرو تحت هانى بن عروة، وهى أمّ يحيى بن هانى.

فقال لهم: ما يمنع هانى بن عروة من إتياننا؟

فقالوا: ماندرى، وقد قيل إنه يشتكى.

قال: قد بلغنى أنه قد برىء وهو يجلس على باب داره! فالقوه ومروه ألّا يدع ما عليه من حقّنا، فإنّى لا أحبّ أن يفسد عندى مثله من

أشراف العرب.

---

(۱) الإرشاد: ۲۰۷؛ وعنه البحار، ۴۳: ۳۴۲- ۳۴۳.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۱۸۳

فأتوه حتی وقفوا علیه عشیّة وهو جالس علی بابه.

وقالوا له: ما یمنعک من لقاء الأمیر فإنه قد ذکرک وقال لو أعلم أنه شاک لَعُدْتُه.

فقال لهم: الشکوی تمنعنی.

فقالوا له: قد بلغه إنک تجلس کلّ عشیّة علی باب دارک، وقد استبطأک، والإبطاء والجفاء لایحتمله السلطان، أقسمنا علیک لما رکبت معنا.

فدعی بثیابه فلبسها، ثمّ دعی ببغلة فرکبها، حتی إذا دنی من القصر کأنّ نفسه أحسّت ببعض الذی کان.

فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة: یا ابن الأخ، إنی واللّه لهذا الرجل لخایف، فما تری؟

فقال: یا عمّ، والله ما أتخوف علیک شیئاً ولم تجعل علی نفسک سبیلا. ولم یکن حسّان یعلم فی أیّ شیء بعث إلیه عبید الله.

فجاء هانی حتی دخل علی عبید الله بن زیاد وعنده القوم، فلما طلع قال عبید الله: أتتک بخاینٍ «۱» رجلاه!

فلمّا دنی من ابن زیاد، وعنده شریح القاضی، «۲» التفت نحوه فقال:

---

(۱) هذا مثل معروف وقد ضبطه المحقّق السماوی هکذا: «أتتک بحائنٍ رجلاه تسعی»: الحائن المیّت، من الحَیْن بفتح الحاء وهو الموت. (إبصار العین: ۱۴۳).

(۲) شریح القاضی: «هو شریح بن الحارث بن المنتجع الکندی وقیل: اسم أبیه معاویة، وقیل: هانیء وقیل: شراحیل، ویکنّی أبا أمیّة. استعمله عمر بن الخطاب علی القضاء بالکوفة، فلم یزل قاضیاً ستین سنة. لم یتعطل فیها إلا ثلاث سنین فی فتنة ابن الزبیر امتنع من القضاء، ثم استعفی الحجاج فی العمل فأعفاه، فلزم منزله إلی أن مات، وعمّر عمراً طویلًا، قیل: إنه عاش مائةو ثمانی سنین، وقیل: مائة سنة، وتوفی سنة سبع وثمانین، وکان خفیف الروح مزّاحاً ... وأقرّ علیٌّ شریحاً علی القضاء مع مخالفته له فی مسائل کثیرة من الفقه مذکورة فی کتب الفقهاء، وسخط علی علیه السلام مرّة علیه فطرده عن الکوفة ولم یعزله عن القضاء وأمره بالمقام ببانقیا، وکانت قریة قریبة من الکوفة أکثر ساکنیها الیهود، فأقام بها مدّة حتی رضی عنه. وأعاده إلی الکوفة وقال أبو عمرو بن عبدالبر فی الاستیعاب أدرک شریح الجاهلیة ولا یُعَدُّ من الصحابة بل من التابعین ..» (راجع البحار، ۴۲: ۱۷۵؛ وشرح النهج لابن أبی الحدید، ۱۴: ۲۹).

«روی الاعمش، عن ابراهیم التمیمی، قال: قال علی علیه السلام لشریح، وقد قضی قضیة نَقَم علیه أمرها: والله لأنفیّنک إلی بانقیا شهرین تقضی بین الیهود. قال: ثم قُتِل علی علیه السلام ومضی دهر، فلمّا قام المختارین أبی عبید قال لشریح: ما قال لک أمیر المؤمنین علیه السلام یوم کذا؟ قال إنه قال لی کذا. قال: فلاوالله لاتقعد حتی تخرج إلی بانقیا تقضی بین الیهود فسیّره الیها فقضی بین الیهود شهرین.» (راجع: شرح النهج لابن أبی الحدید، ۴: ۹۸).

و «... یقال إنه من أولاد الفرس الذین کانوا بالیمن، أدرک النبی صلی الله علیه و آله ولم یلقه علی الصحیح ... استقضاه عمر علی الکوفة، وأقرّه علی بن أبی طالب علیه السلام وأقام علی القضاء بها ستین سنة، وقضی بالبصرة سنة، ویقال: قضی بالکوفة ثلاثاً وخمسین سنة، وبالبصرة سبع سنین .. مات وهو ابن مائة وعشر سنین. وفی روایة أخری، مائة وعشرون سنة، قیل مات سنة سبع وتسعین ..» (تهذیب الکمال، ۸: ۳۱۸).

وقال الذهبی: «عزل ابن الزبیر شریحاً عن القضاء، فلمّا ولی الحجاج ردّه، .. أن فقیهاً جاء الی شریح فقال: ما الذی أحدثت فی القضاء.

قال، إنّ الناس أحدثوا، فأحدثت ...» (سير اعلام النبلاء ۴: ۱۰۳)

وقال المامقانی: «... وقد ذكر المؤرخون أنه ممن شهد على حجر بن عدی الكندی بالكفر والخروج عن الطاعة، وكتب زياد شهادته الى معاوية مع سائر الشهود، واراد أمير المؤمنين عليه السلام عزله فلم يتيسر له لأنّ أهل الكوفة قالوا: لاتعزله لأنه منصوب من قبل عمر، وبايعناك على أن لاتغيّر شيئاً قرّره أبو بكر وعمر ... وقد أساء الأدب مع أمير المؤمنين فی مقامات مثل طلبه البيّنة منه عليه السلام على درع طلحة، وصياحه واسنّة عمراه عند نهيه عن صلوة التراويح الى غير ذلك مما تغنی شهرته عن النقل» (تنقيح المقال، ۲: ۸۳).

«وروى الطبری عن أبی مخنف «أنّ الناس قالوا للمختار: إجعل شريحاً قاضياً، فسمع الشيعة يقولون: إنه عثمانی، وإنه ممن شهد على حُجر، وإنه لم يبلّغ عن هانی ما أرسله به، وإنّ علياً عليه السلام عزله عن القضاء» (تاريخ الطبری، ۶: ۳۴).

روی فی الحلية عن ابراهيم بن زيد التميمی، عن أبيه، قال: وجد علی عليه السلام درعاً له عند يهودی التقطها، فعرفها، فقال: درعی سقطت عن جمل لی أورق، فقال اليهودی: درعی وفی يدی! ثم قال اليهودی: بينی وبينك قاضی المسلمين، فأتوا شريحاً (الی ان قال) فقال شريح لعلی عليه السلام صدقت ولكن لابد من شاهدين، فدعا قنبراً مولاه والحسن، وشهدا انه درعه، فقال شريح: اما شهادة مولاك فقد أجزناها واما شهادة ابنك لك فلا نجيزها! فقال: ثكلتك امك! افلا تجيز شهادة سيد شباب اهل الجنة به والله لأوجهنّك الی بانقيا تقضی بين أهلها أربعين يوماً، ثم قال عليه السلام لليهودی: خذ الدرع، فقال اليهودی: أمير المؤمنين جاء معی إلی قاضی المسلمين فقضی عليه ورضی! صدقت والله، إنها لدرعك، سقطت لك عن جمل، إلتقطتها، أشهد ألّا إله إلّا اللّه وأنّ محمداً رسوله فوهبها له علیٌّ عليه السلام وأجازه بتسع مائة، وقُتِلَ فی يوم صفين» (راجع حلية الاولياء، ۴: ۱۳۹ وقاموس الرجال، ۵: ۴۰۸).

وروی الشيخ الصدوق قدس سره: «أنّ علياً عليه السلام كان فی مسجد الكوفة، فمرّ به عبداللّه بن فضل التميمی ومعه درع طلحة فقال عليه السلام: هذه درع طلحة أُخذت غلولًا يوم البصرة. فقال: إجعل بينی وبينك قاضيك!، فقال شريح له عليه السلام: هات بيّنة! فأتاه بالحسن عليه السلام فقال: هذا واحد ولا أقضی بشاهد حتی يكون معه آخر، فأتی عليه السلام بقنبر، فقال: هذا مملوك ولا أقضی بشهادة المملوك!. فغضب عليه السلام وقال: خذوا الدرع! فإنّ هذا قضی بجَوْرٍ ثلاث مرّات، فقال شريح: من أين؟ قال: قلتُ لك: إنها درع طلحة اخذت غلولًا يوم البصرة فقلت: هاتِ بيّنة، وقد قال النبیُّ «حيثما وجد غلول أخذت بغير بيّنة»، ثم أتيتك بالحسن فقلت: لا اقضی حتی يكون معه آخر، وقد قضی النبی بشاهد ويمين، ثم أتيتك بقنبر فقلت: هذا مملوك، وما بأسٌ بشهادة المملوك اذا كان عدلًا ثم قال: يا شريح إنّ إمام المسلمين يؤتمن فی أمورهم على ما هو أعظم من هذا» (من لايحضره الفقيه، ۳: ۶۳).

قال المجلسی الأوّل بعد نقل هذه الرواية: «فتحول شريح عن مجلسه وقال: لا أقضی بين إثنين حتی تخبرنی من أين قضيتُ بجورٍ ثلاث مرّات!؟»

قال المجلسی أما تحوّل شريح عن مجلسه فيدّلُّ على كفره كما هو ظاهرٌ من ردّ قول المعصوم مستخفّاً. (روضة المتقين، ۶: ۲۶۱).

مع الركب الحسينی ،ج۲،ص:۱۸۶ أريد حياته ويريد قتلیعذيرك من خليلك من مراد

وقد كان أوّل ما قدم مكرماً له ملطفاً

فقال له هانی: وما ذاك أيها الأمير؟

قال: إيه يا هانی بن عروة، ما هذه الأمور التی تربّص فی دارك لأمير المؤمنين وعامّة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال فی الدور حولك، وظننت أنّ ذلك يخفی علیّ؟

قال: ما فعلت ذلك، وما مسلم عندی.

قال: بلی قد فعلت.

فلمّا كثر ذلك بينهما وأبی هانی إلّا مجاحدته ومناكرته، دعی ابن زياد معقلًا ذلك العين فجاء حتی وقف بين يديه

فقال: أتعرف هذا؟

قال: نعم!

وعلم هانی عند ذلک أنه کان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فأُسقط فی يده ساعهً، ثمّ راجعته نفسه.

فقـال: إسـمع منّى وصـدّق مقـالتى، فوالله لاـ كـذبت، والله مـادعوته إلى منزلى، ولاـ علمت بشـىء من أمره حتّى جاءنى يسألنى النزول فاستحييتُ من ردّه، ودخلنى من ذلک ذمام فضيّفته وآويته، وقد كان من أمره ما بلغک، فإن شئت أن

مع الرکب الحسينى ،ج۲،ص:۱۸۷

أعطيک الآن موثقاً مغلّظاً ألّا أبغيک سوءً ولاغائلهً، ولآتينّک حتّى اضع يـدى فى يـدک، وإنْ شـئت أعطيتک رهينـهً تكون فى يدک حتى آتيک، وأنطلق إليه فآمره أن يخرج من دارى إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره!

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقنى أبداً حتّى تأتينى به.

قال: لا والله، لا أجيئک به ابداً، أجيئک بضيفى تقتله!؟

قال: والله لتأتينّى به.

قال: لا والله لا آتيک به.

فلمّـا كثر الكلام بينهما قام مسـلم بن عمرو الباهلى- وليس بالكوفـهٔ شامى ولا بصـرىٌ غيره- فقال: أصـلح اللَّه الأمير، خلّنى وإيّاه حتى أكلّمه.

فقام فخلا به ناحيهً من ابن زياد، وهما منه بحيث يراهما، فإذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان.

فقال له مسلم: ياهانى، أُنشدک اللَّه أن تقتل نفسک، وأن تدخل البلاء فى عشيرتک، فواللَّه إنّى لأنفس بک عن القتل، إنّ هذا الرجل إبن عمّ القوم، وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليهم فإنّه ليس عليک بذلک مخزاهٔ ولا منقصهٔ، إنّما تدفعه إلى السلطان!

فقال هانى: واللَّهِ إنّ علىَّ فى ذلک الخزى والعار أن أدفع جارى وضـيفى وأنا حىٌّ صـحيح، أسـمع وأرى، شديد الساعد كثير الأعوان، واللَّه لو لم أكن إلّا واحداً ليس لى ناصر لم أدفعه حتّى أموت دونه!

فأخذ يناشده وهو يقول: واللَّه لا أدفعه إليه أبداً!

فسمع ابن زياد ذلک، فقال: أدنوه منى.

مع الرکب الحسينى ،ج۲،ص:۱۸۸

فأدنوه منه، فقال: واللَّه لتأتينّى به أو لأضربنّ عنقک.

فقال هانى: إذن لكثر البارقهٔ حول دارک!

فقال ابن زياد: والهفاه عليک، أبالبارقهٔ تخوّفنى!؟- وهو يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه- ثمّ قال: أدنوه منّى.

فأُدنى منه، فاعترض وجهه بالقضـيب، فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخدَّه حتى كسر أنفه وسالت الدماء على وجهه ولحيته، ونثر لحم جبينه وخده على لحيته حتى كسر القضيب، وضرب هانى يده إلى قائم سيف شرطىّ، وجاذبه الرجل ومنعه.

فقال عبيداللَّه: أحرورىّ ساير اليوم!؟ قد حلّ لنا دمک، جرّوه! فجرّوه، فألقوه فى بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه.

فقال: إجعلوا عليه حرساً. ففعل ذلک به». «۱»

أعوان السلطهٔ .. والخدعهٔ المشتركهٔ!

فى قصهٔ حبس هانى بن عروهٔ (رض) هناک دور مريب لعمرو بن الحجّاج الزبيدى الذى تفانى فى امتثال أوامر ابن زياد وابن سعد فى كربلاء، مع أنّ هانياً كان صهراً له!

فالروايهٔ التأريخيهٔ التى قصّت علينا واقعهٔ حبس هانى ذكرت أنّ عمرو بن الحجّاج كان أحد الذين أتوا هانياً إلى باب منزله وألحّوا عليه

بإتيان عبيداللَّه، فالظاهر أنّه شهد ما جرى على هانى فى لقائه مع عبيداللَّه، لكنّ سياقها بعد ذلك يُلفتُ الإنتباه حيث تقول: «وبلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانياً قد قُتل، فأقبل فى

---

(۱) الإرشاد: ۲۰۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۸۹

مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثمّ نادى: أنا عمرو بن الحجّاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغهم أنّ صاحبهم قتل فأعظموا ذلك.

فقيل لعبيداللَّه بن زياد: هذه مذحج بالباب!

فقال لشريح القاضى: أدخل على صاحبهم فانظر إليه، ثمّ اخرج وأعلمهم أنه حىّ لم يُقتل!

فدخل شريح فنظر إليه، فقال هانى لمّا رأى شريحاً: يالله، ياللمسلمين! أهلكت عشيرتى؟ أين أهل الدين؟ أين أهل المصر؟- والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على باب القصر- فقال: إنّى لأظنّها أصوات مذحج وشيعتى من المسلمين، إنّه إن دخل علىَّ عشرة نفر أنقذونى!

فلمّا سمع كلامه شريح خرج إليهم فقال لهم: إنّ الأمير لمّا بلغه مكانكم ومقالتكم فى صاحبكم أمرنى بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرنى أن ألقاكم وأعرّفكم أنّه حىّ، وأنّ الذى بلغكم من قتله باطل!

فقال له عمرو بن الحجّاج وأصحابه: أمّا إذا لم يُقتل فالحمد للَّه. ثمّ انصرفوا». «۱»

فإذا كان المتأمّل فى هذا النصّ لايشك فى الدور الخيانى الذى لعبه شريح القاضى فى ممارسته التورية حيث أظهر لمذحج وكأنّ هانى بن عروة (رض) هو الذى أمره بلقاء مذحج وأن يعرّفهم بأنه حىّ لابأس عليه، فإنّ المتأمّل ليشك كثيراً فى نزاهة الدور الذى لعبه عمرو بن الحجّاج الذى ربّما كان قد شهد ما فعله ابن زياد بهانى فى القصر حسب ما يُستفاد من السياق الأوّل للرواية.

---

(۱) الإرشاد: ۲۱۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹۰

متى خرج عمرو بن الحجاج من القصر؟ وكيف تصدّى لقيادة مذحج وأتى بجموعها فى وقت قصير نسبياً؟ ولماذا اكتفى بقول شريح ولم يدخل- وهو من المقرّبين لابن زياد- ليرى بنفسه هانياً وحقيقة ماجرى عليه داخل القصر!؟

إنّ استمرار ولاء عمرو بن الحجّاج الزبيدى لابن زياد حتى بعد مقتل هانى بن عروة (رض)، ليقوىّ الريب فى أنّ هذا الرجل كان قد تعمّد التصدّى لجموع مذحج التى أقبلت الى القصر معترضة على حبس هانى، ليركب موجتها ثم ليخدعها وليصرفها عن إخراج هانى من القصر بقوّة السلاح، متواطئاً فى ذلك مع عبيداللَّه بن زياد وشريح القاضى فى تنفيذ الخدعة المشتركة لتضليل مذحج.

تسخير الأشراف لتخذيل الناس عن مسلم عليه السلام

لمّا علم مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام باعتقال هانى قام فى الكوفة على ابن زياد، وأعلن عن بدء الثورة، وحاصر القصر بجموع من اتبعه من أهل الكوفة، أغلق ابن زياد أبواب القصر عليه وعلى من كان معه فى القصر من أشراف الناس ومن شرطته وأهل بيته ومواليه، وقبع فيه خائفاً يأكل قلبه الرعب وأبى من الجبن أن يخرج بمن معه لمواجهة قوات مسلم عليه السلام، يقول الطبرى: «فلمّا اجتمع عند عبيداللَّه كثير بن شهاب ومحمد (أى ابن الأشعث) والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، فقال له كثير- وكانوا مناصحين لابن زياد- أصلح اللَّه الأمير، معك فى القصر ناس كثير من أشراف الناس، ومن شُرطك، وأهل بيتك، ومواليك، فاخرج بنا إليهم. فأبى عبيداللَّه

..». «۱»

لكنّ عبيداللَّه فى ساعات خوفه لجأ إلى تسخير الأشراف الذين كانوا معه فى القصر وأمرهم بتخذيل الناس عن مسلم، يقول التأريخ: «فبعث عبيداللَّه الى

---

(۱) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۸۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹۱

الأشراف فجمعهم إليه، ثمّ قال: أشرفوا على الناس، فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوّفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم». «۱»

يقول شاهد عيان كان مع الناس خارج القصر، وهو عبداللَّه بن حازم الكبرى من الأزد من بنى كبير: «أشرف علينا الأشراف، فتكلّم كثير بن شهاب أوّل الناس حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيها الناس، إلحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشرّ ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أميرالمؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى اللَّه الأميرُ عهداً لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذرّيتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم فى مغازى أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البرىء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرّت أيديها. وتكلّم الأشراف بنحو من كلام هذا، فلمّا سمع مقالتهم الناس أخذوا يتفرّقون وأخذوا ينصرفون». «۲»

تفتيش دور الكوفة بحثاً عن مسلم عليه السلام

وبعد أن آل أمر مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام إلى أن يبقى وحيداً متخفياً قد تفرّقت عنه جموع من كانوا معه من أهل الكوفة، وبعد أن اطمأنّ عبيداللَّه بن زياد إلى أنّ القوم قد تفرّقوا وأنّ المسجد قد خلا تماماً من أنصار مسلم عليه السلام، عمد «ففتح باب السدّة التى فى المسجد، ثمّ خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى: ألا برئت الذمّة من رجل من الشُرَط والعرفاء والمناكب أو المقاتلة صلّى العتمة إلّا فى المسجد. فلم يكن إلّا

---

(۱) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۸۷.

(۲) نفس المصدر.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹۲

ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس، ثمّ أمر مناديه فأقام الصلاة، وأقام الحرس خلفه وأمرهم بحراسته من أن يدخل عليه أحدٌ يغتاله، وصلّى بالناس، ثمّ صعد المنبر فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعدُ، فإن ابن عقيل .. قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمّة اللَّه من رجل وجدناه فى داره، ومن جاء به فله ديته، إتّقوا اللَّه عباد اللَّه والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولاتجعلوا على أنفسكم سبيلًا.

ياحصين بن نمير، ثكلتك أمّك إن ضاع باب سكّة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتنى به، وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصد على أهل السكك، وأصبح غداً فاستبرء الدور وجس خلالها، حتى تأتينى بهذا الرجل ..». «۱»

تجميد الثغور وتوجيه عساكرها إلى حرب الحسين عليه السلام

ومن الإجراءات المهمّة والخطيرة التى اتخذها ابن زياد تجميده حركة عدد كبير من الجيوش المتوجهة نحو الحدود لترابط فيها، ليعبئها

تحضيراً لحرب الإمام الحسين عليه السلام، يروى الطبرى: «عن شهاب بن خراش، عن رجل من قومه: كنتُ فى الجيش الذى بعثهم ابن زياد إلى حسين، وكانوا أربعة آلاف يريدون الديلم، فصرفهم عبيداللّه إلى حسين». «۲»

---

(۱) الإرشاد: ۲۱۳؛ والأخبار الطوال: ۲۴۰.

(۲) تأريخ دمشق، ۱۴: ۲۱۵.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹۳

حركة السلطة الأمويّة المحلّية فى مكة المكرمة

قلق الوالى من تواجد الإمام عليه السلام فى مكّة

ذعر عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) «۱» والى مكة آنذاك من دخول الإمام

---

(۱) عُرف هذا الجبّار الأموىّ بنصبه وبغضه الشديد لأمير المؤمنين علىّ عليه السلام وكثرة شتمه إيّاه، ولُقّب بالأشدق لأنه أصابه اعوجاج فى حلقه لإغراقه فى الشتم! (راجع: معجم الشعراء: ۲۳۱).

لقد كان عمرو بن سعيد الأشدق شديد التعصّب لأمويته، شديد البغض لبنى هاشم عامة ولأهل البيت عليهم السلام خاصة، وكان فظاً غليظاً، جباراً متكبّراً، لايبالى ولايستحى من قلب الحقائق وادّعاء ماليس أهلًا له، ومن خطبه التى كشف منها عن اعتزازه بجاهليته وأمويته وبغضه لأهل البيت عليهم السلام، وفظاظته وغلظته وتجبّره مارواه لنا ابن عبدربه الأندلسى عن العتبى قال: «استعمل سعيد بن العاص وهو وال على المدينة، ابنه عمرو بن سعيد والياً على مكّة، فلمّا قدم لم يلقه قرشىٌّ ولا أموى إلا أن يكون الحارث بن نوفل. فلما لقيه قال: لم ياحار! ما الذى منع قومك أن يلقونى كما لقيتنى!؟ قال: ما منعهم من ذلك إلّا ما استقبلتنى به! واللّه ما كنيتنى ولا أتممتَ إسمى! وإنّما أنهاك عن التكبر على أكفائك، فإنّ ذلك لايرفعك عليهم ولا يضعهم لك. قال: واللّه ما أسأت الموعظة ولا أتهمك على النصيحة، وإنّ الذى رأيت منى لخُلق!! فلمّا دخل مكة قام على المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، مَعشر أهل مكّة، فإنّا سكنّاها حقبةً، وخرجنا عنها رغبةً، وكذلك كنّا إذا رُفعت لنا لهوة- عطية- بعد لهوة أخذنا أسناها ونزلنا أعلاها، ثم شَدَخ أمرٌ بين أمرين فقتلنا وقُتلنا، فواللّهِ مانزعنا ولا نُزع عنا، حتى شرب الدم دماً وأكل اللحم لحماً، وقرع العظم عظماً، فَوَلى رسول اللّه برسالة اللّه إيّاه، واختياره له. ثم ولى أبوبكر لسابقته وفضله، ثم ولى عمر، ثم أُجيلت قداح نُزعن من شُعب حول نبعة ففاز بحظها أصلبها وأعنفها، فكنا بعض قداحها، ثمّ شَدَخ أمرٌ بين أمرين، فقتلنا وقُتلنا، فواللّهِ مانزعنا ولا نُزع عنا حتى شرب الدم دماً، وأكل اللحم لحماً وقرَعَ العظم عظماً، وعاد الحرام حلالًا، وأسكت كلُّ ذى حسٍ عن ضرب مُهند، عَرْكاً عَرْكاً، وعسفاً عسفاً ووخزاً ونهساً، حتى طابوا عن حقّنا نفساً، واللّهِ ما أعطوه عن هوادة، ولا رضوا فيه بالقضاء، أصبحوا يقولون حَقُنا غُلبنا عليه! فجزَينا هذا بهذا وهذا فى هذا! ياأهل مكّة، أنفسكم أنفسكم، وسفهاءكم سفهاءكم، فإنّ معى سوطاً نكالًا، وسيفاً وبالًا، وكلّ مصبوبٍ على أهله. ثم نزل». (العقد الفريد، ۴: ۱۳۴).

وكان هذا الأشدق من جملة أولئك الذين أظهروا ولاءهم ليزيد فى حياة أبيه معاوية وهذا بلاشك من جملة الأسباب التى أبقت هذا الأشدق والياً على مكّة حتى بعد موت معاوية بل اضاف إليه يزيد الولاية على المدينة بعد عزل الوليد بن عتبة، تقول رواية تأريخيّة: «لما عقد معاوية ليزيد البيعة قام الناس يخطبون، فقال لعمرو بن سعيد قم ياأبا اميّة. فقام فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعدُ، فإنّ يزيد بن معاوية أملٌ تأملونه وأجل تأمنونه، إن استضفتم إلى حلمه وَسعكم، وإن احتجتم الى رأيه أرشدكم، وإن افتقرتم إلى ذات يده

أغناكم جَذَع قارح، سُوبق فَسَبق، ومُوجد فَمَجد، وقورع فقرع، فهو خلف أميرالمؤمنين ولا خَلَف منه.

فقال له معاوية: أوسعت أبا أميّة فاجلس.» (العقد الفريد، ۴: ۱۳۲).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹۴

الحسين عليه السلام مكّة المكرّمة ومن تواجده فيها، ومن تقاطر الوفود عليه والتفاف الناس حوله، فلم يُطق الوالى صبراً، ولم يجد بُدّاً من أن يسأل الإمام عليه السلام عن سرّ قدومه إلى مكّة، «فقال له عمرو بن سعيد: ما إقدامك!؟

فقال: عائذاً باللّه وبهذا البيت!». «۱»

وفى جواب الإمام عليه السلام دلالة قاطعة على أنّ السلطة الأموية كانت قد أرادت بالإمام عليه السلام سوءً فى المدينة المنوّرة، كأن تفرض عليه الإقامة الجبرية مثلًا أو تغتاله أو تُلقى عليه القبض فتدفع به الى يزيد، ولذا فقد خرج منها خائفاً يترقب، وقد أشرنا من قبل إلى أنّ خوفه على نفسه وإن كان سبباً فى خروجه منها إلا أنه يقع فى طول السبب الأهم وهو خوفه على ثورته من أن تؤسر فى حدود المدينة أو تخمد فى مهدها قبل اندلاعها فلا تصلُ إشعاعاتها المباركة الى حيث أراد عليه السلام، هذا فضلًا عن حرصه عليه السلام ألا تهتك حرمة حرم الرسول صلى الله عليه و آله بقتله.

---

(۱) تذكرة الخواص: ۲۱۴.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹۵

سفر الأشدق الى المدينة المنوّرة وتهديده أهلها

تتحدث روايات تأريخية عديدة عن قدوم عمرو بن سعيد الأشدق الى المدينة المنورة فى شهر رمضان سنة ستّين للهجرة، والظاهر أنّ سفر هذا الطاغية الى المدينة كان بعد عزل الوليد بن عتبة عن منصب الولاية عليها فى شهر رمضان نفسه، والأظهر أنّ سفر هذا الطاغية الأمويّ الى المدينة كان من مكّة إليها لأنّ جلّ المؤرّخين ذكروا أنه كان والياً على مكّة عند موت معاوية وأضيفت إليه ولاية المدينة بعد عزل الوليد عنها.

و «قدم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً، فخرج إلى منبر رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقعد عليه وغمض عينيه، وعليه جُبّة خزّ قرمز، ومُطرَف خزّ قرمز، وعمامة خزّ قرمز، فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها، ففتح عينيه فإذا الناس ينظرون إليه، فقال: مابالكم ياأهل المدينة ترفعون إليَّ أبصاركم، كأنّكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم! أغرّكم أنّكم فعلتم ما فعلتم فعفونا عنكم! أما إنّه لو أُثبتُم بالأولى ما كانت الثانية! أغرّكم أنكم قتلتم عثمان فوافقتم ثائرنا منّا رفيقاً، قد فَنى غضبه، وبَقى حلمُه! إغتنموا أنفسكم فقد واللّه ملكناكم بالشباب المقتبل، البعيد الأمل، الطويل الأجل حين فرغ من الصغر، ودخل فى الكبر، حليمٌ حديدٌ، ليّن شديد، رقيق كثيف، رفيق عنيفٌ، حين اشتدّ عَظْمهُ، واعتدل جسمه، ورقى الدهرَ ببصره، واستقبله بأسره، فهو إن عضَّ نهس، وإن سطا فرس لايقلقل له الحصى، ولا تُقرع له العصا، ولا يَمشى السُّمَهى. قال: فما بقىَ (أى يزيد) بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر حتى قصمه اللّه!». «۱»

«وعرض فى خطابه لابن الزبير فقال: فواللّه لنغزونّه، ثمّ لئن دخل الكعبة

---

(۱) العقد الفريد، ۴: ۱۳۲.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹۶

لنحرقنّها عليه، على رغم أنف من رغم ..

ورعف الطاغية على المنبر، فألقى إليه رجل عمامة فمسح بها دمَه، فقال رجل من خثعم: دم على المنبر فى عمامة! فتنة عمّت وعلا ذكرها وربّ الكعبة!». «۱»

وقد أُثر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنه قال: «ليرعفنّ على منبرى جبّار من جبابرة بنى أميّة فيسيل رعافه!».». «۲»

وقال ابن عبد ربه الأندلسى: «قدم عمرو بن سعيد أميراً على المدينة والموسم، وعزل الوليد، فلمّا استوى على المنبر رعف، فقال أعرابى: مه! جاءنا بالدم!. فتلقّاه رجل بعمامته، فقال: مه! عمَّ الناسَ واللَّهِ! ثمّ قام فخطب فناولوه عصا لها شعبتان، فقال: تشعّبَ واللَّهِ ..». «۳»

والملفتُ للإنتباه هنا هو أنّ الأشدق فى هذه الخطبة بعد تهديده أهل المدينة وإرعابهم، «۴» وتذكيرهم بِتِرَةِ دم عثمان الذى قتله الصحابة، «۵» وبعد مدحه يزيد وثنائه عليه وتحذير أهل المدينة من بأسه، نراه لا يتطرّق بشىء إلى قضية الإمام

---

(۱) حياة الإمام الحسين بن على عليهما السلام ۲: ۳۱۶- ۳۱۷؛ وقد أخذ متن الخطبة عن تأريخ الإسلام للذهبى، ۲: ۲۶۸؛ وقصة الرعاف عن سمط النجوم العوالى، ۳: ۵۷.

(۲) مجمع الزوائد، ۵: ۲۴۰.

(۳) العقد الفريد، ۴: ۳۷۶.

(۴) حيث ضرب عبيداللَّه بن أبى رافع مائتى سوط، ثم شفع فيه أخوه. (راجع: المعارف: ۱۴۵)؛ و «ذكر محمّد بن عمر أنّ عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قدم المدينة فى رمضان سنة ستين فدخل عليه أهل المدينة، فدخلوا على رجل عظيم الكبر ... فأرسل الى نفر من أهل المدينة فضربهم ضرباً شديداً!» (تأريخ الطبرى، ۳: ۲۷۲).

(۵) أورد الشيخ الأمينى فى كتابه الغدير، ۹: ۱۹۵- ۱۶۳؛ قائمة بأسماء ستين صحابياً شاركوا فى قتل عثمان.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹۷

الحسين عليه السلام بصورة مباشرة، وإن كان تهديده أهل المدينة كاشفاً عن خوفه من تأييده أهل المدينة للإمام عليه السلام خاصة ولكل معارض عامة، ولعلّ سبب عدم تعرّضه مباشرة لقضية الإمام عليه السلام هو معرفته بمكانة الإمام عليه السلام وقدسيته فى قلوب الأمّة، فهو يخشى أن يهيج قلوب الناس على السلطة الأموية بما يدفع الناس عملياً نحو الإلتفاف حول الإمام عليه السلام، ثمّ نرى الأشدق يُعلن صراحة عن عزم السلطة على قتل ابن الزبير، ولعلّ علمه بأنّ ابن الزبير لايتمتع بمكانة ومنزلة خاصة فى قلوب الناس هو الذى جرّأه على تلك الصراحة، لكننا نجد هذا الجبّار الأموى لايتورّع عن سحق مشاعر الأمّة فى إجلالها لحرمة الكعبة حين يهدّد بإحراقها على رغم أنف من رغم! وفى هذا مؤشر واضح على الدرجة الخطيرة التى بلغها مرض الشلل النفسى والروحى فى كيان الأمّة، حيث تسمع مثل هذا التحدّى لمشاعرها فى مقدّساتها ولا تثور على مثل هذا الجبّار العنيد!

تنفيذ أمر يزيد باعتقال الإمام عليه السلام أو اغتياله فى مكّة

قلنا فيما مضى- فى متابعتنا لحركة السلطة الأموية المركزية فى الشام- تحت عنوان (التخطيط لاغتيال الإمام عليه السلام أو اعتقاله فى مكّة): إنّ هذه الخطة من المسلّمات التأريخية التى يكاد يجمع على أصلها المؤرّخون، وقدّمنا هناك مجموعة كافية من الدلائل التأريخية على وجود هذه الخطة التى كانت السبب الصريح لمبادرة الإمام عليه السلام الى الخروج من مكّة يوم التروية كما هو المشهور والصحيح، إضافة الى الأسباب الأخرى الداعية الى مبادرة الخروج والتى تقع فى طول ذلك السبب الصريح.

ويهمّنا هنا فى متابعتنا لحركة السلطة الأموية المحلّية فى مكّة المكرّمة أن نتعرّف على حدود مسؤولية هذه السلطة المحلية فى تنفيذ خطة السلطة المركزية لاغتيال الإمام عليه السلام أو إلقاء القبض عليه فى مكة المكرمة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹۸

إنّ المتأمّل فى النصوص الواردة عن الإمام عليه السلام نفسه فى هذا الصدد يرى أنه عليه السلام يُلقى بمسؤولية هذه الخطّة على النظام الأموى ككل وينسب هذه المسؤولية صراحة الى يزيد، كما فى قوله لأخيه محمد بن الحنفية (رض): «يا أخى، قد خفت أن يغتالنى يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذى يستباح به حرمة هذا البيت»، «۱» وفى قوله عليه السلام للفرزدق «لو لم أعجل لأُخذتُ». «۲»

وفى قوله عليه السلام لابن الزبير: «لأن أُقتل خارجاً منها بشبرين أحبّ إلىّ من أن أُقتل خارجاً منها بشبر، وأيمُ اللّه، لو كنت فى جحر هامّة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا بى حاجتهم!». «۳»

لكنّ متوناً تأريخية أخرى تصرّح بأن المكلّف بتنفيذ هذه الخطة والإشراف عليها فى مكّة هو واليها عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق)، يقول الطريحى فى تعليله لعدم أداء الإمام عليه السلام مناسك الحج تلك السنة: «.. وذلك لأنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فى عسكر عظيم، وولّاه أمر الموسم، وأمّره على الحاج كلّه، وكان قد أوصاه بقبض الحسين سرّاً، وإن لم يتمكّن منه يقتله غيلة. ثمّ إنّه لعنه اللّه دسّ مع الحجّاج فى تلك السنة ثلاثين رجلًا من شياطين بنى أميّة، وأمرهم بقتل الحسين على كلّ حال اتفق ..». «۴»

ومن قبله كان السيّد ابن طاووس قدس سره قد أشار إلى ذلك قائلًا: «فلمّا كان يوم التروية قدم عمر بن سعد بن أبى وقاص إلى مكّة فى جند كثيف، قد أمره يزيد أن

---

(۱) اللهوف: ۱۲۸.

(۲) الإرشاد: ۲۰۱.

(۳) نور الأبصار: ۲۵۸.

(۴) المنتخب: ۲۴۳؛ والبحار، ۴۵: ۹۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۱۹۹

يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه، أو يقاتله إن قدر عليه، فخرج الحسين يوم التروية». «۱»

ولاشك أنّ تصحيفاً وقع من سهو النسّاخ فى بعض نسخ كتاب السيّد ابن طاووس قدس سره، حيث ورد فيه إسم (عمر بن سعد بن أبى وقّاص) بدلًا من (عمرو بن سعيد بن العاص)، ذلك لأنّ الثابت والمشهور تأريخياً أنّ عمر بن سعد كان فى الكوفة فى الأيام التى كان فيها الإمام عليه السلام فى مكّة. «۲»

ويذكر السيّد المقرّم (ره): «أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فى عسكر، وأمّره على الحاج، وولّاه أمر الموسم، وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد ..». «۳»

مما مرّ يتضح أنّ والى مكّة آنذاك عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) كان مأموراً بتنفيذ خطة اغتيال الإمام عليه السلام أو إلقاء القبض عليه فى مكّة سرّاً أو فى مواجهة عسكرية علنية.

لكنّ لنا تحفّظاً على هذه المتون فى نقطتين هما:

۱)- أنّ المستفاد من متون تأريخية أخرى هو أنّ عمرو الأشدق كان فى مكّة

---

(۱) اللهوف: ۱۲۷.

(۲) كان عمر بن سعد فى الكوفة فى الأيّام التى كان فيها مسلم بن عقيل عليه السلام منذ كان النعمان بن بشير والياً عليها، لأنّه أحد الذين كتبوا إلى يزيد حول ضعف النعمان ليستبدله بوالٍ غيره، وبقى عمر فى الكوفة الى يوم التروية وما بعده لأنه كان فى مجلس

عبیداللّه حینما جیء بمسلم علیه السلام أسیراً، وقد أوصی إلیه مسلم علیه السلام لکنه خان الوصیة، فالثابت أنّ عمر کان فی القصر ساعة مقتل مسلم علیه السلام.

(۳) مقتل الحسین علیه السلام للمقرّم: ۱۶۵.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۰۰

منذ أوّل یوم دخل إلیها الإمام الحسین علیه السلام، «۱» وقد کان هذا الأشدق والیاً علی مکّة منذ أیّام معاویة، وعلی هذا جُلّ المؤرّخین. ولم نعثر علی نصّ تأریخی یفید أنّ الأشدق سافر الی الشام ثم عاد الی مکّة فی المدّة التی کان الإمام علیه السلام فیها بمکّة.

ولذا فإنّ ماورد فی نصّ الطریحی أنّ «یزید أنفذ عمرو» یحمل علی معنی أنّ یزید أمر عمرو، وما ورد فی نصّ ابن طاووس أنّ عمرو قدم الی مکّة یوم الترویة قد یحمل علی عودته من المدینة إلی مکّة بعد أن سافر إلیها لإرعاب أهلها، ومع هذا فإنّ من المستبعد جدّاً أن یعود الأشدق إلی مکّة یوم الترویة ویترکها أیاماً طویلة والإمام علیه السلام فیها ووفود الناس تقبل علیه وتلتفّ حوله!

۲)- ورد فی بعض هذه المتون أنّ یزید أنفذ الأشدق فی عسکر عظیم أو فی جند کثیف، لکنّ المستفاد من دلائل تأریخیة أخری هو أن والی مکة الأشدق لم تکن لدیه تلک القوّة العسکریة المبالغ فیها، بل کان لدیه جماعة من الجند والشرطة قد تکفی لضبط الأمور الإداریة داخل مکّة ولتنظیم حرکة الحجیج آنذاک وحراسة السلطان فقط، وسنأتی علی ذکر بعض هذه الدلائل التأریخیة لاحقاً فی متابعتنا لمحاولة عمرو بن سعید الأشدق منع الإمام علیه السلام من الخروج عن مکّة.

ویؤکّد صحة مانراه: أنّ الأشدق لم یحقّق ما أمر به من إلقاء القبض علی الإمام علیه السلام داخل مکّة، أو الفتک به سرّاً، أو جهراً فی مواجهة علنیة!

ولعلّ قائلًا یقول: إنّ وجود الحمایة الکافیة التی کان الإمام علیه السلام یتمتّع بها حیثما حلّ فی مکّة کان السبب فی عجز الأشدق عن تنفیذ ما أُمر به!

ولا یخفی أنّ هذا القول اعتراف ضمنی بعدم کفایة القوّة الأمویة!

---

(۱) راجع مثلًا: تذکرة الخواص: ۲۱۴.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۰۱

أو یقول: إنّ عمرو بن سعید الأشدق تحاشی الفتک بالإمام علیه السلام فی مواجهة علنیة لأنه یخشی من تفاقم الأمر علی السلطة الأمویّة بسبب تواجد جموع الحجیج العامرة قلوبهم بحبّ الإمام علیه السلام وتقدیسه!

ولا یخفی أنّ هذا القول صحیح لو لم تکن هناک أوامر صریحة وصارمة من قبل یزید بضرورة تنفیذ المؤامرة، أو أنّ عمرو الأشدق لم یکن ذلک الطاغیة الجبّار الأرعن الذی لم یتورّع أمام أهل المدینة عن إعلان استعداده لحرق الکعبة إذا تحصّن بها ابن الزبیر رغم أنف من رغم! غیر مبالٍ بقداسة الکعبة وحرمتها ولا بمشاعر الأمّة!

ویؤیّد مانراه أیضاً ماورد فی نفس نصّ ابن طاووس (ره) أنّ یزید أمر الأشدق بمناجزة الحسین علیه السلام (إن هو ناجزه!) أو یقاتله (إن هو قدر علیه!)، وفی هذا إشعار کافٍ بخوف یزید من عدم کفایة القوّة الأمویة، فأین إذن ذلک العسکر العظیم والجند الکثیف.

وینبغی التأکید هنا: أنّ کلّ ما قدّمناه لاینافی کون أنّ هذه الخطة والمؤامرة کانت السبب الصریح فی مبادرة الإمام علیه السلام الی الخروج من مکّة یوم الترویة (قبیل الشروع بمراسم الحج)، وذلک لأنّ أعوان السلطة وعملاءها قد یتمکنون من اغتیال الإمام علیه السلام أثناء الحجّ حیث یکون هو وأنصاره وجمیع الحجیج عُزّلًا من السلاح.

محاولة عمرو الأشدق لمنع الإمام علیه السلام من الخروج عن مکّة

يحدّثنا التأريخ عن أسلوبين سلكتهما السلطة الأمويّة المحليّة فى مكّة لمنع الإمام عليه السلام من الخروج عن مكّة، أحدهما كان أسلوباً سلميّاً عرض فيه عمرو بن سعيد الأشدق الأمان والبر والصلة للإمام عليه السلام فى رسالة وجهها إليه، والآخر كان

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۰۲

أسلوباً قمعياً وعسكرياً حيث تصدّت جماعة من جند السلطة للركب الحسينى لمنع حركته فى الخروج عن مكّة.

ويبدو أنّ الأسلوب الأوّل أى أسلوب بذل الأمان والصلة كان قبل الأسلوب القمعى، كما هى العادة فى مثل هذه الوقائع.

تقول رواية تأريخية أنّ الأشدق لما بلغه عزم الحسين عليه السلام على مغادرة مكّة بعث إليه رسالة ورد فيها: «إنّى أسأل اللَّه أن يلهمك رشدك، وأن يصرفك عمّا يرديك، بلغنى أنك قد عزمت على الشخوص إلى العراق! وإنى أُعيذك باللَّه من الشقاق، فإنّك إن كنت خائفاً فأقبل إلىَّ فلك عندى الأمان والبرّ والصلة!». «۱»

قد يُستفاد من قوله: «بلغنى أنك قد عزمت على الشخوص ..» أنّ هذه الرسالة كتبها الأشدق والإمام عليه السلام فى مكّة قبل شخوصه إلى العراق، لكنّ قوله الآخر فيها:

«فإنك إن كنت خائفاً فأقبل إلىّ» مشعر بأنّ الأشدق قد كتبها إلى الإمام عليه السلام وقد خرج بالفعل عن مكة.

لكنّ رواية الطبرى تصرّح بأنّ الأشدق بعث بهذه الرسالة إلى الإمام عليه السلام بعد خروجه باقتراح من عبداللَّه بن جعفر، وأنّ الذى تولّى أمر كتابة هذه الرسالة بالفعل هو عبداللَّه بن جعفر ثمّ ختمها الأشدق بختمه، يقول الطبرى:

«وقام عبداللَّه بن جعفر الى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه، وقال: أكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنّيه فيه البرّ والصلة، وتوثّق له فى كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئن إلى ذلك فيرجع. فقال عمرو بن سعيد: أكتب ماشئت وأتنى به حتى أختمه. فكتب عبداللَّه بن جعفر الكتاب، «۲» ثمّ أتى به عمرو بن سعيد،

---

(۱) البداية والنهاية، ۸: ۱۶۵.

(۲) إنَّ العارف بشخصية عبداللَّه بن جعفر (رض) وبسيرته وعلاقته ومعرفته بالإمام الحسين عليه السلام، والمتأمل بمحتوى هذا الكتاب، يستبعد كثيراً أن يكون هذا الكتاب من إنشاء عبداللَّه بن جعفر لما فيه من مضامين الجسارة والجهل بمقام الإمام عليه السلام.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۰۳

فقال له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنّه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنّه الجدّ منك. ففعل». «۱»

ويتابع الطبرى روايته قائلًا: «.. فلحقه يحيى وعبداللَّه بن جعفر، ثمّ انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به، وكان ممّا اعتذر به إلينا أن قال: إنى رأيت رؤيا فيها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأُمرتُ فيها بأمرٍ أنا ماضٍ له علىَّ كان أو لى! فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثت بها أحداً، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربى!

قال وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علىّ عليه السلام:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

«من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن على: أمّا بعد، فإنى أسأل اللَّه أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغنى أنك قد توجّهت إلى العراق، وإنى أُعيذك باللَّه من الشقاق، فإنى أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبداللَّه بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إلىَّ معهما فإنّ لك عندى الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار، لك اللَّه علىّ بذلك شهيد وكفيل ومراعٍ ووكيل. والسلام عليك». «۲»

ولا يخفى على ذى بصيرة مافى هذه الرسالة وأشباهها من رسائل السلطة الأموية الظالمة من مفردات متكررة مقصودة، فالخروج على

النظام الظالم فيها من الموبقات، ومن الشقاق، وسعىٌ فى تفريق كلمة الأمّة والجماعة، وما الى ذلك من أسلحة إعلامية لمواجهة كلّ قيام للحق والعدل والإصلاح!

---

(۱) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۹۷.

(۲) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۹۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۰۴

ويذكر الطبرىّ أنّ الإمام عليه السلام كتب إليه:

«.. أمّا بعدُ: فإنه لم يشاقق اللَّه ورسوله من دعا إلى اللَّه عزّوجلّ وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين، وقد دعوتَ الى الأمان والبرّ والصلة، فخير الأمان أمان اللَّه، ولن يؤمن اللَّه يوم القيامة من لم يخفه فى الدنيا، فنسأل اللَّه مخافه فى الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتى وبرى فجُزيت خيراً فى الدنيا والآخرة والسلام». «۱»

ويبدو أنّ الأشدق لمّا آيس من أسلوب عرض الأمان «۲» على الإمام عليه السلام لجأ

---

(۱) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۹۷.

(۲) ولاشك أنّ الإمام عليه السلام أعرف من سواه بحقيقة ومصداقية الأمان الذى يبذله بنو أميّة، إذ طالماخان معاوية عهد الأمان الذى بذله لمعارضيه كمثل حُجر بن عدى (رض)، إنّ الأمان عند حكّام بنى أميّة وولاتهم خدعة من خدع مصائدهم، أفلم يُرسل ابن زياد إلى هانى من يؤمنه ويرغّبه فى زيارته ثم اعتقله وعذّبه وقتله!؟ أوَلَمْ يخن ابن زياد الأمان الذى بذله لمسلم عليه السلام ممثّله محمّد بن الأشعث!؟

إنّ الأشدق وهو طاغية وجبار من جبابرة بنى اميّة لا يختلف عن ابن زياد فى قدرته على الغشم والظلم والفتك والغدر، ويحدّثنا التأريخ أنّ ابن زياد أرسل الى الأشدق من يبشّره بقتل الإمام الحسين عليه السلام، والأشدق هو الذى أعلم الناس بالمدينة بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وأظهر فرحه لذلك ودعا ليزيد، ولما سمع واعية بنى هاشم فى دورهم على الحسين عليه السلام حين سمعوا النداء بقتله تمثل الأشدق بقول عمرو بن معدى كرب:

عجّت نساء بنى زياد عجّة كعجيج نسوتنا غداة الأرنبِ

ثمّ قال: هذه واعية بواعية عثمان. (راجع: مستدركات علم رجال الحديث، ۶: ۴۱؛ والإرشاد: ۲۴۷؛ والبحار، ۴۵: ۱۲۲؛ وسفينة البحار، ۶: ۴۶۵).

وروى أنه لما انهزم الناس فى وقعة مرج راهط قال له عبيداللَّه بن زياد: إرتدف خلفى. فارتدف، فأراد عمرو بن سعيد أن يقتله، فقال له عبيداللَّه بن زياد: ألا تكفّ يالطيم الشيطان!!؟ (العقد الفريد، ۴: ۳۹۷).

وقد ذاق هذا الأشدق فى نهاية مطاف حياته مرارة الغدر الأموى نفسه بعدما بذل له عبدالملك بن مروان (الأمان الأموى!) حيث قتله بيده ذبحاً (راجع: قاموس الرجال، ۸: ۱۰۳)، وقد روى الذهبى تفصيل قصة قتله أنه: «استخلفه عبدالملك على دمشق لمّا سار ليملك العراق، فتوثّب عمرو على دمشق وبايعوه، فلمّا توطّدت العراق لعبدالملك وقُتل مصعب، رجع وحاصر عمرواً بدمشق، وأعطاه أماناً مؤكّداً!! فاغترّ به عمرو، ثمّ بعد أيام غدر به وقتله. (سير أعلام النبلاء، ۳: ۴۴۹).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۰۵

إلى ما تعوّد عليه من الأساليب القمعية فى المواجهة، فقد روى الطبرى عن عقبة بن سمعان قال: «لمّا خرج الحسين من مكّة اعترضه رسلُ عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين تذهب!؟ فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان فاضطربوا

بالسياط، ثمّ إنّ الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قويّاً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فنادوه: ياحسين، ألا تتقى اللّه، تخرج من الجماعة وتفرّق بين هذه الأمّة!؟ فتأوّل حسين قول اللّه عزّوجلّ (لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون)». «۱»

وتقول رواية الدينورى: «ولما خرج الحسين من مكّة اعترضه صاحب شرطة أميرها عمرو بن سعيد ابن العاص فى جماعة من الجند، فقال: إنّ الأمير يأمرك بالإنصراف، فانصرف وإلّا منعتك!

فامتنع عليه الحسين، وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط.

وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل الى صاحب شُرَطِهِ يأمره بالإنصراف!». «۲»

والمتأمّل فى هذين النصّين يستشعر بوضوح أنّ القوّة العسكرية الأموية لم

---

(۱) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۹۶.

(۲) الأخبار الطوال: ۲۴۴.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۰۶

تكن كافية لمنع الإمام عليه السلام من الخروج، والمفروض فى مثل هكذا مواجهة تقع خارج حدود المدينة مع الركب الحسينى الكبير نسبياً حتى ذلك الوقت) أن يستعمل الأشدق كلّ ما لديه من قوّة فى مواجهة الإمام عليه السلام لمنعه من الخروج، غير أنّ الحال لم تعدُ أن تدافع الفريقان واضطربوا بالسياط ثمّ خاف الأشدق من تفاقم الأمر! وأمر (رسله) أو (جماعة من جنده) بالإنصراف خائبين.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۰۷

الفصل الثالث حركة الأمّة فى الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية

اشارة

سجّل لنا التأريخ فى المدّة التى قضاها الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة وقائع كثيرة وصوراً مهمة لحركة الأمّة أفراداً وجماعات على صعيد مواقفهم التى اتخذوها إزاء قيام الإمام الحسين عليه السلام- سلباً أو إيجاباً- فى أهمّ مدن العالم الإسلامى التى يمكن آنذاك فيها لحركة المعارضة إذا اشتدّت شوكتها أن تؤثّر فى تغيير مجرى حركة الأحداث أو ترسم للعالم الإسلامى مستقبلًا آخر.

وعدا دمشق ومدن الشام الأخرى التى كانت مغلقة سياسياً وإعلامياً- بشكل عام- لصالح الحكم الأموىّ، فإنّ أهمّ مدن قلب العالم الإسلامى التى يمكن أن تتحرك فيها المعارضة السياسية آنذاك بصورة خطيرة هى الكوفة والبصرة والمدينة ومكّة.

وفى متابعتنا هنا لحركة الأمّة فى الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية نرى من الأفضل- رعاية لترتب بدء التحرك تأريخياً- أن نبدأ أوّلًا فى قراءة حركة الأمّة فى الحجاز (فى أهمّ مدنه: مكة والمدينة)، ثمّ نتابع هذه الحركة فى الكوفة، ثمّ فى البصرة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۱۰

حركّة الأمّة فى الحجاز

اشارة

سجّل لنا التأريخ على صعيد حركة الأمة فى الحجاز مجموعة من حوادث ووقائع وصُوَر فى أهمّ حاضرتين فيه آنذاك وهما مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، نقرأها هنا على النظم التالى:

إحتفاء الناس فى مكّة المكرّمة بالإمام عليه السلام

استقبل الناس «۱» فى مكّة المكرّمة خبر قدوم الإمام الحسين عليه السلام استقبال البشرى، واحتفوا به حفاوة بالغة، فكانوا يفدون ويختلفون إليه ويحوطونه دون غيره، إذ كان عليه السلام يومذاك بقيّة الرسول صلى الله عليه و آله فى هذه الأمّة، وسيّد العرب والحجاز خاصة وسيّد المسلمين والعالم الإسلامىّ عامة، فما كان ثَمَّ مَن ينازعه يومذاك من الناس سموّ مرتبته وعلوّ مقامه وشرف منزلته فى قلوب المسلمين.

يقول ابن كثير: «فعكف الناس على الحسين يفدون إليه، ويقدمون عليه، ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد، وأمّا ابن الزبير فإنّه لزم مصلّاه عند الكعبة، وجعل يتردّد فى غبون ذلك إلى الحسين فى جملة الناس، ولايمكنه أن يتحرّك بشىء مما فى نفسه مع وجود الحسين لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إيّاه عليه .. بل الناس إنّما ميلهم إلى الحسين لأنّه السيّد الكبير وابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، فليس على وجه الأرض يومئذٍ أحد يساميه ولايساويه ..». «۲»

---

(۱)

قدّمنا فى مقدّمة هذا الكتاب وفى الفصل الأول أنّ المراد بالناس فى النصوص التى تتحدث فىحفاوة الناس فى مكّة بالإمام عليه السلام هم جموع الوافدين من المعتمرين والحجّاج ونزر من أهل مكّة قليل من الذين لايحملون بغضاً لعلىّ وآل علىّ عليهم السلام، فراجع تفصيل هذه الحقيقة فى موقعها هناك.

(۲) البداية والنهاية، ۸: ۱۵۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۱۱

وقال الدينورى: «واختلف الناس إليه، فكانوا يجتمعون عنده حلقاً حلقاً، وتركوا عبدالله بن الزبير، وكانوا قبل ذلك يتحفّلون إليه، فساء ذلك ابن الزبير، وعلم أنّ الناس لايحفلون به والحسين مقيم بالبلد، فكان يختلف الى الحسين رضى الله عنه صباحاً ومساءً.». «۱»

وجهاء الأُمّة .. مشورات ونصائح

اشارة

طيلة المدّة التى أقام الإمام عليه السلام فيها بمكّة المكرّمة كان عليه السلام، قد التقى مجموعة منوّعة المشارب والميول والأفكار من وجهاء مرموقين ومعروفين فى أوساط الأمّة الإسلامية، وقد عرض هؤلاء على الإمام عليه السلام مشوراتهم ونصائحهم واعتراضاتهم، كلّ منهم على هدى مشربه وميله وطريقة تفكيره، ولئن اختلفت تلك المشورات والنصائح والإعتراضات فى بعض تفاصيلها، فقد اشتركت جميعها فى منطلق التفكير والنظرة الى القضية، إذ إنّ جميعها كان يرى الفوز والنصر فى تسلّم الحكم والسلامة والعافية والأمان الدنيوى، ويرى الخسارة والإنكسار فى القتل والتشرّد والبلاء والتعرّض للإضطهاد، فمن هذا المنطق انبعثت جميع تلك الإعتراضات والمشورات والنصائح.

وكم هو الفرق كبير والبون شاسع بين هذا المنطق وبين منطق العمق الذى كان قد جعل أساس حساباته مصير الإسلام والأمة الإسلامية، ولم يغفل فى نظرته إلى متّجه حركة الأحداث عن «أنّ معاوية بن أبى سفيان (الذى انتهت إليه قيادة حركة النفاق آنذاك)

قـد أضـلّ جُـلّ هـذه الأمّـة إضـلالًا بعنوان الـدين نفسه! حيث عتّم على ذكر أهـل البيت عليهم السـلام وعلى ذكر فضائلهم تعتيماً تاماً، وافتعل من خلال وُضّاع

---

(۱) الأخبار الطوال: ۲۲۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۱۲

الأحاديث– افتراءً على النبىّ صـلى الله عليه و آله– قداسـهٔ مكذوبهٔ «۱» له ولبعض مَن مضـى مِن الصـحابهٔ الذين قادوا حركهٔ النفاق أو ساروا فى ركابها، وتآزروا على غصب أهل البيت عليهم السـلام حقّهم الذى فرضه الله لهم، وخدّر معاويهٔ بن أبى سفيان الأمّهٔ المسلمهٔ عن القيام والنهوض ضدّ الظلم من خلال تأسيس فرق دينيهٔ تقدّم للناس تفسيرات دينيهٔ تخدم سلطهٔ الأمويين وتبرّر أعمالهم، كما فى مـذهب الجبر ومـذهب الإرجاء، وأعانه على ذلك مابـذله من جهـدٍ كبير فى تمزيق الأمّـهٔ قبلياً وطبقياً، وفى اضـطهاد الشـيعهٔ اضـطهاداً كبيراً.

ومع طول مـدّهٔ حكمه انخـدع جُلّ هـذه الأمّـهٔ بالتضـليل الـدينى الأموىّ، واعتقـدوا أنّ حكم معاويهٔ حكم شـرعى، وأنه امتداد للخلافهٔ الإسـلاميهٔ بعـد رسول الله صـلى الله عليه و آله، وأنّ معاويهٔ إمام هذه الأمّهٔ، وأنّ من ينوب عنه فى مكانه إمام هذه الأمّهٔ وامتداد لأئمتها الشرعيين!! ومن المؤسف حقّاً أنّ جُلّ هذه الأمّهٔ خضع خضوعاً أعمى لهذا التظليل وانقاد له، فلم يعد يبصر غيره، بل لم يعد يصدّق أنّ الحقيقهٔ شـىء آخر غير هذا!! ... ولقد كان أضـمن السبل لتحطيم هذا الإطار الدينى هو أن يثور عليه رجلٌ ذو مركز دينىّ مسلّم به عند الأمّـهٔ الإسـلاميهٔ، فثورهٔ مثل هـذا الرجل كفيلهٔ بأن تمزّق الرداء الدينى الذى يتظاهر به الحكّام الأمويون، وأن تكشف هذا الحكم على حقيقته، وجـاهليته، وبُعـده الكبير عن مفـاهيم الإسـلام، ولم يكن هـذا الرجل الّا الحسـين عليه السـلام، فقـد كان له فى قلوب الأكثريهٔ القاطعهٔ من المسلمين

---

(۱) قال ابن تيميهٔ: .. طائفهٔ وضعوا لمعاويهٔ فضائل ورووا أحاديث عن النبىّ فى ذلك كلّها كذب.

وقال الشوكانى: إتفق الحفّاظ على أنه لم يصح فى فضل معاويهٔ حديث. (انظر: الفوائد المجموعهٔ: ۴۰۳– ۴۰۸).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۱۳

رصيد كبير من الحبّ والإجلال والتعظيم ... ولو لم تكن واقعهٔ كربلاء لكان الأمويون قد واصلوا حكم الناس بإسم الدين، حتى يترسّخ فى أذهـان الناس بمرور الأيام والسـنين أنه ليس هناك إسـلام غير الإسـلام الـذى يتحـدّث به الأمويون ويؤخـذ عنهم!! وعلى الإسـلام السلام!.

لو لم تكن واقعهٔ عاشوراء لما كان بالإمكان فصل الإسـلام والأمويهٔ عن بعضهما البعض، ممّا يعنى أنّ زوال الأمويّهٔ يوماً ما كان سيعنى زوال الإسـلام أيضاً! ولكانت جميع الإنتفاضات والثورات التى قامت على الظلم الأموىّ تقوم حين تقوم على الإسلام نفسه! لكنّ الفتح الحسـينى فى عاشوراء هو الـذى جعل كلّ هـذه الإنتفاضات والثورات التى قامت بعد عاشوراء إنّما تقوم باسم الإسـلام على الأمويهٔ!.». «۱»

اشارهٔ:

ونلفت الإنتباه هنا إلى أنّ الإمام الحسـين عليه السـلام فى الوقت الـذى كان يتحرك بالفعل على أساس منطق العمق هـذا– منطق الفتح بالشـهادهٔ– كان يتعاطى أيضاً بمنطق الحجج الظاهرهٔ فى تعامله مع منطق الظاهر، منطق تكلم المشورات والنصائح، كما أنه عليه السـلام كـان يراعى فى ردوده وإجابـاته فى محـاوراته مع أصـحاب تلـك المشورات والنصائـح نوع المخـاطَب من حيث قـدر عقله ومستوى

بصيرته ودرجة ولائه لأهل البيت عليهم السلام ونوع اعتقاده بهم ومدى علاقته بأعدائهم.

فنراه عليه السلام مثلًا يردّ على أم سلمة (رض) ومحمد بن الحنفية (رض) وعبدالله بن عبّاس (رض) ردوداً تختلف عن ردوده على عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن مطيع العدوى وأمثالهم.

---

(۱) راجع الجزء الأوّل، عنوان: (آفاق الفتح الحسينى): ۱۷۲- ۱۷۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۱۴

هذه الحقيقة لابدّ من استحضارها وعدم الغفلة عنها فى قراءتنا لمحاوراته عليه السلام حتّى نفهم سرّ التفاوت الظاهرى فى إجاباته وردوده عليه السلام.

تحرّک عبدالله بن عبّاس

اشارة

سجّل لنا التأريخ أكثر من محاورة تمّت بين الإمام عليه السلام وبين عبدالله بن عبّاس، وقد كشفت هذه المحاورات فى مجموعها عن أنّ ابن عبّاس (رض) كان قد تحرّك فى حدود السعى لمنع الإمام عليه السلام من الخروج الى العراق- لا- من القيام والثورة على الحكم الأموىّ-، وكانت حجّته فى اعتراضه على خروج الإمام عليه السلام إلى الكوفة أنّ على أهل الكوفة- قبل أن يتوجّه إليهم الإمام عليه السلام- أن يتحرّكوا عملياً لتهيئة الأمور وتمهيدها للإمام عليه السلام، كأن يطردوا أميرهم الأموىّ أو يقتلوه، وينفوا جميع أعدائهم من الأمويين وعملائهم وجواسيسهم فى الكوفة، ويضبطوا إدارة بلادهم، وآنئذٍ يكون من الرشاد والسداد أن يتوجّه إليهم الإمام عليه السلام، وإلّا فإنّ خروج الإمام عليه السلام إليهم- وهم لم يحرّكوا ساكناً بعدُ- مخاطرة لاتكون نتيجتها إلّا القتل والبلوى، ومما قاله ابن عبّاس للإمام عليه السلام فى صدد هذه النقطة:

«أخبرنى رحمك الله، أتسير الى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوّهم!؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فَسِرْ إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تجبى بلادهم، فإنّما دعوك الى الحرب والقتال، ولا- آمن عليك أن يغرّوك ويكذّبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يُستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك!.». «۱»

---

(۱) تاريخ الطبرى، ۳: ۲۹۴.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۱۵

وقال له ايضاً: «.. فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا- فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم ثمّ أقدم عليهم، فإن أبيت إلّا أن تخرج فَسِرْ إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً، وهى أرض عريضة طويلة، وتبثّ دعاتك، فإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحبّ فى عافية.». «۱»

هذه أهمّ نقطة أثارها عبد الله بن عبّاس فى مجموع محاوراته مع الإمام عليه السلام، وهى كاشفة عن محورٍ أساس فى تفكير ابن عبّاس يتلخّص فى تأييده لقيام الإمام عليه السلام واعتراضه فقط على الخروج الى العراق قبل تحرّك أهله وقيامهم، وهذا فارق كبير من مجموع الفوارق بين موقف ابن عباس وموقف عبدالله بن عمر الذى كان يعترض على أصل القيام ضد الحاكم الأموى الجائر.

لكنّ هذه النقطة بالذات كاشفة أيضاً عن انتماء ابن عباس الى مجموعة الناصحين والمشفقين الذين نظروا الى القضية بمنظار النصر الظاهرى الذى لم تكن متطلّباته لتخفى على الإمام عليه السلام لو كان قد تحرّك بالفعل للوصول الى ذلك النصر.

والآن فلنأتِ الى نصوص محاورات ابن عباس مع الإمام عليه السلام:

المحاورة الأولى:

اشارة

وهى محاورة ثلاثية كان عبدالله بن عمر، الثالث فيها، ويبدو أنّ هذه المحاورة حصلت فى الأيام الأولى من إقامة الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة، وكان بها يومئذٍ ابن عباس وابن عمر (وقد عزما أن ينصرفا الى المدينة)، ونحن نركّز هنا على نصوص التحاور فيها بين الإمام عليه السلام وبين ابن عباس لأننا الآن

---

(۱) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ۲۰۴، رقم ۲۵۵.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۱۶

بصدد تشخيص أبعاد موقفه وتحرّكه.

وقد ابتدأ ابن عمر القول فى هذه المحاورة محذّراً الإمام عليه السلام من عداوة البيت الأموى وظلمهم وميل الناس الى الدنيا، وأظهر له خشيته عليه من أن يُقتل، وأنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه، ليخذلهم الله إلى يوم القيامة»، «۱» ثمّ أشار على الإمام عليه السلام أن يدخل فى صلح ما دخل فيه الناس وأن يصبر كما صبر لمعاوية!! «۲»

فقال له الحسين عليه السلام: «أبا عبدالرحمن! أنا أبايع يزيد وأدخل فى صلحه وقد قال النبىّ صلى الله عليه و آله فيه وفى أبيه ما قال!؟

فقال ابن عباس: صدقتَ أبا عبدالله، قال النبىّ صلى الله عليه و آله فى حياته: مالى وليزيد، لا بارك الله فى يزيد!، وإنّه يقتل ولدى وولد ابنتى الحسين عليه السلام، والذى نفسى بيده لايُقتل ولدى بين ظهرانى قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم!

ثم بكى ابن عباس، وبكى معه الحسين عليه السلام.

وقال: «يا ابن عباس، تعلمُ أنّى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله!

فقال ابن عباس: أللّهمّ نعم، نعلمُ ونعرف أنّ ما فى الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله غيرك، وأنّ نصرك لفرض على هذه الأمّة كفريضة الصلاة والزكاة التى لايقدر أن يقبل أحدهما دون الأخرى!

قال الحسين عليه السلام: يا ابن عباس، فما تقول فى قومٍ أخرجوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله من داره وقراره ومولده، وحرم رسوله، ومجاورة قبره، ومولده،

---

(۱) الفتوح، ۵: ۲۶- ۲۷.

(۲) سوف نكشف عن سرّ منطق ابن عمر هذا فى تحليلنا لشخصيته، فتابع.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۱۷

ومسجده، وموضع مهاجره، فتركوه خائفاً مرعوباً لايستقرّ فى قرار ولا يأوى فى موطن، يريدون فى ذلك قتله وسفك دمه، وهو لم يُشرك بالله شيئاً، ولا اتّخذ من دونه وليّاً، ولم يتغيّر عمّا كان عليه رسول الله!.

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم إلّا «إنّهم كفروا بالله وبرسوله ولايأتون الصلاة إلّا وهم كُسالى»، «۱» «يُراؤون الناس ولايذكرون الله إلّا قليلًا، مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يُظلل اللهُ فلن تجد له سبيلا»، «۲» وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأمّا أنت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله فإنك رأس الفخار برسول الله صلى الله عليه و آله وابن نظيرة البتول، فلا تظنّ يا

ابن بنت رسول الله أنّ الله غافل عمّا يعمل الظالمون، وأنا أشهد أنّ من رغب عن مجاورتك، وطمع فى محاربتك ومحاربة نبيّك محمّد صلى الله عليه و آله فماله من خلاق.

فقال الحسين عليه السلام: أللّهمَّ اشهد.

فقال ابن عباس: جُعلتُ فداك يا ابن بنت رسول الله، كأنّك تريدنى إلى نفسك، وتريد منّى أن أنصرك! والله الذى لا إله إلّا هو أن لو ضربتُ بين يديك بسيفى هذا حتّى انخلع جميعاً من كفّى لما كنت ممن أوفّى من حقّك عشر العشر وها أنا بين يديك مرنى بأمرك.

وهنا يتدخل ابن عمر ليغيّر مجرى الحوار- حين أحسَّ أنّ الكلام بلغ الدرجة الحرجة بقول الإمام عليه السلام «أللّهمّ اشهد» أنّ الحجّة قائمة على المخاطب، وصار الحديث على لسان ابن عباس الذى أدرك مغزى «أللّهمّ اشهد» فى وجوب نصرة الإمام عليه السلام ووجوب الإنضمام إلى رايته فى القيام ضد الحكم الأموى، الأمر الذى

---

(۱) سورة التوبة، الآية ۴۵.

(۲) سورة النساء، الآية ۱۴۲.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۱۸

يعنى أنه (أى ابن عمر) مقصود أيضاً بالإمتثال لهذا الواجب- فقال لابن عباس:

مهلًا، ذرنا من هذا يا ابن عباس!!

ثمّ عطف يخاطب الإمام عليه السلام داعياً إيّاه الى الرجوع الى المدينة والتخلّى عمّا عزم عليه من القيام، وطالباً منه الدخول فى صلح القوم، والصبر حتى يهلك يزيد!!، ويدّعى ابن عمر هنا أنّ الإمام عليه السلام متروك ولابأس عليه إن هو ترك القيام حتى وإنْ لم يبايع!!

وهنا يُظهر الإمام عليه السلام تبرمه من منطق ابن عمر، ثم يُلزمه بالتسليم لحقيقة أنّ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله فى طهره ورشده ومنزلته الخاصة ليس كيزيد بن معاوية، ويُعلمه أنّ الأمويين لايتركونه حتى يبايع أو يقتل، ثمّ يدعوه إلى نصرته، فإن لم ينصره فلا أقلّ من أن لايسارع بالبيعة!!

ثمّ أقبل الإمام الحسين عليه السلام على ابن عباس رحمه الله ..

فقال: يا ابن عباس، إنّك ابن عمّ والدى، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع والدى تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستنصحك ويستشيرك فتشير عليه بالصواب، فامضِ الى المدينة فى حفظ الله وكلائه، ولا يَخفَ علىَّ شىءٌ من أخبارك، فإنّى مستوطنٌ هذا الحرم، ومقيمٌ فيه أبداً ما رأيتُ أهله يحبّونى وينصرونى، فإذا هم خذلونى استبدلتُ بهم غيرهم، واستعصمتُ بالكلمة التى قالها إبراهيم الخليل عليه السلام يومَ أُلقى فى النار (حسبى الله ونعم الوكيل) فكانت النار عليه برداً وسلاماً.

.. فبكى ابن عباس وابن عمر فى ذلك الوقت بكاءً شديداً، والحسين عليه السلام

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۱۹

يبكى معهما ساعة، ثمّ ودّعهما، وصار ابن عمر وابن عباس الى المدينة. «۱»

تأمّل وملاحظات:

۱)- أكّد ابن عباس (رض)- فى أوّل ما نطق به خلال هذه المحاورة- أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله كان قد بلّغ الأمّة بأنّ يزيد قاتل الحسين عليه السلام، وأنّ على الأمّة أن تحمى الإمام عليه السلام وتنصره، وقد حذّر صلى الله عليه و آله الأمّة بأنّ الإمام عليه السلام

لايُقتل بين ظهرانى قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم! وقد أكّد ابن عمر أيضاً على وقوع هذا التحذير والإنذار النبوى حيث قال إنه سمع الرسول صلى الله عليه و آله يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه، ليخذلهم الله الى يوم القيامة»، وهذا يعنى أنّ الأمّة كان قد شاع فى أوساطها خبر ملحمة مقتل الحسين عليه السلام وأنّ يزيد قاتله، وأنّ على الأمّة التحرك لحماية الإمام عليه السلام ونصرته!! لكنّ الأمّة بعد خمسين سنة من ارتحال الرسول صلى الله عليه و آله أعمتها أضاليل حركة النفاق عامة وفصيل الحزب الأموى منها خاصة، فتناءت عن وصايا رسول الله صلى الله عليه و آله وتحذيراته، الأمر الذى استشعر ابن عباس مرارته ونتائجه الخطيرة فبكى، وشاركه الإمام عليه السلام فى البكاء!

۲)- أكّد ابن عباس (رض) فى هذه المحاورة على معرفته بمقام الحسين عليه السلام وضرورة موالاته ونصرته، بدليل قوله: «.. وأنّ نصرك لفرض على هذه الأمّة كفريضة الصلاة والزكاة ..»، وفى قوله: «.. لو ضربتُ بين يديك بسيفى هذا حتى

---

(۱) راجع: الفتوح، ۵: ۲۶- ۲۷ ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى، ۱: ۲۷۸- ۲۸۱/ لقد تفرّد ابن أعثم الكوفى فى كتابه «الفتوح» برواية تمام هذه المحاورة، ونقلها عنه الخوارزمى فى كتابه «مقتل الحسين عليه السلام»، وقد تضمّنت هذه المحاورة بعض الفقرات التى لايمكن للمتتبع المتأمّل إلّا أن يتحفّظ حيالها إنْ لم يقطع بكذبها ورفضها، خصوصاً فى بعض نصوص التحاور بين الإمام وبين ابن عمر، وقد أرجأنا الكلام فيها الى حيث موقع دراسة موقف ابن عمر ونوع تحرّكه وحقيقة انتمائه.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۲۰

انخلع جميعاً من كفّى لما كنت ممّن أوفّى من حقّك عشر العشر ..».

۳)- كما أكّد (رض) على معرفته بكفر الأمويين ونفاقهم، وأنّهم ومن أطاعهم فى محاربة الإمام عليه السلام ممّن لانصيب لهم من الخير فى الآخرة.

۴)- قد يُستفاد من قوله (رض): «كأنّك تريدنى إلى نفسك، وتريد منّى أن أنصرك ... الى قوله: وها أنا بين يديك مُرنى بأمرك» أنّه وإن كان كبير السنّ يومذاك لكنّه كان صحيح القُوى سليم الجوارح وإلّا لما عرض استعداده للنصرة والجهاد، فلم يكن مكفوف البصر مثلًا- كما يُستفاد ذلك من رواية لقائه بأمّ سلمة (رض) بعد سماع صراخها تنعى الحسين عليه السلام «۱»- نعم يمكن القول إنّ الإمام عليه السلام فى جميع محاوراته مع ابن عباس لم يطلب منه الالتحاق به ونصرته، مما يقوىّ القول بأنه كان ضعيف البصر جداً أو مكفوفاً آنذاك، ومعذوراً عن الجهاد إلّا أنه (رض) عرض للإمام عليه السلام استعداده للجهاد والتضحية بين يديه استشعاراً منه لوجوب نصرة الإمام عليه السلام والذبِّ عنه وإنْ كان معذوراً.

۵)- وقد يُستفاد أيضاً من أحد نصوص هذه المحاورة أنّ الإمام عليه السلام رخّص لابن عباس (رض) بالبقاء وعدم الالتحاق بركبه، حيث قال عليه السلام له: «فامضِ إلى المدينة فى حفظ الله وكلائه، ولا يَخفَ علىَّ شىء من أخبارك».

۶)- أخبر الإمام عليه السلام ابن عباس (رض)- فى الأيام الأولى من إقامته فى مكّة المكرّمة- أنّ الأمويين يريدون قتله وسفك دمه!، والإمام عليه السلام بهذا ربّما أراد أن يُخبر عن وجود خطة وضعتها السلطة الأموية المركزية بالفعل لقتله فى المدينة أو فى مكّة، أو أراد أن يُخبر عن حقيقة أنّه (ما لم يبايع يقتل)، مؤكّداً بذلك على عدم صحة دعوى بعض من يقول- كابن عمر مثلًا- إنه عليه السلام لابأس عليه ولاخطر إن

---

(۱) أمالى الطوسى: ۳۱۴- ۳۱۵، المجلس ۱۱، الحديث ۶۴۰/ ۸۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۲۱

ترك المعارضة وصبر حتى وإن لم يبايع!

۷)- ومع علمه علیه السلام بأنّه مالم یبایع یقتل! ومع إصراره علی أن لا یکون هو الذی تستباح بقتله حرمة البیت الحرام! یمکننا أن نفهم قوله علیه السلام لابن عباس (رض) فی ختام هذه المحاورة: «فإنّی مستوطن هذا الحرم، ومقیمٌ فیه أبداً ما رأیت أهله یحبّونی وینصرونی، فإذا هم خذلونی استبدلت بهم غیرهم ..»

أنه علیه السلام أراد أن یطمئن ابن عباس (والمحاورة فی أوائل الأیّام المکیّة) أنه باقٍ أیّاماً غیر قلیلة فی مکّة، وأنّ هنالک متسعاً من الوقت، وإلّا فإنّ الإمام علیه السلام قد جعل استیطانه الحرم مشروطاً بحبّ أهله إیّاه ونصرتهم له! وهو علیه السلام یعلم أنه لیس فی (المکیّین) إلا نزر قلیل جداً ممّن یحبّ أهل البیت علیه السلام، «۱» فلیس له فی مکّة قاعدة شعبیة تحمیه وتنصره فی مواجهة السلطة الأمویة.

المحاورة الثانیة:

اشارة

ویبدو أنّ هذه المحاورة حصلت بین ابن عباس (رض) وبین الإمام علیه السلام بعد رجوع ابن عباس من المدینة الی مکّة المکرّمة مرّة أخری، إذ تقول الروایة التأریخیة: «وقدم ابن عباس فی تلک الأیّام الی مکّة، وقد بلغه أنّ الحسین عزم علی المسیر، فأتی إلیه ودخل علیه مسلّماً.

ثم قال له: جُعلتُ فداک، إنه قد شاع الخبر فی الناس وأرجفوا بأنّک سائر الی العراق! فبیّن لی ما أنت علیه؟ «۲»

---

(۱) عن الإمام السجّاد علیه السلام أنه قال: «ما بمکّة والمدینة عشرون رجلًا یحبّنا ..»، (کتاب‌الغارات: ۳۹۳، وشرح النهج لابن أبی الحدید، ۴: ۱۰۴).

(۲) فی تاریخ الطبری، ۳: ۲۹۴؛ «فبیّن لی ما أنت صانع؟».

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۲۲

فقال: نعم، قد أزمعتُ علی ذلک فی أیّامی «۱» هذه إن شاء الله، ولاحول ولاقوّة إلّا بالله العلیّ العظیم.

فقال ابن عباس: أُعیذک بالله من ذلک، فإنک إنْ سرت الی قوم قتلوا أمیرهم، وضبطوا بلادهم، واتقوا عدوّهم، «۲» ففی مسیرک إلیهم لعمری الرشاد والسداد، وإن سرت إلی قوم دعوک إلیهم وأمیرهم قاهر لهم، وعمّالهم یجبون بلادهم، «۳» فإنّما دعوک الی الحرب والقتال! وأنت تعلمُ أنه بلدٌ قد قُتل فیه أبوک، واغتیل فیه أخوک، وقُتل فیه ابن عمّک وقد بایعه أهله (!) وعبید الله فی البلد یفرض ویُعطی، والناس الیوم عبید الدینار والدرهم، فلا آمن علیک أن تُقتل، فاتّقِ الله والزم هذا الحرم، فإن کنت علی حال لابدّ أن تشخص فَصِرْ إلی الیمن فإنَّ بها حصوناً لک، وشیعة لأبیک، فتکون منقطعاً عن الناس.

فقال الحسین علیه السلام: لابُدَّ من العراق!

قال: فإن عصیتنی فلا تُخرج أهلک ونساءَک فیُقال إنّ دم عثمان عندک وعند أبیک، فوالله ما آمَنُ أن تُقتل ونساؤک ینظرن کما قُتل عثمان.

فقال الحسین علیه السلام: والله یا ابن عم، لئن أُقتل بالعراق أحبّ إلیَّ من أن أُقتل بمکّة، وما قضی الله فهو کائن، ومع ذلک أستخیر الله وأنظر

---

(۱) وفیه أیضاً: «قد أجمعتُ المسیر فی أحد یومیّ هذین ...».

(۲) وفيه أيضاً: «أخبرنى رحمك الله أتسير الى قوم ... ونفوا عدوّهم، فإنْ كانوا قد فعلوا ذلكفَسِرْ إليهم ...».

(۳) فى تاريخ الطبرى، ۳: ۲۹۴، «.. وعمّاله تجبى بلادهم، فإنهم إنّما دعوك الى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكذّبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يُستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك ...».

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۲۳

مايكون». «۱»

تأمّلٌ وملاحظات:

۱)- يمكن تشخيص تأريخ هذه المحاورة من قرائن متون روايتها أنّها حصلت فى الأيام الأخيرة من إقامة الإمام عليه السلام فى مكّة، بدليل قوله عليه السلام «قد أزمعتُ على ذلك فى أيّامى هذه ..»، أو أنها حصلت فى اليوم الأخير أو اليوم الذى قبله، بدليل قوله عليه السلام كما فى رواية الطبرى: «قد أجمعتُ المسير فى أحد يومىّ هذين ..».

۲)- تؤكّد نصوص هذه المحاورة أنّ تصميم الإمام عليه السلام على التوجّه الى العراق قد شاع فى الناس فى مكّة وغيرها، خصوصاً فى الأيّام الأواخر من إقامته فيها، وهذا لاينافى أن يبقى موعد السفر سرّياً لو أراد الإمام عليه السلام ذلك، مع أن نفس موعد سفر الركب الحسينى من مكّة لم يكن سرّياً إذ كان الإمام عليه السلام قد أعلن عنه فى خطبته قبيل سفره حين قال فيها: «... من كان باذلًا فينا مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإننى راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى.». «۲»

۳)- فى هذه المحاورة يتجلّى المحور الأساس فى تفكير ابن عباس (رض) وموقفه من قيام الإمام عليه السلام فهو مع القيام، وضد الخروج الى العراق قبل أن يتحرّك أهله عملياً لترتيب وتهيئة الأوضاع وتمهيدها استقبالًا لمقدم الإمام عليه السلام إليهم، وهذه المقولة صحيحة فى حدود منطق النصر الظاهرى الذى كانت تنطلق منه مشورات ابن عباس (رض) ونصائحه، والمُلفت للإنتباه أنّ الإمام عليه السلام لم يُخطّىء

---

(۱) الفتوح، ۵: ۷۲؛ وعنه مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى، ۱: ۳۰۹- ۳۱۰ ورواها الطبرى فى تأريخه، ۳: ۲۹۴ بتفاوت أشرنا إلى المهمّ منه.

(۲) مثير الاحزان: ۳۸؛ وقد بيّنا فى الفصل الأوّل أنه عليه السلام خطب هذه الخطبة فى عامة الناس.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۲۴

مثل هذه المشورة والنصيحة فى جميع المحاورات التى طُرحت فيها من قِبل ابن عباس وغيره، «۱» بل كان يعلّق عليها بما يُشعر بصحتها فىحدود منطق الظاهر. «۲»

۴)- فى ضوء منطق (الظاهر) يمكن للمتابع المتأمّل أن يفسّر قول الإمام عليه السلام «لابدّ من العراق» أنّ إصراره عليه السلام على التوجّه الى العراق كان بسبب رسائل أهل الكوفة إليه، إذ شكّلت هذه الرسائل حجّة على الإمام عليه السلام فى وجوب الإستجابة لهم والتوجّه إليهم، خصوصاً بعد وصول رسالة مسلم بن عقيل عليه السلام إليه وقد أخبره فيها بأنّ عدد المبايعين له فى الكوفة بلغ ثمانية عشر ألفاً (أو أكثر)، وطالبه فيها بالقدوم إليهم، ويؤيّد هذا ما روى عنه عليه السلام أنه قال لابن عباس فى محاورة أخرى:

«.. وهذه كتب أهل الكوفة ورسلهم وقد وجب علىَّ إجابتهم وقام لهم العذر علىَّ عند الله سبحانه». «۳»

أمّا فى ضوء منطق «العمق» فإنّ قوله عليه السلام «لابدّ من العراق» مع علمه بأنّ أهل الكوفة سوف يقتلونه ومن معه من أنصاره- وتصريحات الإمام عليه السلام بأنه سوف يُقتل كثيرة متظافرة- لابدّ أن يفسّر بأنّ الإمام عليه السلام يعلم أيضاً أنّ العراق هو الأرض المختارة للمصرع المختار، وميدان الواقعة الحاسمة، واقعة «الفتح بالشهادة»، الواقعة التى تكون نتائجها جميعاً لصالح الإسلام المحمّدى

الخالص وأهل البيت عليهم السلام إلى قيام الساعة، ذلك لأنّ الشيعة فى العراق آنئذٍ أكثر منهم فى أىّ

---

(۱) كعمر بن عبدالرحمن المخزومى، وعمرو بن لوذان، ومحمد بن الحنفية (رض).

(۲) فقد قال عليه السلام لابن عباس فى محاورة أخرى بعدها (تأتى) وقد طرح فيها نفس المشورة: «إنى والله لأعلم أنك ناصح مشفق!»، وقال عليه السلام لعمر بن عبدالرحمن وقد عرض نفس هذه المشورة: «فقد والله علمت أنّك مشيت بنصح وتكلّمت بعقل!»، وقال عليه السلام لعمرو بن لوذان وقد قدّم نفس هذا الرأى: «يا عبدالله، ليس يخفى علىَّ الرأى ولكنّ الله تعالى لا يُغلب على أمره!».

(۳) معالى السبطين، ۱: ۱۵۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۲۵

إقليم إسلامى آخر، ولأنّ العراق لم ينغلق إعلامياً ونفسيّاً لصالح الأمويين كما هو الشام، بل لعلّ العكس هو الصحيح، فالعراق آنذاك هو أرض المصرع المختار لما ينطوى عليه من استعدادات للتأثر بالحدث العظيم «واقعة عاشوراء» والتغيّر على هدى اشعاعاتها.

ويؤيّد هذا التفسير (فى العمق) أنّ الإمام عليه السلام ظلّ مصرّاً على التوجّه الى الكوفة حتى بعد انتفاء حجّة أهل الكوفة عليه عملياً حين بلغه خذلانهم لمسلم عليه السلام الذى أمسى وحيداً وجاهد وحيداً حتى قُتل!

۵)- ورد فى هذه المحاورة قول ابن عباس (رض) للإمام عليه السلام: «.. وأنت تعلمُ أنّه بلدٌ قد قُتِل فيه أبوك، واغتيل فيه أخوك، وقُتل فيه ابن عمّك وقد بايعه أهله! ...»

ولاشك أنّ المراد ب (ابن عمّك) هو مسلم بن عقيل عليه السلام، ولذا فإنّ هذه العبارة شاذّة ومخالفة للمشهور الثابت، ذلك لأنّ خبر مقتل مسلم عليه السلام أتى الإمام الحسين عليه السلام بعد خروجه من مكّة فى منزل من منازل الطريق (زرود)، ولعلّ هذه العبارة قد أُدخلت إدخالًا على أصل متن هذه المحاورة عمداً أو سهواً، والله العالم.

كذلك الأمر فى قول ابن عباس (رض) للإمام عليه السلام: «.. فأتقِ الله والزم هذا الحرم ..»، ذلك لأنّ فيه من سوء الأدب فى مخاطبة الإمام عليه السلام ما يبعد صدوره جدّاً عن ابن عباس (رض) العارف بمقام الإمام الحسين عليه السلام خاصة وبمقام أهل البيت عليهم السلام عامّة.

۶)- يمكن حمل قول الإمام عليه السلام: «.. لئن أُقتل بالعراق أحبُّ إلىَّ من أن أُقتل بمكّة ..» على أصل إصرار الإمام عليه السلام ألّا يكون هو القتيل فى مكّة الذى تُستحلّ به حرمة هذا البيت، ويمكن حمل هذا القول أيضاً على حقيقة علمه عليه السلام بأنّ العراق هو أفضل أرض للمصرع المختار كما قدّمنا قبل ذلك، ولأنّ الواقعة التى يُقتل عليه السلام

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۲۶

فيها على أرض العراق سوف تكون إعلامياً وتبليغياً (على الأقلّ) فى صالح الإمام عليه السلام تماماً بحيث لايتمكّن العدوّ فيها أن يعتّم على مصرعه فتختنق الأهداف المرجوّة من وراء هذا المصرع الذى سيهزّ الأعماق فى وجدان هذه الأمّة ويحرّكها بالإتجاه الذى أراده الحسين عليه السلام، وهذا بخلاف مالو قُتِل الإمام عليه السلام بمكّة غيلة فى خفاء أو علانية، قتلة يمكن للعدوّ أن يُغطّى عليها ويتنصّل من مسؤوليته عنها، بل يستفيد من نفس الحادثة لصالحه إعلامياً، إذ يقتل القاتل- الذى كان قد أمره هو بقتل الإمام عليه السلام- فيظهر للأمّة بمظهر المطالب بدم الإمام عليه السلام الثائر له، فتنطلى اللعبة على أكثر الناس، وتبقى مأساة الإسلام على ماهى عليه، بل تترسخ المصيبة وتشتدّ.

۷)- فى ختام هذه المحاورة نقف أمام قول الإمام عليه السلام: «وما قضى اللّه فهو كائن، ومع ذلك أستخير الله وأنظر مايكون.»، وقد تكرّر قوله عليه السلام «أستخير الله» فى بعض محاوراته عليه السلام مع ابن الزبير وابن مطيع وفى ردّه على كتاب المسور بن مخرمة.

فهل عنى الإمام عليه السلام بالإستخارة طلب معرفة ما فيه الخيرة من الأمور!؟ وهل يعنى هذا أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم تكن

لـديه خطّـة على الأـرض فى مسـار نهضـته منـذ البـدء، ولم يكن لـديه علم بمـا هو قادم عليه من مصـير فى مسـتقبل ايّامه وأنّ بوصـلة الإستخارة هى التى كانت توجّه حركته!؟

وهل يوافق هذا: الإعتقاد الحقّ بالشـرائط اللازمة للإمامة المطلقة المتجسّدة فى شخصيات أئمّة أهل البيت عليه السلام بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، خصوصاً على صعيد (علم الإمام عليه السلام)!؟

وهل يصدّق هذا التراث الروائى الكبير المتظافر المأثور عن النبىّ صلى الله عليه و آله

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۲۷

وعنهم عليهم السلام فى إخباراتهم عن (الملاحم والفتن) إلى قيام الساعة، وخصوصاً الإخبارات المأثورة عن النبىّ صلى الله عليه و آله وعن علىّ والحسن والحسين عليهما السلام بصدد (ملحمة عاشوراء)!؟

قبل الإجابة يحسن بنا أن نتعرّض هنا الى معنى الإستخارة لغة واصطلاحاً.

معنى الإستخارة:

الإستخارة لغةً: طلب الخِيرَة فى الشىء، واستخار الله: طلب منه الخيرة، و: مع الركب الحسينى ج۲ ۲۲۷ معنى الإستخارة: ..... ص : ۲۲۷ لّهمّ خِر لى: أى اختر لى أصلح الأمرين. «۱»

وهى إصطلاحاً- كما ورد فى الروايات- على معانٍ:

۱- بمعنى طلب الخيرة من الله، بأن يسأل الله فى دعائه أن يجعل له الخير ويوفّقه فى الأمر الذى يريده.

۲- بمعنى تيسّر ما فيه الخيرة. وهو قريب من الأوّل.

۳- طلب العزم على ما فيه الخير، بمعنى أن يسأل الله تعالى أن يوجد فيه العزم على ما فيه الخير.

۴- طلب معرفة ما فيه الخيرة، وهو المتداول فى العرف. «۲»

---

(۱) لسان العرب، ۴: ۲۶۶- ۲۶۷.

(۲) راجع: مفتاح الكرامة، ۳: ۲۷۲؛ والحدائق الناضرة، ۱۰: ۵۲۴ وقـال صـاحب الجواهر: «فيه معنيان: الأول: أن يسأل من الله أن يجعل الخير فيما أراد إيقاعه من الأفعال، والثانى: أن يوفّقه لما يختاره له وييسّره له.

ولمعرفة الثانى طرق، ولعلها تتبع إرادة المستخير بالمعرفة:

۱- أن يوجد فيه العزم على الفعل.

۲- أن يوقع مايختاره له على لسان المستشار

۳- يعيّنه بالرقاع، السبحة، أو المصحف» (راجع: جواهر الكلام، ۱۲: ۱۶۲).

وقال السبزوارى: «والظاهر أنّ ما ذكر فى هذه الأخبار من السـبحة والحصى والمشورة وحدوث العزم وغيرها- ممّا مرّ- من باب الغالب والمثـال لا الخصوصـية، ومقتضـى الأصل جواز اسـتكشاف خيرة الله تعالى بكلّ وجه أمكن ذلك مالم يكن فيه نهى شـرعى أو عنوان محرّم أو مكروه، إذ لاـ دليل على حرمـة اسـتكشاف الغيب بلا جزم ويقين، بل بطريق الرجاء. وقـد كان رسول الله صـلى الله عليه و آله يحبّ الفأل ويكره الطيرة.». (مهذّب الأحكام، ۹: ۱۰۰).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۲۸

لنرجع الى أصل المسألة ..

لاشك أنّ مراد الإمام عليه السلام من الإستخارة ليس معناها المتداول فى يومنا هذا:

وهو طلب معرفة مافيه الخيرة، وأنّه عليه السلام كان يريد استكشاف الغيب بطريق الرجاء بلاجزم ويقين!!

إذ إنّ هـذا ينافى الإعتقاد الحقَّ بأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام عندهم علم ماكان وما هو كائن ومايكون الى قيام الساعة موهبة من الله تبارك وتعالى، كما ينافى هـذا روايات أخبار (الملاحم والفتن) الكثيرة المأثورة عنهم عليهم السلام والكاشفة عن علمهم بمسار وتفاصيل حركة أحداث العالم الى قيام الساعة، وخصوصاً أخبار (ملحمة عاشوراء) المأثورة عن الخمسة أصحاب الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير صلوات الله عليهم أجمعين. «۱»

---

(۱) ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام خاصة يُنبىء عن نهضته وعن مصرعه وعن قاتليه منذ طفولته، فعن حذيفة بن اليمان قال: «سمعت الحسين بن على يقول: والله ليجتمعنّ على قتلى طغاة بنى أميّة، ويقدمهم عمر بن سعد. وذلك فى حياة النبيّ صلى الله عليه و آله!. فقلتُ: أنبّأك بهذا رسول الله؟ قال: لا ـ فأتيت النبيّ فأخبرته فقال: علمى علمه، وعلمه علمى، وإنّا لنعلم بالكائن قبل كينونته.». (دلائل الإمامة: ۱۸۳- ۱۸۴).

لايقال: كيف يمكن هذا فى حقّ الحسين عليه السلام!؟ هذا من الغلوّ فيه وفى أهل البيت عليهم السلام!!

ذلك لأنّ القوم يعتقدون بهذا لحذيفة بن اليمان (رض)، ويروون عنه من هذا القبيل، بل أكثر من هذا، فقد رووا عنه أنه قال: «والله إنى لأعلم الناس بكلّ فتنة هى كائنة فيما بينى وبين الساعة». (راجع: سير أعلام النبلاء: ۲: ۳۶۵- عن أحمد ومسلم).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۲۹

إذن فمعنى الإستخارة هنا من الممكن أن يكون هو الدعاء الى الله تبارك وتعالى فى أن يجعل له عليه السلام الخير فى مسعاه ويوفّقه فى الأمر الذى يريده، أو أن ييسّر له ما فيه الخير بتذليل كلّ الصعوبات والعوائق لبلوغ ما يبتغيه عليه السلام فى طريق نهضته المقدّسة، أو الدعاء الى الله تبارك وتعالى فى طلب المزيد من العزم والتصميم على ما فيه الخير وجزيل المثوبة.

ولاشك أن المتابع المتأمّل يُدرك أنّ الإمام عليه السلام فى جميع محاوراته التى ذكر فيها أمر الإستخارة أراد بذلك أن يُسكت المخاطب عن الإلحاح فى نهيه عمّا هو عازم عليه.

ولا ينافى ما قدّمنا إذا حدّثنا التأريخ أنّ الإمام عليه السلام لجأ لقطع إلحاح المحاور الى الإستفتاح بالقرآن- وهو يعلم نتيجة الإستفتاح مسبّقاً- كما فعل ذلك مع ابن عباس نفسه، فقد روى «أنّ ابن عباس ألحّ على الحسين عليه السلام فى منعه من المسير الى الكوفة، فتفأل بالقرآن لإسكاته، فخرج الفأل قوله تعالى: «كلّ نفس ذائقة الموت، وإنّما توفون أجوركم يوم القيامة ...»، «۱» فقال عليه السلام: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، صدق الله ورسوله. ثمّ قال: يا ابن عباس، فلا تُلحَّ علىَّ بعد هذا فإنه لا مردّ لقضاء الله عزّ وجلّ.». «۲»

المحاورة الثالثة:

يقول التأريخ: «فلمّا كان من العشىّ أو من الغد أتى الحسين عبدالله بن

---

(۱) سورة آل عمران، الآية ۱۸۵.

(۲) ناسخ التواريخ، ۲: ۱۲۲؛ ووسائل الشيعة، ۴: ۸۷۵.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۳۰

عباس ...

فقال: يا ابن عم، إنى أتصبّر ولا أصبر، إنّى أتخوّف عليك فى هذا الوجه الهلاك والإستئصال، إنّ أهل العراق قوم غدر، فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنّك سيّد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم ثمّ أقدم عليهم، فإنْ

أبيت إلّا أن تخرج فَسِرْ إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً، وهى أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس فى عزلة، فتكتب إلى الناس وتُرسل وتبثّ دُعاتك، فإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحبّ فى عافية!

فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن عم، إنّى والله لأعلم أنّك ناصحٌ مشفق، ولكنّى قد أزمعت وأجمعت على المسير!

فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تَسِرْ بنسائك وصبيتك، فوالله إنّى لخائف أن تُقتلَ كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه!

ثم قال ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إيّاه والحجاز والخروج منها، وهو اليوم لاينظر إليه أحدٌ معك، والله الذى لا إله إلّا هو، لو أعلم أنّك إذا أخذتُ بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علىَّ وعليك الناس أطعتنى لفعلتُ ذلك!!

قال ثمّ خرج ابن عباس من عنده فمرَّ بعبدالله بن الزبير فقال: قرّت عينك يا ابن الزبير! ثمّ قال:

يالك من قُنبُرَةٍ بمَعمْرِخلا لك الجوُّ فَبِيضى واصفرى

ونقّرى ما شئتِ أن تنقّرى هذا حسينٌ يخرج الى العراق! وعليك بالحجاز!.». «۱»

---

(۱) تاريخ الطبرى، ۳: ۲۹۵ وقد روى ابن عساكر هذه المحاورة بتفاوت غير يسير، وأهمّ تفاوت فيها: «.. فكلّمه ليلًا طويلًا وقال: أُنشدك الله أن تهلك غداً بحال مضيعة، لا تأتِ العراق، وإن كنت لابدّ فاعلًا فأقمْ حتىْ ينقضى الموسم وتلقى الناس وتعلم على ما يصدرون ثمّ ترى رأيك وذلك فى عشر ذى الحجّة سنة ستّين- فأبى الحسين إلّا أن يمضى الى العراق ...». (راجع: تاريخ ابن عساكر (ترجمة الامام الحسين عليه السلام)، تحقيق المحمودى: ۲۰۴، رقم ۲۵۵).

ولايخفى أنّ تأريخ المحاورة الذى ذكره ابن عساكر لايتوافق مع المشهور الثابت فى أنّ الامام عليه السلام قد ارتحل عن مكّة فى اليوم الثامن من ذى الحجة.

ورواها أيضاً ابن أعثم الكوفى باختصار وتفاوت، وفى آخرها «فقال الحسين: فإنى أستخير الله فى هذا الأمر وأنظر ما يكون. فخرج ابن عباس وهو يقول: واحسيناه!» كما روى الشعر الذى خاطب ابن عباس به ابن الزبير هكذا:

يالك من قبّرة بمعمرِخلا لك الجوُّ فبيضى واصفرى

ونقرّى ما شئت أن تنقّرىإن ذهب الصائد عنك فابشرى

قد رفع الفخّ فما من حذرهذا الحسين سائر فانتشرى

(راجع الفتوح، ۵: ۷۳؛ ورواها عنه الخوارزمى فى المقتل، ۱: ۳۱۱).

وقد روى العلامة المجلسى (ره) فى البحار، عن الشهيد الثانى (ره) بإسناده عن ابن قولويه (ره)، بإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام أنّه «لمّا تجهّز الحسين عليه السلام الى الكوفة أتاه ابن عباس فناشده الله والرحم أن يكون هو المقتول بالطفّ، فقال: أنا أعرف بمصرعى منك، وما وكدى من الدنيا إلّا فراقها ....». (البحار، ۷۸: ۲۷۳، باب ۲۳، حديث ۱۱۲).

والوكد: المراد والقصد.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۳۲

المحاورة الرابعة:

اشارة

روى الطبرى (الإمامى) عن عبدالله بن عباس قال: لقيتُ الحسين بن علىّ وهو يخرج الى العراق ..

فقلت له: يا ابن رسول الله، لا تخرج!

قال فقال لی: یا ابن عباس، أما علمتَ أنَّ منیّتی من هناک وأنّ مصارع أصحابی هناک!؟

فقلتُ له: فأنّی لک ذلک؟

قال: بسِرٍّ سُرَّ لی وعلمٍ أُعطیته!». «۱»

إشارة:

لایخفی علی المتأمّل فی ما عثرنا علیه من متون محاورات عبدالله بن عباس (رض) مع الإمام الحسین علیه السلام ظهور حقیقة- ما قدّمناه من قبل- أنّ المحور الأساس فی تفکیر ابن عباس (رض) هو تأییده لقیام الإمام علیه السلام، ومعارضته لخروجه الی العراق قبل تحرّک أهله عملیاً لنصرته.

ولم نعثر- حسب تتبعنا- علی نصٍّ منسوب الی ابن عباس (رض) یفید أنه کان معارضاً لقیام الإمام علیه السلام، أو أنه (رض) نهی عن القیام، إلّا ما ورد فی کتاب (أسرار الشهادة) للدربندی (ره) نقلًا عن کتاب (الفوادح الحسینیة)، «۲» عن ابن

---

(۱) دلائل الإمامة: ۷۴.

(۲) هناک کتابان بهذا الإسم ذکرهما صاحب الذریعة: الأول: هو (الفوادح الحسینیة والقوادحالبینیة) المشهور بمقتل العصفور، للشیخ حسین العصفور ابن أخی صاحب الحدائق، المتوفّی لیلة ۲۱ شوال ۱۲۱۶ هق، وهو علی نهج منتخب الطریحی وضعه لأن یُقرأ فی عشرة المحرّم یوماً ولیلة، ولذا رتّبه علی عشرین مصیبة بعدد الأیّام واللیالی.

والثانی هو (الفوادح الحسینیة) للشیخ نمر بزّه، طبع بمطبعة العرفان بصیدا، ۳۳ صفحة فی تسعة مجالس، کلّ مجلس حاوٍ لحدیث ومرثیة. (الذریعة، ۱۶: ۳۶۴). والظاهر أن الکتاب الذی نقل عنه صاحب أسرار الشهادة هو الأوّل.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۳۳

عباس (رض) أنه قال للامام الحسین علیه السلام فی ختام واحدة من محاوراته بعد أن بکی بکاءً شدیداً: «یعزُّ واللّهِ علیَّ فراقک یا ابن العم. (ثمّ أقبل علی الحسین وأشار علیه بالرجوع الی مکّة والدخول فی صلح بنی أمیّة!!).

فقال الحسین علیه السلام: هیهات هیهات یا ابن عباس، إنّ القوم لم یترکونی، وإنهم یطلبوننی أین کنت حتی أبایعهم کرهاً ویقتلونی، والله لو کنتُ فی جحر هامّة من هوامّ الأرض لاستخرجونی منه وقتلونی، واللّه إنهم لیعتدُون علیَّ کما اعتدت الیهود فی یوم السبت، وإنّی ماضٍ فی أمر رسول الله صلی الله علیه و آله حیث أمرنی، وإنّا لله وإنّا إلیه راجعون.» «۱»

ونقل صاحب کتاب «معالی السبطین» هذه المحاورة قائلًا: «وفی بعض الکتب: جاء عبدالله بن عباس الی الحسین علیه السلام وتکلّم معه بما تکلّم الی أن أشار علیه بالدخول فی طاعة یزید وصلح بنی أمیّة!!»، وفی نقله إضافة الی نقل الدربندی أنّ ابن عباس قال للامام علیه السلام بعد ذلک: یا ابن العمّ، بلغنی أنک ترید العراق، وإنهم أهل غدر، وإنما یدعونک للحرب فلا تعجل فأقم بمکّة!

فقال علیه السلام: لَانْ أقتل والله بمکان کذا أحبّ إلیَّ من أن أُستحلّ بمکّة، وهذه کتب أهل الکوفة ورسلهم، وقد وجب علیَّ إجابتهم وقام لهم العذر علیَّ عند الله سبحانه!

---

(۱) أسرار الشهادة: ۲۴۶- ۲۴۷.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۳۴

فبکی عبدالله حتی بُلَّت لحیته، وقال: واحسیناه، وا أسفاه علی حسین.» «۱»

والملاحظ المتأمّل يرى:

۱)- أنّ ما ورد فی هـذين الكتابين من دعوى «أنّ ابن عباس (رض) أشار على الامام عليه السـلام بالـدخول فی صـلح بنی أميّـة وطاعة يزيد» شاذّ غريب مخالف للمشهور الوارد فی الكتب المعتبرة.

۲)- أنّ صاحب أسـرار الشهادة ينسب هذه الدعوى الى كتاب الفوادح الحسينية (لانعرفه فی الكتب المعتبرة)، وصاحب معالی السبطين ينسبها الى (بعض الكتب!)، ولايخفى أنها نسبة ظاهرة الضعف.

۳)- أنّ عبارة الدعوى نفسها ليست قولًا نطق به ابن عباس فنقل عنه، بل هی من إنشاء صاحب أسرار الشهادة وصاحب معالی السبطين.

۴)- وهناك أيضاً تعارضٌ بيّن بين عبارة صاحبی أسـرار الشهادة ومعالی السبطين، ففی الأولى: (وأشار عليه بالرجوع الى مكّة)، أی أنّ المحاورة حصلت بعد خروج الامام عليه السلام من مكّة، وفی الثانية: (فلا تعجل فأقم بمكّة) أی أنّ المحاورة حصلت فی مكّة.

كما لايخفى أنّ القول بأنّ المحاورة حصـلت بعد خروج الامام عليه السلام من مكّة أشدّ شذوذاً من أصل الدعوى نفسها لأن المشهور الثابت أنّ ابن عباس (رض) لم يلتق الامام عليه السلام بعد خروجه من مكّة المكرّمة.

خلاصة القضية:

انّ هذه الدعوى الشاذّة لاتستند الى دليل معتبر يمكن الإطمئنان اليه، بل لا دليل عليها، ويبقى الأصل المستفاد من المتون المعتبرة

---

(۱) معالی السبطين، ۱: ۱۵۱.

مع الركب الحسينی ،ج۲،ص:۲۳۵

صحيحاً فی أنّ موقف ابن عباس (رض) يتلخّص فی تأييـده لقيام الامام عليه السـلام، ومعارضـته لخروجه الى العراق قبل تحرّك أهله عملياً لنصـرته، نعم، هناك قول للسـيّد ابن طاووس (ره) مبهم الدلالـة وهو: وجاء عبـدالله بن عباس رضوان الله عليه، وعبدالله بن الزبير فأشـارا إليه بالإمسـاك، فقـال لهمـا: إنّ رسول الله صـلى الله عليه و آله قـد أمرنی بـأمر وأنا ماضٍ فيه. قال فخرج ابن عباس وهو يقول: واحسيناه!». «۱»

ولاـ دلالـة فی هـذه العبارة الغامضـة: (فأشارا عليه بالإمساك) على أنّ ابن عباس أشار على الامام عليه السـلام بترك القيام، بل الأقوى دلالتها على ترك الخروج الى العراق بقرينـة المتون التفصـيلية الأـخرى ذات المضـمون نفسه التی أجـاب فيها الامام عليه السـلام ابن عباس (رض) بأنه ماضٍ الى العراق بأمر رسول الله صلى الله عليه و آله.

لماذا تخلّف ابن عباس (رض) عن الإمام عليه السلام!؟

عبـدالله بن العبّاس بن عبدالمطّلب بن هاشم رضـی الله عنهم أجمعين، كان مؤمناً بإمامة أئمة أهل البيت الإثنی عشـر عليهم السـلام من بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، «۲» عارفاً

---

(۱) اللهوف: ۱۰۱.

(۲) ويكفی فی الدلالـة على ذلك متن المحاورة- التی رواها سـليم بن قيس- بين معاويـة وعبـدالله‌بن جعفر (رض) وعبدالله بن عباس (رض) بمحضر الحسنين عليهما السلام (راجع: كتاب سليم بن قيس: ۲۳۱- ۲۳۸/ دار الفنون- لبنان)، وما رواه الخزاز القمّی فی كفاية الأـثر من روايـات مسـندة عن ابن عبـاس (رض) فی الأئمـة الإـثنی عشـر وفی أسـمائهم عليهم السـلام (راجع: كفايـة الاـثر: ۱۰ - ۲۲/

انتشارات بیدار)، ویکفی هنا أن ننتقی منه هذه الروایة عن عطا قال: «دخلنا علی عبدالله بن عباس وهو علیل بالطائف، فی العلّة التی توفی فیها، ونحن زهاء ثلاثین رجلًا من شیوخ الطائف، وقد ضعف، فسلّمنا علیه وجلسنا، فقال لی: یا عطا من القوم؟ قلت: یا سیّدی هم شیوخ هذا البلد: منهم عبدالله بن سلمة بن حضرمی الطائفی، وعمارة بن أبی الأجلح، وثابت بن مالک، فما زلتُ أعدّ له واحداً بعد واحد، ثمّ تقدّموا إلیه فقالوا: یا ابن عمّ رسول الله، إنک رأیت رسول الله صلی الله علیه و آله وسمعت منه ما سمعت، فأخبرنا عن اختلاف هذه الأمّة، فقوم قد قدّموا علیّاً علی غیره، وقوم جعلوه بعد ثلاثة!.

قال: فتنفّس ابن عباس وقال: سمعت رسول الله صلی الله علیه و آله یقول: علیٌّ مع الحقّ والحقّ مع علیّ، وهو الامام والخلیفة من بعدی، فمن تمسّک به فاز ونجی، ومن تخلّف عنه ضلّ وغوی، بلی، یکفننی ویغسّلنی ویقضی دینی، وأبوسبطیَّ الحسن والحسین، ومن صلب الحسین تخرج الأئمة التسعة، ومنّا مهدیّ هذه الأمّة.

فقال له عبدالله بن سلمة الحضرمی: یا ابن عمّ رسول الله، فهل کنت تعرّفنا قبل هذا؟

فقال: والله قد أدّیت ما سمعت، ونصحت لکم، ولکنّکم لاتحبّون الناصحین!

ثم قال: أتّقوا الله عباد الله تقیّة من اعتبر بهذا ... واعملوا لآخرتکم قبل حلول آجالکم، وتمسّکوا بالعروة الوثقی من عترة نبیّکم، فإنی سمعته صلی الله علیه و آله یقول: «من تمسّک بعترتی من بعدی کان من الفائزین».

ثمّ بکی بکاءً شدیداً، فقال له القوم: أتبکی ومکانک من رسول الله صلی الله علیه و آله مکانک؟

فقال لی: یا عطا، إنّما أبکی لخصلتین: هول المطّلع، وفراق الأحبّة!

ثمّ تفرّق القوم، فقال لی: یا عطا، خذ بیدی واحملنی الی صحن الدار. ثمّ رفع یدیه الی السماء وقال: أللّهمّ إنّی أتقرّب إلیک بمحمّدٍ وآله، أللّهمّ إنّی أتقرّب إلیک بولایة الشیخ علی بن أبی طالب. فما زال یکررّها حتی وقع علی الأرض، فصبرنا علیه ساعة ثمّ أقمناه فإذا هو میّت رحمة الله علیه.» (کفایة الاثر: ۲۰- ۲۲؛ وانظر إختیار معرفة الرجال: ۵۶، الرقم ۱۰۶).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۳۶

بحقّهم، موقناً بأنّ نصرهم والجهاد تحت رایتهم فرض کفرض الصلاة والزکاة، «۱» وکانت سیرته مع الامام أمیر المؤمنین والامام الحسن والامام الحسین علیهما السلام کاشفة عن هذا الإیمان وهذا الیقین وهذه المعرفة، «۲» وکان (رض) لایتردد فی إظهار

---

(۱) مرّ بنا فی المحاورة الاولی أنه (رض) قال للامام علیه السلام: «وأنّ نصرک لفرض علی هذه الأمةکفریضة الصلاة والزکاة التی لایقدر أن یقبل أحدهما دون الأخری».

(۲) قال العلّامة فی الخلاصة: «عبدالله بن العباس من أصحاب رسول الله صلی الله علیه و آله، کان محبّاً لأمیرالمؤمنین علیه السلام وتلمیذه، حاله فی الجلالة والإخلاص لأمیر المؤمنین أشهر من أن یخفی ...»، (ص ۱۰۳، ذکره فی القسم الأوّل من کتابه/ وانظر مستدرکات علم الرجال: ۵: ۴۳).

«وقد علم الناس حال ابن عباس فی ملازمته له- أی علیّ علیه السلام- وانقطاعه إلیه، وأنه تلمیذه وخرّیجُه، وقیل له: أین علمک من علم ابن عمّک؟ فقال: کنسبة قطرة من المطر الی البحر المحیط ..». (شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ۱: ۱۹)، وقال الشیخ حسن بن الشهید الثانی: «عبدالله بن العباس حاله فی المحبّة والإخلاص لمولانا أمیر المؤمنین والموالاة والنصرة له والذبّ عنه والخصام فی رضاه والموازرة مما لا شبهة فیه ...». (التحریر الطاووسی: ۳۱۲).

وبعد أن أنهی الإمام الحسن علیه السلام خطبته فی الناس بعد وفاة أمیر المؤمنین علیه السلام قام عبدالله بن عباس بین یدیه فقال: «معاشر الناس هذا ابن نبیّکم ووصیّ إمامکم فبایعوه ..» (کشف الغمة: ۲: ۱۵۹ وراجع: مقاتل الطالبیین: ۳۳).

وکان (رض) والیاً للإمام الحسن علیه السلام علی البصرة کما کان والیاً لأمیر المؤمنین علیه السلام علیها.

وقد حاول أعداء أهل البيت عليهم السلام الطعن فى هذه الشخصية الهاشمية الجليلة فافتروا عليه أكذوبة اختلاس أموال بيت المال فى البصرة ايّام كان والياً عليها فى حياة أمير المؤمنين عليه السلام، وقد انبرى محققون كثيرون من علمائنا لتفنيد هذه الأكذوبة ولتنزيه ساحة حبر الأمّة من أدرانها، ويحسن هنا أن ننتقى بعض المتون الواردة دفاعاً عن ساحة ابن عباس (رض):

«دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن على بن عبدالله بن العباس بالبصرة فقال لسليمان: أخبرنى عن قول علىّ عليه السلام فى عبدالله بن العباس: يفتينا فى النملة والقملة وطار بأموالنا فى ليلة! فقال له: كيف يقول هذا!؟ وابن عباس لم يفارق علياً حتى قتل، وشهد صلح الحسن عليه السلام! وأىّ مالٍ يجتمع فى بيت مال البصرة مع حاجة علىّ عليه السلام الى الأموال، وهو يفرغ بيت مال الكوفة فى كلّ خميس ويرشّه، وقالوا: إنه كان يُقيل فيه! فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة!؟ وهذا باطل!» (أمالى المرتضى، ۱: ۱۷۷).

وقال السيّد الخوئى: «هذه الرواية- أى رواية اختلاس أموال البصرة- وما قبلها من طرق العامة، وولاء ابن عباس لأمير المؤمنين وملازمته له عليه السلام هو السبب الوحيد فى وضع هذه الأخبار الكاذبة وتوجيه التهم والطعون عليه، حتى أنّ معاوية لعنه الله كان يلعنه بعد الصلاة! مع لعنه علياً والحسنين وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر كما عن الطبرى وغيره ... والمتحصّل مما ذكرنا أنّ عبدالله بن عباس كان جليل القدر مدافعاً عن أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام كما ذكره العلامة وابن داود.» (معجم رجال الحديث، ۱۰: ۲۳۹).

وقال ابن أبى الحديد: «وقال آخرون وهم الأقلّون: هذا لم يكن، ولا فارق عبدالله بن عباس علياً عليه السلام ولاباينه ولاخالفه، ولم يزل أميراً على البصرة الى أن قُتل علىّ عليه السلام .. ويدلّ على ذلك ما رواه أبوالفرج على بن الحسين الأصفهانى من كتابه الذى كتبه الى معاوية من البصرة لمّا قُتل علىّ عليه السلام. قالوا: وكيف يكون ذلك ولم يخدعه معاوية ويجرّه الى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمّال أمير المؤمنين عليه السلام واستمالهم اليه بالأموال، فمالوا وتركوا أمير المؤمنين عليه السلام، فما باله وقد علم النبوة التى حدثت بينهما، لم يستمل ابن عباس ولا اجتذبه الى نفسه، وكلّ من قرأ السير وعرف التواريخ يعرف مشاقّة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة علىّ عليه السلام وما كان يلقاه به من قوارع الكلام وشديد الخصام، وما كان يثنى به على أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر خصائصه وفضائله، ويصدع به من مناقبه ومآثره، فلوكان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضدّ لما اشتهر من أمرهما. وهذا عندى هو الأمثل والأصوب.» (شرح نهج البلاغة، ۴: ۱۷۱). مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۳۷

وقال التسترى: «الأصل فى جعلهم هذا الخبر- اختلاس أموال البصرة- فى ابن عباس إرادتهم دفع الطعن عن فاروقهم باستعماله فى أيّام إمارته المنافقين والطلقاء- كالمغيرة بن شعبة ومعاوية- وتركه أقرباء النبىّ صلى الله عليه و آله ..» (قاموس الرجال، ۶: ۴۴۱).

ويحسن هنا أن ننظر إجمالًا فى سندى خبرى الإختلاس اللذين أوردهما الكشّى: سند الخبر الأوّل: «قال الكشّى: روى علىّ بن يزداد الصائغ الجرجانى، عن عبدالعزيز بن محمّد بن عبدالأعلى الجزرى، عن خلف المحرومى البغدادى، عن سفيان بن سعيد، عن الزهرى قال: سمعت الحارث يقول: ...» (اختيار معرفة الرجال، ۱: ۲۷۹، رقم ۱۰۹).

ويكفى هذا السند ضعفاً وجود سفيان بن سعيد (الثورى) فيه، الذى هو ليس من أصحابنا، وورد فى ذمّه أحاديث صحيحة. (راجع: منتهى المقال، ۳: ۳۵۱).

هذا فضلًا عن عدائه لعلىّ عليه السلام، ولاننسى قوله المعروف: «أنا أبغض أن أذكر فضائل على!» (سير أعلام النبلاء، ۷: ۳۵۳).

وفى السند أيضاً: الزهرى الذى عُرف بأنّه كان يدلّس عن الضعفاء (راجع: تهذيب الكمال، ۳۰: ۴۷۱ وميزان الإعتدال، ۲: ۱۶۹ وتهذيب التهذيب، ۱۱: ۲۱۸).

وعُرِف الزهرى بأنه أفسد نفسه بصحبة الملوك، وترك بعضهم حديثه لكونه كان مداخلًا للخلفاء! (راجع: سير أعلام النبلاء، ۵: ۳۳۹).

أمّا سند الخبر الثانى فهو:

«قال الكشّى: قال شيخ من أهل اليمامة، يذكر عن معلّى بن هلال، عن الشعبى قال: ...» (اختيار معرفة الرجال، ۱: ۲۷۹، رقم ۱۱۰). مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۳۸

ونقول:

۱)- لكلمة الشيخ إطلاقات عديدة: منها: من له إلمام بالحديث، الزعيم الدينى، رئيس القبيلة، لكنّ هذا العنوان لا ـ محالة مهمل ولايمكن الإعتماد عليه إذ لايخرج عن الإبهام والترديد.

۲)- معلّى بن هلال: قال فيه أحمد بن حنبل: متروك الحديث، حديثه موضوع كذب، وقال فيه ابن معين: هو من المعروفين بالكذب ووضع الحديث. وقال فيه أبوداود: غير ثقة ولامأمون. وقال سفيان: هذا من أكذب الناس.

وقال فى المغنى: كذّاب بالإتفاق. «راجع: ميزان الإعتدال، ۴: ۱۵۲ وتهذيب التهذيب، ۱۰: ۲۴۱).

۳)- الشعبى: وهو عامر بن شراحيل، قال الشيخ المفيد (ره): وبلغ من نصب الشعبى وكذبه أنه كان يحلف بالله أنّ علياً دخل اللحد وماحفظ القرآن، وبلغ من كذبه أنه قال: لم يشهد من الجمل من الصحابة إلّا أربعة، فإن جاؤا بخامس فأنا كذّاب .. كان الشعبى سكّيراً خمّيراً مقامراً، روى عن أبى حنيفة أنه خرق ما سمع منه لما خمره وقمره. (راجع: الفصول المختارة: ۱۷۱ وقاموس الرجال، ۵: ۶۱۲).

وروى أبونعيم، عن عمرو بن ثابت، عن أبى إسحاق قال: ثلاثة لا يُؤمَنون على علىّ بن أبى طالب: مسروق، ومرّة، وشريح وروى أن الشعبى رابعهم. (انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ۴: ۹۸).

قال الشهيد الثانى: «جملة ما ذكره الكشى من الطعن فيه- أى ابن عباس- خمسة أحاديث كلّها ضعيفة السند ..». (انظر: سفينة البحار، ۶: ۱۲۸).

وقال العلامة الحلّى: «.. وقد ذكر الكشّى أحاديث تتضمّن قدحاً فيه، وهو أجلّ من ذلك، وقد ذكرناها فى كتابنا الكبير وأجبنا عنها.» (خلاصة الأقوال: ۱۰۳).

وقال التفرشى: «وما ذكره الكشّى من الطعن فيه ضعيف السند» «نقد الرجال، ۳: ۱۱۸).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۴۰

اعتزازه وافتخاره بما أنعم الله عليه به من موالاتهم وحبّهم والإنقياد لهم والإمتثال لأمرهم، ومن جميل ما يُروى فى ذلك أنّ مُدرك بن زياد اعترض على ابن عباس حين رآه ذات يوم وقد أمسك للحسن والحسين عليهما السلام بالركاب وسوّى عليهما:

«قائلًا: أنت أسنُّ منهما تُمسك لهما بالركاب!؟

فقال: يالُكع، وتدرى من هذان؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه و آله، أو ليس ممّا أنعم الله به علىَّ أن أمسك لهما وأسوّى عليهما!؟» «۱».

وكان ابن عباس (رض) قد حفظ ما سمع من رسول الله صلى الله عليه و آله ومن أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ما أخبرا به حول مقتل الإمام الحسين عليه السلام، والارض التى يُقتل فيها، وأسماء أصحابه، فها هو يروى قائلًا: «كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام فى خرجته الى صفين، فلمّا نزل بنينوى وهو بشطّ الفرات قال بأعلا صوته: يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟

قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين!

فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتى لم تكن تجوزه حتّى تبكى كبكائى!

قال: فبكى طويلًا حتّى اخضلّت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا

---

(۱) مناقب آل أبى طالب، ۳: ۴۰۰؛ وفيات الأعيان ۶: ۱۷۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۴۱

معاً وهو يقول: أوّه أوّه، مالى ولآل أبى سفيان!؟ مالى ولآل حرب، حزب الشيطان وأولياء الكفر!؟ صبراً يا أبا عبدالله، فقد لقى أبوك مثل الذى تلقى منهم.». «۱»

وكان ابن عباس (رض) يقول: «ماكُنا نشكُّ، وأهل البيت متوافرون، أنّ الحسين بن علىّ يُقتل بالطفّ!.». «۲»

إذن لِمَ لم يلتحق ابن عباس (رض) بالركب الحسينى ليفوز بشرف نصرة سيد المظلومين عليه السلام وبشرف الشهادة بين يديه!؟

هل أثّاقل الى الارض وآثر الدنيا على الآخرة بعد عمر شريف عامر بالجهاد ونصرة الحق!؟

إنّ العارف بسيرة ابن عباس (رض) قد يرفض حتى التفكير فى مثل هذا السؤال! أوليس ابن عباس هو القائل فى محاورته الأولى مع الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة فى شعبان سنة ۶۰ للهجرة: «جُعلت فداك يا ابن بنت رسول الله، كأنك تريدنى إلى نفسك، وتريد منى أن أنصرك! والله الذى لا إله إلّا هو أنْ لو ضربتُ بين يديك بسيفى هذا حتّى انخلع جميعاً من كفّى لما كنت ممن أوفّى من حقّك عشر العشر! وها أنا بين يديك مرنى بأمرك.».

إذن هل كان تقادم العمر به قد أعجزه عن القدرة على النصرة!؟

إذا علمنا أنّ ابن عباس (رض) توفى سنة ۶۸ للهجرة أو ۶۹ وله من العمر سبعون عاماً أو واحد وسبعون، «۳» أدركنا أنّ عمره سنة ۶۰ للهجرة كان إثنين وستين

---

(۱) أمالى الصدوق: ۴۷۸، المجلس ۸۷، حديث رقم ۵.

(۲) مستدرك الحاكم، ۳: ۱۷۹.

(۳) راجع: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشى)، ۱: ۲۷۲، وأُسد الغابة، ۳: ۱۹۵.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۴۲

عاماً أو ثلاثة وستين عاماً، فهو أكبر من الإمام الحسين عليه السلام بحوالى خمسة أعوام، إذن فقد كان قادراً على الجهاد مع الإمام عليه السلام من حيث السلامة البدنية، خصوصاً وأنّه لم يُروَ أنّ ابن عباس كان مريضاً آنذاك كما روى بصدد محمّد بن الحنفية (رض) مثلًا.

فما هى علّة تخلّفه إذن!؟

لعلّ المتأمل فى موضوع علّة عدم التحاق ابن عباس (رض) بالامام عليه السلام فى نهضته المقدّسة يلاحظ- قبل الوصول الى الجواب- نقطتين مهمتين تساعدان على الإطمئنان أنه كان معذوراً، وهما:

۱- فى جميع ما روى من لقاءات ومحاورات ابن عباس مع الامام الحسين عليه السلام فى مكة سنة ستين للهجرة، لا يجد المتتبع أنّ الإمام عليه السلام قد دعا ابن عباس دعوة مباشرة الى نصرته كما صنع مثلًا مع ابن عمر، وحتى حينما قال الإمام عليه السلام فى محاورته الأولى مع ابن عباس وابن عمر: «اللّهمّ اشهد» «۱» أدرك ابن عباس مغزى قول الإمام عليه السلام، وبادر الى اظهار استعداده للنصرة والجهاد بين يدى الامام عليه السلام وعدا هذا لايجد المتتبع أية إشارة من قريب أو بعيد مؤدّاها أنّ الإمام عليه السلام قد دعا ابن عباس الى نصرته.

۲- لم نعثر- حسب تتبعنا- على نصّ تأريخىّ عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام يفيد أنّ ابن عباس كان مقصّراً وملوماً ومداناً على عدم إلتحاقه بالإمام الحسين عليه السلام، بل لم نعثر على نصّ تأريخى عام يشير الى إدانته «۲» سوى هذا النصّ الذى نقله ابن

---

(۱) راجع نصّ المحاورة الأولى لفهم المراد فى جوّ المحاورة نفسها، فى صفحة ۲۱۳- ۲۱۷.

(۲) بل ورد عن الصادق علیه السلام ان الامام الباقر کان یحبّه حباً شدیداً انظر: اختیار معرفة الرجال: ۵۷، الرقم ۱۰۷.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۴۳

شهر آشوب مرسلًا: «وعُنِّفَ ابن عباس علی ترکه الحسین فقال: إنّ أصحاب الحسین لم ینقصوا رجلًا ولم یزیدوا رجلًا، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم!» «۱»، ویظهر من هذا النصّ أنّ ابن عباس لم یکن معذوراً فی ترکه الإمام علیه السلام، لکنّ إرسال هذا الخبر، ومجهولیة المُعنِّف، ومعلومیّة ولاء ابن عباس (رض) لأهل البیت علیهم السلام، کلّ ذلک یفرض عدم الإطمئنان الی صدر هذا الخبر، أی «وعُنِّف ابن عباس!».

بعد هذا، ینبغی أن نذکّر بأنّ ابن عباس قد کُفَّ بصرُه آخر عمره، وهذا متّفقٌ علیه عند المؤرّخین، وأنّ سعید بن جبیر کان یقوده بعد أن کُفَّ بصره «۲»، وتعبیر «کُفَّ بصره» مشعرٌ بأنّ الضعف کان قد دبّ الی بصره حتی استفحل علیه فکفّه عن رؤیة الأشیاء، ولعلَّ هذا الضعف کان قد دبّ الی بصره منذ أیّام معاویة (ویحتمل أنّ بصر ابن عباس قد کُفَّ أواخر سنین معاویة)، هذا ما یُشعر به قول ابن قتیبة فی المعارف حیث یقول: «ثلاثة مکافیف فی نسق: عبدالله بن عباس، وأبوه العباس بن عبدالمطّلب، وأبوه عبدالمطلب بن هاشم. قال: ولذلک قال

---

(۱) مناقب آل أبی طالب، ۴: ۵۳/ ولعل ابن شهر آشوب نقل هذا عن کتاب التخریج الذی نقل عنهروایة قبل هذه الروایة.

(۲) «إنّ سعید بن جبیر کان یقوده بعد أن کُفّ بصره» (تنقیح المقال، ۲: ۱۹۱).

وقال الذهبی: «إنّما أخّر الناس عن بیعة ابن عباس- أن لو شاء الخلافة- ذهاب بصره». (سیر أعلام النبلاء، ۳: ۳۵۶). و «خطب ابن الزبیر بمکّة علی المنبر وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال: إنّ ها هنا رجلًا قد أعمی الله قلبه کما أعمی بصره ... فقال ابن عباس لقائده سعید بن جبیر: استقبل بی وجه ابن الزبیر، وارفع من صدری، وکان ابن عباس قد کُفَّ بصره ..» «أنظر: قاموس الرجال، ۶: ۴۷۰ وشرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید، ۲۰: ۱۳۰ و ۱۳۴ وسیر أعلام النبلاء، ۳: ۳۵۴ ومنتهی المقال، ۴: ۲۰۱).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۴۴

معاویة لابن عباس: أنتم یا بنی هاشم تُصابون فی أبصارکم. فقال ابن عباس: وأنتم یا بنی أمیّة تُصابون فی بصائرکم!»، «۱» فلولا أنّ بصر ابن عباس (رض) کان قد ضعف جداً أو قد کُفّ بصره آنذاک لما کان لقول معاویة مناسبة ولا داعٍ.

ویقول مسروق: «کنتُ إذا رأیت عبدالله بن عباس قلتُ: أجمل الناس، فإذا تکلّم قلتُ: أفصح الناس، فإذا تحدّث قلتُ: أعلم الناس، وکان عمر بن الخطّاب یقرّبه ویُدنیه ویشاوره مع جلّة الصحابة، وکُفَّ بصره فی آخر عمره». «۲»

فإذا علمنا أنّ مسروقاً هذا قد مات سنة ۶۲ أو ۶۳ للهجرة، «۳» أمکن لنا أن نقول:

إنّ ابن عباس کان مکفوفاً قبل سنة ۶۲ أو ۶۳ علی الأظهر، هذا علی فرض أنّ عبارة (وکفّ بصره فی آخر عمره) من قول مسروق أیضاً.

وهناک روایة یمکن أن یُستفاد من ظاهرها أنّ ابن عباس (رض) کان ضعیف البصر جداً أو مکفوفاً أوائل سنة إحدی وستین للهجرة، فی الأیّام التی لم یکن خبر مقتل الإمام الحسین علیه السلام قد وصل بعد الی أهل المدینة المنورة.

هذه الروایة یرویها الشیخ الطوسی (ره) فی أمالیه بسندٍ الی سعید بن جبیر (وهو الذی کان یقود ابن عباس بعد أن کُفَّ بصره)، عن عبدالله بن عباس قال:

«بینا أنا راقدٌ فی منزلی، إذ سمعتُ صراخاً عظیماً عالیاً من بیت أمّ سلمة زوج النبیّ صلی الله علیه و آله، فخرجت یتوجّه بی قائدی الی منزلها!، وأقبل أهل المدینة الیها الرجال والنساء، فلمّا انتهیتُ إلیها قلت: یا أمّ المؤمنین، ما بالک تصرخین وتغوثین؟ فلم تجبنی، وأقبلت علی النسوة الهاشمیات وقالت: یابنات عبدالمطّلب، أسعدننی

(۱) المعارف: ۵۸۹.

(۲) اختیار معرفة الرجال، ۱: ۲۷۲؛ وتنقیح المقال، ۲: ۱۹۱.

(۳) سیر أعلام النبلاء، ۴: ۶۸.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۴۵

وابکین معی، فقد واللّهِ قُتل سیّدکُنّ وسیّد شباب أهل الجنّة، وقد واللّه قُتل سبط رسول اللّه وریحانته الحسین.

فقیل: یا أُمَّ المؤمنین، ومن أین علمتِ ذلک؟ قالت: رأیت رسول الله صلی الله علیه و آله فی المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلک، فقال: قُتل ابنی‌الحسین وأهل بیته الیوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم.

قالت فقمتُ حتّی دخلتُ البیت وأنا لا أکاد أن أعقل! فنظرتُ فإذا بتربة الحسین التی أتی بها جبرئیل من کربلاء فقال إذا صارت هذه التربة دماً فقد قُتل ابنک! وأعطانیها النبیّ صلی الله علیه و آله فقال: إجعلی هذه التربة فی زجاجة- أو قال فی قارورة- ولتکن عندک، فإذا صارت دماً عبیطاً فقد قُتل الحسین. فرأیت القارورة الآن وقد صارت دماً عبیطاً تفور.

قال: وأخذت أمّ سلمة من ذلک الدم فلطّخت به وجهها، وجعلت ذلک الیوم مأتماً ومناحة علی الحسین علیه السلام، فجاءت الرکبان بخبره، وأنّه قد قُتل فی ذلک الیوم ...» «۱».

فقول ابن عباس (رض):» فخرجت یتوجّه بی قائدی الی منزلها» کاشف- علی الأقوی- عن مکفوفیة بصره آنذاک (أو عن ضعف شدید جداً فی بصره)، لحاجته الی قائد یقوده هو، ولیس الی قائد یقود دابّته- کما قد یُحتمل- وذلک لقرب المسافة، بدلیل أنه سمع الصراخ بإذنیه وشخّص أنّ الصراخ کان ینبعث من بیت أم سلمة (رض).

مما مضی نکاد نطمئن الی أنّ ابن عباس (رض) کان یعانی من ضعف شدید

(۱) أمالی الطوسی: ۳۱۴- ۳۱۵، المجلس ۱۱، الحدیث ۶۴۰/ ۸۷.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۴۶

فی بصره أو کان مکفوفاً بصره أواخر سنة ستین للهجرة- وبالذات فی الایام التی کان فیها الامام الحسین علیه السلام فی مکّة المکرّمة- الأمر الذی أعجزه عن القدرة علی الإلتحاق بالامام علیه السلام والجهاد بین یدیه، فکان (رض) معذوراً، ولعلّ هذا هو السرُّ فی عدم دعوة الإمام علیه السلام إیّاه للإنضمام إلیه، وترخیصه إیّاه فی العودة الی المدینة لیرصد له أخبار السلطة الأمویة والناس فیها حیث یقول علیه السلام: «یا ابن عباس، إنک ابن عمّ والدی، ولم تزل تأمر بالخیر منذ عرفتک، وکنتَ مع والدی تشیر علیه بما فیه الرشاد، وقد کان یستنصحک ویستشیرک فتشیر علیه بالصواب، فامضِ الی المدینة فی حفظ الله وکلائه، ولا یخفَ علیَّ شیءٌ من أخبارک ...». «۱»

ولایقدح بما نطمئنّ إلیه ما أورده المسعودی فی مروج الذهب حیث یقول فی ابن عباس (رض): «وکان قد ذهب بصره لبکائه علی علیٍّ والحسن والحسین ..»، «۲» إذ لایُستفاد من هذا النصّ بالضرورة أنه صار مکفوفاً بعد مقتل الحسین علیه السلام، بل الظاهر من هذا النصّ أنّ الذی سبّب ذهاب بصره هو کثرة بکائه المتواصل لفقد امیر المؤمنین علیّ «۳» والحسن والحسین علیهما السلام، ومؤدّی ذلک أنّ الضعف قد دبّ الی بصره لکثرة بکائه منذ أیّام فقده لأمیر المؤمنین علیه السلام ثمّ لفقده الحسن علیه السلام، «۴» ثمّ الحسین علیه السلام، ولایخفی أنّ ابن عباس (رض) کان یبکی بکاءً

(۱) الفتوح، ۵: ۲۷؛ ومقتل الحسین علیه السلام للخوارزمی، ۱: ۲۸۱.

(۲) مروج الذهب، ۳: ۱۰۸.

(۳) ورد فی بعض المتون أنّ ذهاب بصره فی آخر عمره کان بسبب البکاء علی أمیر المؤمنین‌علی علیه السلام (انظر سفینة البحار، ۶: ۱۲۸ عن حدیقة الحکمة).

(۴) ولعلّ هذا الضعف الذی دبّ الی بصره بسبب هذا البکاء المتواصل منذ فقده أمیر المؤمنین علیه السلام کان قد اشتد واستفحل بعد فقده الامام الحسن علیه السلام، فکان ابن عباس قریباً من العمی أواخر عهد معاویة- فیما بعد شهادة الامام الحسن علیه السلام- فلما التقی معاویة فی تلک الایام کان ضعف بصره الشدید هذا هو الذی دفع معاویة الی القول ساخراً: «أنتم یا بنی هاشم تصابون فی أبصارکم!».

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۴۷

شدیداً للحسین علیه السلام وهو بعدُ لم یخرج ولم یُستشهد، لعلمه بما سیصیب الامام علیه السلام من شدید المحنة ولعلمه بمصیره، والدلائل التأریخیة علی ذلک کثیرة متوافرة.

رسائل ابن عباس (رض) إلی یزید

تروی لنا بعض کتب التأریخ أنّ الامام الحسین علیه السلام لمّا نزل مکّة کتب یزید بن معاویة الی ابن عباس رسالة «۱» طلب الیه فیها أن یتوسّط فی الأمر لیثنی الامام الحسین علیه السلام عن عزمه علی القیام والخروج علی الحکم الأموی، وعرض فیها یزید من الإغراءات الدنیویة ما یتناسب وضعف نفسیته هو!- أی یزید-

وتقول هذه المصادر التأریخیة: «فکتب إلیه ابن عباس: أمّا بعدُ: فقد ورد کتابُک تذکر فیه لحاق الحسین وابن الزبیر بمکّة، فأمّا ابن الزبیر فرجل منقطع عنّا برأیه وهواه، یکاتمنا مع ذلک أضغاناً یسرّها فی صدره، یوری علینا وری الزناد، لافک اللّه أسیرها، فآرأ فی أمره ما أنت رائه.

وأمّا الحسین فإنه لمّا نزل مکّة وترک حرم جدّه ومنازل آبائه سألته عن مقدمه فأخبرنی أنّ عُمّالک فی المدینة أساؤا إلیه وعجّلوا علیه بالکلام الفاحش، فأقبل الی حرم الله مستجیراً به، وسألقاه فیما أشرت إلیه، ولن أدع النصیحة فیما یجمع الله به الکلمة ویُطفیء به النائرة ویخمد به الفتنة ویحقن به دماء الأمّة، فاتّقِ الله فی السرّ والعلانیة، ولا تبیتنّ لیلة وأنت ترید لمسلم غائلة، ولاترصده بمظلمة، ولاتحفر له مهواة، فکم من حافر لغیره حفراً وقع فیه، وکم من مؤمّل أملًا لم یُؤتَ

---

(۱) راجع متن الرسالة کاملًا فی فصل حرکة السلطة الأمویة (ضمن عنوان حرکة السلطة المرکزیة).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۴۸

أمله، وخُذ بحظّک من تلاوة القرآن ونشر السُنّة! وعلیک بالصیام والقیام لاتشغلک عنهما ملاهی الدنیا وأباطیلها فإنّ کلَّ ما شُغلت به عن اللّه یضرّ ویفنی، وکلّ ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ینفع ویبقی، والسلام.». «۱»

وقد روی المزّی جواب ابن عباس مختصراً هکذا: «فکتب إلیه عبدالله بن عباس: إنّی لأرجو أن لایکون خروج الحسین لأمرٍ تکرهه، ولست أدع النصیحة له فی کلّ ما یجمع الله به الألفة ویُطفیء به الثائرة.». «۲»

ویبدو من نصّ هذه الرسالة- جواب ابن عباس- علی فرض صحة الروایة أنّ هذه الرسالة کانت بعد لقاء ابن عباس مع الإمام الحسین علیه السلام فی مکّة لقاءه الأوّل الذی عاد بعده الی المدینة (بعد الفراغ من العمرة)، کما یُستفاد من نصّها أنّ ابن عباس قَبِل القیام بدور الوساطة بین الإمام علیه السلام وبین یزید! کما یظهر من نصّها أیضاً أنّ ابن عباس اعتمد أسلوب الملاینة دون التقریع حتی فی نهیه عن ارتکاب الظلم واجتراح المآثم!

والعارف بعبد الله بن العباس (رض)، وبولائه لأئمّة أهل البيت عليهم السلام وبجرأته فى الذَوْدِ عنهم، وبشدّته وقاطعيته فى المحاماة عنهم فى محاوراته مع رجال بنى أميّة، لايستبعد أن يكون نصّ هذه الرسالة- جواب ابن عباس- من إنشاء الواقدى نفسه الذى يرويها «۳» (ونقلها عنه سبط ابن الجوزى فى كتابه تذكرة الخواص)،

---

(۱) تذكرة الخواص: ۲۱۶.

(۲) تهذيب الكمال، ۴: ۴۹۲.

(۳) الواقدى: وهو محمد بن عمر بن واقد الأسلمى، وقد اتهمه جُلُّ رجاليى العامة بالكذب والإفتراء وأنه متروك الرواية، وقد فصلّنا القول فى هذا (راجع: الفصل الثانى: الملاحظة الرابعة من الملاحظات حول رسالة يزيد الى عبدالله بن عباس ص ۱۵۰).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۴۹

ذلك لأنّ نَفَس هذا الجواب مغايرٌ تماماً لنَفَس ابن عباس فى مواقفه قبال بنى أميّة.

هاهو ابن عباس (رض) فى بلاط معاوية يُخرس محاوريه: معاوية، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وعتبة بن أبى سفيان، وزياد بن سميّة، وعبدالرحمن بن أمّ الحكم، والمغيرة بن شعبة، بعد أن دحض إدّعاءاتهم وبهرهم بالحجّة الدامغة، ويقول ليزيد بن معاوية نفسه فى قصر أبيه: «مهلًا يزيد، فواللّه ما صفت القلوب لكم منذ تكدّرت بالعداوة عليكم، ولا دنت بالمحبّة إليكم مذ نأت بالبغضاء عنكم، لارضيت اليوم منكم ما سخطت بالأمسِ من أفعالكم، وإن تَدُلِ الأيّام نستقض ما سُدَّ عنّا، ونسترجع ما ابتُزَّ منّا، كيلًا بكيل، ووزناً بوزن، وإن تكن الأخرى فكفى باللّه وليّاً لنا، ووكيلًا على المعتدين علينا.». «۱»

وها هو ابن عباس (رض) يجيب يزيد «۲» بقارعة أخرى من قوارعه فى رسالة كتبها إليه قائلًا: «من عبدالله بن عباس الى يزيد بن معاوية. أمّا بعدُ: فقد بلغنى كتابُك بذكر دعاء ابن الزبير إيّاى الى نفسه وامتناعى عليه فى الذى دعانى إليه من

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ۶: ۳۰۲.

(۲) «أخذ ابن الزبير عبدالله بن عباس بالبيعة له، فامتنع عليه، فبلغ يزيد بن معاوية أنّ عبدالله بن‌عباس قد امتنع على ابن الزبير، فسرّه ذلك، وكتب الى ابن عباس: أمّا بعدُ، فقد بلغنى أنّ الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته، وعرض عليك الدخول فى طاعته لتكون على الباطل ظهيراً وفى المأثم شريكاً، وأنّك امتنعت عليه، واعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا، وطاعة للّه فيما عرّفك من حقّنا، فجزاك الله من ذى رحم بأحسن ما يجزى به الواصلين لأرحامهم، فإنى ما أنسَ من الأشياء فلستُ بناسٍ برّك وحسن جزائك وتعجيل صلتك بالذى أنت منّى أهله فى الشرف والطاعة والقرابة بالرسول، وانظر رحمك الله فيمن قِبَلَك من قومك، ومن يطرؤ عليك من الآفاق ممّن يسحره المُلحدُ بلسانه وزخرف قوله، فأعلِمهم حسن رأيك فى طاعتى والتمسّك ببيعتى، فإنهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمُحلّ المُلحد، والسلام. فكتب اليه عبدالله بن عباس ...». (تأريخ اليعقوبى، ۲: ۲۴۷- ۲۴۸).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵۰

بيعته، فإنْ يكُ ذلك كما بلغك فلستُ حمَدك أردتُ ولاوُدَّكَ، ولكنّ الله بالذى أنوى عليم، وزعمتَ أنّك لستَ بناسٍ ودّى فلعمرى ما تؤتينا ممّا فى يديك من حقّنا إلّا القليل، وإنك لتحبس عنّا منه العريض الطويل، وسألتنى أن أحثّ الناسَ عليك وأخذّلهم عن ابن الزبير، فلا ولا سروراً ولاحبوراً، وأنت قتلت الحسين بن علىّ!، بفيك الكثكث، «۱» ولك الأثلب، «۲» إنّك إنْ تُمنّك نفسك ذلك لعازب الرأى، وإنّك لأنت المفند المهوّر.

لاتحسبنى، لا أباً لك، نسيتُ قتلك حسيناً وفتيان بنى عبدالمطّلب، مصابيح الدجى، ونجوم الأعلام، غادرهم جنودك مصرّعين فى صعيد، مرمّلين بالتراب، مسلوبين بالعراء، لامكفّنين، تسفى عليهم الرياح، وتعاورهم الذئاب، وتُنشى بهم عُرج الضباع، حتّى أتاح الله

لهم أقواماً لم يشتركوا فى دمائهم، فأجنّوهم فى أكفانهم، وبى والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذى جلست يايزيد.

وما أنسَ من الأشياء فلستُ بناسٍ تسليطك عليهم الدعيَّ العاهر «۳» ابن العاهر، البعيد رحماً، اللئيم أباً وأمّاً، الذى فى إدّعاء أبيك إيّاه ما اكتسب أبوك به إلّا العار والخزى والمذلّة فى الأخرة والأولى، وفى الممات والمحيا، إنّ نبيّ الله قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر. فألحقه بأبيه كما يُلحَقُ بالعفيف النقيّ ولدُه الرشيد! وقد أمات أبوك السُنّة جهلًا! وأحيا البدع والأحداث المظلّة عمداً!

وما أنسَ من الاشياء فلستُ بناسٍ اطّرادك الحسين بن عليّ من حرم رسول

---

(۱) بفيك الكثكث: أى بفمك التراب والحجارة. (راجع: لسان العرب، ۲: ۱۷۹).

(۲) ولك الأثلب: كناية عن الخيبة، والأثلب أيضاً معناه التراب والحجارة. (راجع: لسان العرب، ۱: ۲۴۲).

(۳) يعنى به عبيد الله بن زياد بن أبيه.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵۱

الله إلى حرم الله، ودسّك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله الى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقّب، وقد كان أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزّ أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاماً واستحلّ بها قتالًا، ولكن كره أن يكون هو الذى يستحلّ حرمة البيت وحرمة رسول الله فأكبر من ذلك مالم تكبر حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل فى الحرم، وما لم يكبر ابن الزبير حيث ألحد بالبيت الحرام وعرّضه للعائر وأراقل العالم.

وأنت! لأنت المستحلّ فيما أظنّ، بل لاشك فيه أنّك للمُحرف العريف، فإنّك حلف نسوة، صاحب ملاهٍ، فلمّا رأى سوء رأيك شخص الى العراق، ولم يبتغك ضراباً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ثمّ إنّك الكاتب الى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرته بمعاجلته، وترك مطاولته والإلحاح عليه، حتى يقتله ومن معه من بنى عبدالمطّلب، أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيرا، فنحن أولئك، لسنا كآبائك الأجلاف الجُفاة الأكباد الحمير.

ثمّ طلب الحسين بن عليّ إليه الموادعة وسألهم الرجعة، «۱» فاغتنمتم قلّة أنصاره، واستئصال أهل بيته، فعدوتم عليهم، فقتلوهم كأنّما قتلوا أهل بيت من الترك والكفر، فلا شيء عندى أعجب من طلبك ودّى ونصرى! وقد قتلت بنى أبى، وسيفك يقطر من دمى، وأنت أخذ ثأرى، فإن يشأ لايُطلّ لديك دمى ولا

---

(۱) لعل ابن عباس (رض) يشير بهذا الى- ما روى من- قول الإمام الحسين عليه السلام: «دعونى فلأذهبفى هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس.» (تاريخ الطبرى، ۳: ۳۱۲).

أو «أيّها الناس، إذ كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم الى مأمنى من الأرض» (تاريخ الطبرى، ۳: ۳۱۸).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵۲

تسبقنى بثأرى، وإن سبقتنى به فى الدنيا فقبلنا ما قُتل النبيّون وآل النبيين، وكان الله الموعد، وكفى به للمظلومين ناصراً، ومن الظالمين منتقماً، فلا يعجبنّك أن ظفرت بنا اليوم فوالله لنظفرنّ بك يوماً.

فأمّا ماذكرت من وفائى، وما زعمت من حقّى، فإن يك ذلك كذلك، فقد والله بايعتُ أباك «۱»، وإنّى لأعلم أنّ ابنى عمّى وجميع بنى أبى أحقّ بهذا الأمر من أبيك، ولكنكم معاشر قريش كاثرتمونا، فاستأثرتم علينا سلطاننا، ودفعتمونا عن حقّنا، فبُعداً على من يجترىء على ظلمنا، واستغوى السفهاء علينا، وتولّى الأمر دوننا، فبُعداً لهم كما بعدت ثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، ومكذّبو المرسلين.

ألا ومن أعجب الأعاجيب، وما عشت أراك الدهرُ العجيبَ، حملك بنات عبدالمطّلب، وغلمة صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبى المجلوب، تُرى الناس أنّك قهرتنا، وأنّك تأمر علينا، ولعمرى لئن كنت تصبح وتمسى آمناً لجرح يدى، إنّى لأرجو أن يعظم جراحك بلسانى ونقضى وإبرامى فلا يستقرّ بك الجدل، ولا يمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله إلّا قليلًا، حتّى يأخذك أخذاً أليماً، فيخرجك الله من الدنيا ذميماً أثيماً، فَعِش لا أباً لك فقد والله أرداك عند الله ما اقترفت، والسلام على من أطاع الله.». «۲»

---

(۱)

وفى هذا إشارة إلى أنه لم يبايع يزيد، بل كان قد بايع معاوية بعد الصلح، لكنّ نصّ هذه الرسالةالمرويّ بتفاوت كثير فى بحار الأنوار: ۴۵: ۳۲۳ عن (بعض كتب المناقب القديمة) فيه: «فقد والله بايعتك ومن قبلك ..» وهذا كما هو ظاهر لايتلائم مع نفس متن الرسالة الطافح بالتبرّى من يزيد وفعلته.

(۲) تأريخ اليعقوبى، ۲: ۲۴۸- ۲۵۰؛ وانظر: بحار الأنوار، ۴۵: ۳۲۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵۳

تحرّک محمد بن الحنفیة (رض)

اشارة

يشترك محمد بن الحنفية «۱» مع عبدالله بن عبّاس رضى الله عنهما فى

---

(۱) هو محمّد بن على بن أبى طالب عليه السلام، كنيته أبوالقاسم، وقد اشتهر بلقب أمّه خولة الحنفية: (ابن‌الحنفية)، وقيل إنها من سبى اليمامة (الذين سُبوا لولايتهم لعليّ عليه السلام بذريعة امتناعهم عن أداء الزكاة)، فأرادوا بيعها، فصارت إلى عليّ عليه السلام فتزوّجها. (راجع: تنقيح المقال ۳: ۱۱۴؛ والخرايج والجرائح، ۲: ۵۸۹؛ وقاموس الرجال، ۹: ۲۴۶؛ والبحار، ۴۲: ۸۴، رقم ۱۴؛ وانظر: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ۱: ۲۴۳) وقيل إنها كانت أمة لبنى حنيفة ولم تكن من أنفسهم (راجع: المعارف: ۲۱۱).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقذفه فى لهوات حروبه ولايسمح فى ذلك بالحسنين عليهما السلام، وكان يقول: هو ولدى وهما إبنا رسول الله صلى الله عليه و آله، وتوفى محمد بن الحنفية سنة ثمانين أو إحدى وثمانين (راجع: تنقيح المقال، ۳: ۱۱۱- ۱۱۲)، أو سنة أربع وثمانين (على ما فى كمال الدين وتمام النعمة، ۱: ۳۶). والملفت للإنتباه أننا لم نجد فى ما أُثر عن الإمام على عليه السلام- حسب تتبعنا- أنّه لقّب ولده محمداً ب (ابن الحنفية)، كما أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يذكره بهذا اللقب إلا فى موضعين: الأوّل- فى وصيته إليه، وفيها: «إلى أخيه المعروف بابن الحنفية» (الفتوح، ۵: ۲۳ والبحار، ۴۴: ۳۲۹)، والثانى- فى ذكره عليه السلام لحادثة كان فيها محمد، حيث يقول عليه السلام: «وأخى محمّد بن الحنفية» (البحار ۶۲: ۱۹۳)، كما ورد لقبه هذا على لسان سلمان الفارسى أيضاً (البحار، ۲۷: ۳۳) لكنّ هذا اللقب تركّز على لسان الأصحاب والشيعة، نعم أكثر من استعمل هذا اللقب من الأئمة عليهم السلام فى ذكر محمد بن الحنفية هو الإمام الباقر عليه السلام ثمّ الصادق عليه السلام.

ولعلّ السرّ فى تلقيبه بهذا اللقب منذ حياة أمير المؤمنين عليه السلام حتى صار معروفاً به فى زمن الإمام الحسين عليه السلام، هو معرفة أهل بيت العصمة عليهم السلام بأنّ أُناساً من هذه الأمّة سوف يدّعون المهدوية والغيبة لابن الحنفية وأنه هو المهدىّ الموعود سيّما وأنّ إسمه محمّد وكنيته أبوالقاسم على ماسمّاه رسول الله صلى الله عليه و آله، ولذا كان تأكيدهم عليهم السلام (خصوصاً الباقر والصادق عليهما السلام اللذين اقترن زمانهما بتلك الدعوى) من أجل دفع هذه الشبهة، لأنّ المهدىّ عليه السلام من ولد فاطمة عليها

السلام- كما هو الثابت المشهور فى الروايات المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه و آله وأهل البيت عليهم السلام-، ومحمّد هذا وإن اشترك مع المهدىّ عليه السلام بالإسم إلّا أنه ليس من ولد فاطمة عليها السلام.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵۴

الموقف من قيام الإمام الحسين عليه السلام بنفس المحورين الرئيسين اللذين هما:

۱- تأييد قيام الإمام عليه السلام.

۲- الإعتراض على خروج الإمام عليه السلام الى الكوفة، وترجيح اليمن كقاعدة لانطلاق الثورة الحسينية الى جميع البلاد الاسلامية.

كما يشتركان أيضاً فى أنّ نظرتهما التى انبعثت منها اقتراحاتهما ومشوراتهما كانت ترتكز على حسابات النصر الظاهرى وشرائطه ولوازمه، وتتجلّى هذه الحقيقة للمتأمّل إذا نظر فى محاورات الإمام عليه السلام مع كلّ منهما.

وكان محمّد بن الحنفية (رض) قد قدّم رأيه بين يدى الإمام عليه السلام فى المدينة المنوّرة قائلًا: «يا أخى، أنت أحبّ الناس إلىَّ، وأعزّهم علىَّ، ولستُ أدّخر النصيحة لأحدٍ من الخلق إلّا لك، وأنت أحقّ بها، تنحَّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثمّ ابعث رسلك الى الناس فادعهم الى نفسك، فإن بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجتمع الناس على غيرك لن يُنقص الله بذلك دينك ولاعقلك، ولا تذهب بذلك مروّتك ولافضلك، إنّى أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة غرضاً، فإذا خير هذه الأمّة كلّها نفساً وأباً وأمّاً أضيعها دماً وأذلّها أهلًا!!». «۱»

وقال له أيضاً: «إنزل مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار بها فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد الى بلد، حتى تنظر الى مايصير أمر الناس اليه، فإنّك أصوب ماتكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالًا.». «۲»

---

(۱) الإرشاد: ۲۰۱- ۲۰۲.

(۲) المصدر السابق.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵۵

وفى رواية الفتوح: «أُخرجْ إلى مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار فذاك الذى تحبّ وأُحبّ، وإن تكن الأخرى خرجت الى بلاد اليمن، فإنّهم أنصار جدّك وأخيك وأبيك، وهم أرأف الناس وأرقّهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، وأرجحهم عقولًا، فإن اطمأنّت بك أرض اليمن وإلا لحقت بالرمال وشعوف الجبال، وصرت من بلد الى بلد، لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين.». «۱»

ثم تحرّك محمد بن الحنفية (رض) من المدينة إلى مكّة للقاء الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه الى العراق، «۲» ويحدّثنا التأريخ عن لقاء تمّ بينهما فى مكّة فى الليلة الأخيرة التى خرج الإمام عليه السلام فى صبيحتها عن مكّة، يقول السيّد ابن طاووس (ره): «رويتُ من كتاب أصلٍ لأحمد بن الحسين بن عمر بن بريدة الثقة، وعلى الأصل أنه كان لمحمّد بن داود القمّى، بالإسناد عن أبى عبدالله عليه السلام قال:

سار محمّد بن الحنفية الى الحسين عليه السلام فى الليلة التى أراد الخروج فى صبيحتها عن مكّة، فقال: يا أخى، إنّ أهل الكوفة من قد عرفتَ غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعزّ من فى الحرم وأمنعه.

فقال عليه السلام: يا أخى، قد خفت أن يغتالنى يزيد بن معاوية فى الحرم، فأكون

---

(۱) الفتوح، ۵: ۲۰- ۲۱.

(۲) تقول بعض المصادر التأريخيـة إنّ تحرّك محمـد بن الحنفيـة من المدينـة الى مكّـة للقاء الامام‌الحسـين عليه السـلام كان على أثر الرسالة التى بعث بها الإمام عليه السلام الى المدينة، والتى خفَّ إليه على أثرها جماعة من بنى هاشم وتبعهم محمد بن الحنفية (راجع: البداية والنهاية، ۸: ۱۶۷ وتاريخ ابن عساكر (ترجمة الامام الحسين عليه السلام، تحقيق المحمودى): ۲۰۴، رقم ۲۵۶)؛ وان حاول بعض المعاصرين انكار ذلك. وأنه لم يتم لابن الحنفية اى لقاء مع الحسين فى غير المدينة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵۶

الذى يُستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فَسِرْ الى اليمن أو بعض نواحى البّر، فإنّك أمنع الناس به ولايقدر عليك أحد!

فقال عليه السلام: أنظرُ فيما قلتَ.

ولمّا كان السـحر ارتحل الحسـين عليه السـلام، فبلغ ذلك ابن الحنفيـة، فأتاه فأخـذ زمام ناقته التى ركبها، فقال له: يا أخى، ألم تعـدنى النظر فيما سألتك!؟

قال عليه السلام: بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلًا!؟

فقال عليه السلام: أتانى رسول الله صلى الله عليه و آله بعد مافارقتك، فقال: ياحسين، أُخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلا!

فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنا اليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال!؟

فقال عليه السلام له: قد قال لى: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا!

وسلّم عليه ومضى.». «۱»

إشارة:

كنّا فى آخر الفصل الأول تحت عنوان (لماذا حمل الإمام عليه السـلام النساء والأطفال معه؟) قـد تناولنا بعض ملامـح الحكمة فى قول الامام عليه السلام عن لسان النبىّ صلى الله عليه و آله: «فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلا!» و «إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا!»،

---

(۱) اللهوف: ۱۲۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵۷

ونودُّ أن نشير هنا إلى:

۱)- أنّ من أبعاد خشية الامام عليه السلام من اغتيال السلطة الأموية إيّاه فى مكّة المكرّمة- إضافة الى جميع الأبعاد التى مرَّ ذكرها فيما مضـى فى ثنايا هذا الكتاب- هو أنّ هناك روايات مأثورة عن النبىّ صـلى الله عليه و آله تندّد بالمقتول القرشىّ فى مكّة، الذى تُنتهك وتستباح به حرمـة البيت الحرام، وأنّ ذنوب هذا الرجل لو وزنت بذنوب الثقلين لوزنتها، وأنّ عليه نصف عذاب العالم، «۱» ومعلوم أنّ السـلطة الأموية سوف تطبّق هذه الروايات على الإمام الحسـين عليه السـلام لتسـتفيد منها إعلامياً فى تنفير الناس من الامام عليه السـلام فيما لو تمكّنت من قتله فى مكّة المكرّمة.

۲)- لم يحدّد الإمام عليه السـلام فى قوله: «أتانى رسول الله صلى الله عليه و آله بعد مافارقتك» نوع هذا المجىء، هل كان فى يقظة أو فى منـام، وإنْ كـانت النتيجـة واحـدة، لأـنّ رؤيـة الامام عليه السـلام النبىّ صـلى الله عليه و آله فى المنام كرؤيته فى اليقظـة، ومسـتوى التكليف الذى يوجّهه واحد سواء فى يقظة أو فى منام، ولاينحصـر هذا فى رؤية الإمام عليه السلام النبىّ صلى الله عليه و آله بل يشمل رؤيـة المؤمن النبى صـلى الله عليه و آله أيضاً، إذ قد أُثر عنه صـلى الله عليه و آله أنه قال: «من رآنى فى منامه فقد رآنى، فإنّ الشـيطان

لايتمثّل فى صورتى، ولافى صورة أحد من أوصيائى، ولافى صورة أحدٍ من شيعتهم، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النّبوة». «۲»

فلا يبقى مجال إذن للتشكيك بأنّ الثورة الحسينية وخروج الامام عليه السلام كانا قد

---

(۱) راجع: سير أعلام النبلاء، ۳: ۳۷۷؛ وانظر: قاموس الرجال، ۶: ۳۵۴.

(۲) البحار، ۵۸: ۱۷۶؛ ولايخفى أنّ قوله صلى الله عليه و آله قد شمل حتى رؤية المؤمن أحداً من أوصيائه عليهم السلام، أو أحداً من شيعتهم رضوان الله تعالى عليهم؛ وقد عقد العلّامة المجلسى (ره) باباً «فى رؤية النبى صلى الله عليه و آله وأوصيائه وسائر الأنبياء فى المنام» وفيه بيانات وتعاليق مهمة، فراجع: البحار، ۵۸ ۲۳۴.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵۸

ارتكزا على رؤيا منام لا اعتبار لها! كما تسطّر ذلك بعض الأقلام المأجورة والعقول الضعيفة. «۱»

لماذا تخلّف محمّد بن الحنفية عن الإمام عليه السلام؟

اشارة

لم نعثر- حسب تتبعنا- على مأثور عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام بصدد علّة تخلّف محمد بن الحنفية (رض) عن الإلتحاق بالإمام الحسين عليه السلام سوى هذه الرواية: التى يرويها ابن فروخ صاحب «بصائر الدرجات» بسندٍ عن حمزة بن حمران عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول حمزة: «ذكرنا خروج الحسين وتخلّف ابن الحنفية عنه، قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: يا حمزة إنّى سأحدّثك فى هذا الحديث ولاتسأل عنه بعد مجلسنا هذا: إنّ الحسين لمّا فصل متوجّهاً دعا بقرطاس وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علىّ الى بنى هاشم: أمّا بعدُ، فإنّه من لحق بى منكم استشهد معى، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح. والسلام.». «۲»

وقد علّق العلّامة المجلسى (ره) على هذه الرواية تعليقتين قائلًا:

فى الأولى: «قوله عليه السلام: لم يبلغ الفتح، أى لم يبلغ ما يتمنّاه من فتوح الدنيا والتمتع

---

(۱) انظر: كتاب شهيد آگاه: ۱۷۴.

(۲) بصائر الدرجات، ۱۰: ۴۸۱، باب ۹، حديث ۵، وقد رواها ابن قولويه (ره) فى كامل الزيارات: ۷۵، باب ۲۴، حديث ۱۵ بسند عن زرارة، عن الامام الباقر عليه السلام قال: «كتب الحسين بن على من مكّة الى محمّد بن على: بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن على إلى محمّد بن علىّ ومن قِبَله من بنى هاشم: أمّا بعدُ، فإنّ من لحق بى استشهد، ومن لم يلحق بى لم يُدرك الفتح، والسلام»، وقد رويت أيضاً عن كتاب الرسائل للكلينى بسند آخر عن حمزة بن حمران، عن الامام الصادق عليه السلام، وفيها: «ياحمزة إنّى سأخبرك بحديث لاتسأل عنه بعد مجلسك هذا ...» (البحار، ۴۴: ۳۳۰ باب ۳۷).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۵۹

بها، وظاهر الجواب ذمّه، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه السلام خيّرهم فى ذلك، فلا إثم على من تخلّف!» «۱».

وفى الثانية: «ومن تخلّف لم يبلغ مبلغ الفتح، اى لايتيسّر له فتح وفلاح فى الدنيا أو فى الآخرة، أو الأعمّ، وهذا إمّا تعليل بأنّ ابن الحنفية إنّما لم يلحق لأنه علم أنّهُ يُقتل إن ذهب بإخباره عليه السلام، أو بيان لحرمانه عن تلك السعادة، أو لأنّه لاعُذر له فى ذلك لأنه أعلمه

وأمثاله بذلك!» «۲».

ونقول: إنّ نصّ هذه الرسالة الشريفة- بغضّ النظر عن حقيقة المراد بالفتح «۳» فيها- يقرّر بلا شك أنّ من لم يلتحق بالامام عليه السلام محروم من مبلغ الفتح هذا، سواء كان معذوراً أو غير معذور، فلا دليل من نفس النصّ على أنّ كلّ من تخلّف غيرُ معذور ويُذمّ، كما هو المستفاد من ظاهر تعليقتى العلّامة المجلسيّ (ره) «۴» من أنّ كلّ من بلغته هذه الرسالة ليس بمعذور لأنّ الإمام عليه السلام أعلمه فيها بالمصير! «۵» هذا

---

(۱) بحار الانوار، ۴۲: ۸۱، باب ۱۲۰، حديث ۱۲.

(۲) نفس المصدر، ۴۴: ۳۶۰، باب ۳۷.

(۳) لقد مضى القول بالتفصيل فى معنى هذا الفتح، فى الجزء الأوّل من هذا الكتاب فى مقالة (بين يدى الشهيد الفاتح)، كما تعرضنا له فى هذا الجزء أيضاً فى الفصل الأوّل منه عند ذكرنا لهذه الرسالة من (رسائل الامام عليه السلام) وتعليقتنا عليها.

(۴) لايخفى على المتأمل فى تعليقة العلامة المجلسى الثانية ما فيها من قسوة- نراها غير مقصودة- بحقّ ابن الحنفية، ذلك البطل الذى كان أمير المؤمنين علىّ عليه السلام يلقيه فى لهوات حروبه فما يرهب الموت والقتل، وكان معتقداً بإمامة الحسنين عليهما السلام وإمامة السجّاد عليه السلام، عارفاً بحقّهم، وقد أجمع علماء الرجال الشيعة على مدحه والثناء عليه.

(۵) يبدو أنّ التغليب هو المراد بقوله عليه السلام «من لحق بى استشهد» إذ إنّ أفراداً هناك ممّن التحقوابه عليه السلام لم يُستشهدوا وسلموا من القتل كالحسن المثنى وغيره، هذا إذا كان المراد هنا من الاستشهاد: القتل فى سبيل الله، والله العالم.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶۰

فضلًا عن المناقشة الموجودة فى سند هذه الرواية. «۱»

ولعلّ الإمام الصادق عليه السلام أراد أن يصرف اهتمام المتذاكرين فى سبب تخلّف ابن الحنفية الى ما هو أهمّ من أن يكون المتخلّف معذوراً أو غير معذور، وهذا الأهمّ هو أصل الحرمان من بلوغ منزلة «أنصار الحسين عليه السلام» الذين لم يسبقهم

---

(۱) فالرواية على فرض دلالتها على توبيخ المتخلّف سيما ابن الحنفية (رض)- كما استفاد منها العلّامة المجلسى (ره) والوحيد البهبهانى (ره)- فهى مورد نقاش فى السند، لأنّ فى سندها مروان بن إسماعيل وهو مهمل، إذ لم يرد له ذكر فى الكتب الرجالية أصلًا، وفيه أيضاً حمزة بن حمران الشيبانى الذى لم يرد فيه توثيق إلّا انه من مشايخ ابن أبى عمير وصفوان من أصحاب الإجماع، وقيل إنّ هذا مشعرٌ بوثاقته (كما عن تنقيح المقال، ۱: ۳۷۴)، لكنّ هذا المبنى مورد للنقاش والردّ (كما عن معجم رجال الحديث، ۶: ۲۶۶)، والتجأ البعض الى طرق أخرى لتوثيقه وهى أيضاً مخدوشة (انظر: قاموس الرجال، ۴: ۲۸)، كما أنّ السيد محمد بن أبى طالب صاحب كتاب (تسلية المجالس) نقلها عن كتاب الرسائل للكلينى ولايُعلم طريقه إليه.

ومن الجدير بالذكر أنّ المامقانى يتبنّى رأى الوحيد البهبهانى فى أنّ نفس الذمّ الذى قد يُستفاد من هذه الرواية بحق ابن الحنفية قد يكون مقصوداً لمصلحة ما كان الإمام عليه السلام ناظراً إليها، يقول المامقانى: «وأمّا تخلّفه عن الحسين عليه السلام فلعلّه كان لعذر أو مصلحة، والرواية الواردة فى ذمّه (ولعلّه يقصد نفس هذه الرواية) إن كانت صحيحة فلعلّه أيضاً كانت لمصلحة كما نبّه على ذلك المولى الوحيد (قدس).» (تنقيح المقال، ۳: ۱۱۵).

ويرى المامقانى أيضاً بعد عرضه لجواب العلّامة الحلّى عن سؤال السيد مهنّا أنّ مرض ابن الحنفية- إن صحّ- فهو عند رجوع أهل البيت الى المدينة لاعند ذهاب الحسين عليه السلام، ويعلّق تعليقة طويلة (هى مورد تأمل ونقاش تحقيقى مفصّل!)، ومن الجدير بالذكر أنه (ره) ضمن تعليقته هذه يرى صحة هذه الرواية (راجع: تنقيح المقال، ۳: ۱۱۲).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶۱

سابق فى سموّ مرتبتهم ولايلحق بهم لاحق كما قرّر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام «۱»، إذ المعذور وغير المعذور من المتخلّفين سواء- من حيث النتيجة العملية لامن حيث الحساب والجزاء- فى حرمانهم من ذلك الشرف الذى لايُضاهى والمجد الذى لايُدانى، وحَقَّ لكلّ مؤمن (غير أنصار الحسين عليه السلام) أن تذهب نفسه حسرات أسفاً على حرمانه من ذلك الفوز العظيم كلّما ردّد: ياليتنى كنت معكم فأفوز واللّه فوزاً عظيماً!!.

مع هذا، فإنّ من علمائنا من روى ونقل أنّ سيّدنا محمد بن الحنفية (رض) كان مريضاً أيّام خروج الإمام الحسين عليه السلام، إلى درجة أنه كان لايقوى على حمل السيف! وفى طليعة هؤلاء الأعلام السيّد ابن طاووس (قدّس)، فقد أورد فى كتابه:

عن أبى مخنف قوله: «وقد كان محمد بن الحنفية موكوعاً «۲»، لأنّه أُهدى الى أخيه الحسين عليه السلام درع من نسج داود على نبيّنا وعليه السلام، فلبسه ففضل عنه ذراع وأربعة أصابع، فجمع محمّد بن الحنفية ما فضل منه وفركه بيده فقطعه، فأصابته نظرة، فصارت أنامله تجرى دماً مدّة، ولهذا لم يخرج مع الحسين عليه السلام يوم كربلاء، لأنّه ما كان يقدر أن يقبض قائم سيف ولاكعب رمح.». «۳»

ومن هؤلاء الأعلام أيضاً العلّامة الحلى (ره)، ففى إجابته عن سؤال:

«مايقول سيّدنا فى محمّد بن الحنفية، هل كان يقول بإمامة أخويه وزين

---

(۱) بحار الانوار، ۴۱: ۲۹۵، باب ۱۱۴، حديث رقم ۱۸.

(۲) الوكع: مَيْل الأصابع قِبَل السبّابة حتى تصير كالعَقفَة، خِلقةً أو عرضاً. (راجع لسان العرب، ۸: ۴۰۸، مادة وكع).

(۳) كتاب (حكاية المختار فى أخذ الثار برواية أبى مخنف): ۳۳؛ المطبوع مع كتاب اللهوف فى قتلى الطفوف؛ منشورات المطبعة الحيدرية فى النجف الأشرف.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶۲

العابدين عليهما السلام أم لا؟ وهل ذكر أصحابنا له عذراً فى تخلّفه عن الحسين عليه السلام وعدم نصرته له أم لا؟ وكيف يكون الحال إن كان تخلّفه عنه لغير عذر؟ وكذلك عبدالله بن جعفر وأمثاله؟» قال العلامة الحلى (ره): «قد ثبت فى أصول الإمامة أنّ أركان الإيمان: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة، والسيّد محمّد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وأمثالهم أجلّ قدراً وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحق وخروجهم عن الإيمان الذى يحصل به اكتساب الثواب الدائم والخلاص من العقاب. وأمّا تخلّفه عن نصرة الحسين عليه السلام فقد نُقل أنه كان مريضاً، ويحتمل فى غيره عدم العلم بما وقع لمولانا الحسين عليه السلام من القتل وغيره، وبنوا على ما وصل من كتب الغَدَرَةِ إليه وتوهمّوا نصرتهم له!». «۱»

---

(۱) المسائل المهنّائية: ۳۸، المسألة رقم ۳۳.

لكننا نقول: إن احتمال عدم علم محمد بن الحنفية (رض) بمصير الامام الحسين عليه السلام- كما احتمله العلّامة الحلّى (ره)- مستبعدٌ جدّاً لوجود الروايات الكثيرة المنتشرة آنذاك والمخبرة بمقتل الامام الحسين عليه السلام، المرويّة عن النبىّ صلى الله عليه و آله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، وعن الامام الحسين نفسه عليه السلام، ولايُحتمل أنّ محمّد بن الحنفية لم يكن على علم ببعضها على الأقلّ!، كيف وقد روى عن محمّد نفسه حول أصحاب الامام الحسين عليه السلام قوله: «وإنّ أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم!». (مناقب آل أبى طالب، ۴: ۵۳).

هذا فضلًا عن الروايات التى تقول إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد أخبر أخاه محمّداً بذلك، ومنها الرواية المرويّة عن الامام الباقر عليه السلام، والتى تخبر أنّ الامام عليه السلام بعث برسالة الى محمد بن الحنفية ومن قِبَله من بنى هاشم يقول فيها: «.. من لحق

بى استشـهد ..». (كامـل الزيارات: ۷۵، بـاب ۲۴، حـديث ۱۵)، والروايـة الاخرى المرويّـة بأسانيـد متعـددة، والتى تقول إنّ الامام عليه السـلام قال لمحمّد (رض): «والله يا أخى، لوكنت فى جحر هامّة من هوامّ الارض لاستخرجونى منه حتى يقتلونى.». (البحار:، ۴۵: ۹۹، باب ۳۷)، ومع اعتقاد محمّـد بن الحنفيـة بامامـة الحسـين عليه السـلام، فإنّ أخذه عنه أخذ عن صادق مصدّق، خبره الخبر اليقين الذى لاريب فيه. لكنّ الذى يهوّن الخطب أنّ احتمال العلّامة فى غير ابن الحنفية- على الأظهر- وإلّا فإن ابن الحنفية كان مريضاً.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶۳

كما أورد الدربنـدى فى (اسـرار الشـهادة) نقلًا عن أبى مخنف محاورة فى المدينـة بين الامام عليه السـلام وبين أخيه محمّد، كان منها قول محمّـد: «إنّى والله ليحزننى فراقك، وما أقعدنى عن المسير معك إلّا لأجل ما أجده من المرض الشديد، فوالله يا أخى ما أقدر أن أقبض على قائم سيف ولاكعب رمح، فوالله لا فرحت بعدك أبداً. ثم بكى شديداً حتى غُشى عليه، فلمّا أفاق من غشيته قال: يا أخى استودعك الله من شهيد مظلوم!». «۱»

كما تعرّض الشـيخ حبيب الله الكاشانى لهـذا وذكر أنّ أبن الحنفية كان مصاباً بألم، فلم يقدر على حمل السـيف والجهاد، «۲» بل ذكر أنّ المشهور هو أنّ ابن الحنفية كان مريضاً فى المدينة. «۳»

وجـدير بالذكر: أنّ محمّد بن يزيد المبّرد فى كتابه (الكامل) روى قصة محمد بن الحنفية مع الدرع قائلًا: «وكان عبدالله بن الزبير يُظهر البغض لابن الحنفية إلى بغض أهله! وكان يحسدُه على أيْدِهِ (أى قوّته)، ويُقال: إنّ عليّاً استطال درعاً فقال:

لينقص منها كـذا وكـذا حلْقـة، فقبض محمّد بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فضـلها، ثمّ جذبه فقطعه من الموضع الذى حدَّه أبوه، فكان ابن الزبير إذا حُدِّث بهذا الحديث غضب واعتراه له أَفْكَلٌ (أى رعدة)!» «۴»

---

(۱) أسرار الشهادة: ۲۴۶؛ ومعالى السبطين، ۱: ۲۳۰.

(۲) تذكرة الشهداء: ۷۱.

(۳) نفس المصدر: ۸۲.

(۴) الكامل، ۳: ۲۶۶/ دار الفكر العربى- القاهرة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶۴

زيادة .. ربّما كانت أموية!

ادّعى ابن عساكر فى تأريخه، ومن بعـده المزّى، والـذهبى، أنّ ابن الحنفيـة لمّا يأس فى مكّة من تغيير عزم الامام الحسـين عليه السـلام ومنعه من الخروج الى العراق منع ولـده من الإلتحاق بالامام عليه السـلام، حيث قالوا: «وبعث الحسـين الى المدينة، فقدم عليه من خفّ معه من بنى عبـدالمطّلب، وهم تسـعة عشـر رجلًا، ونساء، وصبيان، من إخوانه وبناته ونسائهم. وتبعهم محمّد بن الحنفية فأدرك حسـيناً بمكّة، وأعلمه أنّ الخروج ليس له برأى يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل [رأيه]، فحبس محمّد بن على وُلْده [عنه] فلم يبعث معه أحداً منهم، حتى وجد حسين فى نفسه على محمّد وقال [له]: أترغب بولدك عن موضع أُصاب فيه!؟

فقال محمّد: وماحاجتى أن تُصاب ويصابون معك، وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم!». «۱»

أقول: لم نعثر على هذا- أى حبس محمّد أولاده عن الإلتحاق بالامام عليه السـلام- فى كتبنا، بل فى تواريخ غيرنا أيضاً سوى ما أورده ابـن عسـاكر ثمّ المزىّ «۲» ثمّ الـذهبى، «۳» وقـد أورد الـذهبى هـذه الروايـة مرسـلة، وكذلك أوردها المزّى، ولعلهما أخذاها عن ابن عساكر الـذى أوردها بسـند، فيه أكثر من مجهول، وفيه من اتهمه ابن عساكر نفسه برقّة دينه كالبزاز! «۴»، وفيه من هو ليس بالقوى فى حديثه كابن

(۱) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الامام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودى: ۲۰۴- ۲۰۵، رقم ۲۵۴.

(۲) تهذيب الكمال، ۴: ۴۹۳.

(۳) تاريخ الاسلام، حوادث سنة ۶۱، صفحة ۹.

(۴) وهو أبو بكر محمّد بن عبدالباقى البزّاز (راجع: سير أعلام النبلاء، ۲۰: ۲۵).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶۵

فهم. «۱»

فضلًا عن هذا، فإنّ مثل هذا الأمر لوكان قد حصل فعلًا، لكان سُبّةً وسَوْءةً يُعيَّر بها ابن الحنفية وأبناؤه، ولكان لهذا الحدث آثار ممتدّة يُعرف من خلالها، كأن يُعاتب ابن الحنفية أو أبناؤه من قبل واحد من أهل البيت عليهم السلام أو أكثر مثلًا، أو من قبل أحد الهاشميين، أو من قبل بعض الناس، فيردّ محمّد- أو أبناؤه- مدافعاً عن موقفه فى منع أولاده من الالتحاق بالامام عليه السلام، ولاشك أن جميع هذه الآثار أو بعضها سوف تنطبع على صفحة التأريخ فنقرأها فى المطبوع منه أو فى المخطوط.

لكننا لانجد شيئاً من هذا على صفحة التأريخ، ولا فى المأثور عن أهل البيت عليهم السلام بصدد نهضة الامام الحسين عليه السلام، أو بصدد محمد بن الحنفية نفسه، بل ولانجد له أثراً فى المأثور عن ابن الحنفية نفسه وعن أبنائه.

من هنا، نرى أنّ مارواه ابن عساكر بهذا الصدد، زيادة مكذوبة، ولايبعد أن يكون أحد الرواة فى سندها ذا ميل أمويّ «۲»، فأراد أن يشوِّه وحدة الصفّ الهاشمى فى الموقف من نهضة الامام الحسين عليه السلام، ويُسىء بالخصوص الى محمد بن الحنفية (رض) الذى كان معتقداً بإمامة الحسنين عليهما السلام، وبإمامة زين العابدين عليه السلام

(۱) وهو حسين بن فهم الفقيه، قال الدارقطنى: ليس بالقوىّ (راجع: سير أعلام النبلاء، ۱۳: ۴۲۷ وتاريخ بغداد، ۸: ۹۳).

(۲) فى سند رواية ابن عساكر هذه: محمد بن عمر الواقدى، الذى قال فيه الشيخ المفيد (ره): «إنّالواقدى كان عثمانى المذهب بالميل عن على أمير المؤمنين» «كتاب الجمل: ۵۴). وكان الواقدى يقول: «الكرخ مفيض السفل!» وقد عنى بذلك مواضع يسكنها الرافضة! (تاريخ بغداد، ۳: ۳ وقاموس الرجال: ۹: ۴۹۲). وقد اتهمه جلُّ رجاليى العامة بالكذب (راجع: الفصل الثانى، الملاحظة الرابعة من الملاحظات حول رسالة يزيد الى ابن عباس، ص: ۱۵۰- ۱۵۱).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶۶

أئمّة له فى حياته بعد أمير المؤمنين عليه السلام.

تحرّك عبدالله بن جعفر (رض)

اشارة

لم يحدّثنا التأريخ عن شىء من تحرّك عبدالله بن جعفر (رض) «۱» طيلة أيّام

(۱) عبدالله بن جعفر بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: ولد بأرض الحبشة أيّامهجرة أبيه إليها، وأمّه أسماء بنت عميس، وكان عبدالله جليل القدر عظيم الشأن، وآية فى الحلم والجود والكرم، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، وأمير المؤمنين عليه السلام، والحسنين عليهما السلام، وقد شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكان على الخيل، وقد ورد فى مدحه

روايات من طريق الفريقين، وهو من رواة حديث الغدير، وقد احتجّ على معاوية بذلك بعد شهادة عليّ عليه السلام، ومات عبدالله بن جعفر سنة ثمانين وأربع أو خمس، عن تسعين أو أزيد، ومن أولاده: عون، ومحمد، وهما من شهداء الطّف، وزاد المجلسيّ (نقلًا عن أبى الفرج الأصبهانى) ثالثاً: وهو عبدالله أو عبيد الله من الشهداء .. (راجع: مستدركات علم الرجال، ۴: ۵۰۲ وانظر خلاصة الاقوال للحلى: ۱۰۳ ومنتهى المقال للحائرى، ۴: ۱۶۷ ونقد الرجال للتفرشى، ۳: ۹۳).

وقال الذهبى: «عبدالله بن جعفر، السيّد العالم، كفله النبيّ ونشأ فى حجره، كان كبير الشأن كريماً جواداً يصلح للأمامة ... وقد دعا النبيّ له قائلًا: «أللّهم بارك له فى تجارته»، وكان يوم صفين على قريش وأسد وكنانة.» (سير أعلام النبلاء، ۳: ۴۵۶).

وكان عبدالله بن جعفر (رض) جريئاً فى قول الحق، فقد روى أنّ عمرو بن العاص نال من عليّ أمير المؤمنين عليه السلام فى مجلس معاوية بمحضر عبدالله بن جعفر ف «التمع لونه واعتراه أفكلٌ حتى أرعدت خصائله، ثم نزل عن السرير وحسر عن ذراعيه وقال: يا معاوية، حتّام نتجرّع غيظك!؟ وإلى كم الصبر على مكروه قولك وسيىء أدبك وذميم أخلاقك!؟ هبلتك الهبول! أما يزجرك ذمام المجال عن القذع لجليسك!؟ أما والله لو عطفتك أواصر الأرحام، أو حاميت على سهمك فى الاسلام لما أرعيت بنى الإماء أعراض قومك فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطئك فى سفك دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين عليه السلام إلى التمادى فى ما قد وضح لك الصواب فى خلافه. فأقسم عليه معاوية وجعل يترضّاه ويسكّن غضبه، وقال له فيما قال: أنت ابن ذى الجناحين وسيّد بنى هاشم!. فقال: كلّا! بل سيّد بنى هاشم الحسن والحسين عليهما السلام لا ينازعهما فى ذلك أحد.». (قاموس الرجال، ۶: ۲۸۴ وانظر: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ۶: ۲۹۵- ۲۹۷).

وروى الشيخ الصدوق (ره) بسندين عن سليم بن قيس الهلالى، عن عبدالله بن جعفر الطيّار يقول: «كنّا عند معاوية أنا والحسن والحسين، وعبدالله بن عبّاس، وعمر بن أبى سلمة، وأسامة بن زيد، فجرى بينى وبين معاوية كلام، فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ أخى عليّ بن أبى طالب عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد عليٌّ فالحسن ابن عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابنه الحسين بعدُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه عليّ بن الحسين الأكبر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ ابنى محمد بن عليّ الباقر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا حسين، ثمّ تكملة إثنى عشر إماماً تسعة من ولد الحسين رضى الله عنه ...». (الخصال، ۲: ۴۷۷، باب ۱۲، رقم ۴۱).

وهذه الرواية دالّة بلا ريب على إمامية عبدالله بن جعفر (رض).

يقول السيّد الخوئى (ره): «أقول: جلالة عبدالله بن جعفر الطيّار بن أبى طالب بمرتبة لاحاجة معها الى الإطراء، وممّا يدلّ على جلالته أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يتحفّظ عليه من القتل كما كان يتحفّظ على الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية ...» (معجم رجال الحديث، ۱۰: ۱۳۸، رقم ۶۷۵۱).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶۷

النهضة الحسينية إلّا فى ثلاث قضايا:

الأولى:- كتابته الرسالة التى بعث بها من المدينة الى الامام عليه السلام فى مكّة بعد انتشار الخبر فى أهل المدينة بأنّ الامام الحسين عليه السلام يريد الخروج الى العراق (على ما فى رواية الفتوح)، أو بعثها إليه من مكّة بعد خروجه عليه السلام منها (على ما فى رواية الطبرى).

والثانية:- وساطته بين والى مكّة والمدينة يومئذٍ عمرو بن سعيد الأشدق وبين الامام عليه السلام بُعَيْدَ خروجه من مكّة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶۸

والثالثة:- إرساله ولديه محمّداً وعوناً لنصرة الامام عليه السلام.

أمّا فى قضية الرسالة فتقول رواية الفتوح:

«.. واتصل الخبر بالمدينة، وبلغهم أنّ الحسين عزم على الخروج الى العراق، فكتب إليه عبدالله بن جعفر الطيّار:

بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن على من عبدالله بن جعفر: أمّا بعدُ، فإنّى أُنشدك الله أن تخرج عن مكّة، فإنّى خائف عليك من هذا الأمر الذى قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك، فإنّك إنّ قُتلتَ أخاف أن يُطفأ نور الأرض وأنت روح الهدى، وأمير المؤمنين، فلا تعجل بالمسير الى العراق، فإنّى آخذٌ لك الأمان من يزيد وجميع بنى أميّة، على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك، والسلام.». «۱»

فكتب إليه الحسين عليه السلام:

«أمّا بعدُ، فإنّ كتابك ورد علىَّ فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أنّى قد رأيت جدّى رسول الله صلى الله عليه و آله فى منامى، فخبّرنى بأمرٍ وأنا ماضٍ له، لى كان أو علىَّ، والله يا ابن عمىّ، لو كنت فى جحر هامّة من هوامّ الأرض لاستخرجونى ويقتلونى! واللّه يا ابن عمّى ليعدينّ علىَّ كما عدت اليهود على السبت. والسلام.». «۲»

أمّا الطبرى فقد روى أنّ عبدالله بن جعفر (رض) كان قد بعث برسالته هذه الى الامام عليه السلام من مكّة بعد خروجه عليه السلام منها، وقد رواها عن على بن

---

(۱) الفتوح، ۵: ۷۴ وعنه الخوارزمى فى المقتل بتفاوت، ۱: ۳۱۱- ۳۱۲.

(۲) المصدر السابق.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۶۹

الحسين عليه السلام قال: «لمّا خرجنا من مكّة كتب عبدالله بن جعفر بن أبى طالب إلى الحسين بن علىّ مع ابنيه عون ومحمد: أمّا بعدُ، فإنى أسألك باللّه لما انصرفت حين تنظر فى كتابى، فإنّى مشفق عليك من الوجه الذى توجّه له أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، إنّ هلكت اليوم طُفىء نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإنّى فى أثر الكتاب، والسلام.». «۱»

تأمّل وملاحظات:

۱)- يستفاد من نصّ رواية الفتوح أنّ هذه الرسالة كتبها عبدالله بن جعفر (رض) من المدينة إلى الإمام عليه السلام بعد أن شاع فى المدينة نفسها خبر عزم الامام عليه السلام على التوجّه الى العراق، أى فى أواخر الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية، بل المستفاد من رواية الطبرى أنّ هذه الرسالة كتبت بعد خروج الامام عليه السلام من مكّة، أى بعد انتهاء الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية.

وعلى كلا الإحتمالين قد يستشعر المتأمّل أنّ تحرّك عبدالله بن جعفر (رض) جاء متأخّراً كثيراً قياساً الى بداية حركة أحداث النهضة الحسينية، هذا على ضوء المتون التأريخية المتوفّرة، والله العالم.

أمّا ابن عساكر فقد أشار إلى هذه الرسالة فقط بقوله: «وكتب عبدالله بن جعفر بن أبى طالب إليه كتاباً يحذّره من أهل الكوفة ويناشده الله أن يشخص إليهم.»، «۲»

كما لم يَروِ من جواب الامام عليه السلام إلّا: «إنّى رأيت رؤيا، ورأيت فيها رسول الله صلى الله عليه و آله

---

(۱) تاريخ الطبرى، ۳: ۲۹۷ والكامل فى التأريخ، ۲: ۵۴۸ والإرشاد: ۲۱۹.

(۲) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الامام الحسين، تحقيق المحمودى): ۲۰۲، وانظر: البداية والنهاية، ۸: ۱۶۹ وتهذيب الكمال، ۴: ۴۹۱).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷۰

وأمرنى بأمرٍ أنا ماضٍ له، ولستُ بمخبرٍ بها أحداً حتى ألاقى عملى.» «۱»

۲)- يظهر من نص رسالة ابن جعفر (رض) أنّه يشترك مع ابن عبّاس (رض) وابن الحنفيّة (رض) وغيرهم فى النظرة الى قيام الامام عليه السلام من زاوية النصر أو الإنكسار الظاهريين، هذه النظرة التى كانت منطلق مشوراتهم ونصائحهم، وخوفهم أن يُقتل الإمام عليه السلام فى الوجهة التى عزم عليها، ولذا فقد كان الامام عليه السلام يجيبهم بأنّ منطقه الذى يتحرّك على أساسه غير هذا من خلال الرؤيا التى رأى فيها جدّه صلى الله عليه و آله، وأنه مأمور بهذا النوع من التحرك امتثالًا لأمر رسول الله صلى الله عليه و آله.

۳)- كما يظهر من نصّ رسالة عبدالله بن جعفر (رض) أنه كان يعتقد أو يأمل- من خلال الوساطة- أن تتحقق المتاركة بين السلطة الأموية وبين الإمام عليه السلام إذا انثنى عن القيام والخروج وإن لم يبايع!

ولذا فقد ردّ الامام عليه السلام على هذا الوهم بأنه ما لم يُبايع يُقتل لامحالة، ولأنه لايبايع يزيد أبداً فالنتيجة لا محالة هى: «لو كنت فى جحر هامّة من هوامّ الارض لاستخرجونى حتى يقتلونى! ..»، وفى هذا ردٌّ أيضاً على تصوّر عبدالله بن جعفر- على فرض صحة رواية الفتوح- بأنه يستطيع أخذ الأمان من الأمويين للإمام عليه السلام ولما له وأولاده وأهله!

ولايخفى على العارف أننا هنا إنّما نناقش معانى مستوحاة من نصّ الرسالتين، وإلّا فإنّ الامام عليه السلام لم يكن لينثنى عن قيامه ونهضته حتّى لو أُعطى الأمان مع عدم المبايعة، ذلك لأنه لم يخرج لفقده الأمان بل لطلب الإصلاح فى أمّة جده صلى الله عليه و آله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسير بسيرة جدّه وأبيه صلوات الله عليهما وآلهما.

---

(۱) راجع: المصادر السابقة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷۱

أمّا قصة وساطته بين عمرو الأشدق وبين الامام عليه السلام ....

فالظاهر من رواية الطبرى أنّ عبدالله بن جعفر (رض) لم يكتف بمراسلة الامام عليه السلام، بل ترك المدينة مسرعاً الى مكّة لتحقيق وعده بتحصيل الأمان الأموى للإمام عليه السلام!

ويستفاد من هذه الرواية أيضاً أنّ عبدالله بن جعفر (رض) حينما توسّط فى الأمر كان الامام عليه السلام قد تحرك بالفعل خارجاً عن مكّة المكرّمة ..

تقول الرواية: «وقام عبدالله بن جعفر الى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه وقال: أكتب الى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنيّه فيه البرّ والصلة، وتوثّق له فى كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئنّ إلى ذلك فيرجع.

فقال عمرو بن سعيد: أكتب ماشئت وأتنى به حتّى أختمه.

فكتب عبدالله بن جعفر الكتاب، ثم أتى به عمرو بن سعيد، فقال له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئنّ نفسه اليه ويعلم أنه الجدّ منك.

ففعل ... فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر، ثمّ انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال: إنى رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه و آله وأُمرت فيها بأمرٍ أنا ماضٍ له علىَّ كان أو لى!

فقالا له: فما تلك الرؤيا؟

قال: ما حدّثت أحداً بها، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربى!

قال وكان كتاب عمرو بن سعيد الى الحسين بن علىّ:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علىّ:

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷۲

أمّا بعد، فإنّى أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يُرشدك، بلغنى أنّك قد توجّهت إلى العراق، وإنّى أعيذك بالله من الشقاق، فإنّى أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليَّ معهما، فإنّ لك عندى الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار، لك الله عليَّ بذلك شهيدٌ وكفيلٌ ومُراعٍ ووكيل، والسلام عليك.». «۱»

تأمّل وملاحظات:

۱)- توحى هذه الرواية- كما أوحت ذلك من قبل أيضاً رسالة عبدالله بن جعفر الى الامام عليه السلام التى رواها صاحب الفتوح- بأنّ عبدالله بن جعفر كان يعتقد أنّ الامام عليه السلام إنّما خرج لفقده الأمان على حياته لا لأمرٍ آخر وراء ذلك، فهو هنا يقول للأشدق: أكتب للحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنّيه فيه البرّ والصلة ...

لعلَّه يطمئن الى ذلك فيرجع!

كما توحى أيضاً بأنه كان يرى إمكان تحقق المتاركة بين السلطة الأموية وبين الامام عليه السلام فى حال عدم مبايعته ليزيد! الأمر الذى لم يكن يراه محمّد بن الحنفية وعبدالله بن عباس رضى الله عنهما كما هو المستفاد من محاوراتهما مع الامام عليه السلام.

ونحن نستبعد جدّاً أن يكون عبدالله بن جعفر (رض) ذا اعتقاد كهذا! وهو ابن عمّ الإمام عليه السلام، القريب منه الحميم العلاقة به، والمعتقد بإمامته وعصمته، العارف بنظرته الى الأمور، البصير بمشربه.

ونعتقد أنّ قلّة الوثائق التأريخية المتعلّقة بأخبار وتفاصيل موقف ابن

---

(۱) تأريخ الطبرى: ۳: ۲۹۷ والكامل فى التأريخ: ۲: ۵۴۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷۳

جعفر (رض) من قيام الامام عليه السلام ساعدت كثيراً على مظلوميته!

والنزر القليل جدّاً من الروايات التأريخية المتوفّرة فى هذا الصدد قد شوّه الصورة الناصعة لهذا الهاشمى العظيم الذى وردت روايات فيه أنه أشبه رسول الله صلى الله عليه و آله خلقاً وخُلقاً. «۱»

۲)- وتدّعى هذه الرواية أيضاً أنّ رسالة الأشدق الى الامام عليه السلام كان قد كتبها عبدالله بن جعفر (رض)، وهذا من مظلوميته التأريخية أيضاً، ذلك لأنّ المتأمّل فى متن هذه الرسالة يرى فيها كثيراً من سوء الأدب فى مخاطبة الامام عليه السلام، كمثل:

«أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يُرشدك .. وإنى أُعيذك بالله من الشقاق!»، وهذا مستبعد صدروه من رجل مؤمن بإمامة الامام الحسين عليه السلام، ويراه: «نور الأرض» و «أمير المؤمنين» و «روح الهدى». «۲»

ومن الجدير بالذكر هنا: أنّ ابن أعثم الكوفى فى كتابه الفتوح «۳» قد ذكر هذه الرسالة التى بعثها الأشدق الى الامام عليه السلام، ولكنّه ذكر أن عمرو بن سعيد الأشدق هو الذى كتبها وليس عبدالله بن جعفر (رض)، كما ذكر أنّ حاملها الى الامام عليه السلام كان يحيى بن سعيد وحده، أى لم يكن عبدالله بن جعفر (رض) معه!

كما أنّ الشيخ المفيد (ره) روى نفس قصة هذه الرسالة- كما رواها الطبرى- لكنّه لم يذكر أنّ عبدالله بن جعفر (رض) هو الذى كتبها «۴»، بل قال: «فكتب إليه

---

(۱) انظر: سير أعلام النبلاء، ۳: ۴۵۶.

(۲) كما ورد ذلك فى رسالة عبدالله بن جعفر الى الامام عليه السلام على ما فى رواية الفتوح، ۵: ۷۵ وكذلك تأريخ الطبرى، ۳: ۲۹۶.

(۳) الفتوح، ۵: ۷۵ وعنه الخوارزمى فى المقتل، ۱: ۳۱۲/ لكنّه ذكر أنه كتبها إليه من المدينة.

(۴) وهكذا فى الكامل لابن الاثير، ۲: ۵۴۸ وفى البداية والنهاية، ۸: ۱۶۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷۴

عمرو بن سعيد كتاباً ...»، «۱» فتأمّل!

وأمّا قصة التحاق ابنيه عون ومحمّد «۲» بالإمام عليه السلام ...

فإنّ ظاهر القرائن التأريخية يفيد أنهما كانا مع أبيهما، ثمّ التحقا بالإمام عليه السلام وانظمّا إلى الركب الحسينى بعد خروجه من مكّة بعلمٍ من أبيهما وبإذنه، يقول الشيخ المفيد (ره): «فلمّا أيس منه عبدالله بن جعفر (ره) أمر ابنيه عوناً ومحمّداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه، ورجع مع يحيى بن سعيد الى مكّة.». «۳»

وقد كان إبناه محمد وعون حاملى رسالة أبيهما الى الامام عليه السلام قبل ذلك على ما فى رواية الطبرى والمفيد، «۴» وإن كان سياق القصة على ما فى رواية الفتوح أنه بعثهما برسالته من المدينة الى الامام عليه السلام فى مكّة، «۵» وهذا ما ذهب اليه ابن الصبّاغ أيضاً فى الفصول المهمة حيث قال: «ثمّ إنّه وردت على الحسين عليه السلام كتب من أهل المدينة من عند عبدالله بن جعفر على يدى ابنيه عون ومحمّد، ومن سعيد بن العاص ومعه جماعة من أعيان المدينة ...». «۶»

---

(۱) الارشاد: ۲۱۹.

(۲) عون وأمّه زينب بنت علىّ عليهما السلام، ومحمّد وأمّه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف بن ربيعة ... بن بكر بن وائل (راجع: إبصار العين: ۷۵- ۷۷).

(۳) الارشاد: ۲۱۹.

(۴) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۹۷ والارشاد: ۲۱۹.

(۵) الفتوح، ۵: ۷۵ والخوارزمى فى المقتل، ۱: ۳۱۱.

(۶) الفصول المهمة: ۱۸۷ ونور الأبصار: ۲۵۸/ أمّا ابن عبد ربّه فعلى عادته فى قلب الحقائق، قال فى كتابه: «أرسل عبدالله بن جعفر ابنيه عوناً ومحمّداً ليردّا حسيناً! فأبى حسين أن يرجع! وخرج إبنا عبدالله بن جعفر معه!» (العقد الفريد: ۴: ۳۷۷).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷۵

وإرسال عبدالله بن جعفر (رض) ولديه عوناً ومحمّداً ليجاهدا دون الامام عليه السلام وليستشهدا بين يديه دليل تام على تأييده النهضة الحسينية، وهنا يلمح المتأمّل أنّ عبدالله بن جعفر يشترك مع ابن الحنفية وابن عباس فى أصل تأييد قيام الامام عليه السلام وفى أصل معارضة خروجه الى العراق ..

ومن الروايات الكاشفة عن تأييده (رض) لقيام الامام عليه السلام، ما رواه الشيخ المفيد (ره) قائلًا: «ودخل بعض موالى عبدالله بن جعفر بن أبى طالب عليهم السلام فنعى إليه ابنيه، فاسترجع، قال أبو السلاسل (أبو اللسلاس) «۱» مولى عبدالله: هذا مالقينا من الحسين بن علىّ!

فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله، ثم قال: يا ابن اللخناء، أللحسين عليه السلام تقول هذا!؟ والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أُقتل معه! والله إنه لممّا يسخّى نفسى عنهما ويعزّى عن المصاب بهما أنهما أُصيبا مع أخى وابن عمّى مواسيين له، صابرين معه.

ثمّ أقبل على جلسائه فقال: الحمدُ للّه، عزَّ علىَّ مصرع الحسين، إن لا أكن آسيت حسيناً بيدى فقد آساه ولداى.». «۲»

وجدير بالذكر هنا أن نضيف أنّ أبا الفرج الأصبهانى روى أنّ لعبدالله بن جعفر (رض) ولداً آخر أسمه عبيدالله، وأمّه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف، قُتل أيضاً فى كربلاء بين يدى الامام الحسين عليه السلام، وهو أخو محمد بن عبدالله بن جعفر (رض) لأمّه وأبيه. «۳»

(۱) كما ضبطها المحقّق السماوى (راجع: ابصار العين: ۷۶).

(۲) الارشاد: ۲۴۷، والكامل فى التأريخ: ۲: ۵۷۹ والطبرى: ۳: ۳۴۲.

(۳) راجع: مقاتل الطالبيين: ۶۱ وعنه البحار، ۴۵: ۳۴.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷۶

لماذا لم يلتحق عبد الله بن جعفر (رض) بالامام عليه السلام

لم نعثر- بحسب تتبعنا- على من تأمّل فى جلالة عبدالله بن جعفر (رض)، لا فى كتبنا ولا فى كتب السنّة، فكأنّ جلالة قدر عبدالله بن جعفر (رض) أمرٌ متسالم ومتّفق عليه.

فالعلّامة الحلّى (ره)- على سبيل المثال لا الحصر- يقول فيه وفى محمّد بن الحنفية رضوان الله عليهما: «والسيّد محمّد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وأمثالهم أجل قدراً وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحقّ وخروجهم عن الإيمان ...». «۱»

ويقول السيّد الخوئى (ره): «جلالة عبدالله بن جعفر الطيّار بن أبى طالب بمرتبة لا حاجة معها إلى الإطراء ..». «۲»

ويقول الذهبى: «عبدالله بن جعفر، السيّد العالم .. كان كبير الشأن، كريماً جواداً، يصلح للإمامة ..» «۳».

ولا شكّ أنّ المتتبّع العارف بسيرة عبدالله بن جعفر (رض)، وبأخباره، وبمواقفه الجريئة فى الدفاع عن الحق ودحض الباطل، وبانقطاعه الى عمّه أمير المؤمنين علىّ عليه السلام والحسنين عليهما السلام من بعده، وبمعرفته بأئمته الذين فرض الله طاعتهم وولايتهم، «۴» وبعلاقته الحميمة بالامام الحسين عليه السلام وبقربه منه، يقطع مطمئنّاً بأنّ هذا السيّد الهاشمىّ الإمامىّ الشجاع البصير المنقطع الى الامام

(۱) المسائل المهنائية: ۳۸، المسألة ۳۳.

(۲) معجم رجال الحديث: ۱۰: ۱۳۸، رقم ۶۷۵۱

(۳) سير أعلام النبلاء: ۳: ۴۵۶.

(۴) راجع: الخصال: ۲: ۴۷۷، باب ۱۲، رقم ۴۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷۷

الحسين عليه السلام كان عارفاً بفرض امتثال أمر إمامه عليه السلام، وبوجوب نصرته، فلابدّ أنّه كان معذوراً فى عدم التحاقه بالركب الحسينى، وكيف يتخلّف بلا عذرٍ وقد خرجت زوجته وابنة عمّه المكرّمة زينب الكبرى بنت علىّ عليهما السلام، وخرج ولداه- أو أولاده- مع الامام عليه السلام فى رحلة الفتح بالشهادة!؟

إنّ من يواسى الامام عليه السلام بأعزّ ما عنده من أهل بيته لابدّ وأن يكون تخلّفه عن الإمام عليه السلام على كُرْهٍ منه بسبب عُذر قاهر!

يقول المامقانى (ره): «وقد واساه بولده عون ومحمّد وعبدالله، قُتلوا معه بالطفّ لما كان هو معذوراً فى الخروج معه.». «۱»

أمّا ما هو عذره فى عدم الإلتحاق بالامام عليه السلام، فإننا لم نعثر- مع تتبع غير يسير على مصدر يشخّص نوع هذا العذر، إلّا ما وجدناه فى كتاب (زينب الكبرى) للمحقّق الشيخ جعفر النقدى، حيث يقول: «أمّا عدم خروجه مع الحسين عليه السلام الى كربلاء فقد قيل إنه مكفوف البصر!». «۲»

(۱) تنقيح المقال: ۲: ۱۷۳.

(۲) زينب الكبرى: ۸۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷۸

عبدالله بن الزبير .. والنصائح المتناقضة!

اشارة

لم يستثقل عبدالله بن الزبير «۱» وجود الإمام الحسين عليه السلام من قبلُ فى أىّ مكان

---

(۱) عبدالله بن الزبير بن العوّام: وأمّه أسماء بنت أبى بكر، وقيل: إنه ولد فى السنة الأولى أو السنّةالثانية من الهجرة، وقد عُدَّ من صغار الصحابة (راجع: سير أعلام النبلاء، ۳: ۳۶۴)، وهو الذى قال له النبىّ صلى الله عليه و آله- حين شرب دم حجامته- ويلٌ للناس منك!، وهو الذى كان يخالف السنّة الثابتة ويواصل فى الصوم سبعة أيّام، وإن حاول الذهبى الإعتذار عنه بقوله: لعلّه ما بلغه النهى عن الوصال! (راجع: سير أعلام النبلاء، ۳: ۳۶۶)، وهو الذى ركع فقرأ فى ركوعه البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، مع النهى الوارد عن رسول الله صلى الله عليه و آله، وإن حاول الذهبى أيضاً الإعتذار عنه بقوله: بأنّ ابن الزبير لم يبلغه حديث النهى! (راجع: سير أعلام النبلاء، ۳: ۳۶۹).

وقد وصفه أمير المؤمنين عليه السلام فى واحدٍ من أخباره بالمغيّبات قائلًا: «خَبٌّ، ضبٌّ، يروم أمراً ولايُدركه، ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا، وهو بعدُ مصلوب قريش!». (شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ۷: ۲۴).

وكان ابن الزبير قد رغّب عثمان بن عفّان- أثناء الحصار- بالتحوّل الى مكّة، لكنّ عثمان أبى ذلك قائلًا: إنّى سمعتُ رسول الله يقول: يُلحد بمكّة كبش من قريش إسمه عبدالله، عليه مثل نصف أوزار الناس. (راجع: سير أعلام النبلاء: ۳: ۳۷۵).

وقد حذّره عبدالله بن عمرو بقوله: «إيّاك والإلحاد فى حرم الله، فأشهد لسمعتُ رسول الله يقول: يُحلّها- وتحل به- رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها، (سير أعلام النبلاء، ۳: ۳۷۸).

وكان عبدالله بن الزبير من أهمّ العوامل التى أثّرت فى تغيير مسار أبيه، وفى هذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «مازال الزبير منّا حتّى نشأ ابنه عبدالله!» (بحار الانوار، ۳۴: ۲۸۹)، وهو الذى حرّض عائشة على مواصلة المسير الى البصرة حين قصدت الرجوع بعد نباح كلاب الحوأب عليها، وهو الذى بقى أربعين يوماً لايصلّى على النبىّ صلى الله عليه و آله فى خطبته حتى التأت عليه الناس، فقال: إنّ له أهل بيت سوء! إذا ذكرته اشرأبّت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك، فلا أحبّ أن أقرّ أعينهم بذلك! (راجع: العقد الفريد، ۴: ۴۱۳ وبحار الأنوار، ۴۸: ۱۸۳)، وهو الذى دعا ابن عباس ومحمّد بن الحنفية وجماعة من بنى هاشم إلى بيعته، فلمّا أبوا عليه جعل يشتمهم ويتناولهم على المنبر .. ثمّ قال: لتبايعن أو لأحرقنّكم بالنار! فأبوا عليه، فحبس محمد بن الحنفية فى خمسة عشر من بنى هاشم فى السجن (العقد الفريد، ۴: ۴۱۳ وانظر: مروج الذهب: ۳: ۸۶/ الطبعة الميمنيّة).

وقد كان ابن الزبير يبغض بنى هاشم ويلعن عليّاً عليه السلام ويسبّه، وكان حريصاً جدّاً على الإمارة والسلطة، وكان يدعو الناس الى طلب الثأر قبل موت يزيد، فلمّا مات طلب الملك لنفسه لا للثار. (راجع: مستدركات علم الرجال، ۵: ۱۸).

وكان ابن الزبير هذا متصّفاً بصفات وخِلالٍ تنافى أخلاقيات الرئاسة ولايصلح معها للخلافة، إذ كان بخيلًا، سيىء الخلق، حسوداً، كثير الخلاف ولذا تراه أخرج ابن الحنفية، ونفى ابن عباس الى الطائف (راجع: فوات الوفيات، ۱: ۴۴۸).

وقد عانى الناس أيّام سلطته القصيرة أنواع البؤس والجوع والحرمان، وخصوصاً الموالى فقد لاقوا منه أنواع الضيق حتى أنشد شاعرهم فيه:

إنّ الموالى أمست وهى عاتبةعلى الخليفة تشكو الجوع والسغبا

ماذا علينا وماذا كان يُرزؤناأىّ الملوك على من حولنا غلبا

(راجع: مروج الذهب، ۳: ۲۲).

وكان تصنّعه النسك والتقشّف والتقوى لصيد البسطاء وإغراء السذّج من هذه الأمّة، ويُنقل أنّ زوجة عبدالله بن عمر ألحّت عليه أن يبايع ابن الزبير لما رأت من ظاهر طاعته وتقواه، فقال لها ابن عمر: أما رأيتِ بغلات معاوية التى كان يحجُّ عليها الشهباء!؟ فإنّ ابن الزبير ما يريد غيرهنّ!!. (راجع: حياة الامام الحسين بن على عليهم السلام، ۲: ۳۱۰ عن المختار: ۹۵).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۷۹

- بعد موقعة الجمل- كما أستثقله فى مكّة المكرّمة أيّام تواجد الإمام عليه السلام فيها بعد رفضه البيعة ليزيد، ذلك لأنّ ابن الزبير كان قد نوى منذ البدء أن يتّخذ مكّة المكرّمة منطلقاً للتمرّد على السلطة الأموية ومركزاً لإدارة أمور البلدان الأخرى فى حال نجاحه فى مسعاه، ولذا فقد كان فى حاجة ماسّة إلى أن يخلو له وجه مكّة من أى منافس، وتصفو له من كلّ مزاحم، فما بالك بمزاحمٍ ومنافسٍ لايرى الناس ابن

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۸۰

الزبير قباله شيئاً مذكوراً!؟ ولايعبأون بحضوره أو بغيابه إذا حضر ذلك الشخص المبجّل عندهم!؟.

فمع وجود الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة كانت الارض قد ضاقت على ابن الزبير بما رحبت، وضاقت عليه حرجاً أنفاسه كأنما يصّعدُ فى السماء، لكنه كان يُدارى حراجة تلك الأيّام باستظهار هدوءٍ مفتعل، وصبر مصطنع، ويتكتّم على حسده وغِلّه ونواياه بما هو فوق طاقته!

يقول التأريخ: «واشتدّ ذلك على ابن الزبير لأنه كان قد طمع أن يبايعه أهل مكّة، فلمّا قدم الحسين شقّ ذلك عليه، غير أنه لايُبدى ما فى قلبه الى الحسين، لكنّه يختلف إليه ويصلّى بصلاته، ويقعد عنده ويسمع حديثه، وهو يعلم أنه لايبايعه أحدٌ من أهل مكّة والحسين بن علىّ بها، لأنّ الحسين عندهم أعظم فى أنفسهم من ابن الزبير». «۱»

«وأمّا ابن الزبير فإنه لزم مصلّاه عند الكعبة، وجعل يتردد فى غبون ذلك إلى الحسين فى جملة الناس، ولايمكنه أن يتحرّك بشىء مما فى نفسه مع وجود الحسين، لِما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إيّاه عليه ... بل الناس إنّما ميلهم الى الحسين لأنه السيّد الكبير، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، فليس على وجه الأرض يومئذٍ أحدٌ يساميه ولايساويه ...». «۲»

من هنا كان كلُّ همِّ عبدالله بن الزبير وأقصى أُمنيته أن يخرج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة لتخلو له، وكان ابن الزبير يظنّ أنّ مايضمره خافٍ على

---

(۱) الفتوح، ۵: ۲۶ وإعلام الورى: ۲۲۳ وانظر البداية والنهاية، ۸: ۱۵۳ وكذلك روضة الواعظين: ۱۷۲.

(۲) البداية والنهاية، ۸: ۱۵۳ وانظر: تأريخ الاسلام: ۲۶۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۸۱

الإمام عليه السلام وعلى الآخرين من وجهاء الأمّة وأعلامها، غير أنّ أمره كان أظهر من أن يخفى على ذى فطنة كابن عباس مثلًا، فما بالك بالإمام عليه السلام!؟

يروى الطبرى أنّ ابن الزبير أتى الإمام الحسين عليه السلام- بعد خروج ابن عباس (رض) من عند الإمام عليه السلام!- فحدّثه ساعة، ثمّ قال: ما أدرى ما تركنا هؤلاء القوم وكفّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاة الأمر دونهم!؟ خبّرنى ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين عليه السلام: واللّه لقد حدّثت نفسى بإتيان الكوفة، ولقد كتب إلىَّ شيعتى بها وأشراف أهلها، وأستخير الله.

فقال له ابن الزبير: أما لو كان لى بها مثل شيعتك ما عدلت بها! ثمّ خشى أن يتّهمه فقال: أما إنّك لو أقمت بالحجاز ثمّ أردتَ هذا الأمر ها هنا ماخولف عليك إن شاء الله!

ثم قام فخرج من عنده.

فقال الحسين عليه السلام: «ها إنّ هذا ليس شىء يؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز الى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معى شىء، وأنّ الناس لم يعدلوه بى فودَّ أنّى خرجت منها لتخلو له.». «۱»

ويروى ابن عساكر عن معمر، عن رجل أنه سمع الإمام الحسين بن علىّ عليهما السلام يقول لابن الزبير: «أتتنى بيعة أربعين ألفاً يحلفون لى بالطلاق والعتاق

---

(۱) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۹۵ وانظر: الكامل فى التأريخ، ۲: ۵۴۶ والبداية والنهاية، ۸: ۱۷۲ وشرح الأخبار، ۳: ۱۴۵.

وقال المزى فى تهذيب الكمال، ۴: ۴۸۹: «وكان ابن الزبير يغدو ويروح الى الحسين ويشير عليه أن يقدم العراق، ويقول: هم شيعتك وشيعة أبيك!».

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۸۲

من أهل الكوفة- أوقال من أهل العراق-.

فقال له عبدالله بن الزبير: أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك!؟». «۱»

ويروى الطبرى أيضاً عن عبدالله بن سليم والمُذرى بن المشمعّل الأسديين أنهما رأيا- يوم التروية!- فيما بين الحجر وباب الكعبة كُلًّا من الإمام الحسين عليه السلام وعبدالله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى، وسمعا ابن الزبير يقول للإمام عليه السلام:

«إنْ شئت أن تقيم أقمتَ فَوُلِّيتَ هذا الأمر، فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك!

فقال له الحسين عليه السلام: إنّ أبى حدّثنى أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها! فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش!

فقال له ابن الزبير: فأقم إن شئت وتولّينى أنا الأمر، فتُطاع ولاتُعصى!

فقال عليه السلام: وما أريد هذا أيضاً!». «۲»

أمّا الدينورى فيروى قائلًا: «وبلغ عبدالله بن الزبير ما يهمُّ به الحسين، فأقبل حتى دخل عليه، فقال له: لو أقمت بهذا الحرم، وبثثت رسلك فى البلدان، وكتبت إلى شيعتك بالعراق أن يقدموا عليك، فإذا قوى أمرك نفيتُ عمّال يزيد عن هذا

---

(۱) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين/ تحقيق المحمودى): ۱۹۴، رقم ۲۴۹.

(۲) تأريخ الطبرى، ۳: ۲۹۵/ والمُلفت للإنتباه فى هذه الرواية أيضاً أنّ هذين الراويين الأسديين فى ختام هذه الرواية قالا: «ثمّ إنهما أخفيا كلامهما دوننا، فمازالا يتناجيان حتى سمعنا دعاء الناس رائحين متوجهين إلى منى عند الظهر، فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة، وقصّ من مشعره، وحلّ من عمرته، ثمّ توجّه نحو الكوفة، وتوجّهنا نحو الناس إلى منى!» وهذا خلاف المشهور فى أنّ الإمام عليه السلام خرج من مكّة أوائل الصبح يوم التروية، وخلاف قول الإمام الحسين نفسه عليه السلام: «.. فإنّى راحل مصبحاً ..» فتأمّل!

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۸۳

البلد، وعلىَّ لك المكانفة والمؤازرة، وإن عملتَ بمشورتى طلبتَ هذا الأمر بالحرم، فإنّه مجمع أهل الآفاق ومورد أهل الأقطار، لم يعدمك بإذن الله إدراك ما تريد، ورجوتُ أن تناله!». «۱»

وفى رواية أخرى عن أبى مخنف عن أبى سعيد عقيصا، «۲» عن بعض أصحابه قال سمعت الحسين بن علىّ وهو بمكّة وهو واقف مع عبدالله بن الزبير فقال له ابن الزبير: إلىَّ يا ابن فاطمة!

فأصغى إليه، فسارّه، ثمّ التفت إلينا الحسين عليه السلام

---

(۱) الأخبار الطوال: ۲۴۴.

(۲) وهو دينار، وكنيته أبوسعيد، ولقّب بعقيصا لشعرٍ قاله، وعدّه جماعة من علماء الرجال الشيعةفى اصحاب علىّ عليه السلام وأصحاب الحسين عليه السلام (راجع: معجم رجال الحديث، ۷: ۱۴۷ رقم ۴۴۶۱ وتنقيح المقال، ۱: ۴۱۹ ومستدركات علم الرجال، ۳: ۳۷۵) وقد روى الصدوق (ره) بإسناده عنه، عن الحسين عليه السلام رواية شريفة عظيمة فى الفضائل (راجع: البحار، ۳۹: ۲۳۹)، وروى عن الامام الحسن المجتبى عليه السلام ردّه على من لامه على صلحه مع معاوية، ردّاً حوى بيانات مهمة فى الإمامة وفى القائم عليه السلام (راجع: كمال الدين: ۱: ۳۱۵، باب ۲۹، رقم ۲)، وفى ذلك دلالات على حسن أبى سعيد عقيصا وكماله. قال المامقانى فى ثنايا ترجمته لعقيصا: «.. وظاهره كونه إمامياً ... لكن لم يرد فيه مدحٌ يُدرجه فى الحسان، فهو إماميٌّ مجهول الحال.» (تنقيح المقال، ۱: ۴۱۹). وقد عنونه الخطيب البغدادى بلفظ عقيصا، وروى عنه خبر العين فى طريق صفّين، وأنّ الراهب قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «لايستخرجها إلّا نبيٌّ أو وصىّ»، ونقل البغدادى عن يحيى بن معين أنه ذكر رشيد الهجرى وحبة العرنى والأصبغ بن نباتة بسوء المذهب!! وقال: عقيصا شرٌّ منهم!! (تاريخ بغداد: ۱۲: ۳۰۵). قال التسترى تعليقاً على كلام ابن معين: «ذنبهم عند يحيى تشيعهم «ومانقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد» (قاموس الرجال، ۴: ۲۹۸).

أقول: غاية ما وصل إلينا عنه أنّه شيعيٌّ، وأمّا عدالته، وسرّ عدم إلتحاقه بالإمام الحسين عليه السلام فالتأريخ ساكت عنه، ولم يُعرف عنه شىء!

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۸۴

فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟

فقلنا: لاندرى، جعلنا فداك!

فقال: قال أَقِمْ فى هذا المسجد أجمع لك الناس!

ثمّ قال الحسين عليه السلام: والله لئن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إلىَّ من أن أُقتل داخلًا منها بشبر!، وأيمُ الله لو كنت فى جُحر هامّة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فىّ حاجتهم!، والله ليعتدُنَّ علىَّ كما اعتدت اليهود فى السبت!». «۱»

أمّا ابن قولويه (ره) فيروى (بسندٍ) عن سعيد عقيصا قال:

سمعت الحسين بن علىّ عليهما السلام وخلا به عبدالله بن الزبير فناجاه طويلًا، ثمَّ أقبل الحسين عليه السلام بوجهه إليهم وقال: إنّ هذا يقول لى: كن حماماً من حمام الحرم، ولأن أقتل وبينى وبين الحرم باعٌ أحبّ إلىَّ من أن أقتل وبينى وبينه شبر، ولأن أُقتل بالطفّ أحبّ إلىَّ من أن أُقتل بالحرم». «۲»

ويروى ابن قولويه (ره) أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قال عبدالله بن الزبير للحسين عليه السلام: ولو جئت إلى مكّة فكنتَ بالحرم! «۳»

---

(۱) تاريخ الطبرى، ۳: ۲۹۵ والكامل فى التاريخ، ۲: ۵۴۶.

(۲) كامل الزيارات: ۷۲ وعنه البحار، ۴۵: ۸۵، رقم ۱۶.

(۳) قد يُستفاد من قول ابن الزبير (ولوجئت الى مكّة) أنّ هذه المحاورة ليست من وقائع مكّة، غير أنّ من المحتمل أيضاً أن يكون ابن الزبير قد شيّع الإمام عليه السلام الى أطراف مكّة ثم قال له هذا القول فيكون معناه (لو عُدتَ الى مكّة)، وهذا ما تشعر به الرواية التى بعد هذه.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۸۵

فقال الحسين عليه السلام: لا نَستحلّها، ولاتُستحلُّ بنا، ولأن أُقتل على تل أعفر «۱» أحبّ إليَّ من أن أُقتل بها». «۲»

ويروى ابن قولويه (ره) أيضاً عن الإمام أبى جعفر عليه السلام أنّ ابن الزبير شيّع الإمام الحسين عليه السلام: «فقال: يا أبا عبدالله، قد حضر الحجُّ وتدعه وتأتى العراق!؟

فقال: يا ابن الزبير، لأن أُدفن بشاطىء الفرات أحبّ إليّ من أن أُدفن بفناء الكعبة!». «۳»

وروى السيّد ابن طاووس (ره) أنّ عبدالله بن العبّاس (رض) وعبدالله بن الزبير جاءا الى الإمام عليه السلام فأشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قد أمرنى بأمرٍ وأنا ماضٍ فيه!». «۴»

ويبدو أنّ ابن الزبير- من جملة محاوراته مع الإمام عليه السلام ومن مجموع الإخبارات المتناقلة آنذاك عن مصرع الامام عليه السلام- كان يعلم أنّ الإمام عليه السلام سوف يُقتل فى سفره هذا الى العراق لا محالة، وأنّ ذلك آخر العهد به عليه السلام، فحرص فى اللحظات الأخيرة على الإستفادة من علم الإمام عليه السلام، فسأله قائلًا: «يا ابن رسول الله، لعلّنا لانلتقى بعد اليوم، فأخبرنى متى يرث المولود ويورث؟ وعن جوائز السلطان هل تحلّ أم لا؟».

فأجابه عليه السلام: «أمّا المولود فإذا استهلّ صارخاً .. وأمّا جوائز السلطان فحلال مالم يغصب الأموال.». «۵»

---

(۱)

تل أعفر: موضع من بلاد ربيعة (راجع: البحار: ۴۵: ۸۶)

(۲) كامل الزيارات: ۷۳ وعنه البحار: ۴۵: ۸۵- ۸۶، رقم ۱۷.

(۳) كامل الزيارات: ۷۳ وعنه البحار: ۴۵: ۸۶، رقم ۱۸.

(۴) اللهوف: ۱۰۱.

(۵) راجع: حياة الإمام الحسين بن علىّ عليهما السلام ۳: ۵۲ عن مرآة الزمان فى تواريخ الأعيان.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۸۶

تأمّل وملاحظات:

۱)- فى محاوراته مع الإمام عليه السلام كان ابن الزبير يناقض نفسه فى نصائحه ومشوراته، فمرّة يستظهر خلاف ما يستبطن فيشير على الإمام عليه السلام بالبقاء فى مكّة!، وأخرى يغفل عن تصنّعه فتظهر أمنيّة قلبه فى فلتات لسانه فيحثّ الامام عليه السلام على الخروج الى العراق!، وقد يعارض نفسه فى المحاورة الواحدة فيشير فى أوّلها بالخروج ثم يستدرك فيشير بالبقاء خوفاً من أن يُتّهم بما يُكنُّ فى نفسه! وقد ينسى نفسه وماحوله فيطلب من الإمام عليه السلام أن يوليّه الأمر!!

۲)- ويلاحظ على ابن الزبير أيضاً أنّ «حبّ الرئاسة» قد طغى على قلبه وهيمن على تفكيره إلى درجة أنساه عندها حتى الفرق الهائل بين قعر الوهدة وذروة القمة حين تعامى عن الفرق الكبير بينه وبين الإمام عليه السلام! فعدَّ نفسه- كما الإمام عليه السلام!- من ولاة الأمر وأصحاب الحقّ بالخلافة حيث يقول: «ونحن أبناء المهاجرين وولاة الأمر دونهم!»، بل يغلب حبّ الرئاسة على عقله الى درجة يفقد عندها توازنه فيعمى عن حقائق الأشياء وموازينها- فيما يمكن ومالا يمكن- فلا يرى مانعاً من أن يكون هو الخليفة حتّى مع وجود الإمام عليه السلام حيث يخاطبه قائلًا:

«فأَقم إن شئت وتولّينى أنا الأمر ..!!».

۳)- ويلاحظ المتأمّل فى جميع هذه المحاورات الأدب الجمّ والخلق السامى الذى تعامل به الإمام عليه السلام مع عبدالله بن الزبير، مع

معرفته التامّة بما انطوى عليه ابن الزبير من بغض لأهل البيت عليهم السلام، فكان صلوات الله عليه يسارّه كما يسارّ الودود المخلص فى وداده، ويحاوره كما يحاور الناصح الصادق فى نصحه، ومع كلّ هذا الخلق العظيم فقد حرص الإمام عليه السلام فى محاوراته مع ابن الزبير على أمرين هما:

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۸۷

الأوّل: التأكيد على حرمة استحلال البيت وانتهاك حرمته «إنّ أبى حدّثنى أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها! فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش!» و «والله لئن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إلىَّ من أن أُقتل داخلًا منها بشبر!» و «لأَن أُقتل وبينى وبين الحرم باعٌ أحبُّ إلىَّ من أن أُقتل وبينى وبينه شبر!» و «لانستحلّها ولاتُستحلّ بنا، ولأن أُقتل على تل أعفر أحبّ إلىَّ من أن أُقتل بها!»، ولايخفى على المتأمّل أنّ الإمام عليه السلام أراد من خلال هذا التأكيد أيضاً نهى ابن الزبير ألّا يكون هو أيضاً ذلك الكبش القتيل إقامة للحجّة عليه، مع علمه عليه السلام بأنّ ابن الزبير هو ذلك المستحِلُّ لحرمة البيت الحرام!

الثانى: تأكيد الإمام عليه السلام على نفى أىّ ارتباط بينه وبين ابن الزبير، ويظهر حرص الإمام عليه السلام على ذلك كلّما أحسّ أنّ هناك من يراهما اثناء التحاور ويُنصت لهما، حيث يكشف الإمام عليه السلام لأولئك المراقبين عن ما يسرّه إليه ابن الزبير، كمثل قوله عليه السلام: «إنّ هذا يقول لى: كن حماماً من حمام الحرم ...» وقوله عليه السلام كاشفاً عن أمنية ابن الزبير:

«ها إنّ هذا ليس شىء يؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أخرج الى العراق ...».

۴)- ويلاحظ أيضاً أنّ الإمام عليه السلام أكّد لابن الزبير ولسامعيه الآخرين أنه لامحالة مقتول حيث قال عليه السلام: «وأيمُ الله لو كنت فى جحر هامّة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فىّ حاجتهم! والله ليعتدُنّ علىّ كما اعتدت اليهود فى السبت!»، كما أشار عليه السلام تلميحاً إلى مكان مصرعه فى قوله: «ولأن أُقتل بالطفّ أحبّ إلىّ من أن أُقتل بالحرم!» و «يا ابن الزبير، لأَن أُدفن بشاطىء الفرات أحبّ إلىّ من أن أدفن بفناء الكعبة!»، ولعلّ الإمام عليه السلام أراد بذلك إلقاء الحجّة على ابن الزبير وعلى من كان يسمع تحاورهما بوجوب الخروج معه

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۸۸

لنصرته والجهاد بين يديه.

۵)- ممّا لايخفى- على من له أدنى اطّلاع على تأريخ النهضة الحسينية- أنّ مشورات ونصائح ابن الزبير المتعارضة- وإن استمع إليها الإمام عليه السلام بأدبه السامى العظيم- لم يكن لها أىّ تأثير على الإمام عليه السلام الذى كان عارفاً بحقيقة مايستبطنه ابن الزبير من عداوة وبغضاء لآل محمّد صلى الله عليه و آله، وبكذب مايستظهره من نصح ومودّة لهم، ولذلك فلم يكن لرأى ابن الزبير أىّ أثر على حركة أحداث النهضة الحسينية لا من قريب ولا من بعيد.

من هنا حقَّ للمتأمّل أن يعجب كثيراً من سخيف ما ذهب إليه ابن أبى الحديد من أنّ الإمام الحسين عليه السلام خرج الى العراق عملًا بنصيحة ابن الزبير له بذلك، فغشه!

يقول ابن أبى الحديد: «واستشار الحسين عليه السلام، عبدالله بن الزبير وهما بمكّة فى الخروج عنها، وقصد العراق ظانّاً أنه ينصحه، فغشّه، وقال له: لاتقم بمكّة، فليس بها من يبايعك، ولكن دونك العراق، فإنّهم متى رأوك لم يعدلوا بك أحداً، فخرج الى العراق حتى كان من أمره ما كان!». «۱»

وأسخف من قول ابن أبى الحديد قول محمّد الغزالى فى الدفاع عن ابن الزبير واستبعاده أن يكون ابن الزبير قد أشار على الإمام عليه السلام بالخروج الى العراق ليستريح منه، قائلًا: «فعبد الله بن الزبير أتقى للّه وأعرق فى الإسلام من أن يقترف مثل هذه الدنيّة!». «۲»

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۱۶: ۱۰۲.

(۲) حیاة الإمام الحسین بن علیّ علیهما السلام: ۲: ۳۱۱.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۸۹

عبدالله بن عمر .. والمشورة المریبة!

اشارة

تمیّز عبدالله بن عمر «۱» عن جمیع وجهاء الأمّة وأعلامها من الرجال الذین

---

(۱) عبدالله بن عمر بن الخطّاب العدویّ القرشیّ: وأمّه زینب بنت مظعون الجمحیّة، وقیل إنه ولدسنة ثلاث من المبعث النبوی، ومات وله سبع وثمانون سنة، (راجع: الإصابة فی معرفة الصحابة: ۲: ۳۳۸ رقم ۴۸۳۴)، وروی عن أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام أنه قال فیه: «.. لقد کان صغیراً وهو سیّء الخلق، وهو فی کبره أسوأ خُلقاً!» (راجع: شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید: ۴: ۹ و ۱۰)، وکان شبقاً فی شهوته الجنسیة، فکان له وطیء علی کلّ إفطار، وکان یفخر بذلک (راجع: سیر أعلام النبلاء: ۳: ۲۲۳)، وکان أبوه یعرف هذا التهالک علی الجنس فیه، حتی قال له- حین أستأذنه فی الجهاد- أی بُنیّ إنّی أخاف علیک الزنا! (راجع: الغدیر: ۱۰: ۳۷ عن سیرة عمر بن الخطّاب لابن الجوزی: ۱۱۵ أو ۱۳۸)، وکان یأکل الدجاج والفراخ والخبیص، ویلبس المطرف الخزّ ثمنه خمسمائة درهم (راجع: سیر أعلام النبلاء: ۳: ۲۳۹ و ۲۱۲).

وکان ابن عمر یُکثر الروایة عن رسول الله صلی الله علیه و آله ویُکثر فی الفُتیا، ویُخطیء فی کلیهما أخطاءً فاحشة تکشف عن بلادة ذهنه وقلّة عقله وفقهه، وقد کشفت عائشة عن کثیر من اشتباهاته فی الروایة والفتیا (راجع: الغدیر: ۱۰: ۳۷- ۵۸/ أخبار ابن عمر ونوادره)، ومن طریف ما یُروی فی هذا ما أخرجه الطبرانی من طریق موسی بن طلحة قال: بلغ عائشة أنّ ابن عمر یقول: إنّ موت الفجأة سخط علی المؤمنین! فقالت: یغفر الله لابن عمر! إنّما قال رسول الله صلی الله علیه و آله: موت الفجأة تخفیف علی المؤمنین وسخط علی الکافرین. (الغدیر: ۱۰: ۴۲ عن الاجابة للزرکشی: ۱۱۹)، وروی ابن عمر عن رسول الله صلی الله علیه و آله: إنّ المیّت یُعذّب ببکاء أهله علیه! فقضت عائشة علیه بأنه لم یأخذ الحدیث علی وجهه: مرَّ رسول الله علی یهودیة یبکی علیها أهلها، فقال صلی الله علیه و آله: إنهم یبکون علیها وإنها تُعذَّب فی قبرها.

وظنّ ابن عمر العذاب معلولًا للبکاء! وظنّ الحکم عامّاً علی کلّ میّت! (راجع: الغدیر: ۱۰: ۴۳ عن کتاب الانصاف لشاه صاحب). مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۲۹۰

ویکفی ابن عمر جهلًا أنه ما کان یحسن طلاق زوجته، وقد عجر واستحمق (کما فی صحیح مسلم ۳: ۲۷۳ ح ۷ کتاب الطلاق) ولم یکُ یعلم أنّه لایقع إلّا فی طهر لم یواقعها فیه! وفی لفظ مسلم أنّه طلّق امرأته ثلاثاً وهی حائض (مسلم: ۳: ۲۷۳) ولذلک لم یره أبوه أهلًا للخلافة بعدما کبر وبلغ منتهی الکهولة! إذ قال عمر ردّاً علی رجل اقترح علیه أن یستخلف عبدالله بن عمر: قاتلک الله! والله ما أردت الله بها! أستخلف من لم یحسن أن یطلّق امرأته!؟ (راجع: تأریخ الطبری ۴: ۲۲۸ والکامل لابن الاثیر: ۲: ۲۱۹) وکان ابن عمر یقول: لا اقاتل فی الفتنة وأصلّی وراء من غلب! (راجع: الطبقات الکبری: ۴: ۱۴۹)، فهو یری شرعیّة الغالب بالقوّة وإن کان فاسقاً فاجراً عدوّاً لله ولرسوله کیزید والحجّاج وأمثالهما! ومن المؤسف أنّ الفقه السنّی- الذی یعتبر ابن عمر فقیه الأمّة!- قد تبنّی هذه النظرة الخاطئة وکان ولایزال متأثّراً بها الی یومنا هذا.

وقال ابن حجر فی (فتح الباری: ۱۳: ۴۷): «کان رأی ابن عمر ترک القتال فی الفتنة ولو ظهر أنّ إحدی الطائفتین محقّة والأخری

مبطلة!» وهذا مخالف لصريح القرآن فى وجوب قتال الفئة التى تبغى! وقال ابن كثير فى (تأريخه: ۹: ۸/ حوادث سنة ۷۴): «كان- أى ابن عمر- فى مدّة الفتنة لايأتى أميراً إلّا صلّى خلفه! وأدّى إليه زكاة ماله!» فهو مع الأمير دائماً وإن كان ظالماً فاجراً!

لكنّ ابن عمر لم يلتزم بما ادّعى الإلتزام به من تلك المتبنّيات فى موقفه من الأمير الحقّ علىّ عليه السلام، إذ لم يرَ شرعيته حتى بعد انتصاره فى موقعة الجمل! ولم يبايعه وقعد عنه! ولمّا «دخل عبدالله بن عمر، وسعد بن أبى وقّاص، والمغيرة بن شعبة مع أُناس معهم، وكانوا قد تخلّفوا عن علىّ، فدخلوا عليه فسألوه أن يعطيهم عطاءهم- وقد كانوا تخلّفوا عن علىّ حين خرج الى صفّين والجمل- فقال لهم علىّ: ما خلّفكم عنى!؟ قالوا: قُتل عثمان، ولاندرى أحلُّ دمه أم لا؟ وقد كان أحدث أحداثاً ثمّ استتبتموه فتاب، ثمّ دخلتم فى قتله حين قُتل، فلسنا ندرى أصبتم أم أخطأتم؟ مع أنّا عارفون بفضلك يا أمير المؤمنين وسابقتك وهجرتك! فقال علىّ: ألستم تعلمون أنّ اللّه عزّ وجلّ قد أمركم أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر فقال: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتّى تفىء الى أمر الله؟ قال سعد: يا علىّ، اعطنى سيفاً يعرف الكافر من المؤمن! أخاف أن أقتل مؤمناً فأدخل النار!. فقال لهم علىّ: ألستم تعلمون أنَّ عثمان كان إماماً بايعتموه على السمع والطاعة، فعلام خذلتموه إن كان محسناً!؟ وكيف لم تقاتلوه إذ كان مسيئاً!؟ فإن كان عثمان أصاب بما صنع فقد ظلمتم إذ لم تنصروا إمامكم، وإن كان مسيئاً فقد ظلمتم إذ لم تعينوا من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وقد ظلمتم إذ لم تقوموا بيننا وبين عدّونا بما أمركم الله به، فإنه قال: فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر اللّه. فردّهم ولم يعطهم شيئاً.» (وقعة صفين: ۵۵۱). مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۹۱

ومن المضحك قول ابن عبدالبرّ فى ابن عمر: «وكان رضى الله عنه لورعه قد أُشكلت عليه حروب علىّ رضى الله عنه وقعد عنه!» (الاستيعاب ۳: ۸۱) فإنّ ابن عمر الورع التقىّ هذا كان قد رفض أن يعطى أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام حتى كفيلًا على شرطهِ ومدّعاه، إذ لمّا «أمر أمير المؤمنين بإحضار عبدالله بن عمر فقال له: بايع. قال: لا أبايع حتى يبايع جميع الناس!!

فقال له عليه السلام: فاعطنى حميلًا حتى تبرح! قال: ولا أعطيك حميلًا! فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين، أمِنَ هذا سوطك وسيفك فدعنى أضرب عنقه! فقال: لست أريد ذلك منه على كره، خلّو سبيله. فلمّا انصرف قال أمير المؤمنين: لقد كان صغيراً وهو سيىء الخلق، وهو فى كبره أسوأ خلقاً!» (شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ۴: ۹)، ويتمادى ابن عمر فى تمرّده وتطاوله حين يأمن سطوة أهل الحق، إذ «لمّا بايع الناس عليّاً، وتخلّف عبدالله بن عمر، وكلّمه فى البيعة، أتاه فى اليوم الثانى فقال: إنّى لك ناصح! إنّ بيعتك لم يرضَ بها كلّهم، فلو نظرت لدينك ورددت الامر شورى بين المسلمين! فقال علىّ: ويحك! وهل كان عن طلب منى!؟ ألم يبلغك صنيعهم!؟ قم عنّى يا أحمق! ما أنت وهذا الكلام!؟» (شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۴: ۱۰). ويُروى أنّ ابن عمر أظهر فى أواخر عمره ندمه على عدم نصرته لأمير المؤمنين علىّ عليه السلام فى حروبه!! فكان يقول: ما أجدنى آسى على شىء فاتنى من الدنيا إلّا أنّى لم أُقاتل مع علىٍّ الفئة الباغية!! وفى لفظ آخر: ما آسى على شىء إلّا تركى قتال الفئة الباغية مع علىّ رضى الله عنه!! (راجع: الطبقات الكبرى: ۴: ۱۸۷ والاستيعاب: ۳: ۸۳ وأُسد الغابة: ۳: ۳۴۲ والرياض النضرة: ۳: ۲۰۱).

ولو صحّ هذا الندم فلابدّ أنّ حصوله كان لمّا حضرت ابن عمر الوفاة حيث يندم المجرمون ولات ساعة مندم، ذلك لأنّه كان يصلّى أواخر عمره خلف الحجّاج فى مكّة، وخطباء الحجّاج لعنه الله ولعنهم كانوا يسبّون عليّاً عليه السلام ويلعنونه! بل كان ابن عمر يصلّى أيضاً خلف نجدة بن عامر الخارجىّ! (راجع: الطبقات الكبرى: ۴: ۱۴۹ والمحلّى: ۴: ۲۱۳).

وقد أذلّ الله ابن عمر وأذاقه وبال أمره- بإمتناعه عن مبايعة علىّ عليه السلام- إذ لمّا أراد أن يبايع لطاغية زمانه على يد ممثله الحجاج مدَّ إليه هذا المتجبّر رجله بدلًا من يده احتقاراً له، ثمّ سلّطه الله عليه فقتله وصلّى عليه! (راجع: الإستيعاب: ۳: ۸۲ وأُسد الغابة: ۳: ۲۳۰ وانساب الأشراف ۱۰: ۴۴۷ و ۴۵۲).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۹۲

التقوا مع الامام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة وعرضوا عليه نصائحهم ومشوراتهم بموقفه الرافض لأصل القيام والنهضة! وبدعوته الإمام عليه السلام الى الدخول فى ما دخل فيه الناس! وإلى مبايعة يزيد! والصبر عليه كما صبر لمعاوية من قبل!

وكان هذا النهى عن القيام والخروج، والدعوة الى مبايعة يزيد، والدخول فى ما دخل فيه الناس، خطّاً ثابتاً لابن عمر فى لقاءاته الثلاثة «۱» مع الإمام الحسين عليه السلام منذ ابتداء قيامه المبارك.

ولم يسجّل لنا التأريخ فى الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية شيئاً عن موقف ابن عمر من قيام الإمام عليه السلام سوى آرائه ومشوراته التى أبداها فى المحاورة الثلاثية بينه وبين الإمام عليه السلام وبين ابن عباس (رض).

وقد نقلنا هذه المحاورة فى حديثنا عن تحرّك ابن عبّاس (رض) مركّزين

---

(۱) روى التاريخ ثلاثة لقاءات لعبد الله بن عمر مع الإمام عليه السلام منذ رفض الامام عليه السلام البيعة ليزيد، اللقاء الأوّل فى الأبواء بين المدينة ومكّة، بين ابن عمر وابن عبّاس (أو ابن عيّاش) من جهة وبين ابن الزبير والامام عليه السلام من جهة (راجع: تأريخ ابن عساكر/ ترجمة الامام الحسين عليه السلام/ تحقيق المحمودى: ۲۰۰ رقم ۲۵۴)، وقد مرَّ فى الجزء الاول من هذه الدراسة أنّ هذا اللقاء لم يقع لأنّ الامام عليه السلام وابن الزبير لم يجتمعا فى الطريق بين المدينة ومكّة. أمّا اللقاء الثانى فهو فى مكّة، وأمّا الثالث فهو بعد خروجه من مكّة كما فى (تاريخ ابن عساكر/ ترجمة الامام الحسين عليه السلام/ تحقيق المحمودى: ۱۹۲- ۱۹۳ رقم ۲۴۶).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۹۳

على نصوص التحاور بين الامام عليه السلام وبين ابن عباس (رض)، وننقلها هنا مركّزين على نصوص التحاور بين الامام عليه السلام وبين عبدالله بن عمر ..

تقول الرواية التأريخية: «وأقام الحسين عليه السلام بمكّة باقى شهر شعبان ورمضان وشوّال وذى القعدة، وبمكّة يومئذٍ عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر بن الخطّاب، فأقبلا جميعاً حتى دخلا على الحسين عليه السلام وقد عزما على أن ينصرفا الى المدينة ...

فقال له ابن عمر: أبا عبدالله، رحمك الله إتّق الله الذى إليه معادك! فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكم وظلمهم إيّاكم، وقد ولى الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية! ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء فيقتلونك ويهلك فيك بشرٌ كثير، فإنى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله وهو يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله الى يوم القيامة»، وأنا أشير عليك أن تدخل فى صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعلّ الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين!

فقال له الحسين عليه السلام:

أبا عبدالرحمن! أنا أُبايع يزيد وأدخل فى صلحه وقد قال النبىّ صلى الله عليه و آله فيه وفى أبيه ما قال!؟

وهنا يتدخّل ابن عبّاس فى الحوار ليصدّق قول الامام عليه السلام، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: «مالى وليزيد! لابارك الله فى يزيد! وإنه ليقتل ولدى وولد ابنتى الحسين عليه السلام، والذى نفسى بيده لايُقتل ولدى بين ظهرانى قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم»، ثم يبكى ابن عبّاس، ويبكى معه الإمام عليه السلام ويسأله أليس يعلم أنّه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله؟ فيشهد ابن عبّاس بذلك ويؤكّد

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۹۴

أنّ نصرة الامام عليه السلام فرض على هذه الأمّة كالصلاة والزكاة!

ثمّ يسأله الامام عليه السلام عن رأيه فى الأمويين الذين أخرجوه عن حرم جدّه صلى الله عليه و آله وأرادوا سفك دمه بلا جُرم كان قد اجترحه، فيجيبه ابن عبّاس بأنّ هؤلاء قوم كفروا بالله ورسوله، وعلى مثلهم تنزل البطشة الكبرى، ثمّ يشهد ابن عبّاس أنّ من طمع فى

محاربـة الامـام عليه السـلام والرسول صـلى الله عليه و آله فماله من خلاق! وهنا يقول الامام عليه السـلام «أللّهمّ اشـهد!»، فيُـدرك ابن عباس (رض) أنّ الامام عليه السـلام قصده وابن عمر بطلب النصرة! فيبادر ابن عباس ويظهر استعداده لنصرة الامام عليه السلام والجهاد بين يديه، ويقول انه لا يوفّى بذلك عشر العشر من حقّه عليه السلام!

وهنا يُحرج ابن عمر لأنّه مقصود أيضاً بالخطاب! فيتـدخل ليحرف مسـير الحوار عن الإتجاه الـذى أراده الامام عليه السـلام فيقول لابن عباس: مهلًا، ذرنا من هذا يا ابن عبّاس!

ثمّ أقبـل ابن عمر على الحسـين عليه السـلام فقال: أبا عبـدالله، مهلًا عمّا قـد عزمت عليه، وارجع من هنا الى المدينـة، وادخل فى صـلح القوم! ولاـتغب عن وطنـك وحرم جـدّك رسول الله صـلى الله عليه و آله، ولاـ تجعـل لهؤلاـء الـذين لاخلاـق لهم على نفسـك حجّة وسبيلا، وإن أحببت أن لاتبايع فأنت متروك حتى ترى برأيك، فإنّ يزيـد بن معاويـة عسـى أن لايعيش إلّا قليلًا فيكفيك اللّه أمره! مع الركب الحسينى ج۲ ۲۹۴ عبدالله بن عمر.. والمشورة المريبة! ..... ص : ۲۸۹

ال الحسين عليه السلام:

أُفٍّ لهـذا الكلام أبـداً مادامت السـموات والأرض!، أسألك بالله يا عبدالله! أنا عندك على خطأ من أمرى هذا؟ فإن كنتُ عندك على خطأ فردّنى فإنى أخضع وأسمع وأطيع!

فقال ابن عمر: أللّهمّ لا، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ،

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۹۵

وليس مثلك من طهارته وصـفوته من الرسول صـلى الله عليه و آله على مثل يزيـد بن معاوية باسم الخلافة، ولكن أخشـى أن يضـرب وجهك هـذا الحسن الجميل بالسـيوف، وترى من هـذه الأمّة ما لا تحب، فارجع معنا الى المدينة، وإن لم تحب أن تبايع فلا تبايع أبداً واقعد فى منزل!

فقال الحسين عليه السلام:

هيهات يا ابن عمر! إنّ القوم لايتركونى، إن أصابونى وإن لم يُصـيبونى، فلا يزالون حتى أُبايع وأنا كاره، أو يقتلونى! أما تعلم يا عبدالله أنّ من هوان هذه الدنيا على الله تعالى أنه أُتى برأس يحيى بن زكريا عليه السـلام الى بغيّة من بغايا بنى إسـرائيل والرأس ينطق بالحجّة عليهم؟ أما تعلم أبا عبدالرحمن أنّ بنى إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس سبعين نبيّاً ثمّ يجلسون فى أسواقهم يبيعون ويشترون كلهم كأنّهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجّل الله عليهم، ثمّ أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر! إتّقِ الله أبا عبدالرحمن ولا تـدعنّ نصـرتى! واذكرنى فى صـلاتك! يا ابن عمر، فإن كان الخروج معى ممّا يصـعب عليك ويثقل فأنت فى أوسع العـذر، ولكن لا تتركنّ لى الدُعاء فى دبر كلّ صلاة، واجلس عن القوم، ولاتعجل بالبيعة لهم حتى تعلم الى ماتؤول الأمور!

ثمّ أقبـل الامـام عليه السـلام على ابن عبّـاس (رض) فأثنى عليه، ورخّصه بالمضـىّ الى المدينـة وأوصاه بمواصـلته بأخباره، وأظهر عليه السـلام أنه مسـتوطن الحرم مـا رأى أهله يحبّونه وينصـرونه، وأنه يسـتعصم بالكلمـة التى قالهـا إبراهيم عليه السـلام يوم أُلقى فى النـار (حسبى الله ونعم الوكيل) فكانت النار عليه برداً وسلاماً.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۹۶

فبكى ابن عبّاس (رض) وابن عمر بكاءً شديداً، وشاركهما الامام عليه السلام بكاءهما ساعة ثمّ ودّعهما وصارا الى المدينة. «۱»

تأمّل وملاحظات:

۱)- سبق ان قلنا «۲» أنّ ابن أعثم الكوفى كان قد تفرّد بروايـة نصّ هذه المحاورة المفصّـلة فى كتابه الفتوح، ونقلها عنه الخوارزمى فى كتابه مقتل الحسين عليه السلام، والملفت للإنتباه أنّ هذا النص قد احتوى على عبارات متعارضة، وأخرى لاتنسجم مع نظرة أهل البيت

عليهم السلام الى بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله سواء فى حياته صلى الله عليه و آله أو بعد رحلته، ومثال على المتعارضات قوله عليه السلام لابن عمر «إتّق اللّه أبا عبدالرحمن ولاتدعنّ نصرتى» وقوله بعد ذلك «فإن كان الخروج معى ممّا يصعب عليك ويثقل فأنت فى أوسع العُذر!». ومثال على الاخرى قوله: «فوالذى بعث جدّى محمداً صلى الله عليه و آله بشيراً ونذيراً لو أنّ أباك!»، وقوله «واذكرنى فى صلاتك!» وقوله «ولكن لا تتركنّ لى الدعاء فى دبر كُلّ صلاة!».

والظنّ قويٌّ أنّ العبارة التى ترخّص لابن عمر فى عدم نصرة الامام عليه السلام وتجعله فى أوسع العذر! والعبارة التى تثنى على بعض الصحابة بمالم يفعله (والوثائق التأريخية تؤكد خلاف ذلك!)، والعبارة التى تدّعى عناية الامام عليه السلام بصلاة ابن عمر أو بدعائه- على فرض صحة رواية هذه المحاورة أصلًا- قد

---

(۱) راجع: الفتوح: ۵: ۲۶- ۲۷ ومقتل الحسين عليه السلام/ للخوارزمى: ۱: ۲۷۸- ۲۸۱، وقد روى بعضها السيد ابن طاووس (ره) فى اللهوف: ۱۰۲.

(۲) راجع حاشية آخر هذه الرواية فى عنوان (تحرّك عبدالله بن عباس) فى أوائل هذاالفصل، ص ۲۳۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۹۷

أُدخلت على أصل النصّ وأُقحمت عليه إقحاماً من قبل بعض الرواة أو النسّاخ من أجل تحسين صورة البعض على لسان الامام عليه السلام!!

۲)- اعترف ابن عمر بأنّ نصرة الامام الحسين عليه السلام والإنضمام إليه واجب شرعىّ حين قال إنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «حسينٌ مقتول! ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله يوم القيامة!».

ويتأكد لابن عمر هذا الواجب الشرعىّ المقدّس حين يسمع من ابن عباس أيضاً أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«مالى وليزيد!؟ لاباركَ الله فى يزيد! وإنه ليقتل ولدى وولد ابنتى الحسين عليه السلام! والذى نفسى بيده لايُقتل ولدى بين ظهرانىّ قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم!».

ويُلقى الامام عليه السلام الحجّة صريحة بالغة تامة على ابن عمر حيث يقول له:

«إتّقِ الله أبا عبدالرحمن ولا تدعنّ نصرتى!».

ومع كلّ هذا نرى عبدالله بن عمر يقعد ويتخلّف عن نصرة الامام الحسين عليه السلام عامداً بلا عُذر! ولايكتفى بذلك بل يلحُّ بإصرار على الامام عليه السلام ليترك القيام، ويرجع الى المدينة، ويدخل فى صلح القوم!، ويصبر على يزيد!

۳)- ونلاحظ ابن عمر أيضاً يحاول- وكأنّه ناطق رسمىّ أموىّ!- أن يوهم الامام عليه السلام بأنّ المتاركة بينه وبين يزيد أمرٌ ممكن، وأنّه لابأس على الامام عليه السلام إنْ ترك القيام حتى وإن لم يبايع! فيقول له: «وإن أحببت أن لا تبايع فأنت متروك حتّى ترى برأيك!»، ويقول: «وإن لم تحب أن تبايع فلا تبايع أبداً واقعد فى منزل!».

تُرى هل كان ابن عمر مؤمناً حقّاً بإمكان هذه المتاركة!؟

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۹۸

كيف يكون مؤمناً بها وقد روى هو نفسه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«حسين مقتول! ...» ويسمع ابن عباس أيضاً يروى عنه صلى الله عليه و آله بأنّ يزيد قاتل الحسين عليه السلام!؟

وإذا لم يكن مؤمناً بإمكان هذه المتاركة! فلماذا كان يصرّ على دعوى إمكانها وكأنّه ينطق عن لسان الحكم الأموىّ!؟

هل كان ابن عمر يريد- بلسان المشورة والنصيحة- أن يوقع الامام عليه السلام فى شِباك صيد يزيد بعد نزع فتيل الثورة قبل اندلاعها!؟

وهل يستبعد المتأمّل ان يصدر هذا من ابن عمر!؟

لعلّ التأمّل فى أبعاد الملاحظة التالية يكشف لنا عن الجواب!

۴)- أكّد ابن عمر فى هذه المحاورة اعترافه بعداوة الأمويين لأهل البيت عليهم السلام وبظلمهم إيّاهم! وبأنّ الأمويين وعلى رأسهم يزيد هم «القوم الظالمون»! وأنهم «لاخلاق لهم» عند الله! وأكّد على خوفه من أن يميل الناس إليهم طمعاً فى ما عندهم من الذهب والفضة «الصفراء والبيضاء»!

لكننا نجد أنّ ابن عمر هذا كان ممن تسلّم هذه الصفراء والبيضاء من معاوية رشوة أيّام تمهيده ليزيد بولاية العهد من بعده! حيث أرسل إليه معاوية مائة ألف درهم فقبلها! «۱»

ونجد ابن عمر قد بادر الى بيعة يزيد! مع أنّ الإمام عليه السلام كان قد طلب إليه فى

---

(۱) يقول ابن كثير: «وبعث اليه معاوية بمائة ألف لمّا أراد أن يبايع ليزيد ..» (البداية والنهاية: ۸: ۸۳)، ويقول ابن الأثير: «عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فأرسل الى عبدالله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها ..» (الكامل فى التأريخ: ۲: ۵۰۹).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۲۹۹

هذه المحاورة- على الأقلّ!- ألّا يعجل بالبيعة ليزيد حتّى يعلم ما تؤول إليه الأمور! هذا مع اعتراف ابن عمر بأنّ يزيد رجل ظالم ولاخلاق له عند الله! ثمّ نجد ابن عمر وقد انتفضت الأمّة فى المدينة على يزيد وخلعته لفسقه وفجوره يصرُّ على التمسّك ببيعة يزيد مدّعياً أنها كانت بيعة للّه ولرسوله!! وينهى أهله عن التنكّر لهذه البيعة معلناً براءته ممّن تنكّر لها منهم!

يقول التأريخ: لمّا خلع أهل المدينة بيعة يزيد «جمع ابن عمر بنيه وأهله ثمَّ تشهد، ثمّ قال: أمّا بعدُ، فإنّا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله! وإنّى سمعت رسول الله يقول: إنّ الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة، يقال هذا غدر فلان، فإنّ من أعظم الغدر- إلّا أن يكون الشرك بالله- أن يبايع رجل رجلًا على بيعة الله ورسوله ثمّ ينكث بيعته! فلا يخلعنّ أحدٌ منكم يزيد! ولايسرفنّ أحد منكم فى هذا الأمر فيكون الفيصل بينى وبينه- رواه مسلم، وقال الترمذى: صحيح.» «۱»

فهل يُعقل أن تكون البيعة لرجل ظالم فاسق لاخلاق له عند الله تعالى بيعة لله ولرسوله!؟

أو ليسَ مما أجمعت الأمّة عليه أنّ العدالة من شروط الإمامة!؟ «۲»

ومن هو الغادر الذى يُنصب له لواء يوم القيامة! الذى بايع الفاسق مع علمه بفسقه منذ البدء- كما فعل ابن عمر!- أم أهل المدينة الذين انتفضوا على يزيد بعد أن تيقّنوا من فسقه وخلعوا بيعته!؟

ثمّ لماذا لايرى ابن عمر كُلًّا من طلحة والزبير ومن معهما غادرين تُنصب لهم ألوية غدر يوم القيامة! حيث نكثوا بيعتهم لرمز العدالة أمير المؤمنين علىّ عليه السلام!؟ أم

---

(۱) سنن الترمذى: ۴: ۱۴۴.

(۲) راجع: الجامع لاحكام القرآن: ۱: ۱۸۷/ الشرط الحادى عشر من شروط الإمامة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۰۰

يتوقّف ابن عمر فى هذا الأمر فيبتدع مغالطة أخرى من مغالطاته الكبيرة الكثيرة!؟

لقد كان عبدالله بن عمر لساناً من الألسنة التى خدمت الحكم الأموىّ، بل كان بوقاً أمويّاً حرص على عزف النغمة النشاز فى أنشودة المعارضة! وسعى إلى تحطيم المعارضة من داخلها، ولا يُعبأ بما صوّره به بعض المؤرخين من أنه كان رمزاً من رموزها، لأنّ المتأمّل المتدبّر لا يجد لابن عمر هذا أىّ حضورٍ فى أىّ موقف معارضٍ جادّ! بل يراه غائباً تماماً عن كلّ ساحة صدق فى المعارضة!

وإذا تأمّل المحقق مليّاً وجد عبدالله بن عمر ينتمى انتماءً تاماً- عن إصرار وعناد- الى حركة النفاق التى قادها حزب السلطة، منذ البدء ثمّ لم يزل يخدم فيها حتى فى الأيّام التى آلت قيادتها فيها الى الحزب الأموى بقيادة معاوية ثمّ يزيد! هذه هى حقيقة ابن عمر وإن تكلّف علاقات حسنة فى الظاهر مع وجوه المعارضة عامّة ومع الإمام الحسين عليه السلام خاصة.

وحقيقة ابن عمر هذه يكشف عنها معاوية لابنه يزيد فى وصيته إليه بلا رتوش نفاقية حيث يقول له: «.. فأمّا ابن عمر فهو معك! فالزمه ولاتدعه!» «۱».

الأوزاعى .. والنهى عن المسير إلى العراق!

روى ابن رستم الطبرى فى كتابه (دلائل الإمامة) قائلًا:

«حدّثنا يزيد بن مسروق قال: حدّثنا عبدالله بن مكحول، عن الأوزاعى قال:

بلغنى خروج الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام الى العراق، فقصدتُ مكّة فصادفته بها، فلمّا رآنى رحّب بى وقال: مرحباً بك يا أوزاعى، جئت تنهانى عن المسير،

---

(۱) أمالى الصدوق: ۲۱۵/ المجلس الثلاثون، حديث رقم ۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۰۱

وأبى اللّه عزّ وجلّ إلّا ذلك، إنّ من هاهنا الى يوم الاثنين منيّتى (مبعثى)!.

فسهدتُ فى عدّ الأيّام، فكان كما قال!» «۱».

تُرى من هو هذا الأوزاعىّ الذى أهمّه أمر الإمام الحسين عليه السلام حتى قصد مكّة لينهاه عن المسير الى العراق؟ وما هو دافعه فى ذلك؟ وما معنى قول الإمام عليه السلام:

«إنّ من هاهنا الى يوم الإثنين منيّتى (مبعثى)!»؟

أمّا من هو هذا الأوزاعى؟ فانّ هناك جماعة من الرجال عُرفوا بهذا اللقب «۲» لكنّ الاحتمال الأقوى هو أنّ المراد بهذا الأوزاعىّ: أبوأيّوب، مغيث بن سمّى

---

(۱) دلائل الإمامة: ۱۸۴: رقم ۱۰۲/ ۳.

(۲) فمن هؤلاء: عبدالرحمن بن عمرو بن يُحمَد: أبو عمرو الشامى، وهذا الأوزاعى وُلِد عام ۸۸ ه ق يعنى بعد سبع وعشرين سنة من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وتوفى عام ۱۵۷ ه، وقد سكن الأوزاع بدمشق، والمعروف عنه أنه قال: «ما أخذنا العطاء حتى شهدنا على علىّ عليه السلام بالنفاق وتبرّأنا منه، وأُخذ علينا بذلك الطلاق والعتاق» (راجع: سير أعلام النبلاء: ۷: ۱۰۹)، وعليه فهذا الاوزاعىّ لم يُدرك الإمام الحسين عليه السلام.

وقد ظنّ المامقانى أنّ لقب الأوزاعى منحصر فى عبدالرحمن هذا، حيث قال: «إنّ هذا اللقب منحصر فى عبدالرحمن المعروف بالأوزاعى ولم نَر غيره قطّ» (تنقيح المقال: ۳: ۴۶)، والأمر ليس كذلك، إذ منهم أيضاً: مغيث بن سُمّى الأوزاعى، أبو أيّوب (راجع: الأنساب للسمعانى: ۱: ۲۲۷)، وقد أوردنا ذكره فى المتن لأننا نرجّح أنه هو المراد بالأوزاعى فى هذه الرواية. ومنهم أيضاً: نهيك بن يريم الأوزاعى، وهو من الطبقة الرابعة، ويروى عن الأوزاعى المعروف- عبدالرحمن بن عمرو- (راجع: تهذيب الكمال: ۱۸: ۲۹۴)، وعليه فلا يمكن ان يكون هذا معاصراً للإمام الحسين عليه السلام.

ومنهم أيضاً: أبوبكر عمرو بن سعيد الأوزاعى، ولم نعثر له على ترجمة.

وقال السمعانى فى (الأنساب: ۱: ۲۲۷): «هذه النسبة الى الأوزاع وهى قرى متفرقة فيما أظنّ بالشام فجمعت وقيل لها الأوزاع، وقيل إنها قرية على باب دمشق يقال لها الأوزاع وهو الصحيح.». (وانظر: معجم البلدان: ۱: ۲۸۰).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۰۲

الأوزاعى: الذى يُقال إنه أدرك زهاء ألفٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، «۱» وقد روى عن ابن الزبير وابن عمر، وابن مسعود، وكعب الأحبار، وأبى هريرة، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشام، وقد وثّقه ابن حبّان، وأبوداود، ويعقوب بن سفيان. «۲» ولكن لم يرد له ذكر فى كتبنا الرجالية على ما حقّقنا.

أمّا ما هو دافعه فى التحرّك حتى قصد مكّة لينهى الامام عليه السلام عن المسير الى العراق، فذلك ممّا لا نستطيع أن نحدّده من متن الرواية- ومن عدم معرفتنا بتأريخ هذا الرجل وسيرته- إلّا أنّ ترحيب الامام عليه السلام به قد يكشف عن أنّ هذا الأوزاعى كان مشفقاً على الإمام عليه السلام من القتل فى مسيره الى العراق، وإن كان ظاهر النصّ صريحاً فى أنه كان ناهياً لا ناصحاً!

وأما ما هو المراد من قوله عليه السلام: «إنّ من هاهنا الى يوم الإثنين متيّتى (مبعثى)!»، فلا يخفى على المتأمّل أنّ فيه غموضاً وتشابهاً! فهل أراد الإمام عليه السلام أن يقول للأوزاعى إنّ لك أن تعدَّ مِن هذه الساعة الى يوم الاثنين الذى أُقتلُ فيه!؟ ولذا يقول الأوزاعى: فسهدتُ (اى سهرتُ) فى عدّ الأيام فكان كما قال! وعلى هذا يكون الإمام عليه السلام قد قُتل فى يوم الإثنين! وهذا مالا يتّفق مع المأثور أنّ يوم عاشوراء كان يوم الجمعة أو يوم السبت. «۳»

---

(۱)

الأنساب/ للسمعانى: ۱: ۲۲۷.

(۲) تهذيب الكمال: ۱۸: ۲۹۴.

(۳) ومن هذا المأثور:- على سبيل المثال لا الحصر- ۱- قول الإمام الحسين عليه السلام لمؤمنى الجنّ: «ولكن تحضرون يوم السبت وهو يوم عاشورا- فى غير هذه الرواية يوم الجمعة- الذى فى آخره أُقتلُ ...» (اللهوف: ۲۹/ المطبعة الحيدرية- النجف).

۲- قول ابى جعفر عليه السلام: «يخرج القائم عليه السلام يوم السبت يوم عاشوراء الذى قُتل فيه الحسين عليه السلام.». (كمال الدين: ۲: ۶۵۳ باب ۵۷ حديث ۱۹).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۰۳

أم أنّ الإمام عليه السلام اراد أن يقول للأوزاعى: إنّنى باقٍ فى مكّة الى يوم الإثنين، وبعده (أى يوم الثلاثاء) يكون مبعثى الى العراق، أى سفرى إليه!؟

ونرى أنّ هذا هو الأقوى احتمالًا، لأنّ الإمام عليه السلام قد خرج من مكّة بالفعل يوم الثلاثاء بدليل قول الإمام عليه السلام نفسه فى رسالته الأخيرة التى بعثها الى أهل الكوفة مع قيس بن مسهّر الصيداوى (رض) حيث يقول فيها: «.. وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجّة يوم التروية ..». «۱»

وعلى أساس هذا التقويم يكون يوم عاشوراء الجمعة إذا كان ذو الحجة تسعة وعشرين يوماً، أو السبت إذا كان ثلاثين يوماً، وهذا ما يتّفق مع المأثور بصدد يوم عاشوراء.

لقاء جابر بن عبدالله الأنصارى (رض) مع الإمام عليه السلام

روى ابن كثير خبراً مرسلًا أنّ جابر بن عبدالله الأنصارى (رض) «۳» كان قد

---

(۱) لم يذكره الرجاليون، والقول بأنّه كان والى مكّة آنذاك قول نادر وضعيف، إذ إنّ المشهور الأقوىأنّ والى مكّة آنذاك هو عمرو بن سعيد الأشدق.

(۲) تأريخ الطبرى: ۳: ۲۹۴ ومروج الذهب: ۳: ۷۰.

(۳) جابر بن عبدالله الأنصارى (رض): من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين والحسنوالحسين والسجّاد عليهم السلام. وقد شهد بدراً وثمانى عشرة غزوة من غزوات النبىّ صلى الله عليه و آله، وهو من شرطة الخميس، وكان مع علىّ عليه السلام فى الجمل وصفين، وهو من النقباء الإثنى عشر، انتخبهم رسول الله صلى الله عليه و آله بأمر جبرئيل عليه السلام، وعدّه الامام الصادق عليه السلام من الذين لم يغيّروا ولم يبدّلوا بعد نبيّهم وتجب ولايتهم، ومن الذين وفوا لرسول الله صلى الله عليه و آله فيما أخذ عليهم من مودّة ذى القربى. وهو الذى ألقى نفسه على أيدى الحسنين عليهما السلام وأرجلهما يقبّلها، ويبيّن فضائلهما. وهو الراوى عن النبىّ صلى الله عليه و آله أسماء الأئمة الاثنى عشر صلوات الله عليهم وفضائلهم ومناقبهم، وأنّ من أطاعهم فقد أطاع رسول الله صلى الله عليه و آله، ومن عصاهم فقد عصى رسول الله صلى الله عليه و آله، وأنّ بهم يُمسك الله السماء ان تقع على الارض، وهو الذى ضمن الامام الباقر عليه السلام له الشفاعة يوم القيامة (راجع: مستدركات علم الرجال: ۲: ۱۰۱). وهو أوّل زائر لقبر الحسين عليه السلام، وصاحب الزيارة المعروفة التى من نصها: «اشهد أنك ابن النبيين وابن سيّد الوصيين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكسا، وابن سيّد النقباء، وابن فاطمة سيّدة النساء، ومالك لاتكون هكذا وقد غذتك كفّ سيّد المرسلين، ورُبيت فى حجر المتّقين، ورضعت من ثدى الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حيّاً، وطبت ميّتاً، غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيّبة لفراقك، ولا شاكّة فى حياتك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا ...» (راجع: بشارة المصطفى: ۷۴) وقد أثنى عليه علماؤنا، ووثّقوه فى أعلى مراتب الوثاقة، فعلى سبيل المثال:

۱)- قال المجلسى (ره): «ثقة، وجلالته أجلُّ من أن يحتاج الى بيان» (رجال المجلسى: ۱۷۳).

۲)- وقال المامقانى (ره): «فالرجل من أجلّاء الثقات بلامرية ... وقال الوحيد: لايخفى أنه من الجلالة بمكان لايحتاج الى التوثيق» (تنقيح المقال: ۱: ۱۹۹).

۳)- وقال الخوئى (ره): «إنّه من الأربعة الذين انتهى إليهم علم الأئمة!» (معجم رجال الحديث: ۴: ۱۵).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۰۷

التقى الإمام عليه السلام وكلّمه ليردّه عن القيام والخروج على يزيد: «قال جابر بن عبدالله: كلّمتُ حسيناً، فقلت: إتّق الله، ولاتضرب الناس بعضهم ببعض، فوالله ماحمدتم ما صنعتم. فعصانى!».

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۰۸

ولايخفى على ذى أدنى معرفة بجابر بن عبدالله الانصارى (رض) أنّ أصل اللقاء هذا إذا كان محتملًا، فلا سبيل إلى احتمال محتواه! لأنه بعيد كلّ البعد أن تصدر مثل هذه الجسارة على الامام عليه السلام ومثل سوء الأدب هذا عن هذا الصحابى الجليل القدر العارف بحق أهل البيت عليهم السلام!

والظنّ قوىّ جداً فى أن يكون محتوى هذا الخبر من مفتعلات مرتزقة الإعلام الأموى من أجل الإساءة الى النهضة الحسينية وتخطئتها!

وممّا يؤيد كون هذا الخبر من الموضوعات أنّ ابن كثير أورده مرسلًا دون أن يذكر له طريقاً.

نعم، روى عماد الدين أبو جعفر محمد بن علىّ الطوسى «۱» المعروف بابن حمزة فى كتابه «الثاقب فى المناقب» لقاءً لجابر الأنصارى (رض) مع الامام عليه السلام يفوح منه عطر حسن الأدب فى مخاطبة الامام عليه السلام، والمعرفة بحقّ أهل البيت عليهم السلام، والصدق فى موالاتهم ومحبّتهم والتشيّع لهم:

«عن جابر بن عبدالله (رض) قال: لمّا عزم الحسين بن علىّ عليهما السلام على الخروج الى العراق، أتيته فقلت له: أنت ولد رسول الله

صلى الله عليه و آله، وأحد سبطيه، لا أرى إلّا أنّك تصالح كما صالح أخوك الحسن عليه السلام، فإنه كان موفّقاً راشداً.

فقال لى عليه السلام:

يا جابر، قد فعل أخى ذلك بأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه و آله، وإنّى أيضاً أفعل

---

(۱) هو الشيخ الفقيه العالم الواعظ: أبوجعفر محمد بن علىّ بن حمزة الطوسى المشهدى، من أعلام‌القرن السادس، له تصانيف منها: الوسيلة، الواسطة، الرايع فى الشرايع، المعجزات وأسمه الآخر الثاقب فى المناقب، مسائل فى الفقه. (أنظر: معجم المؤلّفين: ۱۱: ۴ وأمل الآمل: ۲: ۲۸۵ وتنقيح المقال: ۳: ۱۵۵ ومعجم رجال الحديث: ۱۶: ۳۲۶).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۰۹

بأمر الله تعالى ورسوله، أتريد أن أستشهد لك رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعليّاً وأخى الحسن عليهما السلام بذلك الآن!

ثمّ نظرتُ، فاذا السماء قد انفتح بابها، واذا رسول الله صلى الله عليه و آله وعلىّ والحسن عليهما السلام وحمزة وجعفر وزيد، «۱» نازلين عنها حتّى استقرّوا على الأرض، فوثبت فزعاً

---

(۱) الواضح من المتن أنّ زيداً هذا من سادات الشهداء أولى المنزلة الرفيعة جدّاً، بقرينة أنه فى‌الرواية كان مع رسول الله صلى الله عليه و آله وعلىّ والحسن وحمزة وجعفر عليهم السلام! ولانعلم شهيداً ذا منزلة رفيعة جدّاً بإسم «زيد» حتى ذلك الحين سوى إثنين، هما:

الأول: زيد بن حارثة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه و آله: «أنت أخونا ومولانا»، وكان رسول الله صلى الله عليه و آله قد اشتراه بمال خديجة، فلمّا أظهر رسول الله صلى الله عليه و آله الدعوة أسلم زيدٌ، فاستوهبه الرسول صلى الله عليه و آله من خديجة ليعتقه فوهبته له وأعتقه، وبعد أن رفض زيدٌ الإلتحاق بأبيه، تبرّأ أبوه منه، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا معاشر قريش، زيدٌ ابنى وأنا أبوه، فاشتهر فى أوساط قريش بزيد بن محمّد، على عادة قريش فى تسمية الأدعياء الى نزول الآية التى أمرت بأن يُدعى الأدعياء الى آبائهم. وهو الذى خرج مع النبىّ صلى الله عليه و آله إلى الطائف، وقد استخلفه الرسول على المدينة فى بعض غزواته، وقال صلى الله عليه و آله فى حقّه: خير أمراء السرايا زيد بن حارثة. وقد رأى النبىّ ليلة المعراج جارية تنغمس فى أنهار الجنّة، فقال لها: لمن أنتِ يا جارية؟ فقالت: لزيد بن حارثة. فبشّره صلى الله عليه و آله بها فى الصباح، وهو الذى أمّره النبىّ صلى الله عليه و آله على جيش المسلمين فى غزوة مؤته، وقد استشهد فيها، فخرج من فمه نورٌ ساطع أضوأ من الشمس الطالعة حتى صار الليل المظلم كالنهار! (راجع: البحار: ۲۰: ۳۷۲ و ۱۱۵/ ۱۹: ۲۲ و ۱۷۴)، وإبنه أسامة بن زيد الذى أمّره رسول الله صلى الله عليه و آله على الجيش الاسلامى الذى بعثه الى الشام، فتكلّم المنافقون فى إمارته وقالوا: أمّر غلاماً جلّة المهاجرين والأنصار. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: إن تطعنوا فى إمارته فقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبل، وإنه لخليق للإمارة وكان أبوه خليقاً لها (راجع: الكامل فى التأريخ: ۲: ۲۱۵)، والمشهور الثابت أن أبابكر وعمر ممّن تخلّفوا عن جيش أسامة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «جهّزوا جيش أُسامة، لعن الله المتخلّف عن جيش اسامة!» (نهج الحق وكشف الصدق: ۲۶۳).

والثانى: هو زيد بن صوحان العبدى، أخو صعصعة، كان من الأبدال، وقُتل يوم الجمل، وقيل إنّ عائشة قد استرجعت يوم قُتل! وعن الإمام الصادق عليه السلام: لمّا صُرع زيدٌ يوم الجمل جاءه أمير المؤمنين حتى جلس عند راسه فقال: رحمك الله يا زيد! قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة!. وذكر النبىّ زيد بن صوحان فقال: زيد ومازيد! يسبق منه عضو إلى الجنّة (راجع: سفينة البحار: ۳: ۵۶۵)، وعن النبىّ الكريم صلى الله عليه و آله أنه قال: من سرّه أن ينظر الى رجل يسبقه بعض أعضائه الى الجنّة فلينظر الى زيد بن صوحان (تاريخ بغداد: ۸: ۴۴۰)، وكان قد قُطعت يده يوم نهاوند فى سبيل الله (البحار: ۱۸: ۱۱۲).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۱۰

مذعوراً!

فقال لی رسول الله صلی الله علیه و آله:

یـا جـابر، ألم اقل لک فی أمر الحسن قبل الحسـین، لاتکون مؤمناً حتّی تکون لأئمتک مسـلّماً ولاتکون معترضاً، أتریـد أن تری مقعد معاویة، ومقعد الحسین ابنی، ومقعد یزید قاتله لعنه اللّه؟

قلت: بلی یا رسول الله!

فضـرب برجله الأرض فانشـقّت، وظهر بحر فانفلق، ثم ضرب فانشقّت هکذا حتی انشقّت سبع أرضین، وانفلقت سبعة أبحر، فرأیتُ من تحت ذلک کلّه النار فیها سلسـلة قُرن فیها الولید بن المغیرة وأبوجهل ومعاویة الطاغیة ویزید، وقُرن بهم مردة الشـیاطین، فهم أشدّ أهل النار عذاباً.

ثم قال صلی الله علیه و آله: إرفع رأسک!

فرفعتُ فإذا أبواب السـماء مفتّحة، وإذا الجنّة أعلاها! ثم صـعد رسول الله صلی الله علیه و آله ومن معه الی السماء، فلمّا صار فی الهواء صاح بالحسین: یا بُنیّ إلحقنی. فلحقه الحسین وصعدوا حتی رأیتهم دخلوا الجنّة من أعلاها!

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۳۱۱

ثم نظر إلیَّ من هناک رسول الله صـلی الله علیه و آله، وقبض علی ید الحسـین علیه السلام وقال: یا جابر، هذا ولدی معی ها هنا، فسلّم له أمره ولاتشکّ لتکون مؤمناً.

قال جابر: فعمیت عیناى إن لم أکن رأیتُ ما قُلت من رسول الله صلی الله علیه و آله.». «۱»

لولا تقارب الأشیاء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء!

اشارة

روی ابن رسـتم الطبری (ره) قائلًا: «حـدّثنا أبو محمّـد سـفیان بن وکیع، عن أبیه وکیع، عن الأعمش، قال: قال لی أبو محمّـد الواقـدی وزرارة بن جلح:

لقینا الحسین بن علیّ علیهما السلام قبل أن یخرج الی العراق بثلاث لیالٍ، فأخبرناه بضعف الناس فی الکوفة، وأنَّ قلوبهم معه وسیوفهم علیه! فأومأ بیده نحو السماء ففتحت أبواب السماء، ونزل من الملائکة عدد لایحصیهم إلّا الله، وقال:

«لولاـ تقارب الأشـیاء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء، ولکن أعلمُ علماً أنّ من هناک مصـعدی، وهناک مصارع أصـحابی، لاینجو منهم إلّا ولدی علیٌّ!.». «۲»

تأمّلٌ وملاحظات:

۱)- من هو هذا الواقدی فی سند هذه الروایة؟ ومن هو زرارة هذا؟

أمّا الواقدی، فإن کان هو محمّد بن عمر بن واقد، أبو عبدالله الأسلمی المدنی

---

(۱) الثاقب فی المناقب: ۳۲۳ حدیث ۲۶۶ ومدینة المعاجز: ۳: ۴۸۸ ونفس المهموم: ۷۷.

(۲) دلائل الإمامة: ۱۸۲ حدیث رقم ۹۸/ ۳، وعنه السید ابن طاووس (ره) فی اللهوف: ۱۲۵، وفیه «وزرارة بن خلج»، وفیه ایضاً: «قبل أن یخرج الی العراق فأخبرنـاه .. ولکن أعلم یقینـاً أنّ هنـاک مصـرعی ومصـرع أصـحابی ..»، وبحـار الانوار: ۴۴: ۳۶۴ عن اللهـوف، وفیه

«زرارة بن صالح».

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۱۲

الواقدى، فولادته سنة عشرين بعد المائة، فهو لم يدرك عصر الحسين عليه السلام! «۱»

وإن كان هو واقد بن عبدالله التميمى الحنظلى، فقد توفى أيام عمر بن الخطاب، «۲» فهو لم يدرك أيضاً أيّام النهضة الحسينية عام ستين للهجرة!

وأمّا زرارة، فهو مهمل سواء كان ابن خلج او حلح (كما فى دلائل الإمامة) أو صالح!

وعن النمازى فى مستدركات علم الرجال: أنّ ابن خلج من أصحاب الحسين عليه السلام ورأى معجزته وإخباره إيّاه بشهادته وشهادة أصحابه، وأمّا ابن صالح فقد تشرّف بلقاء الحسين عليه السلام قبل خروجه الى العراق بثلاثة أيام! «۳»

لكنّ النمازى (ره) لم يأتِ بأكثر مما فى رواية الطبرى، ولم يخرج زرارة هذا عن الجهالة والإهمال!

وربما كان فى السند حذف وإرسال، وكان اللذان التقيا بالإمام عليه السلام هما غير الواقدى وزرارة، وقد حُذف إسماهما، والله العالم.

۲)- فى متن هذه الرواية صورة من صور الإرادة والقدرة التكوينية التى يتمتع بها الإمام المعصوم عليه السلام، وهذا من صلب اعتقاداتنا، فالإمام عليه السلام إذا أشار الى جبل لزال من مكانه، كما فى الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام، «۴» وأنّ الكون-

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۹: ۴۵۴.

(۲) مستدركات علم الرجال ۸: ۹۸.

(۳) مستدركات علم الرجال ۳: ۴۲۵ وراجع: تهذيب الكمال ۶: ۲۹۷ و ۱۹: ۳۶۳.

(۴) عن الحسن بن عطية، قال: كان ابو عبدالله عليه السلام واقفاً على الصفا، فقال له عبّاد البصرى: حديث يروى عنك؟ قال: وما هو؟ قال: قلتَ حرمة المؤمن اعظم من حرمة هذه البنية قال: قد قلت ذلك، إنَّ المؤمن من لو قال لهذه الجبال: أقبلى، أقبلت. قال: فنظرت الى الجبال قد اقبلت! فقال لها: على رسلك إنّى لم أردك. (الاختصاص: ۳۲۵).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۱۳

أعمّ من العالم العلوىّ والسفلى- تحت تصرف الإمام عليه السلام تفضّلًا من الله تبارك وتعالى، والأئمّة عليهم السلام مختلف الملائكة، تتنزّل عليهم وتطوف بهم، وأمّا فى نهضة الإمام أبى عبدالله الحسين عليه السلام فقد نزلت إليه أفواج من الملائكة فى طريقه من المدينة الى مكّة وعرضت عليه استعدادها لنصرته والقتال بين يديه! «۱»

أمّا ماهو مراده صلوات الله عليه فى قوله: «لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر»؟ فلعلّ من مراده عليه السلام فى «تقارب الأشياء»: أنه لو توسّل فى تحقيق أهدافه بالخوارق والمعاجز دون الأسباب الطبيعية لتحقّق له ذلك عاجلًا وعلى أحسن وجه- والله غالب على أمره- لكنّ ذلك خلاف للإرادة الإلهية فى امتحان الخلق وابتلائهم فى مجارى الأسباب والإقتضاءات والعلل الطبيعية العادية، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيَّ عن بيّنة، ولتكون الحجّة البالغة للّه على خلقه، هذا فضلًا عن أنّ الأعمال والإنجازات العظيمة التى يمكن للناس جميعاً أن يتأسّوا بها هى الأعمال والبطولات التى تتمّ فى إطار السنن الطبيعية والمجارى العادية المألوفة لا الخوارق والمعاجز- التى لا يُلجأُ إليها إلّا إذا دعت الضرورة إليها- ذلك لأنّ استخدام المعاجز وخوارق العادة ليس ميسوراً لجميع الناس، وامتحان الخلق- فى إطار التأسّى بالقادة الربانيين- إنّما يصح إذا كان الإختبار والتكليف بما يستطيعونه لا بما يعجزون عنه.

ويؤيد هذا قوله عليه السلام لمؤمنى الجنّ الذين عرضوا عليه نصرتهم قائلين:

«يا مولانا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ

(۱) راجع: اللهوف: ۱۲۹/ الهامش؛ وعنه البحار ۴۴: ۳۳۰.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۳۱۴

لک وأنت بمکانک لکفیناک ذلک!». «۱»

فجزاهّم خیراً وقال لهم فیما قال:

«.. فإذا أقمتُ فی مکانی فبمَ یُمتحن هذا الخلق المتعوس وبماذا یُختبرون!؟ ومن ذا یکون ساکن حفرتی؟ وقد اختارها الله تعالی لی یوم دحا الأرض، وجعلها معقلًا لشیعتنا ومُحبّینا، تقبل أعمالهم وصلواتهم، ویجاب دعاؤهم، وتسکن شیعتنا فتکون لهم أماناً فی الدنیا وفی الآخرة ..». «۲»

أمّا مراده علیه السلام من «حبوط الأجر» فلا شکّ أنّ الأجر مرتبط بالنیّة ودرجة المشقّة ومستوی أثر العمل، ولا شکّ أن العمل الذی یتمّ بالخوارق والمعاجز لیس کالعمل المتحقق فی إطار السنن الطبیعیة من حیث درجة المشقّة فیه! کما أنّ الأثر والفتح المترتب علی شهادته علیه السلام هو أعظم أثر وفتح متصوَّر من حیث النتائج والبرکات المترتبة علیه بالنسبة الی الاسلام والإمة الإسلامیة، والإنسان المسلم خاصة، والإنسانیّة عامة! ولعلّ هذا من أسرار قول الرسول صلی الله علیه و آله له علیه السلام: «یا حسین أُخرج! فإنّ الله قد شاء أن یراک قتیلًا!» «۳» و «وإنّ لک فی الجنّة درجات لا تنالها إلّا بالشهادة!». «۴»

(۱) اللهوف: ۱۲۹/ الهامش.

(۲) اللهوف: ۱۲۹/ الهامش.

(۳) اللهوف: ۱۲۸/ ونذکّر أنّ هذا الإستظهار إنّما هو بحسب فهمنا القاصر، ومن الأکید أنّ ثمّةمعانی ومقاصد فیه هی فوق منال أفهامنا القاصرة.

(۴) أمالی الصدوق: ۱۳۰ المجلس ۳۰، حدیث رقم ۱/ وقال العلّامة المجلسی (ره) فی (البحار ۴۵: ۷۴): قوله علیه السلام: «لولا تقارب الأشیاء» أی قرب الآجال، أو إناطة الأشیاء بالأسباب بحسب المصالح، أو أنّه یصیر سبباً لتقارب الفرج وغلبة أهل الحقّ ولمّا یأتِ أوانه. وفی بعض النسخ لولا تفاوت الأشیاء، أی فی الفضل والثواب. انتهی.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۳۱۵

ولأبی سعید الخدری مشورة أیضاً

اشارة

روی إبن کثیر: أنّ أبا سعید الخدری (ره) لقی الإمام الحسین علیه السلام وحذّره من أهل الکوفة، إذ قال: «جاءه أبوسعید الخدری فقال: یا أبا عبدالله، إنی لکم ناصح، وإنی علیکم مشفق، وقد بلغنی أنه قد کاتبک قوم من شیعتکم بالکوفة یدعونک الی الخروج إلیهم، فلا تخرج إلیهم! فإنی سمعتُ أباک یقول بالکوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملّونی وأبغضونی! وما یکون منهم وفاء قطّ! ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخیب، والله مالهم نیّات ولا عزم علی أمرٍ، ولا صبرٌ علی السیف!.». «۱»

وروی ابن کثیر أیضاًنصّاً آخر عن لسان أبی سعید الخدری (ره) أنه قال:

«غلبنی الحسین علی الخروج، وقلت له: إتّقِ اللّه فی نفسک! والزم بیتک ولاتخرج علی إمامک!!». «۲»

تأمّلٌ وملاحظات:

۱)- هذان النصّان لم يرد أىّ ذكر لهما فى التواريخ الشيعية، فهما ستيّا المنبع، وإذا كان المتأمّل لايجد بأساً فى قبول النصّ الأوّل مع ما فيه من بعض الهنات، فإنه يقف ذاهلًا متحيّراً فى دهشته إزاء النصّ الثانى لأنه يشبه تماماً فى محتواه- من حيث الجسارة وسوء الأدب فى مخاطبة الإمام عليه السلام- خطابات قتلة الإمام عليه السلام الذين تالّبوا وتآزروا على قتله فى كربلاء! أمثال شمر وعزرة بن قيس وغيرهم من مسوخ هذه الأمة! الذين اتهموا الإمام عليه السلام بالخروج على (إمامهم!) يزيد.

---

(۱) البداية والنهاية ۸: ۱۶۳- وتأريخ الإسلام/ حوادث سنة ۶۰، ص ۹- وتهذيب تأريخ دمشق ۸: ۱۳۸/ ويظهر من كلامه أنّ هذا اللقاء كان فى المدينة وعلى عهد معاوية، لكنّ ابن كثير وغيره ذكروه ضمن حوادث مكّة.

(۲) البداية والنهاية ۸: ۱۶۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۱۶

ولذا فالمتأمّل المنصف العارف لايتردد فى- بل يقطع- أنّ النصّ الثانى من مكذوبات مرتزقة الإعلام الأمويّ أعداء أهل البيت عليهم السلام ليزيّنوا للسذّج من هذه الأمّة أنّ جمعاً من صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله ذوى المكانة المرموقة قد أنكروا على الإمام الحسين عليه السلام خروجه وقيامه، واتهموه بشقّ عصا الطاعة وتفريق كلمة الأمة! فهذا نصّ مفترى على أبى سعيد الخدرى (ره)، ومرّ بنا من قبل هذا نصٌ مفترىً آخر على جابر بن عبدالله الأنصارى (ره)، والأمثلة كثيرة!

۲)- ولكى يطمئنّ القارىء تماماً إلى أنّ هذا النصّ مكذوب على أبى سعيد ومفترىً عليه، يحسن هنا أن نقدّم صورة مباركة موجزة عن هذا الصحابى الجليل العارف بحقّ أهل البيت عليهم السلام، المتأدّب فى محضر من شهد منهم:

إنّه سعد بن مالك بن سنان الخزرجى، من مشاهير أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله ونجباء الأنصار وعلمائهم، شهد مع رسول الله صلى الله عليه و آله إثنتى عشرة غزوة أوّلها الخندق، وتوفى عام ۶۴ أو ۷۴. «۱»

وولاؤه لأمير المؤمنين علىّ عليه السلام معروف، فهو من السابقين الذين رجعوا اليه، ورواياته فى فضائل علىّ عليه السلام كثيرة، وكذلك رواياته عن النبىّ صلى الله عليه و آله فى فضائل وأسماء الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام. «۲»

كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام فى مدحه أنّه «رُزق هذا الأمر، وكان مستقيماً». «۳»

---

(۱) راجع: سير أعلام النبلاء ۳: ۱۷۱ وسفينة البحار ۴: ۱۶۱.

(۲) انظر: بحار الانوار ۳۹: ۲۸۹ و ۴۰: ۹ و ۲۷: ۲۰۱ و ۳۶: ۲۹۰ والكافى ۳: ۱۲۵ حديث رقم ۱ كتاب الجنائز، وكفاية الاثر: ۲۸- ۳۴.

(۳) رجال الكشّى: ۳۸ رقم ۷۸ وبحار الأنوار: ۸۱: ۲۳۷ رقم ۱۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۱۷

كما ذكره الإمام الرضا عليه السلام ضمن من لم يتغيّروا ولم يبدّلوا، «۱» فهو من الذين تجب ولايتهم، والمستفاد من هذا وثاقته وجلالته.

هذا وقد مدحه علماء الرجال والتراجم:

فقد قال فيه الشيخ عبّاس القمىّ (ره): «كان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين، وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، وكان مستقيماً.». «۲»

وذكر السيّد الخوئى (ره) إطراء الرجاليين وثناءهم عليه ولم يذكر أى قدح فيه أو ذمّ له! «۳»

وقد دافع التسترى عنه حينما عدّه المسعودى فيمن تخلّف عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام قائلًا: «إلّا أنه بعد اتفاق أخبارنا على استقامته وقوله بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وجب القول إمّا باستبصاره بعدُ، أو باشتباه المسعودى وأنه رأى تخلّف سعد بن

مالك- أى سعد بن أبى وقّاص- فتوّهمه الخدرى!- فكلٌّ منهما سعد بن مالك.». «۴»

۲)- قد ينقدح فى ذهن المتأمّل سؤال حول سرّ عدم إلتحاق أبى سعيد بالإمام عليه السلام مع ماله من معرفة بحقّ أهل البيت عليهم السلام وولائه لهم؟

وهل يمكن القول: إنّ ذلك لايضرُّ بحسنه واستقامته!؟

قال النمازى: «ولانعلمُ علّة عدم حضوره لنصرة الحسين عليه السلام، فلا يضرُّ ذلك

---

(۱) عيون أخبار الرضا عليه السلام ۲: ۱۲۵ باب ۳۵ حديث رقم ۱.

(۲) سفينة البحار ۴: ۱۶۰.

(۳) معجم رجال الحديث ۸: ۴۷.

(۴) قاموس الرجال ۵: ۱۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۱۸

فى حسنه واستقامته». «۱»

وقال المامقانى: «إنّ بعض الأواخر قد استشكل فى حسن عاقبة الرجل بكونه لم يشهد مع الحسين عليه السلام طفّ كربلاء، مع أنّه ممن سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة. وهذا إشكال واهٍ ضعيف، إذ لم يُحرز علمُه بخروجه عليه السلام الى كربلاء! ولا عُلِمَ عدم عذره لو كان عالماً، وليس كلّ متخلف عنه عليه السلام هالكاً، نعم لاينال تلك الدرجات الرفيعة المعدّة لأصحابه، وقد نبّهنا على ذلك فى فوائد المقدّمة.». «۲»

كلام المامقانى (ره) فى الفائدة السادسة والعشرين:

ويحسن هنا أن نقرأ ماقاله المامقانى (ره)، فى الفائدة السادسة والعشرين:

قال (ره): «إذا ثبت حسنُ حال الرجل أو عدالته وثقته، لم يمكن المناقشة فى ذلك بحياته فى زمان وقعة الطفّ وتركه الحضور لنصرة سيّد المظلومين عليه السلام، ضرورة أنّ عدم الحضور فعل مجمل لايحمل على الفاسد إلّا إذا احرز فيه جهة الفساد.

وسبب الحمل على الصحة فى ذلك واضح لائح، ضرورة أنّ الرجل إن كان كوفياً فإنّ ابن زياد قد حبس أربعمائة وخمسين رجلًا من الشيعة والموالين حتى لايحضروا النصرة! فلعلّ الرجل كان فيهم.

وأيضاً فقد صدَّ على الطرق حتى لايصل أحدٌ الى كربلاء!

ومن حضر الطفّ: بين من كان معه، ومن خرج فى عسكر ابن سعد ولمّا بلغ

---

(۱) مستدركات علم رجال الحديث ۴: ۲۲.

(۲) تنقيح المقال ۲: ۱۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۱۹

كربلاء انصرف الى الحسين عليه السلام.

ولعلّ من لم يحضر لم يلتفت إلى إمكان هذه المكيدة الحسنة: أعنى الخروج بعنوان عسكر ابن سعد واللحوق فى كربلاء بالحسين عليه السلام.

وإن كان الرجل من غير أهل الكوفة فلأنه مضافاً الى رصد الطرق، لم تطل المُدَّة ولم يمهل ابن زياد حتى يبلغهم الخبر، فإنّ أسباب وصول الخبر يومئذٍ من البريد والبرق لم يكن متهيئاً، ورصد الطرق أوجب تأخير وصول الخبر، ولذا لم يدر الأغلب بالوقعة إلّا بعد وقوعها، فعدم الحضور غير قادح فى الرجل بعد إحراز وثاقته أو حسن حاله، إلّا إذا ثبت علمه بالحال وقدرته على الحضور وتخلّفه عنه كما لايخفى.

وأمّا المتخلّفون عنه عند حركته من المدينة، فلأنّ الحسين عليه السلام حين حركته وإن كان يدرى هو وجمع من المطّلعين على إخبار النبيّ الأمين بمقتضى خبره صلى الله عليه و آله أنه يستشهد بالعراق إلّا أنّه فى ظاهر الحال لم يكن ليمضى الى الحرب حتى يجب على كلّ مكلّف متابعته، وإنّما كان يمضى للإمامة بمقتضى طلب أهل الكوفة، فالمتخلّف عنه غير مؤاخذ بشىء! وإنّما يؤاخذ لترك نصرته من حضر الطفّ او كان قريباً منه على وجه يمكنه الوصول إليه ونصرته، ومع ذلك لم يفعل وقصّر فى نصرته، فالمتخلّفون بالحجاز لم يكونوا مكلّفين بالحركة معه حتى يوجب تخلّفهم الفسق، ولذا فإنّ جملة من الأخيار الأبدال الذين لم يكتب الله تعالى لهم نيل هذا الشرف الدائم بقوا فى الحجاز، ولم يتأمّل أحدٌ فى عدالتهم كابن الحنفية وأضرابه!». «۱»

---

(۱) تنقيح المقال ۱: ۲۱۲.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۲۰

مناقشة كلام المامقانى (ره)

۱)- إنّ الإخبارات الكثيرة التى أُثرت عن النبيّ صلى الله عليه و آله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، (ومنها قليلٌ عن الحسن عليه السلام)، وعن الحسين عليه السلام نفسه، كانت قد شخّصت زمان استشهاده عليه السلام، ومكان الوقعة التى يستشهد فيها، بل وشخّصت الحاكم الآمر بقتله عليه السلام وهو يزيد، وأمير جيشه عمر بن سعد، بل وشخّصت حتى صفة القاتل المباشر للذبح شمر بن ذى الجوشن، وكانت هذه الإخبارات على كثرتها ووفرة تفصيلاتها قد انتشرت فى أوساط الصحابة خاصة وفى كثير من أوساط الأمّة عامة، فمن البعيد ألّا يكون المخلصون من الصحابة (فضلًا عن سواهم من الصحابة الذين كانوا يعملون فى خطّ حركة النفاق) قد علموا- أو توقّعوا على الأقلّ- أنّ الإمام عليه السلام فى خروجه من المدينة ثمّ فى خروجه من مكّة الى العراق ماضٍ إلى حرب وقتال! نعم، قد يُعذر المتخلّفون عنه عند خروجه من المدينة بأنهم ربّما لم يعلموا بخروجه لأنّ خروجه من المدينة تمّ بسرعة ولم يعلم به إلّا المقرّبون منه عليه السلام، أو لأنهم لم يكونوا آنذاك فى المدينة، ولكن ما عذرهم فى عدم الالتحاق به عليه السلام فى مكّة وقد أقام فيها ما يقرب من مائة وخمسة وعشرين يوماً!؟ خصوصاً وأنه قد شاع فى أواخر تلك الأيام بين الناس فى الحجاز أنّ أهل الكوفة قد كاتبوه وأنه عليه السلام عازم على التوجّه الى العراق، بما يكفى لمن يُريد الإلتحاق به أن يلتحق به حتى وإن تحرّك إليه من المدينة.

۲)- من هنا وجب أن نبحث عن عذر كلّ واحدٍ من هؤلاء المخلصين فى تخلّفه عن الإلتحاق بالامام عليه السلام على حدة، فإن علمنا عذره فى عدم إلتحاقه بالامام عليه السلام فبها ونعمت، وإن علمنا بأنه لا عذر له فى تخلّفه وانّه قصّر عن نصرة الإمام عليه السلام وقعد عن الجهاد معه عمداً فلا يمكننا حينذاك أن نقول بحسنه وعدالته، وإن لم نعلم بعذره أو عدم عذره استصحبنا حسن حال الرجل أو عدالته

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۲۱

ووثاقته إذا ثبت ذلك من مجموع تأريخ سيرته، خصوصاً إذا أثنى عليه السلام الإمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام أو أحد ممن جاء من بعده من الأئمة عليهم السلام.

۳)- لم ينجُ أحدٌ من أعلام الأمّة ممن بقى فى الحجاز ولم يلتحق بالإمام عليه السلام من التأمّل فى عدالته من خلال التساؤل عن سرّ

عـدم التحـاقه، ولعلّ أكثر من تعرّضوا للتأمّل فى عـدالتهم المتخلّفين من بنى هاشم، كابن عبّاس وابن جعفر وابن الحنفيّـة، ولعلّ الأخير أكثر المتعرضـين لهذا التأمّل منذ أيّام الأئمة عليهم السلام «۱» وإلى الآن، مع أنّ المأثور أنّ ابن الحنفيّـة (رض) أقعده وأعجزه المرض عن الإلتحاق بالإمام عليه السـلام، وورد أنّ ابن جعفر كان مكفوفاً، وتحقّق عنـدنا أنّ ابن عبّاس (رض) كان عذره فى كونه مكفوفاً أو ضعيف البصر جدّاً آنذاك. «۲»

فالأمر ليس كما ذهب إليه المامقانى (ره) بقوله: «.. ولم يتأمّل أحدٌ فى عدالتهم كابن الحنفية وأضرابه!».

۴)- أمّا فيما يتعلّق بأمر أبى سـعيد الخـدرى (ره)، فقـد وردت روايات عن الإمامين الصادق والرضا عليهما السـلام تثنى عليه وتمدحه، كقول الإمام الصادق عليه السلام فيه:

«رُزق هذا الأمر، وكان مستقيماً» «۳»، وعـدّه الإمام الرضا عليه السـلام فيمن لم يُغيّروا ولم يبدّلوا، وهذا يكفى فى الإطمئنان الى حسـن حاله ووثاقته وعدالته.

---

(۱)

راجع: بصائر الدرجات ۱۰: ۴۸۱ باب ۹ حديث ۵: والبحار ۴۴: ۳۳۰ باب ۳۷.

(۲) راجع بحث تحرّك كلٍّ من هؤلاء الثلاثة (رض) فيما تقدّم من هذا الفصل.

(۳) ولقد حسّن العلامة المجلسى (ره) هذه الرواية (راجع: مرآة العقول ۱۳: ۲۸۱).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۲۲

رسالة المسور بن مخرمة

اشاره

روى ابن عسـاكر أنّ المسور بن مخرمـة كتب الى الإمـام الحسـين عليه السـلام رسالـة يقول فيهـا: «إيّـاك أن تغترَّ بكتب أهـل العراق، ويقول لك ابن الزبير: إلحق بهم فإنّهم ناصروك! إيّاك أن تبرح الحرم، فإنّهم إن كانت لهم بك حاجة فسيضربون إليك آباط الإبل حتّى يوافوك! فتخرج فى قوّة وعدّة.». «۱»

«فجزّاه الحسين خيراً وقال: أستخير الله فى ذلك!». ۲

تأمّلٌ وملاحظات:

۱)- إنّ محتوى هـذه الرسالـة كاشف عن أنّ المسور بن مخرمـة بعث بها إلى الامام عليه السـلام فى مكّـة، بدليل قوله: «إيّاك أن تغترّ بكتب أهل العراق! ويقول لك ابن الزبير: إلحق بهم فإنّهم ناصروك!»، ذلك لأن كتب أهل الكوفة لم تصل إلى الامام عليه السلام إلّا فى مكّـة، كما أنّ ابن الزبير لم يُشـر على الامام عليه السـلام بالتوجّه الى العراق إلّا فى مكة المكرّمة، هذا فضـلًا عن الدليل الواضح فى قوله: «إيّاك أن تبرح الحرم!».

۲)- صاحب هـذه الرسالـة هو المسور بن مخرمة بن نوفل القرشـى الزهرى، وأمّه عاتكة أخت عبدالرحمن بن عوف وهى زهرية أيضاً، ولـد بعـد الهجرة بسـنتين، وكان من صـغار الصـحابة، قـدم دمشق بريداً من عثمان يستصـرخ معاوية، وكان ممن يلزم عمر بن الخطّاب ويحفظ عنه، وقد انحاز الى مكّة مع ابن الزبير وسخط إمرة يزيد، وقد أصابه حجر منجنيق فى الحصار فبقى ايّاماً ومات، وكانت

---

(۱) و (۲) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الامام الحسين عليه السلام/ تحقيق المحمودى): ۲۰۲ رقم ۲۵۵؛ وراجع تهذيب تاريخ دمشق ۷: ۱۴۰ والبداية والنهاية ۸: ۱۶۵.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۲۳

الخوارج تغشاه وتنتحله. «۱»

وأمّا عندنا فهو مجهول، وذكر السيّد الخوئى (ره) أنّ الشيخ عدّه فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله تارة، وأخرى فى أصحاب علىّ عليه السلام قائلًا: المسور بن مخرمة كان رسوله عليه السلام الى معاوية، «۲» وقد روى الشيخ الطوسى رحمه الله فى الأمالى رواية يُشَمُّ منها ضعف المسور بن مخرمة، «۳» ونقل القرشىّ عن كتاب الإصابة أنه كان من أهل الفضل والدين، «۴» كما نقل الأمينى (ره) عن كتاب أنساب الأشراف قائلًا:

«وكان مسور بن مخرمة الصحابىّ ممّن وفد الى يزيد، فلمّا قدم شهد عليه بالفسق وشرب الخمر، فكُتب الى يزيد بذلك، فكتب الى عامله يأمره أن يضرب مسوراً الحدَّ، فقال أبوحرّة:

أيشربُها صهباء كالمسكِ ريحهاأبوخالد، والحدَّ يُضربُ مسورُ» «۵»

۳)- قد يُستفاد من بعض الأقوال التى أوردناها فى النقطة الثانية أنّ المسور بن مخرمة كان عمرىّ الميْل عثمانى الهوى، كما قد يُستفاد من نقل الشيخ (ره) أنه كان رسول علىٍّ عليه السلام إلى معاوية، ومن رواية البلاذرى أنه شهد على يزيد بالفسق

---

(۱) راجع: سير أعلام النبلاء ۳: ۳۹۳ والإصابة: ۳: ۴۱۹.

(۲) معجم رجال الحديث ۱۸: ۱۶۱ رقم ۱۲۳۵۹.

(۳) أمالى الشيخ الطوسى: ۷۲۷ مجلس ۴۴ حديث رقم ۱۵۳۰/ ۵، وفى خلاصة الرسائل العشرللميلانى ص ۴۰: أنّه كان إذا ذكر معاوية صلّى عليه!!

(۴) حياة الامام الحسين بن على عليهما السلام ۳: ۲۴/ الهامش.

(۵) الغدير ۱۰: ۳۳/ والصهباء: الخمر، وأبوخالد يعنى يزيد. مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۲۴

وشرب الخمر، ومن قول الذهبى أنه سخط إمرة يزيد، أنّ المسور بن مخرمة ربّما كان ذا شىء من التدين، وعلى هذا يحتمل أنه كتب رسالته الى الامام عليه السلام بدافع الشفقة والخوف عليه من غدر أهل الكوفة، ويساعد على هذا الإحتمال ما ورد فى آخر رواية ابن عساكر أنّ الإمام عليه السلام جزّاه خيراً، هذا على فرض صحة الرواية أصلًا!!

كما يظهر من متن الرسالة أنّ المسور كان عارفاً بمكر ابن الزبير حيث يقول:

«ويقول لك ابن الزبير: إلحق بهم فإنّهم ناصروك!» لكنّ العجيب أنّ الذهبى يذكر أنه انحاز بعد ذلك إلى مكّة مع ابن الزبير، وقتله حجر منجنيق أصابه فى الحصار!

رسالة عمرة بنت عبدالرحمن

اشارة

وروى ابن عساكر أيضاً قائلًا: «وكتبت إليه عمرة بنت عبدالرحمّن، تعظّم عليه ما يريد أن يصنع [من إجابة أهل الكوفة]، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة! وتخبره أنّه إنّما يُساق الى مصرعه وتقول: اشهد لحدّثتنى عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: يُقتل حسين بأرض بابل!. فلمّا قرأ [الحسين عليه السلام] كتابها قال:

فلابُدَّ لی إذن من مصرعی! ومضی.». «۱»

إشارة:

عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد الأنصاریة المدنیة، لم یرد لها ذکر فی کتبنا الرجالیة ولا التراجم، لکنّ کتب السنّة ترجمت لها بإطراء وثناء علیها! فها هو الذهبی یقول فیها: «الفقیهة، تربیة عائشة وتلمیذتها ... کانت عالمة، فقیهة، حجّة، کثیرة العلم، وحدیثها کثیر فی دواوین الإسلام، توفیت عام ثمان وتسعین.». «۲»

---

(۱) تاریخ ابن عساکر (ترجمة الامام الحسین علیه السلام/ تحقیق المحمودی): ۲۰۲ رقم ۲۵۵؛ وانظر: تهذیب الکمال ۴: ۴۹؛ وتاریخ الاسلام (حوادث عام ۶۰) ص ۹؛ وتهذیب تاریخ دمشق لابن منظور ۷: ۱۴۰.

(۲) سیر أعلام النبلاء ۴: ۵۰۹؛ وانظر: تهذیب التهذیب ۱۲: ۴۶۶.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۳۲۵

ویُغنینا قول الذهبی فیها إنها تربیة عائشة وتلمیذتها عن کلّ تعلیق!

ذلک لأنّ کراهیة عائشة لأهل البیت علیهم السلام وحقدها علیهم أمر أوضح من الشمس فی رابعة النهار، فعن أمیر المؤمنین علیه السلام: «وأمّا فلانة فأدرکها رأی النساء وظغن غلا فی صدرها کمرجل القین!»، «۱» ولم تتورّع عائشة عن إعلان هذه الکراهیة فی مواقف کثیرة، وهل ینسی منعها دفن الإمام الحسن علیه السلام إلی جوار جدّه صلی الله علیه و آله وقولها: «تریدون أن تُدخلوا بیتی من لا أهوی ولا أحبّ!» «۲» وقولها: «نحّوا ابنکم عن بیتی!». «۳»

فإذا کان هذا حال الأستاذة فما حال مریدتها وربیبتها!؟ وهل یُتوقَّع منها غیر أن تأمر الإمام علیه السلام بإطاعة یزید وعدم شقّ عصا الجماعة! والقعود عن أیّ قیام فی وجه الطاغوت!

حرکة الأمّة فی الکوفة

کان الکوفیون یکاتبون الإمام الحسین علیه السلام- بعد استشهاد الامام الحسن علیه السلام- باذلین له الطاعة ویدعونه الی القیام والنهضة ضد معاویة، فقد روی البلاذری أنّه:

«لمّا توفی الحسن بن علیّ اجتمعت الشیعة، ومعهم بنو جعدة بن هبیرة بن أبی

---

(۱) نهج البلاغة: ۲۱۸ الخطبة ۱۵۶/ ویقول ابن أبی الحدید: «.. ثمّ ماتت فاطمةفجاء نساء رسولالله صلی الله علیه و آله کُلهنَّ إلی بنی هاشم فی العزاء إلّا عائشة فإنّها لم تأتِ، وأظهرت مرضاً! ونُقل إلی علیّ علیه السلام عنها کلام یدلّ علی السرور!» (راجع: شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید ۹: ۱۹۸).

(۲) أمالی الطوسی: ۱۶۱ المجلس ۶ حدیث رقم ۲۶۷/ ۱۹؛ وعنه البحار ۴۴: ۱۵۳.

(۳) الکافی ۱: ۳۰۲؛ وعنه البحار ۴۴: ۱۴۳.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۳۲۶

وهب المخزومی، «۱» وأمُّ جعدة أمّ هانی بنت أبی طالب، فی دار سلیمان بن صرد، وکتبوا إلی الحسین کتاباً بالتعزیة، وقالوا فی کتابهم: إنّ الله قد جعل فیک أعظم الخلف ممن مضی، ونحن شیعتک المصابة بمصیبتک، المحزونة بحزنک،

---

(۱) جعدة بن هبيرة المخزومى: هو ابن أخت أمير المؤمنين علىّ عليه السلام، وأمّه أمُّ هانى بنت أبى‌طالب عليه السلام، وُلد جعدة فى عهد النبىّ صلى الله عليه و آله، فهو من الصحابة، ونزل الكوفة، وكان فارساً شجاعاً، شريفاً فقيهاً، وكان والياً على خراسان من قبل أمير المؤمنين عليه السلام. وقال له عتبة بن أبى سفيان: إنّما لك هذه الشدّة فى الحرب من قبل خالك- يعنى علياً عليه السلام- فقال له جعدة: لو كان لك خال مثل خالى لنسيتَ أباك!

وله رواية عن أمّه حول قصة الهجرة ومبيت أمير المؤمنين عليه السلام فى فراش الرسول صلى الله عليه و آله، ويروى بعض قضايا يوم شهادة علىّ عليه السلام.

قال عتبة بن أبى سفيان فى يوم من أيام صفين: إنّى لاقٍ بالغداة جعدة بن هبيرة! فقال له معاوية: بخ بخ! قومه بنو مخزوم، وأمّه أمّ هانى بنت أبى طالب، وأبوه هبيرة بن أبى وهب، كفؤ كريم ... (راجع: شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۱۸: ۳۰۸ ومستدركات علم الرجال ۲: ۱۳۰).

وكان لجعدة فى قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحبّ الناس إلى علىّ عليه السلام. (راجع: وقعة صفين: ۴۶۳).

ويبدو من ظاهر خبر الإجتماع فى دار سليمان بن صرد أنّ جعدة أيّام النهضة الحسينية لم يكن فى الأحياء، بدليل الإشارة الى أبنائه فقط «ومعهم بنو جعدة بن هبيرة ...».

أمّا أبناؤه، فيحيى (وله رواية عن الحسين عليه السلام وهو من رواة الغدير)، وعبدالله (وهو الذى فتح القهندر وكثيراً من خراسان)، وقيل إنّ له ولداً آخر اسمه عمر. (راجع: مستدركات علم الرجال ۲: ۱۳۱ و ۸: ۱۹۳ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۱۸: ۳۰۸).

ولم نعثر على خبر تأريخى يحدّثنا عن بنى جعدة وما حلّ بهم فى الفترة ما بين انعقاد هذا الاجتماع فى دار سليمان بن صرد إلى يوم عاشوراء يوم مقتل الإمام عليه السلام، وبهذا تبقى أسئلة كثيرة تتدافع فى صدر المتتبّع حولهم بلاجواب.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۲۷

المسرورة بسروركَ، المنتظرة لأمركَ. وكتب إليه بنو جعدة يخبرونه بحسن رأى أهل الكوفة فيه، وحبّهم لقدومه، وتطلّعهم إليه، وأن قد لقوا من أنصاره وإخوانه من يُرضى هديه ويُطمأنّ إلى قوله، ويُعرف نجدته وبأسه، فأفضَوا إليهم ماهم عليه من شنآن ابن أبى سفيان والبراءة منه، ويسألونه الكتاب إليهم برأيه ...»، «۱» وكذلك نقل الشيخ المفيد (ره) عن الكلبى والمدائنى وغيرهما من أصحاب السير أنّهم قالوا: «لمّا مات الحسن عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام فى خلع معاوية، والبيعة له ...» «۲» وكان الإمام الحسين عليه السلام فى كلّ ذلك يمتنع عليهم، ويذكر لهم أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لايجوز له نقضه حتى تمضى المدّة، فإذا مات معاوية نظر فى ذلك.

لكنّ الثابت- من قرائن تأريخية عديدة- أنّ نبأ موت معاوية وصل الى أهل الكوفة بعد وصول الامام الحسين عليه السلام إلى مكّة المكرّمة أو وهو فى الطريق إليها، ومعنى هذا: أنه لم تصل الى الامام عليه السلام وهو فى المدينة- فى غضون أيّام إعلانه رفض البيعة ليزيد إلى حين خروجه عنها- أيّة رسالة من أهل الكوفة تُنبىء عن علمهم بموت معاوية، وعن دعوتهم الإمام عليه السلام إليهم، ولا من أهل مكّة أيضاً، ولا من سواهما. «۳»

---

(۱)

أنساب الاشراف ۳: ۱۵۱- ۱۵۲ حديث ۱۳.

(۲) الإرشاد: ۲۰۰.

(۳) هناك ثلاث روايات يوحى ظاهرها بأنّ الإمام عليه السلام كانت قد وصلت إليه رسائل فى المدينة فى الأيام التى أعلن فيها عن رفضه البيعة ليزيد بعد وصول نبأ موت معاوية، الأولى: رواية ابن عساكر للقاء عبدالله بن مطيع العدوىّ مع الإمام عليه السلام فى الطريق

من المدينـة الى مكّـة، حيث ذكر ابن عساكر فى جملة اعتراضـية أنّ الإمام عليه السـلام ذكر للعدوىّ فيها أنه كتب إليه شـيعته بها «أى مكّـة!» (راجع: تاريخ ابن عساكر «ترجمة الامام الحسين عليه السـلام»/ تحقيق المحمودى: ۲۲۲ حديث رقم ۲۰۳/ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية- قم)، والثانية: رواية ابن عبد ربّه الأندلسى فى (العقد الفريد ۴: ۳۵۲/ دار إحياء التراث العربى)، وهى رواية خلط فيها الراوى بين اللقاء الأوّل لعبـدالله بن مطيع العـدوىّ مع الإمام عليه السـلام فى الطريق من المدينـة الى مكة، وبين لقائهما الثانى بعد خروجه عليه السـلام من مكّـة إلى العراق! ممـا يوهم القـارىء أنّ الإمام عليه السـلام قبل وصوله الى مكّـة كان قـد أخبر العـدوىّ عن رسائل كثيرة وصـلت إليه من أهل الكوفة!، والثالثة: هى الرواية التى حكاها صاحب كتاب (أسـرار الشـهادة: ۳۶۷) عن بعض الثقات الأدباء الشـعراء من تلامـذته العرب- حسب قوله!- وأنّ هـذا الثقـة قـد ظفر بهـا فى مجموعـة تنسب إلى فاضـل أديب مقرىء! فنقلهـا عنه! وفيهـا يقول الراوى: «خرجت بكتـاب من أهل الكوفـة الى الحسين عليه السـلام، وهو يومئـذٍ بالمدينـة، فأتيته فقرأه وعرف معناه، فقال أنظرنى إلى ثلاثـة ايّام، فبقيت فى المدينة، ثمّ تبعته الى أن صار عزمه بالتوجّه الى العراق ...»، ولقد نوقشت هذه الروايات الثلاث نقاشاً تحقيقياً فى الجزء الأوّل من هـذه الدراسـة (الركب الحسينى من المدينـة الى المدينـة) أثبت عدم جدارتها للإعتماد على ما ورد فيها بهذا الصدد، فراجع الجزء الأوّل ۴۲۳- ۴۲۶/ عنوان: هل وصلت إلى الامام عليه السلام رسائل قُبيل رحيله عن المدينة!؟

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۲۸

أوّل اجتماع للشيعة فى الكوفة بعد هلاك معاوية

روى الطبرى قائلًا: «فلمّـا بلغ أهل الكوفـة هلاك معاويـة أرجف أهل العراق بيزيـد، وقالوا: قـد امتنع حسـينٌ وابن الزبير ولحقا بمكّـة، فكتب أهل الكوفة الى حسـين ...»، وروى ايضاً عن أبى مخنف، عن الحجّاج بن علىّ، عن محمّد بن بشـر الهمدانى «۱» قال: «اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد، «۲» فذكرنا هلاك

---

(۱) محمد بن بشر الهمدانى: كان فى الكوفة فى جمع قرأ عليهم مسلم كتاب الإمام الحسين عليه السلام، ولم يقل شيئاً!

وقع فى طريق (سند) الشيخ الصدوق (ره) فى كتاب التوحيد، باب معنى الحجزة عن أبى الجارود، عنه، عن محمّد بن الحنفية، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وفى سند غيبة الطوسى ص ۲۷۷، عن أبى الجارود، عن محمد بن بشر، عن أمير المؤمنين عليه السلام. (راجع: مستدركات علم الرجال ۶: ۴۸۰)

وروى أبو مخنف، عن الحجّاج بن على، عن محمّـد بن بشـر- كما فى تأريخ الطبرى- قصة اجتماع الشـيعة فى منزل سـليمان بن صُـرَد لدعوة الحسـين عليه السـلام إليهم فى الكوفة، وإرساله عليه السـلام مسـلماً عليه السلام، وأنّ مسلماً عليه السلام قرأ كتاب الحسين عليه السلام إليهم، فقام عابس الشاكرى ثم حبيب بن مظاهر ثم سعيد بن عبدالله الحنفى، وأخبروا عن أنفسهم بالجدّ فى الجهاد معهم.

وقـال الحجّـاج: فقلتُ لمحمّـد: فهـل كـان منـك قول؟ فقـال: إن كنتُ لأُحـبُّ أن يُعزَّ الله أصـحابى بـالظفر، ومـاكنت لأُحبَّ أن أُقتلَ، وكرهتُ أن أكذب!! (راجع: الطبرى ۵: ۳۵۲ وقاموس الرجال ۹: ۱۳۴).

(۲) سـليمان بن صُرد الخزاعى: من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، ومن أصحاب أمير المؤمنين علىّ والحسن والحسين عليهم السـلام وكان اسمه فى الجاهلية يساراً فسمّاه رسول الله صلى الله عليه و آله سليمان، وكان خيّراً فاضلًا، سكن الكوفة وابتنى بها داراً فى خزاعة، وكان نزوله بها فى أوّل ما نزلها المسـلمون، وكان له سنٌّ عالية وشـرف، وقدر كلمة فى قومه، شـهد مع علىّ صفين، وهو الذى قتل حوشباً ذا ظليم بصفين مبارزة ثمّ اختلط الناس يومئذٍ (راجع: الاستيعاب: ۳: ۲۱۰ رقم ۱۰۶۱).

وروى نصـر بن مزاحم فى كتابه عن عبـدالرحمن بن عبيد بن أبى الكنود: أنّ سـليمان بن صـرد الخزاعى دخل على علىّ بن ابى طالب

بعد رجعته من البصرة، فعاتبه وعذله وقال له: ارتبتَ وتربّصتَ وراوغت! وقد كنت من أوثق الناس فى نفسى، وأسرعهم- فيما أظنّ- الى نصرتى، فما قعد بك عن أهل بيت نبيّك وما زهّدك فى نصرهم!؟

فقال: يا أميرالمؤمنين، لا تردنّ الأمور على أعقابها، ولا تؤنّبنى بما مضى منها: واستبقِ مودّتى يخلص لك نصيحتى، وقد بقيت أمورٌ تعرف فيها وليّك من عدوّك. فسكت عنه، وجلس سليمان قليلًا، ثمَّ نهض فخرج الى الحسن بن علىّ وهو قاعد فى المسجد، فقال: ألا أُعجبّك من أمير المؤمنين وما لقيتُ منه من التبكيت والتوبيخ؟ فقال له الحسن: إنّما يُعاتب من تُرجى مودّته ونصيحته. فقال: إنه بقيت أمور سيستوسق فيها القنا ويُنتضى فيها السيوف، ويُحتاج فيها إلى أشباهى، فلاتستغشّوا عتبى، ولاتتّهموا نصيحتى.

فقال له الحسن: رحمك الله، ما أنت عندنا بالظنين.» (وقعة صفين: ۶- ۷).

وراوى هذه القصة عبدالرحمن بن عبيد- أو عبد- بن أبى الكنود: مجهول الحال (راجع: تنقيح المقال ۲: ۱۴۵)، وذكره رجاليون آخرون دون التعرض له بمدح أو بذم (راجع: قاموس الرجال ۶: ۱۲۵ ومعجم رجال الحديث ۹: ۳۳۵ و ۳۳۷ رقم ۶۳۹۲ و ۶۴۰۰ ومستدركات علم الرجال ۴: ۴۰۷).

وقد روى ابن عبد ربه رواية نفس هذا العتاب بتفاوت وإجمال مرسلة «وهى رواية عاميّة» (راجع: العقد الفريد ۴: ۳۳۰).

لكنّ المامقانى أنكر تخلّف سليمان يوم الجمل، واستدلّ بقول ابن الأثير انه شهد مع علىّ عليه السلام مشاهده كلّها (راجع: تنقيح المقال ۲: ۶۳)، وقد قال ابن سعد أيضاً أنه شهد الجمل وصفين مع علىّ عليه السلام (راجع: الطبقات الكبرى ۴: ۲۹۲).

لكنّ التسترى ردَّ إنكار المامقانى معتمداً على رواية كتاب وقعة صفين. (قاموس الرجال: ۵: ۲۷۹). مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۲۹

كما ذهب المامقانى إلى أنّ ابن زياد لمّا أطلع على مكاتبة أهل الكوفة للحسين عليه السلام حبس أربعة آلاف وخمسمائة من أصحاب أمير المؤمنين وأبطاله، منهم سليمان بن صرد، وابراهيم الأشتر، وصعصعة، ولم يكن لهم سبيل الى نصرة الحسين عليه السلام (راجع: تنقيح المقال ۲: ۶۳).

ونقل القرشى أيضاً عن كتاب (الدرّ المسلوك فى أحوال الأنبياء والأوصياء ۱: ۱۹۰/ مخطوط) أنّ سليمان بن صرد الخزاعى، والمختار، وأربعمائة من أعيان ووجوه الكوفة كانوا من بين المعتقلين فى سجون ابن زياد (راجع: حياة الامام الحسين بن على عليهما السلام ۲: ۴۱۶).

ويُمكن أن يُردَّ على ذلك: أنّ الأمر إذا كان كذلك، ولم يكن له ذنب وتقصير فى تخلّفه عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام، ففيم كانت توبته ولماذا كانت قيادته لحركة التوّابين!؟

إنّ المتأمّل فى خطب سليمان- فى جموع التوّابين- لايجد أيّة إشارة إلى أنه كان معتقلًا! بل يجد سليمان يدين نفسه وأصحابه بالتوانى والتقصير والعجز والمداهنة والتربّص! ها هو يقول: «.. إنّا كُنّا نمدُّ أعناقنا إلى قدوم آل بيت نبيّنا محمّد صلى الله عليه و آله نمنّيهم النصر، ونحثّهم على القدوم، فلمّا قدموا ونَينا وعجزنا وأدهنّا وتربّصنا حتى قُتل ولد نبيّنا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه ...» (الكامل فى التأريخ ۳: ۳۳۳ وانظر: تأريخ الطبرى ۳: ۳۹۱).

وقد يُردُّ على ذلك بأنّ كتب التواريخ والتراجم السنيّة هى التى اتهمت سليمان بن صرد بالتقصير والشك والمداهنة والعجز، فإضافة إلى ما أورده الطبرى وابن الأثير، يقول الذهبى: «قال ابن عبدالبر: كان ممّن كاتب الحسين ليبايعه، فلمّا عجز عن نصره، ندم وحارب ..» (سير اعلام النبلاء ۳: ۳۹۵).

وقال ابن سعد: «وكان فيمن كتب الى الحسين عليه السلام يسأله القدوم عليهم الكوفة، فلمّا قدم الحسين الكوفة اعتزله فلم يكن معه، فلمّا قتل الحسين ندم من خذله وتابوا من خذلانه ..» (الطبقات الكبرى ۶: ۲۵)، وقال أيضاً: «وكان فيمن كتب الى الحسين بن علىّ أن يقدم الكوفه، فلما قدمها أمسكعنه ولم يقاتل معه، كان كثير الشكّ والوقوف، فلما قُتل الحسين ندم ..» (الطبقات الكبرى ۴: ۲۹۲

وانظر الوافى بالوفيّات ۱۵: ۳۹۳). مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۳۰

لقد كانت ثورة التوّابين ردَّ فعل خالصاً لثورة الإمام الحسين عليه السلام، إذ لم يكن لغير ثورة الإمام الحسين عليه السلام اثرٌ فيها، وقد انبعثت نتيجة الشعور بالإثم والندم والحسرة على عدم نصرة الامام الحسين عليه السلام، وقد رأى الثوّار فيها أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم إلّا قتل من قتل الإمام عليه السلام أو القتل فى هذا الأمر، وكان زعيم هذه الثورة سليمان بن صرد الخزاعى، وقد ابتدأ الإعداد لهذه الثورة اجتماعياً وعسكرياً بعد عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة، وكان هذا الإعداد سريّاً حتى مات يزيد، فخرجوا بعد موته من السرّ الى العلن، فتوجهوا سنة خمس وستين للهجرة الى قبر الامام الحسين عليه السلام ... ثمّ توجّهوا الى الشام والتحموا مع كتائب الجيش الأموىّ فى منطقة (عين الوردة) فى وقعة دمويّة رهيبة هزّت نتائجها الفادحة اركان الحكم الأموى هزّاً عنيفاً (راجع: الركب الحسينى من المدينة الى المدينة/ الجزء الأوّل: ۱۷۹ وتاريخ الطبرى ۳: ۴۰۸).

وقد قُتل التوّابون جميعاً فى هذه المعركة التى دامت ثمانية ايام فى مواجهة مائة ألف فارس كانوا مقدّمة للجيش الأموى، وقد نقل المامقانى أنّ سليمان رأى فى المنام فى الليلة الثامنة خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام فقالت له خديجة: شكر الله سعيك يا سليمان ولإخوانك، فإنكم معنا يوم القيامة. وقالوا له: أبشر فأنت عندنا غداً عند الزوال، ثم ناولته إناءً فيه ماء وقالت: أفضه على جسدك! فانتبه فرأى إناءً عند رأسه فيه ماء، فأفاضه على جسده، وترك الإناء الى جنبه فالتحمت جراحاته، واشتغل يلبس ثيابه وغاب القدح فكبّر، فانتبه اصحابه من تكبيره، وسألوه عن السبب فبيّن لهم، فلمّا أصبحوا قاتلوا جيش ابن زياد حتى قُتلوا عن آخرهم ... (راجع: تنقيح المقال ۲: ۶۳).

وقال المامقانى فى ختام كلامه: «وقد تلخّص من جميع ما سطّرناه أنّ سليمان بن صُرَد شيعى مخلص فى الولاء، وأنا اعتبره ثقة مقبول الرواية، واسأل الله تعالى أن يحشرنى معه ومع أصحابه بجاه الحسين عليه السلام». (تنقيح المقال ۲: ۶۳).

ونختم هذا المقام بهذه الرواية:

روى نصر بن مزاحم المنقرى فى كتابه عن عون بن أبى جُحيفة قال:

«أتى سليمان بن صُرد علياً أمير المؤمنين بعد الصحيفة ووجهه مضروب بالسيف، فلمّا نظر إليه علىٌّ قال: فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا، فأنت ممّن ينتظر وممّن لم يبدّل. فقال: يا أمير المؤمنين، أما لو وجدتَ أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة أبداً! أما والله لقد مشيتَ فى الناس ليعودوا الى أمرهم الأوّل فما وجدتَ أحداً عنده خيرٌ إلّا قليلًا!» (وقعة صفين: ۵۱۹).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۳۲

معاوية فحمدنا الله عليه.

فقال لنا سليمان بن صرد: إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج الى مكّة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه!

قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه!

قال: فاكتبوا إليه.

فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم.

لحسين بن علىّ، من سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة، «۱» ورفاعة بن

---

(۱) المسيّب بن نجبة: كان من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهّادهم، وكان من رؤساء الجماعة الذين خفّوا لنصرة علىّ عليه السلام من الكوفة الى البصرة، ووجهّه الإمام علىّ عليه السلام مع بشرٍ كثير من قومه لمقاومة غارة عبدالله بن مسعدة الفزارى. وكان قائد التوّابين

بعد سليمان بن صُرد، وقتل معهم سنة ۶۵ ه (راجع: رجال الكشّى: ۶۹ وتاريخ الطبرى ۴: ۴۴۸ و ۵: ۱۳۵).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۳۳

شدّاد، «۱» وحبيب بن مظاهر، «۲» وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.

سلام عليك. فإنّا نحمد إليك اللّه الذى لا إله إلّا هو.

أمّا بعدُ: فالحمد لله الذى قصم عدوّك الجبّار العنيد الذى انتزى على هذه الأمّة فابتزّها وغصبها فيأها وتأمّر عليها بغير رضىً منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى

---

(۱) رفاعة بن شدّاد: كان قاضياً من قبل أمير المؤمنين علىّ عليه السلام على الأهواز، وكان على جناح عسكره يوم صفّين، وروى أنّه لمّا ورد الإمام الحسين عليه السلام الى كربلاء دعا بدواة وبيضاء وكتب الى أشراف الكوفة منهم رفاعه بن شدّاد.

وذهب المامقانى الى أنّ رفاعة كان يوم الطفّ محبوساً أو معتقلًا فى سجن ابن زياد، فلم يستطع الخروج الى الحسين عليه السلام، ولم يسمع واعيته.

وهو من الذين وفّقوا مع مالك الأشر لتجهيز أبى ذرّ وتكفينه ودفنه. (راجع: مستدركات علم الرجال ۳: ۴۰۲).

(۲) حبيب بن مُظهَّر (مظاهر)، أبوالقاسم، الأسدى الفقعسى: كان صحابياً رأى النبىّ صلى الله عليه و آله، وكان من أصحاب علىّ والحسن والحسين عليهم السلام، وصحب علياً فى حروبه كلّها، وكان من خاصّته وحملة علومه، وكان عنده علم المنايا والبلايا، وهو قرين ميثم التمّار ورشيد الهجرى فى غاية الجلالة والنبالة، وكان حبيب (رض) ممن كاتب الحسين عليه السلام. وكان حبيب ومسلم بن عوسجة يأخذان البيعة للحسين عليه السلام فى الكوفة، حتى إذا دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وخذّل أهلها عن مسلم وفّر أنصاره حبسهما عشائرهما وأخفياهما، فلمّا ورد الحسين كربلا خرجا إليه مختفين يسيران الليل ويكمنان النهار حتى وصلا إليه. وذكر الطبرى وغيره (المفيد فى الإرشاد والدينورى فى الأخبار الطوال) أنّ حبيباً كان على ميسرة الحسين عليه السلام. وروى أبومخنف أنه لمّا قُتل حبيب بن مظهّر هدَّ ذلك الحسين عليه السلام وقال: «عند الله أحتسب نفسى وحماة أصحابى». (راجع: إبصار العين: ۱۰۰- ۱۰۶ ومستدركات علم الرجال ۲: ۳۰۲).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۳۴

شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بعدت ثمود.

إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشير فى قصر الإمارة لسنا نجتمع معه فى جمعة، ولانخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك.». «۱»

رسل الكوفة إلى الإمام عليه السلام

اشارة

«ثمّ سرّحوا بالكتاب مع عبدالله بن مسمع الهمدانى، «۲» وعبدالله بن وال، «۳»

---

(۱) تأريخ الطبرى ۳: ۲۷۷، والإرشاد: ۲۰۳، ووقعة الطفّ: ۹۲، كما رواها السيد ابن طاووس فى اللهوف: ۱۰۴ بتفاوت، وروى البلاذرى هذه الرسالة ايضاً بتفاوت فى أنساب الأشراف ۳: ۳۶۹/ دار الفكر- بيروت.

(۲) عبدالله بن مسمع الهمدانى: لم يرد له ذكر فى الكتب الرجالية ولا- فى التواريخ سوى ما ذكره الطبرى و الشيخ المفيد (ره) أنه

وعبدالله بن وال حملا كتاب أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام، وذكره ابن كثير: «عبدالله بن سبع الهمدانى» (البداية والنهاية ٧: ١٥۴).

(٣) عبدالله بن وال (وأل): كوفيٌّ من بنى تميم، وقيل من آل بكر بن وائل، من وجوه الشيعة بالكوفة، ومن خيار أصحاب علىّ عليه السلام (أنظر: الغارات: ٢٢۶/ الهامش).

وقيل هو عبدالله بن وأل التيمى من بنى تيم اللّات بن ثعلبة. (البحار ۴۵: ٣۵۵).

وهو الذى كان يقول: أللّهمّ إنّى لعلىّ وليٌّ، ومن ابن عفّان برىء (الغارات: ٣۶۴).

وهو الذى بعثه علىٌّ عليه السلام بكتابه إلى زياد بن خصفة- فى قصة بنى ناجيه- يقول هو: فأخذت الكتاب منه- وخرجت من عنده- وأنا يومئذٍ شابّ حدث، فمضيت به غير بعيد، فرجعت إليه فقلتُ: يا أمير المؤمنين ألا أمضى مع زياد بن خصفة إلى عدوّك إذا دفعتُ إليه الكتاب؟ فقال: يا ابن أخى، إفعل، فو الله إنّى لأرجو أن تكون من أعوانى على الحقّ، وأنصارى على القوم الظالمين. فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا والله كذلك، ومن أولئك، وأنا واللّه حيث تحبّ!

قال ابن وأل: فواللّه ما أُحبّ أنّ لى بمقالة علىّ عليه السلام تلك حُمر النعم!» (الغارات: ٢٢٩)، وحمر النعم: الإبل الحمراء، وهى أنفس الأموال يومئذٍ، والمثل هذا يُضرب فى كلّ نفيس.

وكان عبدالله بن وأل من أمراء التوّابين، قال ابن الأثير يصف لقطة من لقطات معركة التوّابين ضد الجيش الأموى: «فلمّا كان المساء تولّى قتالهم أدهم بن محرز الباهلى فحمل عليهم فى خيله ورجله فوصل ابن محرز الى ابن وأل وهو يتلو (ولاتحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً) الآية، فغاظ ذلك أدهم بن محرز فحمل عليه فضرب يده فأبانها ثم تنحّى عنه وقال: إنّى أظنّك وددت أنّك عند أهلك!

قال ابن وأل: بئسما ظننت، والله ما أحبّ أنّ يدك مكانها ألّا يكون لى من الأجر مثل ما فى يدى ليعظم وزرك ويعظم أجرى! فغاظه ذلك أيضاً فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول! وكان ابن وأل من الفقهاء العُبّاد ..» (الكامل فى التأريخ ٢: ۶۴١ وأنظر قاموس الرجال ۶: ۶۴۴ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٣: ١٣٢).

وفى رواية أخرى: «وتقدّم عبدالله بن وأل فأخذ الراية، وقاتل حتى قُطعت يده اليسرى، ثمّ استند إلى أصحابه ويده تشخب دماً، ثم كرّ عليهم وهو يقول:

نفسى فداكم اذكروا الميثاقاوصابروهم واحذروا النفاقا

لاكوفة نبغى ولا عراقالابل نريد الموت والعتاقا

وقاتل حتى قُتل.» (البحار ۴۵: ٣۶٢)

مع الركب الحسينى ،ج٢،ص:٣٣۵

وأمروهما بالنجاء، فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين عليه السلام بمكّة لعشر مضين من شهر رمضان.». «١»

وقال ابن كثير: «فكان أوّل من قدم عليه عبدالله بن سبع الهمدانى، وعبدالله إبن وال، ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية ..». «٢»

---

(١) الإرشاد: ٢٠٢ وتأريخ الطبرى: ٣: ٢٧٧.

(٢) البداية والنهاية ٧: ١۵۴.

مع الركب الحسينى ،ج٢،ص:٣٣۶

وروى ابن الجوزى عن الواقدى صيغة أخرى للرسالة الأولى التى بعث بها أهل الكوفة- ولعلّها رسالة أخرى- قائلًا: «ولمّا استقرّ الحسين بمكّة، وعلم به أهل الكوفة كتبوا إليه يقولون: إنّا قد حبسنا أنفسنا عليك! ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة، فاقدم علينا فنحن فى مائة

ألف! وقد فشا فينا الجور، وعُمل فينا بغير كتاب اللّه وسنّة نبيّه، ونرجوا أن يجمعنا الله بك على الحقّ، وينفى عنّا بك الظلم، فأنت أحقّ بهذا الأمر من يزيد وأبيه الذى غصب الأمّة فيئها، وشرب الخمر ولعب بالقرود والطنابير، وتلاعب بالدين.

وكان ممّن كتب إليه سليمان بن صُرد والمسيّب بن نجبة ووجوه أهل الكوفة.». «۱»

---

(۱) تذكرة الخواص: ۲۱۵/ ويحسن هنا أن نذكّر أنّ تعاطى معاوية الخمر ولعبه بالقرود والطنابير، وتلاعبه بالدين أمرٌ مفروغ منه ومسلّم به تأريخياً وقد صرّح بذلك أحمد فى مسنده ۵: ۳۴۷، وابن عساكر فى تأريخه ۷: ۲۱۱، وورد ذلك أيضاً فى أُسد الغابة ۳: ۲۹۹، وتأريخ بغداد ۷: ۲۱۳، وقد جمعها العلامة الأمينى فى الغدير ۱۰: ۱۸۳، ومعاوية هو الذى وصفه علىٌّ عليه السلام بأنّه «ظاهر غيّه ومهتوك ستره» وقد علّق ابن ابى الحديد على هذا الوصف قائلًا: «فأمّا قوله فى معاوية: ظاهرٌ غيّه فلا ريب فى ظهور ضلاله وبغيه، وكلّ باغٍ غاوٍ، وأمّا «مهتوك ستره» فإنه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جلساء وسُمّار، ومعاوية لم يتوقّر ولم يلزم قانون الرياسة إلّا منذ خرج على أمير المؤمنين واحتاج إلى الناموس والسكينة، وإلّا فقد كان فى أيّام عثمان شديد الهتك، موسوماً بكلّ قبيح وكان فى أيّام عمر يستر نفسه قليلًا خوفاً منه، إلّا أنه كان يلبس الحرير والديباج وكان حينئذٍ شابّاً وعنده نزق الصبا وأثر الشبيبة وسكر السلطان والإمرة.

ونقل الناس عنه فى كتب السيرة أنه كان يشرب الخمر فى أيّام عثمان فى الشام، وأمّا بعد وفاة أمير المؤمنين واستقرار الأمر له فقد اختلف فيه، فقيل إنه شرب الخمر فى ستر، وقيل إنه لم يشرب!، ولا خلاف فى أنه سمع الغناء وطرب عليه، وأعطى ووصل عليه!» (شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۱۶: ۱۶۰)، إذن فمعاوية فى تهتّكه وفسقه ليس بأقل من ابنه يزيد شهرة وافتضاحاً.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۳۷

إشارة:

لايخفى على المتأمّل فى محتوى الرسائل التى بعث بها أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام، وفى تعبير ابن كثير «ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية» أنّ جوّاً نفسياً طافحاً بالإبتهاج والفرحة عمَّ الشيعة فى الكوفة لموت معاوية، الذى كان قد أذاقهم الويلات فى جميع جوانب حياتهم، وجثم على صدورهم سنين عجافٍ طويلة مريرة يخنق أنفاسهم ويحصيها عليهم، ويرصد الشاردة والواردة من حركاتهم، ويجرّعهم مرارة الفقر وعذاب مكابدة حروبه فى الداخل والخارج، وكان يُضاعف فى فظاعة هذا الكابوس، وفى شوقهم إلى يوم الخلاص منه، أنّهم كانوا كلّما كاتبوا الإمام عليه السلام يدعونه إلى القيام والنهضة ردّ عليهم يوصيهم- لحكمته البالغة- بالتزام الصبر ومواصلة الإنتظار مادام معاوية حيّاً، فلمّا مات معاوية شعر أهل الكوفة وكأنهم أُطلقوا من عقال، وأفاقوا وقد تحرّرت ألسنتهم وأيديهم بعد أن زال عنهم ذلك الكابوس المطبق، فتباشروا فرحاً وتبادلوا التهانى والسرور بموت الطاغية، وأعينهم كقلوبهم تنظر بلهفة إلى ماذا سيفعل الإمام عليه السلام منتظرة إشارته.

لكنّ الصادقين منهم قليل، إذ كان الشلل النفسى ومرض إزدواج الشخصية وحبّ الدنيا وكراهية الموت قد تفشى فى حياة هذه الأمة، وكان بدء نشوئه فى السقيفة وتعاظم فيما بعدها، حتى نُكِسَ جُلُّ الناس على رؤوسهم، فصارت قلوبهم مع الإمام عليه السلام وسيوفهم عليه، فكان انقلابهم وتخاذلهم عن مواصلة النهضة مع مسلم بن عقيل عليه السلام، ذلك الإنقلاب الذى يحارفيه المتأمل المتدبّر ويذهل من سهولة وسرعة وقوعه! ثمَّ كانت نكسة هذه الأمّة الكبرى بقتلها الإمام عليه السلام فى عاشوراء.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۳۸

دفعة أخرى من الرُسُل والرسائل!

قال الشيخ المفيد (ره): «ولبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب، وأنفذوا قيس بن مسهّر الصيداوى، وعبدالله وعبدالرحمن ابنى شدّاد الأرحبى، وعمارة بن عبدالله السلولى، إلى الحسين عليه السلام، ومعهم نحو مائة وخمسين صحيفة، من الرجل، والإثنين، والأربعة ...». «۱»

ثمّ دفعة أخرى!

قال الشيخ المفيد (ره) أيضاً: «ثمَّ لبثوا يومين آخرين وسرّحوا إليه هانى بن هانى السبيعى «۲» وسعيد بن عبدالله الحنفى، «۳» وكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن علىّ عليهما السلام من شيعته من المؤمنين والمسلمين: أمّا بعدُ، فحىَّ هلّا فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأى لهم فى غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل العجل، والسلام.». «۴»

ثمّ ما برحت الرسائل تترى على الإمام عليه السلام من أهل الكوفة «يسألونه القدوم عليهم، وهو مع ذلك يتأنّى ولايجيبهم، فورد عليه فى يوم واحد ستمائة كتاب، وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده منها فى نُوَبٍ متفرّقة إثنى عشر ألف كتاب.». «۵»

---

(۱) الإرشاد: ۲۰۳/ وقد مضت ترجمة قيس فى ص ۶۹- ۷۳، ومضى الكلام حول ابنى الأرحبى وكذلك السلولى فى ص ۴۲، فراجع.

(۲) هانى بن هانى السبيعى: مضى الكلام حوله فى الفصل الأوّل ص ۴۰.

(۳) سعيد بن عبدالله الحنفى: مضت ترجمته فى الفصل الأول ص ۴۱.

(۴) الإرشاد: ۲۰۳ والبداية والنهاية ۸: ۱۵۴ مع تفاوت يسير فى الأسماء، وتاريخ اليعقوبى ۲: ۲۴۱.

(۵) اللهوف: ۱۰۵/ ويحسن أن نذكر هنا أنّ صاحب كتاب (تذكرة الشهداء) كان قد نقل فى ص ۶۴ منه عن مقتل الإسفراينى رسالة من أهل الكوفة الى الإمام الحسين عليه السلام، يشكون إليه فيها جور يزيد! وتجبّره على سائر البلاد! كما يشكون إليه عبيد الله بن زياد! وأنه أظلم وأطغى! وبدعونه الى القدوم عليهم، وأنّه أحقّ من يزيد وأبيه بالخلافة.

ويُلاحظ على نصّ هذه الرسالة ركّة تعابيرها حتّى ليشكّ القارىء أنّها من إنشاء إنسان لايحسن العربية تماماً فى أيّامنا هذه!!

كما يُلاحظ أنّ محتواها مخالف لحقائق التأريخ، لأنّهم يشكون فيها جور يزيد وتجبّره، ولم يكن ليزيد والإمام عليه السلام فى مكّة إلّا أشهر قليلة فى الحكم، ولم تتغير الأحوال على أهل الكوفة فى هذه الأشهر شيئاً ما يُذكر، بل العكس ربما كان صحيحاً لأنّ الوالى عليهم آنذاك النعمان بن بشير كانت قبضته قد تراخت عليهم بعد موت معاوية وأظهر ضعفاً واضحاً فى إدارة أمورهم. هذا فضلًا عن أنّ ابن زياد لم يأت الكوفة إلا بعد فترة من دخول مسلم بن عقيل عليه السلام الى الكوفة لتعبئة أهلها.

والغريب فى رواية هذه الرسالة، أنها تحكى أنّ الإمام عليه السلام بعد أن قرأ الكتاب رماه من يده وطرد الرسول!

ولا ـ ريب أنّ هذا ليس من أخلاق الامام عليه السلام، فلم يرو التأريخ أنّ الامام عليه السلام ألقى بكتاب أرسل إليه ولم يردّ عليه إلّا كتاب ابن زياد الذى دعاه فيه إلى النزول لحكمه وأمره فيه!

هذا، ويحسن هنا أيضاً أن نذكر أنّ الحائرى فى كتابه (معالى السبطين ۱: ۱۴۰) قد نقل عن كتاب (التبر المُذاب فى المواعظ) للسيّد عبدالفتاح بن ضياء الدين الأصفهانى (راجع: الذريعة ۳: ۳۷۲) نصَّ رسالة من أهل الكوفة الى الإمام الحسين عليه السلام- ولعلّ النقل بالمعنى- قال: «كثرت عليه الكتب وتواترت عليه الرسل، وكتبوا إليه: إنّك إن لم تصلْ إلينا فأنتَ آثمٌ!! لوجود الأنصار على الحقّ وتمكّنك من القيام به، فإنّك أصله وعموده وأهله ومعدنه!».

ولايخفى على المتأمّل البصير ما فى نصّ هذه الرسالة المدّعاة من تهافت! إذ كيف يأثم من هو أصل الحقّ وعموده وأهله ومعدنه!؟ وهل يمكن لأحدٍ من أهل الكوفة يؤمن- على الأقلّ- بأحقيّة الإمام عليه السلام بالخلافة، أو يؤمن بأنّه الإمام المفترض الطاعة، أن

يتجاسر مثل هذه الجسارة فيحكم عليه بالإثم إنْ لم يأتِ الكوفة!؟

نعم، ربّما يُحتمل أن تكون هـذه الرسالـة من إنشاء واحـد أو أكثر من منافقى أهل الكوفـة، غير أنّ من البعيـد ان يوفّق المنافق إلى مثل هذا التعبير: فإنّك أصله- أى الحقّ- وعموده وأهله ومعدنه! أو لعلّها من إنشاء جاهل بمقام الإمام عليه السلام وموقفه. والله العالم.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۴۰

ولقد روى السيّد ابن طاووس (ره) نفس الرسالة التى حملها الى الإمام عليه السـلام هانى بن هانى السبيعى وسـعيد بن عبدالله الحنفى، ولكن بتفاوت وإضافة مفصّلة، ويرى السيّد (ره) أنّ هذه الرسالة كانت آخر ما ورد على الإمام عليه السلام من أهل الكوفة، ولعلَّ من الأفضل أن ننقل متن هذه الرسالة أيضاً كما رواها السيد ابن طاووس (ره)، وهى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن علىّ أمير المؤمنين عليه السـلام من شـيعته وشـيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السـلام. أمّـا بعـد: فإنّ النـاس ينتظرونـك، لا رأى لهم غيرك، فالعجـل العجـل يـا ابن رسول الله، فقـد اخضّـرت الجنّات، وأينعت الثمار، وأعشـبت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم علينا إذا شئت، فإنّما تقدم على جُند مجنّدة لك، والسلام عليك ورحمة الله وعلى أبيك من قبلك.». «۱»

دور المنافقين فى موجة الرسائل:

ركب المنافقون والـذين فى قلوبهم مرض موجة الرسائل التى بعث بها أهل الكوفة إلى الإمام عليه السـلام، فشاركوا فيها، أو كتبوا إليه مستقلّين عن غيرهم يدعونه أيضاً الى القدوم عليهم مدّعين الطاعة له والإستعداد لنصرته!

روى السيّد ابن طاووس (ره) أنّ الإمام عليه السلام بعد أن قرأ الكتاب الذى حمله إليه هانى بن هانى وسعيد الحنفى سألهما قائلًا:

---

(۱) اللهوف: ۱۰۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۴۱

«خبّرانى من اجتمع على هذا الكتاب الذى كُتب به إلىّ معكما؟»

فقالا: يـا ابن رسول الله، شـبث بن ربعى، وحجّـار بن أبجر، ويزيـد بن الحارث، ويزيـد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج، ومحمّد بن عمير بن عطارد!». «۱»

لكنّ الشيخ المفيد (ره) ذكر أنّ هؤلاء- المنافقين- كتبوا إلى الإمام عليه السلام رسالة مستقلّة عن رسائل غيرهم، فقال: «ثمّ كتب شبث بن ربعى، «۲» وحجّار بن أبجر، «۳»

---

(۱) اللهوف: ۱۰۷/ وفى نقـل الطبرى: يزيـد بن الحـارث بن يزيـد بن رويم، وفيه أيضـاً: عزرة بن قيس بـدلًا من عروة بن قيس (تأريخ الطبرى ۳: ۲۷۸/ طبعة دار الكتب العلمية- بيروت)، أمّا فى كتاب الإرشاد: ۲۰۳ ففيه: يزيد بن الحارث بن رويم.

(۲) شبث بن ربعى التميمى: كان مؤذّن سجاح التى أدّعت النبوة (الطبرى ۲: ۲۶۸)، ثمّ أسلم، وكانفيمن أعان على عثمان، ثم صار مع علىّ فهدم بأمره دار حنظلة بن الربيع، وله موقف من معاوية، ثمّ صار من الخوارج ثمّ تاب، ثمّ حضـر قتل الحسين، ثم كان ممّن يطلب دم الحسين مع المختار!! وكان على شرطته!!، ثم حضر قتل المختار، ومات بالكوفة حدود الثمانين. (راجع: تقريب التهذيب ۱: ۳۴۴).

وما زعمه العسـقلانى من أنّ شـبث بن ربعى ممن طلب دم الحسـين مع المختار وكان على شـرطته شاذٌّ وغريب جـدّاً، وقـد تفرّد بهـذا الزعم الـذى لم يقـل به غيره! والمعروف المشـهور أنّ المختـار (ره) لم يسـتعن بأحـدٍ ممّن شـارك فى قتـل الحسـين عليه السـلام، بل طاردهم جميعاً فلم ينـجُ من سـيفه وعـذابه إلّا أقلّ القليل، نعم لقـد اسـتعان بقياداتهم عبـدالله بن الزبير! ولذا اسـتغرب الرجالىُّ المحقّق التسترى من زعم العسـقلانى فقال: «وما عن التقريب فى كونه ممّن أعان على عثمان، وفى شرطة المختار لم أتحققه!» (قاموس الرجال:

۳۹۰).

وشبث من أصحاب المساجد الأربعة الملعونة التى جُدّدت بالكوفة فرحاً واستبشاراً بقتل الحسين عليه السلام مع أنه كان قد حضر صفين فى صف علىّ عليه السلام (راجع: قاموس الرجال ۵: ۳۸۸ والكافى ۳: ۴۹۰ والتهذيب ۳: ۲۵۰ وتاريخ خليفة بن خياط: ۱۱۵ وسير أعلام النبلاء ۴: ۱۵۰ ووقعة صفين: ۱۹۹- ۲۰۵). والغريب أنّ ابن حبّان أورده فى كتابه (الثقات ۴: ۳۷۱) وقال: ويُخطىء! وأورده المزّى فى كتابه (تهذيب الكمال ۸: ۲۶۶) ولم يطعن فيه!

(۳) حجّار بن أبجر: أو بن أبحر العجلى السلمى، وهو ممّن كتب الى الحسين عليه السلام ثم صار إلى ابن زياد، فبعثه ليخذّل الناس عن مسلم بن عقيل عليه السلام، ثمّ انضمّ إلى الجيش الأموى بقيادة ابن سعد لقتال الحسين عليه السلام، ثمَّ صار من جند عبدالله بن مطيع العدوى لقتال المختار، وكان أبوه نصرانيّاً! وكان هو ممّن شهد على حُجر بن عدى (رض)، ورفع راية الأمان لإبنه يوم خروج مسلم، وأنكر كتابه للإمام يوم عاشوراء، ثمّ حارب المختار، ثمّ حارب عبدالله بن الحرّ لمصعب فانهزم أمامه، فشتمه مصعب وردّه، ثمّ كان فيمن كتب إليهم عبدالملك بن مروان من أهل الكوفة فشرطوا عليه ولاية اصبهان، فأنعم بها لهم كلّهم!، ولكنه كان قد خرج مع مصعب متظاهراً بقتال عبدالملك ... وكان حيّاً إلى سنة ۷۱ ه ثم لم يُعلم اثره (راجع: مستدركات علم الرجال ۲: ۳۱۰ ووقعة الطفّ ۹۴).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۴۲

ويزيد بن الحارث بن رويم، «۱» وعروة بن قيس، «۲» وعمرو بن الحجّاج الزبيدى، «۳»

---

(۱) يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم: ابو حوشب الشيبانى، أنكر كتابه يوم عاشوراء، فلمّا هلك يزيد، وخلّف عبيد الله بن زياد على الكوفة عمرو بن حُريث، فدعا إلى بيعة ابن زياد، قام يزيد بن الحارث هذا فقال: الحمدُ لله الذى أراحنا من ابن سميّة، لا ولاكرامة! فأمر به عمرو بن حريث أن يسجن فحالت بنو بكر دون ذلك، ثمّ صار من أصحاب الخطمى الأنصارى لابن الزبير، فكان يحثّه على قتال سليمان بن صرد وأصحابه قبل خروجهم! ثمّ كان يحثّه على حبس المختار! ثم بعثه ابن مطيع إلى جبّانة مراد لقتال المختار، ووضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت فمنع المختار من دخول الكوفة، ثُمَّ ثار على المختار فى إمارته ببنى ربيعة فانهزم بأصحابه ... ثمّ أمرّه مصعب على المدائن، ثمّ ولى الرىّ لعبد الملك بن مروان، فقتله الخوارج (راجع: الطبرى ۳: ۴۴۳ و ۴۲۵ و ۵۰۶ ووقعة الطف: ۹۴).

(۲) عزرة بن قيس الأحمسى: كان من الشهود على حُجر، ولهذا كتب الى الامام عليه السلام ليكفّر عن ذلك، ولقد استحيى أن يأتى الإمام عليه السلام من قبل عمر بن سعد ليسأله ما الذى جاء به!، ولقد أجابه زهير بن القين عشيّة التاسع من المحرّم يُعرّض به: أما والله ما كتبتُ إليه كتاباً قطّ، ولا أرسلتُ إليه رسولًا قطّ، ولا وعدته نصرتى قطّ.

وكان عزرة عثمانياً، وجعله ابن سعد على الخيل يوم عاشوراء، وكان يحرسهم بالليل، وكان فيمن حمل الرؤوس الى ابن زياد. (راجع: وقعة صفين: ۹۵).

وقد ورد ذكره فى (الإرشاد: ۲۰۳) وفى (الفتوح ۵: ۳۴) بإسم عروة بدلًا من عزرة لكنّ (تأريخ الطبرى ۳: ۲۷۸) ذكره بإسم عزرة، وكذلك (أنساب الأشراف ۳: ۱۵۸)، وكذلك أورده ابن عدى فى (الضعفاء ۵: ۳۷۷)، والذهبى فى (ميزان الإعتدال ۳: ۶۵)، والمزىّ فى (تهذيب الكمال ۱۳: ۳۴). فالظاهر أنّ إسم هذا الرجل هو عزرة، ولعلّ عروة تصحيف لذلك الإسم.

(۳) عمرو بن الحجّاج الزبيدى: وهو من الذين شهدوا زوراً وكذباً على حُجر بن عدى (رض) بالكفر بالله، وهو ممن كتبوا الى الامام عليه السلام يدعونه الى القدوم الى الكوفة، وهو الذى هدّأ حركة قبيلة مذحج بأسلوب مريب وأرجعهم عن قصر ابن زياد حينما أتوا لإستنقاذ هانى بن عروة، وهو الذى بعثه عمر بن سعد فى خمسمائة فارس على المشرعة وحالوا بين الإمام الحسين عليه السلام

وأصحابه وعيالاته وبين الماء، وكان مع ابن مطيع ضد المختار، ولما غلب المختار هرب عمرو فأخذ طريق شراف وواقصة فلم يُعلم له أثر بعد ذلك. (راجع: تأريخ الطبرى ۳: ۲۷۷ و ۲۷۸ و ۲۸۶ و ۳۱۱ و ۴۴۵ و ۴۵۹). وكان على ميمنة ابن سعد يوم عاشوراء، وحمل على ميمنة أصحاب الامام عليه السلام بمن معه، وهو الذى اقترح أن يُرمى الإمام عليه السلام وأنصاره بالحجارة بدل المبارزة! وهو الذى كان يحرّض عساكر أهل الكوفة على الامام عليه السلام وانصاره قائلًا: يا أهل الكوفة إلزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا فى قتل من مرق من الدين وخالف الامام!! فقال الحسين عليه السلام: يا ابن الحجّاج! أعلىَّ تحرّض الناس!؟ أنحن مرقنا من الدين وأنتم ثبتُّم عليه!؟ والله لتعلمنّ أيُّنا المارق من الدين، ومن هو أولى بصِلْيِّ النار!. وكان عمرو ممن حمل الرؤوس من كربلاء الى الكوفة. (راجع: البحار ۴۵: ۱۳ و ۱۹ و ۱۰۷).

وكانت رويحة بنت عمرو بن الحجّاج هذا زوجة لهانى بن عروة (رض) وهى أمّ يحيى بن هانى، وكان هانى بن عروة (رض) قد انقطع عن زيارة قصر ابن زياد وحضور مجلسه- بعد أن نزل مسلم بن عقيل عليه السلام عنده- بدعوى أنّه مريض، فأرسل ابن زياد إليه عمرو بن الحجّاج الزبيدى ومحمد بن الأشعث وأسماء بن خارجه ليأتوا به إليه. (راجع: الارشاد ۲۰۸).

وذكر النمازى أنّ عمرو هذا من مجاهيل الصحابة، وذكره باسم عمر بدلًا من عمرو (راجع: مستدركات علم الرجال ۶: ۳۲).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۴۴

ومحمّد بن عمرو التيمى «۱»: أمّا بعدُ، فقد اخضّر الجناب، وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جُندٍ لك مجنّدة.». «۲»

التعاطف الكبير مع سفير الحسين عليهما السلام

بعد أن عمّت الفرحة الكوفة وشاع أريجُ الإبتهاج فيها لموت معاوية بن أبى سفيان، كان همُّ أكثر أهل الكوفة- بعد أن علموا بامتناع الإمام الحسين عليه السلام عن مبايعة يزيد وارتحاله الى مكّة المكرّمة- استنهاض الإمام عليه السلام للقيام ودعوته الى التوجّه إليهم، فكانت رسائلهم الكثيرة إليه.

ولم تزل قلوبهم وأعينهم ترقب الأنباء القادمة إليهم من مكّة، إذ لعلّ طالعاً بالخير يحمل إليهم نبأ البشرى بقدوم الإمام عليه السلام، أو قدوم نائب عنه يسبقه إليهم، فلمّا أفاقوا ذات يوم على خبر مجىء مسلم بن عقيل عليه السلام إليهم ونزوله دار المختار بين ظهرانيهم سفيراً عن الحسين عليه السلام، هبّوا للقائه ولتقديم البيعة

---

(۱) محمد بن عمرو التيمى، أو محمد بن عمير بن عطارد (كما فى اللهوف: ۱۰۷)، أو محمد بن‌عمير التميمى (كما فى تاريخ الطبرى ۳: ۲۷۸): وكان أحد أمراء الجند فى صفّين مع علىّ عليه السلام! (راجع: لسان الميزان ۵: ۳۲۸)، وهو ممّن سعى فى دم عمرو بن الحمق الخزاعى (رض) عند زياد حتى لامه على ذلك عمرو بن حريث وزياد (راجع: تاريخ الطبرى ۳: ۲۲۵)، وكان ممّن شهد على حُجر بن عدى (رض)، وكان على مضر فى محاربة المختار، ثمّ بايع المختار فبعثه والياً على آذربيجان، وكان مع الحارث بن أبى ربيعة والى الكوفة لابن الزبير فى قتال الخوارج، وكان ممن كاتبه عبدالملك بن مروان من أهل الكوفة، ثمّ ولّاه همدان، ثمّ رجع الى الكوفة فكان بها فى ولاية الحجّاج عام ۷۵ ه، ثمّ لم يُعلم أثره (راجع: وقعة الطفّ: ۹۵).

(۲) الإرشاد: ۲۰۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۴۵

للإمام عليه السلام على يديه، وكان أقلّ عدد ذكره المؤرّخون لمن بايع مسلماً عليه السلام منهم اثنى عشر الفاً.

قال ابن عساكر: «كان مسير الحسين بن على من مكّة الى العراق بعد أن بايع له من أهل الكوفة إثنا عشر ألفاً على يدى مسلم بن عقيل، وكتبوا إليه فى القدوم عليهم ..». «۱»

وقال المحقّق المقرّم (ره): «وأقبلت الشيعة يبايعونه حتى أحصى ديوانه ثمانية عشر ألفاً، وقيل بلغ خمسة وعشرين ألفاً.». «۲»

وعن ابن نما (ره): «إنّ أهل الكوفة كتبوا إليه: إنّا معك مائة ألف!، وعن داود بن أبى هند، عن الشعبى قال: بايع الحسين عليه السلام أربعون الفاً من أهل الكوفة على أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم.». «۳»

ولاشكّ أنّ هذا العدد سواء فى أقلّ تقدير له أو أعلى تقدير حاكٍ عن انتفاضة شعبية وتحرّك جماهيرىّ واسع النطاق تأييداً للإمام عليه السلام ورفضاً للحكم الأموىّ، بل يُستفاد من رسالة مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الإمام عليه السلام أنّ الكوفة كلّها كانت مع الإمام عليه السلام! فإنَّ نصّ الكتاب: «أمّا بعدُ، فإنّ الرائد لايكذب أهله، وقد بايعنى من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجِّل الإقبال حين يأتيك كتابى هذا، فإنّ النّاس كلّهم معك! ليس لهم فى آل معاوية رأىٌ ولاهوى، والسلام.». «۴»

---

(۱) تاريخ دمشق ۷: ۱۴۴.

(۲) مقتل الحسين عليه السلام/ للمقرّم: ۱۴۸ وانظر: مناقب آل ابى طالب ۴: ۹۱.

(۳) مثير الأحزان: ۲۶.

(۴) تاريخ الطبرى ۳: ۲۹۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۴۶

الإجتماع الأوّل مع سفير الإمام عليه السلام

اشاره

روى الطبرى يقول: «ثم أقبل مسلم حتّى دخل الكوفة، «۱» فنزل دار المختار بن أبى عُبيد، وهى التى تُدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلمّا اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون! فقام عابس بن أبى شبيب الشاكرى، «۲» فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعدُ فإنّى لاـ أُخبرك عن الناس، ولا أعلم ما فى أنفسهم، وما أغرّك منهم! واللّهِ، أحدّثك عمّا أنا موطّن نفسى عليه، واللّه لأُجيبنّكم إذا دعوتم، ولأُقاتلنَّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفى دونكم حتّى ألقى اللّه، لا أريد بذلك إلّا ما عند اللّه!

فقام حبيب بن مظاهر الفقعسى فقال: رحمك الله، قد قضيت ما فى نفسك بواجزٍ من قولك! ثمّ قال: وأنا والله الذى لا إله إلّا هو على مثل ما هذا عليه!. ثم قال الحنفىّ مثل ذلك!». «۳»

إشارة:

لهذه الرواية تتمة تتحدّث عن جوّ آخر غير الجوّ الحماسىّ الحسينى الذى تجلّى فى مقالات ومواقف رجال مؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أمثال عابس بن أبى شبيب الشاكرى، وحبيب بن مظاهر الأسدى، وسعيد بن عبدالله الحنفى، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. جوّ آخر يُخفى نفسه- على استيحاء- فى الأجواء الحماسية فلا يبين! وإن

---

(۱) ومعه أصحابه الثلاثة: قيس بن مسّهر الصيداوى، وعمارة بن عبيد السلولى وعبدالرحمن بن‌عبدالله بن الكدن الأرحبى (وقعة الطفّ: ۹۹).

(۲) تأتى‌ترجمة عابس بن أبى شبيب الشاكرى قدس سره فى‌الملتحقين بالإمام عليه السلام فى مكّة المكرّمة ص ۳۸۲.

(۳) تاريخ الطبرى ۳: ۲۷۹/ والمراد بالحنفى هنا هو سعيد بن عبدالله (رض).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۴۷

كـان تـأثيره هو التأثير الأقوى والفاعل فى تحديـد ورسم مواقف أكثر الناس من أهل الكوفـة يومـذاك، إنه جوّ الشـلل النفسـى الـذى تفشّـى فى أكثر الناس آنـذاك وطغى عليهم حتى تنكّروا لبصائرهم، فاسـتحبّوا العمى على الهـدى، وخالفت أيـديهم قلوبهم، فأطاعت سيوفهم من كرهوا! فقتلت أعزَّ من أحبّوا!، وماذاك إلّا للوهن الذى أصابهم حين كرهوا الموت وأحبّوا الحياة الدنيا، فصاروا من خوف الموت فى ذلّ! فازدوجوا وتناقض الظاهر مع الباطن فيهم، وكذلك يستحوذ الشيطان على من يؤثر الدنيا على الآخرة!

يقول الحجّاج بن علىّ- الذى يروى عنه أبومخنف قصة هذا الإجتماع-:

فقلت لمحمّد بن بشر- الهمدانى الذى كان حاضراً هذا الإجتماع وروى قصّته-:

فهل كان منك أنت قول؟

فقال: أنى كنتُ لأُحبُّ أن يُعزّ الله أصحابى بالظفر، وما كنت لأحبّ أن أُقتلَ، وكرهتُ أن أكذب!! «۱»

الكوفة بانتظار الحسين عليه السلام

فى غمرة التفافها حول مسـلم بن عقيل عليه السـلام، وعدم مبالاتها بواليها يومذاك النعمان بن بشـير الذى ضـعف قبال موجة انتفاضـة الامّـة أو كان يتضـعّف!، كانت أعين أهالى الكوفـة ترقب طريق القوافل القادمـة من الحجاز، وقلوبهم بأيـديهم بإنتظار لحظات القدوم المبارك، قدوم الإمام الحسين عليه السـلام، ليفرشوا تلك القلوب زرابىّ مبثوثة على تراب طريق مقدم ابن رسول الله صـلى الله عليه و آله.

---

(۱) تأريخ الطبرى ۳: ۲۷۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۴۸

وذات يوم أبصرت أعين أهل الكوفة رجلًا متلثّماً، معتمّاً بعمامة سوداء، وعليه ثياب يمانية، قادماً وحده، راجلًا ممسكاً بزمام بغلته! فظنّوا أنه الإمـام الحسـين عليه السـلام!- وبالسذاجـة هـذا الظنّ!- «فقـالت إمرأة: اللّه أكبر! ابن رسول اللّه صـلى الله عليه و آله وربِّ الكعبـة! فتصايح الناس، وقالوا: إنّا معك أكثر من أربعين ألفاً! وازدحموا عليه حتّى أخذوا بذنب دابّته، وظنّهم أنّه الحسين عليه السلام ..». «۱»

فكـان لاـ يمرّ على جماعـة من النـاس إلّـا سـلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول اللّه! قـدمتَ خير مقـدم!، وجعل يمرّ بالمحارس، فكلّما نظروا إليه لم يشـكّوا أنّه الإمام الحسـين عليه السلام! فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله! وهو لايكلّمهم! وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم! يسايرونه طريقه الى قصر الإمارة، وهو لايحييهم ولايكلّمهم!

وسـمع النعمان بن البشـير بالصـخب القادم على الطريق، فأغلق عليه وعلى خاصـته القصر! وهو لايشكّ أيضاً أنّ هذا القادم هو الحسين عليه السـلام ومعه الخلق يضـجّون! ملتفّين حوله، فلمّـا انتهى إليه قال له النعمان: أُنشـدك اللّه إلّا تنحيّت! فما أنا بمسـلّم إليك آمانتى! ومالى فى قتالك من أرب!.

والقادم لايكلّمه! حتى دنا وتـدلّى النعمان بين شـرفتين قريباً جـدّاً منه، فقال هـذا القادم: إفتح لا فتحتَ! فقد طال ليلك! فسـمعها إنسان كوفىّ خلفه، فانكفأ الى الناس وقـد أخـذته الدهشـة وهو يقول: أى قوم! ابن مرجانـة! والذى لا إله غيره! فاندهش الناس، وقالوا- وهم يتشبّثون بظنّهم الساذج-: ويحك إنّما هو الحسين! «۲» وفى رواية ابن نما (ره): «.. فحسر اللثام وقال: أنا عبيدالله! فتساقط القوم، ووطىء

---

(۱) مثير الأحزان: ۳۰.

(۲) راجع: تأريخ الطبرى ۳: ۲۱۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۴۹

بعضهم بعضاً، ودخل دار الإمارة ...». «۱»

فالقادم إذن لم يكن الإمام عليه السلام، بل كان عبيد الله بن زياد وابن مرجانة لعنهم الله، الوالى الذى أرسلته السلطة الأموية المركزية فى الشام بمشورة من سرجون النصرانىّ إلى الكوفة، للسيطرة على طوارىء حركة الأمّة فيها، لماله من معرفة بخصائص النفسية الكوفية، وخبرة إدارية شيطانية، وقدرة على الظُلم والغشم.

أهل الكوفة .. والمبادرة المطلوبة

هناك مجموعة من العوامل والشرائط اللازمة لنجاح أىّ تحرك ثورى يهدف الى تغيير الاوضاع السياسية فى بلدٍ ما من البلدان، ينبغى لقيادة هذا التحرّك الإنتباه إليها والعمل على تحقيقها لضمان نجاح هذا التحرّك فى الوصول إلى أهدافه المنشودة.

والمتأمّل فى تحرّك أهل الكوفة بعد موت معاوية- فى رفضهم خلافة يزيد بن معاوية، ومكاتبتهم الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة، باذلين له الطاعة، وطالبين منه القدوم إليهم- يرى أنّ هناك مجموعة من الشرائط اللازمة لنجاح هذا التحرّك كان ينبغى لوجهاء وأشراف أهل الكوفة الذين تصدّوا لهذا العمل أن يسعوا إلى تحقيقها وتوفيرها حتّى يُوفَّقَ هذا التحرك وهذه الإنتفاضة فى بلوغ الأهداف المنشودة.

ومن أهمِّ واوّل الأمور التى كان ينبغى للعقل الكوفى المعارض أنْ يُعدِّ العدّة لتحقيقه ويستبق الأيّام للقيام به المبادرة إلى السيطرة على الأوضاع فى الكوفة قبل

---

(۱) مثير الأحزان: ۳۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۵۰

مجىء الإمام عليه السلام إليها، وذلك مثلًا باعتقال الوالى الأموىّ، وجميع معاونيه وأركان إدارته، ومن عُرف من عيونه وجواسيسه، ومنع الخروج من الكوفة إلّا بإذن خاص، وذلك لحجب أخبار ما يجرى فيها عن مسامع السلطة الأموية أطول مدّة ممكنة من أجل تأخير تحرّكها لمواجهة الإنتفاضة فى الكوفة قبل وصول الإمام عليه السلام، حتّى يصل الإمام عليه السلام فيمسك بزمام الأمور ويقود الثورة إلى حيث كامل الأهداف.

والإهتداء الى ضرورة القيام بمثل هذ المبادرة ليس بدعاً من الأمر، أو من الأفكار التى لايهتدى إليها إلّا الأوحدىّ من الناس، بل هو من إدراكات الأذهان العامة، ها هو عبدالله بن العبّاس (رض) يتحدّث عن ضرورة القيام بهذه المبادرة قائلًا للإمام عليه السلام: «فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم، ثمّ اقدم عليهم»، «۱» وهذا عمر بن عبدالرحمن المخزومى يقول للإمام عليه السلام أيضاً: «إنّك تأتى بلداً فيه عمّاله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحبّ إليه ممّن يُقاتلك معه»، «۲» وهذا عمرو بن لوذان يخاطب الإمام عليه السلام قائلًا: «وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطّأوا لك الأشياء فقدمت عليهم، كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال التى تذكر فإنّى لا أرى لك أن تفعل!». «۳»

والإمام عليه السلام لا يُخطّىء مقولات هؤلاء، بل يُقرّر عليه السلام أن ذلك من النصح والعقل والرأى! فهو يقول لابن عبّاس: «يا ابن عمّ، إنّى واللّه لأعلم أنك ناصح

---

(۱) تاریخ الطبری ۳: ۲۹۵.

(۲) تاریخ الطبری ۳: ۲۹۴.

(۳) الإرشاد: ۲۲۳؛ والکامل فی التأریخ ۲: ۵۴۹.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۳۵۱

مشفق!»، «۱» ویقول للمخزومی: «فقد واللّه علمتُ أنک مشیت بنصحٍ وتکلّمت بعقل!»، «۲» ویقول لعمرو بن لوذان: «یا عبدالله، لیس یخفی علیَّ الرأی!». «۳»

ومن المُلفت للإنتباه أیضاً أنّه لیس فی رسائل الإمام علیه السلام إلی أهل الکوفة ولا فی وصایاه لمسلم بن عقیل علیه السلام ما یمنع أهل الکوفة من القیام بهذه المبادرة التی أقرّ الإمام علیه السلام أنها من العقل والرأی! بل لقد دعاهم علیه السلام الی القیام مع مسلم علیه السلام، حیث قال علیه السلام فی رسالته الأولی إلیهم- علی روایة ابن أعثم-: «فقوموا مع ابن عمّی وبایعوه وانصروه ولاتخذلوه!». «۴»

وفی رسالته الثانیة التی بعثها إلیهم بید قیس بن مسهرّ الصیداوی (رض)- والتی لم تصل إلیهم لأنّ ابن زیاد کان قد قبض علی الرسول- دعاهم الإمام علیه السلام إلی السرعة والعزم علی الأمر والجدّ فیه، حیث قال علیه السلام فیها: «فإذا قدم علیکم رسولی فاکمشوا أمرکم وجدّوا!»، «۵» إذ الکَمْشُ فی الأمر هو العزم علیه والسرعة فیه! «۶»

إذن ما هی علّة عدم مبادرة الشیعة فی الکوفة إلی السیطرة علی الأوضاع فیها!؟ مع أنّ فیهم عدداً یُعتدُّ به من رجال ذوی خبرات عریقة فی المجالات

---

(۱) تاریخ الطبری ۳: ۲۹۵.

(۲) تاریخ الطبری ۳: ۲۹۴.

(۳) الکامل فی التاریخ ۲: ۵۴۹.

(۴) الفتوح ۵: ۳۶.

(۵) تأریخ الطبری ۳: ۳۰۱.

(۶) لسان العرب ۶: ۳۴۳/ وفیه: الکَمْشُ: الرجل السریع الماضی. رجلٌ کَمْشٌ وکمیش: عزوم ماضٍ سریع فی أموره. وفی الحدیث: واکمش فی فراغک قبل أن یقصد قصدک ..» أیّ شَمِّر وجدَّ فی الطلب ..» (مجمع البحرین ۴: ۱۵۳).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۳۵۲

العسکریة والسیاسیة والإجتماعیة! ولاشکّ أنّ التفکیر بمثل هذه المبادرة قد طرأ علی أذهانهم أکثر من مرّة! فلماذا لم یبادروا!؟

لعلّ الإجابة علی هذا السؤال من أصعب ما یواجه المتأمّل فی حرکة أحداث النهضة الحسینیة المقدّسة، ومع هذا فإنَّ من الممکن هنا أن نتحدّث باختصار فی أهمّ الأسباب التی أدّت الی عدم مبادرة الشیعة فی الکوفة الی السیطرة علی الأوضاع فیها قبل مجیء الإمام علیه السلام إلیها، وهی:

۱)- لم یکن للشیعة فی الکوفة- وهم من قبائل شتّی- خصوصاً فی فترة ما بعد الإمام الحسن المجتبی علیه السلام عمیدُ من شیعة أهل الکوفة، یرجعون إلیه فی أمورهم وملمّاتهم، ویصدرون فیها عن رأیه وقراره وأمره.

نعم، هناک وجهاء وأشراف متعدّدون من الشیعة فی الکوفة، لکلٍّ منهم تأثیره فی قبیلته، لکنهم لاتصدر مواقفهم إزاء الأحداث الکبری المستجدّة عن تنسیق بینهم وتنظیم یوّحد بین تلک المواقف، وینفی عنها التشتّت والتفاوت.

ولقد ترسّیخت هذه الحالة فی شیعة الکوفة خاصة نتیجة السیاسات التی مارسها معاویة- بترکیز خاص علی الکوفة خلال عشرین من

السنوات العجاف الحالكة- فى خلق الفرقة والتناحر بين القبائل، والإرهاب والقمع، والمراقبة الشديدة التى ترصد الأنفاس، والإضطهاد المرير والقتل الذى تعرّض له كثير من الشيعة ومن زعمائهم خاصة، الأمر الذى زرع بين الناس على مدى تلك السنين العشرين العجاف الحذر المفرط والخوف الشديد من سطوة السلطان، وضعف الثقة وقلّة الإطمئنان فيما بينهم، والفردية فى اتخاذ الموقف والقرار.

ويكفى دليلًا على كلّ ما أشرنا إليه من التعددية والتشتّت نفس المنحى الذى تمّت فيه مكاتبة أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة، فلولا التعددية فى مراكز

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۵۳

الوجاهة والزعامة لما تعددّت الرسائل والرسل منهم إلى الإمام عليه السلام.

فلو كان لهم زعيم واحد يصدرون عن رأيه وأمره لكفى الإمام عليه السلام منهم رسالة واحدة تأتى من زعيمهم، لا إثنا عشر ألف رسالة!، ولما احتاج الإمام عليه السلام إلى أن يسأل آخر الرسل: «خبّرانى من اجتمع على هذا الكتاب الذى كُتب به إلىَّ معكما؟». «۱» كما يكفى دليلًا على ضعف الثقة والإطمئنان، والفردية فى إتخاذ الموقف والقرار، قول الشهيد الفذّ عابس بن أبى شبيب الشاكرى (رض) بين يدى مسلم بن عقيل عليه السلام: «أمّا بعدُ، فإنّى لا أُخبرك عن النّاس، ولا أعلم ما فى أنفسهم، وما أغرُّك منهم! واللّه أحدّثك عمّا أنا موطّن نفسى عليه، واللّه لأجيبنّكم إذا دعوتم، ولأقاتلنّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفى دونكم حتّى ألقى اللّه، لا أريد بذلك إلّا ما عند اللّه». «۲»

۲)- هناك ظاهرة عمّت القبائل العربية التى استوطنت الكوفة، وهى ظاهرة انقسام الولاء فى أفرادها، ففى كلّ قبيلة إذا وجدتَ من يعارض الحكم الأموىّ أو يوالى أهل البيت عليهم السلام فإنّك تجد أيضاً قبالهم من يوالى الحكم الأموىّ ويخدم فى أجهزته، ولعلّ الموالين للحكم الأموى فى جلّ هذه القبائل أكثر من المعارضين له عامة والموالين لأهل البيت عليهم السلام خاصة.

وهذه المشكلة ربّما كانت هى المانع أمام زعماء من الشيعة كبار فى قبائلهم الكبيرة من أن يُثَوِّروا قبائلهم ضد الحكم الأموىّ علانية، وينهضوا بهم للقيام بمثل تلك المبادرة المطلوبة، ذلك لأنّ افراداً كثيرين هناك فى نفس القبيلة ممّن

---

(۱) اللهوف: ۱۰۷.

(۲) تأريخ الطبرى ۳: ۲۷۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۵۴

يخدمون فى أجهزة الأمويين ويوالونهم سيسارعون إلى اخبار السلطة الأموية بما عزم عليه زعيم قبيلتهم الشيعىّ، فيقُضى على ذلك العمل قبل البدء فيه، كما يُقضى على الزعيم الشيعىّ وعلى أنصاره أيضاً، ففى قبيلة مذحج الكبيرة فى الكوفة مثلًا، كما تجد زعيماً شيعياً رائداً مثل هانى بن عروة (رض) تجد إزاءه ايضاً زعيماً آخر- أو أكثر- مثل عمرو بن الحجّاج الزبيدى، يتفانى فى خدمة الأمويين إلى درجةِ أنْ يؤثر مصلحة الأمويين حتى على مصلحة مذحج نفسها، حينما قام بدوره المريب فى ركوب موجة انتفاضة مذحج وقيامها لإطلاق سراح هانى (رض) فردّهم عن اقتحام القصر وصرفهم وفرّق جموعهم، بمكيدة منه ومن شريح وابن زياد.

وهذه الظاهرة تجدها فى بنى تميم، وبنى أسد، وكندة، وهمدان، والأزد، وغيرها من قبائل أهل الكوفة.

إذن فقد كان من العسير عملياً على أىّ زعيم كوفى شيعى أن يقود جموع قبيلته فى عملٍ ما ضدّ الحكم الأموىّ، وذلك لوجود زعماء آخرين من نفس القبيلة موالين للحكم الأموىّ، باستطاعتهم التخريب من داخل القبيلة نفسها على مساعى الزعيم الشيعى، أو من خارجها بالإستعانة بالسلطة الأموية نفسها.

۳)- يُضاف إلى السببين الأوّل والثانى- وهما أهمُّ الأسباب- سبب ثالث وهو تفشىّ مرض الشلل النفسى، وازدواج الشخصية، والوهن

المتمثّل فى حبّ الدنيا والسلامة وكراهية الموت، فى جُلّ أهل الكوفة آنذاك خاصة، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما عبّر به محمّد بن بشر الهمدانى- الذى روى تفاصيل اجتماع الشيعة الأوّل مع مسلم بن عقيل عليه السلام فى دار المختار، وروى مقالة عابس الشاكرى ومقالة حبيب بن مظاهر ومقالة سعيد بن عبدالله الحنفى رضوان الله عليهم، فى استعدادهم للتضحية والموت فى نصرة الإمام عليه السلام- حينما سأله الحجّاج بن علىّ

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۵۵

قائلًا: فهل كان منك أنت قول؟

أجاب قائلًا: إنّى كُنت لأُحبُّ أنْ يُعزَّ اللّه أصحابى بالظفر، وما كنت لأحبَّ أنْ أُقتل، وكرهت أن أكذب! «۱»

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك أيضاً، قول عبيد الله بن الحرّ الجعفى مخاطباً الإمام عليه السلام: «واللّه إنى لأعلمّ أنّ من شايعك كان السعيد فى الآخرة، ولكن ما عسى أن أُغنى عنك ولم أخلّف لك بالكوفة ناصراً!؟ فأنشدك اللّه أن تحملنى على هذه الخطّة، فإنّ نفسى لم تسمح بعدُ بالموت!». «۲»

وكان زعماء الشيعة الكوفيون قد أدركوا خطورة إنتشار هذا المرض، وتفطّنوا لأثره السَّيء على كلّ نهضة وقيام، فكانوا يحسبون لخذلان الناس فى أىّ مبادرة جهادية ألف حساب، نلاحظ ذلك مثلًا فى قول سليمان بن صرد الخزاعى فى اجتماع الشيعة الأوّل: «فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإنْ خفتم الوهل والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه!». «۳»

ونلمح أيضاً هذا الإدراك والمعرفة بتفشّى هذا المرض فى قول عابس الشاكرى (رض) وهو يخاطب مسلماً عليه السلام: «فإنّى لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما فى أنفسهم، وما أغرّك منهم! ...». «۴»

وبعدُ: فلعلّ هذه الأسباب المهمة الثلاثة التى ذكرناها تشكّل إجابة وافية عن علّة عدم مبادرة زعماء الشيعة فى الكوفة إلى السيطرة على الأوضاع فيها قبل مجيء الإمام عليه السلام.

---

(۱) راجع: تاريخ الطبرى ۳: ۲۷۹.

(۲) الأخبار الطوال: ۲۵۱.

(۳) تاريخ الطبرى ۳: ۲۷۷.

(۴) تاريخ الطبرى ۳: ۲۷۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۵۶

حركة الأمّة فى البصرة

اشاره

كان ظاهر الحياة السياسية والإجتماعية فى البصرة سنة ستين للهجرة يوحى بأنّ عبيد الله بن زياد كان قد هيمن هيمنة سياسية وإدارية كاملة على مجارى أمورها وعلى حركة الأحداث فيها، لما اتصف به من قدرة على الغشم والظلم والجور، وبراعة شيطانية فى التفريق بين القبائل، وخلق الكراهية بين الوجهاء والأشراف فيها، وما سوى ذلك من فنون المكر والخداع لمواصلة إخضاع وإذلال الأمّة التى عرفت فساد الطغاة الأمويين وولاتهم.

ويساعد على هذا الإيحاء فى الظاهر أيضاً وجود مجموعة كبيرة من أشراف ووجهاء البصرة ورؤساء الأخماس «۱» فيها ممن لهم علاقات ودّية حميمة مع الحكّام الأمويين عامة وعبيد الله بن زياد خاصة.

أمّا باطن الحياة السياسية والاجتماعية فى البصرة آنذاك فكان يشهد أمراً آخر، إذ كان فى البصرة أشراف ووجهاء ورؤساء أخماس آخرون- وإن كانوا قلّة- يعرفون حقائق الأمور ويحبّون الحقّ وأهله! كما كان فى عمق الحياة البصرية نشاط سرىّ لمعارضة شيعيّة، لها منتدياتها واجتماعاتها فى الخفاء، تتداول فيها الأخبار ومستجدّات الأحداث، ولها نوع من الإرتباط والعلم بأنشطة المعارضة الشيعية فى الحجاز وفى الكوفة، وكان عبيدالله بن زياد على علم إجمالى بوجود هذه المعارضة الشيعية فى البصرة، وكان يتوجّس منها ويحذرها.

ويمكننا هنا أن نتابع حركة الأمة فى البصرة من خلال:

---

(۱) مرَّ بنا من قبل معنى الأخماس فى الفصل الأول ص ۲۸ فراجع.

ردّ رؤوس الأخماس والأشراف على رسالة الإمام عليه السلام

۱)- ردّ الأحنف بن قيس:

كتب الأحنف بن قيس رداً على النسخة التى وصلته من كتاب الإمام الحسين عليه السلام الى رؤساء الأخماس فى البصرة وأشرافها قائلًا: «أمّا بعدُ: فاصبر إنّ وعد اللّه حقٌ ولايستخفنّك الذين لايوقنون»، «۱» ولم يزد على الآية «۲» شيئاً! فكأنَّ الأحنف قد رأى أنه أدّى واجبه وتكليفه إزاء دعوة الإمام عليه السلام للنهضة لإحياء سنّة رسول الله صلى الله عليه و آله، فهو يكتفى بأن يوصى الإمام عليه السلام بالصبر! وأن لايستخفّه الذين لايوقنون!

ولايخفى على العارف بسيرة الأحنف بن قيس أنّ هذا الرجل كان من أوضح مصاديق (الذين لايوقنون)، فموقفه هذا فى جوابه هذا كاشف عن تردّده عن نصرة الإمام عليه السلام مع علمه بأحقيّة الإمام عليه السلام بالخلافة وقيادة الأمّة، وموقفه الآخر من قبلُ فى البصرة أيضاً فى فتنة عبدالله بن عامر الحضرمى الذى دعا أهل البصرة- بعد صفين- الى نكث بيعة أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام مرّة أخرى، حيث قال الأحنف رداً على ما دعا إليه الحضرمى رسول معاوية: «أمّا أنا فلا ناقة لى فى هذا ولاجمل!»، «۳» بدلًا من أن يهبّ للدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام ويدعو أهل البصرة فى المقابل إلى الثبات على البيعة والسمع والطاعة!، وله موقف آخر من قبل ذلك أيضاً نمَّ عن تردّده وضعف يقينه، إذ بعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إنّى مقيمٌ على طاعتك فى قومى فإن شئتَ أتيتك فى مائتين من أهل بيتى فعلتُ، وإن شئت حبست عنك أربعة آلاف سيف من بنى سعد!. فبعث إليه أميرالمؤمنين عليه السلام: بل

---

(۱) مثير الاحزان: ۲۷.

(۲) الآية رقم ۶۰ من سورة الروم.

(۳) الغارات ۲: ۳۸۴/ وراجع: ترجمة الأحنف بن قيس فى الفصل الأول: ص ۳۲- ۳۴/ الحاشية.

احبس وكُفَّ ..». «۱»

۲)- خيانة المنذر بن الجارود:

وكان هذا أيضاً من البصريين الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام، فلمّا أتاه رسول الإمام عليه السلام سليمان بن رزين (رض)

بالكتاب قرأه، ثمّ أخذ الكتاب والرسول الى عبيد الله بن زياد، زاعماً «۲» أنه خشى أن يكون الكتاب دسيسة من ابن زياد!، فقتل ابن زياد الرسول! ثمّ صعد المنبر فخطب وتوعّد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الإرجاف! «۳»

كان عبيد الله بن زياد صهراً للمنذر بن الجارود، إذ كانت بحرية بنت المنذر (أو أخته) «۴» زوجة له، وقد كافأ ابن زياد، المنذر على جريمته النكراء هذه مكافئة كان يصبو إليها المنذر الذى كشف تماماً فى هذه الواقعة عن سوء عنصره وحقارته، حيث ولّاه السند من بلاد الهند، لكنّه لم يهنأ طويلًا بجائزته على خيانته تلك، إذ هلك فى السند سنة ۶۲ ه. «۵»

ودعوى ابن الجارود أنه خشى أن يكون الكتاب دسيسة من ابن زياد دعوى كاذبة، إذ لم يكن طريق معرفة حقيقة الأمر منحصراً بتسليم الرسول والكتاب الى ابن زياد!، لقد كان بإمكان المنذر بن الجارود- لو كان صادقاً- أن يعرف صدق الرسول بأبسط تحقيق معه، لابتسليمه ليُقتل!.

۳)- يزيد بن مسعود النهشلى .. والموقف المحمود:

ما إنْ وصلت إلى يد يزيد بن

---

(۱) كتاب الجمل والنصرة لسيّد العترة: ۲۹۵/ فى الجزء الأول من موسوعة مصنّفات الشيخ المفيد.

(۲) راجع: تأريخ الطبرى ۳: ۲۸۰.

(۳) راجع: اللهوف: ۱۱۴؛ والبحار ۴۴: ۳۳۷.

(۴) راجع: إبصار العين: ۴۰.

(۵) راجع: الإصابة ۳: ۴۸۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۵۹

مسعود النهشلىّ نسخته من رسالة الإمام الحسين عليه السلام فقرأها حتى جمع بنى تميم وبنى حنظلة وبنى سعد، فلمّا حضروا قال: يا بنى تميم، كيف ترون موضعى منكم وحسبى فيكم؟

فقالوا: بخٍّ بخٍّ! أنتَ والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللتَ فى الشرف وسطاً، وتقدّمتَ فيه فرطاً!

قال: فإنى قد جمعتكم لأمرٍ أريد أن أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه.

فقالوا: واللّه إنّا نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأى، فقلْ نسمع.

فقال: إنّ معاوية قد مات، فأهون به واللّه هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً وظنّ أنه قد أحكمه، وهيهات والذى أراد!، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام إبنه يزيد، شارب الخمور، ورأس الفجور، يدّعى الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم بغير رضىً منهم، مع قِصر حلم، وقلّة علم، لايعرف من الحقّ موطىء قدمه.

فأُقسم باللّه قسماً مبروراً، لجهادُه على الدّين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علىّ، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله ذو الشرف الأصيل، والرأى الأثيل، له فضل لايوصف، وعلم لاينزف، وهو أولى بهذا الأمر، لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير، فأكرم به راعى رعيّة وإمام قوم وجبت للّه به الحجّة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحقّ، ولا تسكّعوا فى وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله صلى الله عليه و آله ونصرته، واللّهِ لا يقصّر أحدٌ عن نصرته إلّا أورثه اللّه الذلّ فى ولده، والقلّة فى عشيرته، وها أنا قد لبست للحرب

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۶۰

لامتها، وأدّرعت لها بدرعها، من لم يُقتل يمتْ، ومن يهرب لم يفتْ، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلّمت بنو حنظلة فقالوا: يا أبا خالد، نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميتَ بنا أصبت، وإن غزوتَ بنا فتحت، لا تخوض واللّه غمرة إلّا خُضناها، ولاتلقى واللّه شدَّة إلّا لقيناها، ننصرك واللّهِ باسيافنا، ونقيك بأبداننا فانهض لما شئت.

وتكلّمت بنو سعد بن زيد فقالوا: يا أبا خالد، إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس «۱» أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقى عزّنا فينا! فأمهلنا نراجع المشورة ونأتك برأينا.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا ابا خالد، نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لانرضى إن غضبتَ، ولا نقطن إن ظعنت، والأمر إليك، فادعنا نجبك، ومُرنا نطعك، والأمر إليك إذ شئت.

فقال: واللّه يا بنى سعد لئن فعلتموها لايرفع اللّه السيف عنكم أبداً، ولايزال سيفكم فيكم!

ثمّ كتب إلى الحسين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعدُ: فقد وصل إليَّ كتابك، وفهمت ما ندبتنى إليه ودعوتنى له، من الأخذ بحظّى من طاعتك والفوز بنصيبى من نصرتك، وإنَّ اللّه لايُخلى الأرض من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل النجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه، ووديعته فى أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة هو أصلها وانتم فرعها، فاقدم سُعِدتَ بأسعد طائر، فقد ذلّلتُ لك أعناق

---

(۱) والمراد به الأحنف بن قيس/ راجع: سير أعلام النبلاء ۴: ۸۵ واسد الغابة ۱: ۵۵.

بنى تميم، وتركتهم أشدّ تتابعاً لك من الإبل الظماء يوم خمسها لورود الماء، وقد ذلّلت لك رقاب بنى سعد، وغسلت لك درن صدورها بماء سحابة مُزنٍ حين استهلّ برقها فلمع.

فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال:

«آمنك اللّه يوم الخوف، وأعزّك، وأرواك يوم العطش الأكبر.». «۱» مع الركب الحسينى ج۲ ۳۶۱ ۳) - يزيد بن مسعود النهشلى..

والموقف المحمود: ..... ص : ۳۵۸

ى رواية ابن نما (ره) قال: «فلمّا تجهّز المشار إليه للخروج إلى الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلغه قتله قبل أن يسير، فجزع لذلك جزعاً عظيماً لما فاته من نصرته.». «۲»

ملاحظات وتأمّل:

۱)- كان الإمام الحسين عليه السلام قد كتب نسخة واحدة إلى رؤساء الأخماس فى البصرة وإلى الأشراف فيها، وذكر الطبرى «۳» أنّ الإمام عليه السلام كتب إلى مالك بن مسمع البكرى، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر.

لكنّ التأريخ لم يسجّل أنّ أحداً من هؤلاء قد أجاب على رسالة الإمام عليه السلام أو ردَّ ردّاً حميداً، فالأحنف بن قيس ردّ على رسالة الإمام عليه السلام يوصيه بالصبر! وألّا يستخفّه الذين لايوقنون!، أمّا المنذر بن الجارود فقد سلّم الرسالة والرسول إلى ابن زياد الذى قتل الرسول!، وأمّا مالك بن مسمع البكرى فقد كان أمويّ الهوى، «۴»

---

(۱) اللهوف: ۱۱۰، ومثير الأحزان: ۲۷- ۲۹.

(۲) مثير الأحزان: ۲۹.

(۳) تأريخ الطبرى ۳: ۲۸۰؛ وراجع: الفتوح ۵: ۴۲.

(۴) راجع: ترجمته فى الفصل الأول: ص ۳۲.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۶۲

ولم يسجّل التأريخ أنه أجاب على رسالة الإمام عليه السلام!، وأمّا قيس بن الهيثم فقد كان عثمانى الهوى متباعداً عن أهل البيت عليهم السلام إلى آخر عمره، «۱» ولم يـذكر التأريـخ أيضاً أنّ قيس بن الهيثم قد أجاب على رسالة الإمام عليه السـلام!، وأمّا عمر (أو عمرو) بن عبيـد الله بن معمر فلم تـذكر له كتب التواريخ والتراجم أيّة علاقة طيّبة مع أهل البيت عليهم السـلام، بل عُرف عنه ولاؤه لابن الزبير أيّام سلطانه، وكان على ميمنة مصعب ابن الزبير فى قتال المختار، ثمّ انقلب ولاؤه لعبد الملك بن مروان! فكان يأتمر بأمره، حتّى وفد عليه بـدمشق، فمات عنده بالطاعون سنة ۸۲ ه، «۲» ولم يـذكر التأريـخ أيضاً أنّ هـذا الرجل قد أجاب على رسالة الإمام الحسين عليه السـلام!، وأمّا مسعود بن عمرو الأزدى فقـد كان أيضاً مجانباً ومعادياً لأهل البيت عليهم السـلام، وصـديقاً حميماً وناصـراً وحامياً لابن زياد حتى بعد مقتل الحسين عليه السـلام، «۳» ولم يـذكر التأريـخ أيضاً أنّ مسـعود بن عمرو الأزدى هـذا قد أجاب على رسالة الإمام الحسين عليه السلام! «۴»

---

(۱) راجع: ترجمته فى الفصل الأوّل ص ۳۴- ۳۵.

(۲) راجع: البدايـة والنهاية ۹: ۴۹ و ۸: ۲۹ و ۲۹۶/ والمعارف: ۴۱۴/ وتاريـخ الطبرى ۳: ۳۷۷ و ۴۰۷ و ۴۸۴ و ۵۴۱/ وكان المحقق السماوى (ره) قد ذكره بإسم: عبدالله بن عبيد الله بن معمر التيمى، تيم قريش. (راجع: إبصار العين: ۴۱).

(۳) راجع: ترجمته فى الفصل الأوّل ص ۳۴.

(۴) لكنّ المحقّق السـماوى (ره) قال فى مسـعود هـذا: «وهو الذى جمع الناس وخطبهم لنصـرة الحسـين فلم يتوفّق، ويمضـى فى كتب المقاتـل أنه يزيـد بن مسـعود النهشـلى، وهـذا تميمىٌّ يُكنّى بـأبى خالـد وليس من رؤسـاء الأخماس، ولعلّه مكتوب إليه أيضاً، والـذى يُستظهر من الخطبـة والكتـاب الى الحسـين عليه السـلام أنّ الـذى جمع النـاس هـذا، لامسـعود، ولكنّ الطبرى وغيره من المؤرّخين لم يذكروا الثانى». (إبصار العين: ۴۱). ولايخفى أنّ ما ذهب إليه الشيخ السماوى (ره) اشتباه محض، لاتساعد عليه سيرة مسعود بن عمرو الأزدى المعادى لأهل البيت عليهم السلام، ولعلّ مرّد هذا الإشتباه هو ظنّ الشيخ السماوى (ره) أنّ الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام هم رؤسـاء الأخماس لاسواهم، وأنهم الـذين ذكرهم الطبرى فقط! والأمر ليس كـذلك، أولًا: لأنّ عبارة الطبرى صـريحة فى أنّ الإمام الحسـين عليه السـلام بعث بنسخ من رسالته إلى أشـراف فى البصـرة ليسوا من رؤساء الأخماس، حيث قال: «وكتب بنسخة إلى رؤوس الأخماس وإلى الأشراف ...» (تأريخ الطبرى ۳: ۲۸۰)، وثانياً: لأنّ يزيد بن مسعود النهشلى كان من أشراف البصرة وكبار وجهائها وإن لم يكن من رؤسـاء الأخمـاس فيهـا، وقـد ذكر مؤرّخون آخرون فى غايـة الإعتبار كالسـيّد ابن طاووس (ره) فى كتابه (اللهوف: ۱۱۰) وابن نمـا (ره) فى كتـابه (مثير الأحزان: ۲۷- ۲۹) أنّ يزيد بن مسـعود النهشـلى ممّن كتب إليهم الإمام الحسـين عليه السـلام. وأمّا قول الشـيخ السـماوى (ره) فى ترجمته للشـهيد الحجّاج بن بدر التميمى السـعدى: «كان الحجّاج بصـرياً من بنى سعد بن تميم، جاء بكتاب مسـعود بن عمرو إلى الحسـين فبقى معه وقُتل بين يـديه» (إبصار العين: ۲۱۲) فناشـىء من نفس هذا الإشـتباه، ولا دليل عليه!، بل كان الحجّاج هذا (رض) رسول يزيد بن مسـعود النهشلى على ما ذكره بعض أهل المقاتل، ولقد ذكر السماوىّ نفسه هذا فى (إبصار العين: ۲۱۳).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۶۳

فإذا كان جلُّ رؤساء الأخماس فى البصـرة وأشرافها بين متباعد عن أهل البيت عليهم السلام مجانب لهم، وبين متردّد متذبذب فى حبّه إياهم وموقفه منهم، وبين متربّص خائن طامع فى دنيا أعدائهم، فما هو السرّ فى كتابة الإمام عليه السلام إلى مثل هؤلاء!؟

لعلّ مجموعة الأسباب التالية هى التى دعت الإمام عليه السلام إلى كتابة هذه الرسالة إلى رؤساء الأخماس والأشراف فى البصرة:

أ- كانت مخاطبة القبائل فى ذلك الوقت لاتتمُّ ولاتثمر إلّا من خلال رؤسائها وأشرافها ذلك لأنّ أفراد كلِّ قبيلة كانوا لايتجاوزون رؤساءهم وأشرافهم فى إتخاذ أى موقف وقرار، والمتأمّل فى خطبة يزيد بن مسعود النهشلى فى بنى تميم وبنى حنظلة وبنى سعد، وردّهم عليه يرى هذه الحقيقة واضحة جليّة.

ب- إلقاء الحجّة على جميع أهل البصرة بما فيهم رؤساؤهم وأشراف

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۶۴

قبائلهم، خصوصاً وأنّ البصرة برغم سيطرة ابن زياد عليها- ما يزيد على خمس سنين حتى ذلك الوقت- لم تكن قد انغلقت لصالح الأمويين كما هو حال مدن الشام، إذ كان فيها أشراف ورؤساء يعرفون حقّانية أهل البيت عليهم السلام، وأفئدتهم تهوى إليهم، كما كان فى البصرة معارضة شيعية لها اجتماعاتها ومنتدياتها السريّة، إذن ففى مبادرة الإمام عليه السلام فى الكتابة إلى كلّ هؤلاء إلقاء للحجّة عليهم وقطع العذر عليهم بالقول إنهم لم ينصروا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله لأنهم لم يعلموا بقيامه ونهضته.

ج- قد تُثمر رسالة الإمام عليه السلام صدّ المتردّد من الأشراف ورؤساء الأخماس عن الإنضمام إلى أىّ فعل مُضادّ لحركة الإمام عليه السلام، وقد يعتزل هو وكثير من أفراد قبيلته فلا ينصرون الحكم الأموىّ، وهذا على أيّة حال أفضل من اشتراكهم فى القتال ضدّ الإمام عليه السلام.

د- من ثمرات هذه الرسالة إعلام البصريين الراغبين فى نصرته عليه السلام بأمر نهضته، وتعبئتهم لذلك من خلال أشرافهم الموالين لأهل البيت عليهم السلام كمثل يزيد بن مسعود النهشلى وأمثاله.

۲)- فى قصة رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى رؤساء الأخماس فى البصرة وإلى أشرافها، لم يوفّق أحدٌ منهم إلى الموقف المحمود إلّا يزيد بن مسعود النهشلى (ره)، الذى كشفت خطبته فى بنى تميم وبنى حنظلة وبنى سعد، ورسالته الى الإمام عليه السلام، عن أنّه كان مؤمناً بمقام أهل البيت عليهم السلام عامة وبمقام الإمام الحسين عليه السلام خاصة، وكان عارفاً بحقّهم، ويكفيه مجداً وفخراً موقفه الرائع هذا، كما يكفيه سعادة دعاء الإمام عليه السلام له: «آمنك اللّه يوم الخوف، وأعزّك، وأرواك يوم العطش الأكبر!».

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۶۵

لكنّ ممّا يؤسف له أننا لم نعثر فى كتب التواريخ والتراجم على ما يزيدنا معرفة بهذا الرجل الشريف الوجيه الماجد عدا ماورد فى قصة هذه الرسالة، وعدا أنّه أرسل جوابه إلى الإمام عليه السلام مع الحجّاج بن بدر التميمى السعدى (رض)، الذى أوصل الرسالة إلى الإمام عليه السلام بمكّة، وبقى معه ورافقه إلى كربلاء واستشهد بين يديه يوم عاشوراء. «۱»

۳)- قال يزيد بن مسعود النهشلى (ره) فى خطبته: «إنّ معاوية مات، فأهون به واللّه هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم ...»، والظاهر من طبيعة هذه العبائر أنّ يزيد النهشلى (ره) كان يقرّر لجموع بنى تميم حقيقة مسلّمة عندهم وعند جميع أهل البصرة، فى أنّهم كانوا قد عانوا الأمرّينَ من ظلم وجور ومآثم معاوية وولاته عليهم.

إنّ الكوارث التى أصابت البصريين على يد ولاة الأمويين لم تكن اقلّ من تلك التى أصابت الكوفة طيلة حوالى عشرين من السنوات العجاف من بعد شهادة أمير المؤمنين علىٍّ عليه السلام.

هذا سمرة بن جندب مثلًا، «۲» كان «فى زمن ولايته البصرة يخرج من داره مع

---

(۱) راجع: إبصار العين: ۲۱۳- ۲۱۴.

(۲) سمرة بن جندب: روى أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قال: «آخر أصحابى موتاً فى النار!» فبقى سمرة بن‌جندب- حليف الأنصار-

بالبصرة، وأبومحذورة بمكّة، وكان سمرة يسأل من يقدم من الحجاز عن أبى محذورة، وكان أبو محذورة يسأل من يقدم من البصرة عن سمرة، حتى مات أبو محذورة قبله. (راجع: أنساب الأشراف ١: ٥٢٧)، وقال ابن الأثير: «توفى سنة تسع وخمسين، بالبصرة، وسقط فى قدر مملوءة ماءً حاراً، كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه، فسقط فيها فمات» (أُسد الغابة ٢: ٣٥٥)، لكنّ ابن أبى الحديد قال: «كان- أى سمرة بن جندب- من شرطة ابن زياد، وكان أيّام مسير الحسين عليه السلام الى العراق يحرّض الناس على الخروج إلى قتاله» (شرح نهج البلاغة ۴: ٧۴)، وكذلك صرّح ابن قتيبة فى كتاب (المعارف: ١٧٢) أنّ سمرة مات سنة بضع وستّين، وعليه فلا يُلتفت الى قول ابن الأثير بأنّ سمرة هلك سنة تسع وخمسين بالبصرة.

لقد كان سمرة بن جندب من شرار من صحب رسول الله صلى الله عليه و آله، وخدم طيلة حياته فى خط حركه النفاق، وكان لايعبأ بالحرمات، ففى (الكافى ٨: ٣٢٢ ح ٥١٥) أنه ضرب على رأس ناقة النبى صلى الله عليه و آله فشجّها! فخرجت إلى النبى صلى الله عليه و آله فشكته! وكان يجاهر بمعصية الله ورسوله! ففى (التهذيب ٧: ١۴٧) عن زرارة، عن الإمام الباقر عليه السلام: أنّ سمرة بن جندب كان له عذق فى حائط لرجل من الأنصار، وكان منزل الأنصارىّ بباب البستان، وكان يمرّ به إلى نخلته ولايستأذن! فكلّمه الأنصارى أن يستأذن إذا جاء، فأبى سمرة!، فجاء الأنصارى إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فشكا إليه فأخبره الخبر، فأرسل إليه النبيّ صلى الله عليه و آله وخبّره بقول الأنصارى وقال: إذا أردتَ الدخول فاستأذن.

فأبى! فلمّا أبى ساومه حتى بلغ به من الثمن ماشاء فأبى أن يبيعه!

فقال: لك بها عذقٌ مُذلَّلٌ فى الجنّة. فأبى ان يقبل! فقال النبى صلى الله عليه و آله للأنصارى: إذهب فاقلعها وارم بها إليه، فإنه لاضرر ولاضرار.

وروى الطبرى عن أبى سوار العدوىّ قال: «قتل سمرة من قومى فى غداة سبعة وأربعين رجلًا قد جمع القرآن» (تأريخ الطبرى ۵: ٢٣٧).

وروى أيضاً عن عوف قال: «أقبل سمرة من المدينة، فلمّا كان عند دور بنى أسد خرج رجل من بعض أزقّتهم ففاجأه أوّل الخيل، فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة! ثمّ مضت الخيل، فاتى عليه سمرة وهو متشحطٌ بدمه فقال: ما هذا!؟ فقيل: أصابته أوائل خيل الأمير. فقال: إذا سمعتم بنا ركبنا فاتّقوا أسنّتنا.» (تأريخ الطبرى ۵: ٢٣٧).

وكان سمرة من المأجورين الذين استخدمهم معاوية للكذب على الله ورسوله صلى الله عليه و آله، فقد روى أنّ معاوية بذل له مائة ألف درهم على أن يروى أنّ آية «ومن الناس من يُعجبك قوله فى الحياة الدنيا- الى قوله تعالى- والله لايحبّ الفساد» نزلت فى علىّ عليه السلام، وأنَّ آية «ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد» نزلت فى ابن ملجم، فلم يقبل! فبذل له مائتى الف فلم يقبل! فبذل ثلاثمائة ألف فلم يقبل! فبذل أربعمائة ألف فقبل! (راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۴: ٧٣).

وعن الطبرى: أنّ معاوية اقرّ سمرة بعد زياد ستة أشهر ثمّ عزله، فقال سمرة: لعن الله معاوية! والله لو أطعتُ الله كما اطعتُ معاوية ما عذّبنى أبداً! (تأريخ الطبرى ۵: ٢٣٧).

ومع كلّ هذا! فإن تعجب فعجبٌ قول الذهبى «إنّ سمرة من علماء الصحابة، له أحاديث صالحة!!»، ولعلّ الذهبى قصد بها الأحاديث المكذوبة التى اختلقها سمرة فى ذمّ علىّ عليه السلام خدمة لحركة النفاق!

كما ينقل الذهبى عن ابن سيرين قوله: «كان سمرة عظيم الأمانة صدوقاً!!»، ويقول الذهبى فى قصة هلاكه: «إنّ سمرة استجمر، فغفل عن نفسه حتى احترق ... فهذا إن صحّ فهو مُراد النبىّ، يعنى نار الدنيا!» (راجع: سير أعلام النبلاء ٣: ١٨۶)، فالذهبى يأبى إلّا أن يحرف صريح مراد قول النبيّ صلى الله عليه و آله: «آخر اصحابى موتاً فى النار» ليكون معناه: آخر أصحابى يموت احتراقاً بالنار!! تُرى كم هو الفرق كبير وشاسع بين صريح مراد النبى صلى الله عليه و آله وبين مُدّعى هذا المذهوب بنور بصره وبصيرته!؟

مع الركب الحسينى ،ج٢،ص:٣۶٧

خاصته ركباناً بغارة، فلا يمرُّ بجيوان ولاطفل ولاعاجز ولاغافل إلّا سحقه هو واصحابه بخيلهم! وهكذا إذا رجع! ولايمرُّ عليه يوم يخرج

به إلّا وغادر به قتيلًا أو أكثر!»، «۱» و «قتل من أهل البصرة ثمانية آلاف رجل من الشيعة فى ستّة أشهر، وهى ايّام إمارته على البصرة!». «۲»

ويروى الذهبى، عن عامر بن أبى عامر قال: «كنّا فى مجلس يونس بن عبيد، فقالوا: ما فى الأرض بقعة نشفت من الدم ما نشفت هذه- يعنون دار الإمارة- قُتل بها سبعون ألفاً! فسألتُ يونس فقال: نعم، من بين قتيل وقطيع! قيل: من فعل ذلك!؟ قال: زياد وإبنه وسمرة ..». «۳»

---

(۱)

تنقيح المقال ۲: ۶۲.

(۲) تنقيح المقال ۲: ۶۹.

(۳) سير أعلام النبلاء ۳: ۱۸۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۶۸

وروى الطبرى عن محمّد بن سليم قال: «سألتُ أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يُحصى من قتلهم سمرة!؟ إستخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة، وقد قتل ثمانية آلاف من الناس! فقال له زياد: هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت مثلهم ما خشيت!». «۱»

من هنا يمكننا أن نستفيد بُعداً آخر ودافعاً جديداً يُضاف الى مجموعة الدوافع التى كانت من وراء كتابة الإمام عليه السلام رسالته إلى أهل البصرة، وهو أنّ أهل البصرة- كما أهل الكوفة- أولى من غيرهم فى مجال المبادرة الى النهوض مع الإمام عليه السلام والجهاد بين يديه لإزالة الظلم والجور وإحقاق الحقّ، لأنهم عانوا الأمرَّين من جور وظلم بنى أميّة الذين قتلوا الآلاف منهم، ولعلّ يزيد بن مسعود النهشلى (ره) كان ايضاً قد اراد هذا المعنى فى مخاطبته بنى تميم حينما ابتدأ خطبته بتذكيرهم بهذه الحقيقة.

المؤتمر الشيعىّ السرّىُّ فى البصرة

اشارة

روى الطبرى عن أبى مخارق الراسبى قال: «اجتمع ناسٌ من الشيعة بالبصرة فى منزل امرأة من عبدالقيس يقال لها مارية «۲» ابنة سعد- أو- منقذ أيّاماً، وكانت

---

(۱) تأريخ الطبرى ۵: ۲۳۶.

(۲) قال المامقانى: «مارية بنت منقذ أو سعيد العبدية: يُستفاد كونها إماميّة تقيّة ممّا روى عن أبىجعفر عليه السلام من أنها كانت تتشيّع، وكانت دارها مألفاً للشيعة يتحدّثون فيها ..» (تنقيح المقال ۳: ۸۲)، وعلّق على قوله التسترى قائلًا: «اقول: المصنّف راى كلام بعضهم أنّ أبا جعفر قال مارية كانت تتشيّع فتوّهم أنَّ مراده بأبى جعفر ابوجعفر الباقر عليه السلام، مع أنّ مراده أبو جعفر الطبرى». (قاموس الرجال ۱۱: ۳۵/ الطبعة الأولى- مكتبة الصدوق)، وقال النمازى: «قيل إنّ المراد بأبى جعفر: الطبرى لا أبوجعفر الإمام عليه السلام». (مستدركات علم الرجال ۸: ۵۹۸).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۶۹

تتشيّع، وكان منزلها لهم مألفاً يتحدّثون فيه!

وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ الطريق!

قال: فأجمع يزيد بن نبيط «۱» الخروج وهو من عبدالقيس الى الحسين، وكان له بنون عشرة، فقال: أيّكم يخرج معى؟ فانتدب معه إبنان له: عبدالله وعبيد الله، فقال لأصحابه فى بيت تلك المرأة: إنّى قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج.

فقالوا له: إنّا نخاف عليك اصحاب ابن زياد. فقال: إنّى واللّه لو قد استوت اخفافهما بالجُدد لهان علىَّ طلب من طلبنى!

قال: ثمّ خرج فقوىَ فى الطريق حتّى انتهى الى حسين عليه السلام فدخل فى رحله بالأبطح ...». «۲»

إشارة:

شهدت البصرة فى السرّ انعقاد هذا المؤتمر الشيعىّ فيها فى الأيام التى كانت تشهد أيضاً فى العلانية تحرّكات رؤساء الأخماس والأشراف على أثر وصول رسالة الإمام عليه السلام إليهم، وكان الفارق كبيراً جدّاً بين المشهدين!

---

(۱) يزيد بن نبيط العبدى: ذكره المحقّق السماوى (ره) فى (إبصار العين: ۱۹۱) باسم يزيد بن ثبيط، وقال: ويمضى فى بعض الكتب: ثبيث ونبيط، وهما تصحيف. وهو مع إبنيه رضوان الله تعالى عليهم من شهداء الطفّ، وقد ورد السلام عليه فى زيارة الناحية المقدّسة بإسم: يزيد بن ثبيت، كما ورد السلام على ولديه فيها ايضاً، وسيأتى ذكرهم تحت عنوان (الملتحقون بالركب الحسينى فى مكة المكرّمة).

(۲) تأريخ الطبرى ۳: ۲۷۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۷۰

ذلك لأنها شهدت فى تحرّكات الرؤساء والأشراف: تردّداً فى نصرة الإمام عليه السلام، وشهدت إعراضاً عنه، وخيانة وغدراً! أللّهمّ إلّا ماشهدته فى تحرّك يزيد بن مسعود النهشلى (ره) من تحريك وتوجيه المشاعر القبلية- من خلال مزجها بمشاعر دينية- باتجاه نصرة الامام عليه السلام.

لكنّ ما شهدته البصرة فى السرّ كان شهوداً من نوع آخر!

إذ شهدت اجتماعاً استمرّ أيّاماً فى السرّ، لم يقم على أساس الإنتماء القبلى، فالمجتمعون كانوا من قبائل شتّى، بل قام على أساس الولاء لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، وقد تذاكر فيه المجتمعون أمر الإمامة وما آل إليه الوضع الراهن يومذاك، «۱» وتداولوا ما يجب عليهم القيام به أداءً للتكليف الدينى «فأجمع رأى بعضٍ على الخروج فخرج، وكتب بعض بطلب القدوم»، «۲» وبالفعل فقد نتج عن هذا المؤتمر المبارك أن انطلقت كوكبة كريمة من البصريين برغم أعين الرصد وحواجز الحصار، تتجّه مسرعة إلى مكّة المكرّمة لتلتحق بالركب الحسينى ولتفوز الفوز العظيم.

خمسمائة من البصريين فى سفر ابن زياد الى الكوفة!

اشارة

روى الطبرى عن عيسى بن يزيد الكنانى قال: «لمّا جاء كتاب يزيد إلى عبيدالله بن زياد انتخب من أهل البصرة خمسمائة، فيهم عبدالله بن الحارث بن

---

(۱) راجع: ابصار العين: ۲۵.

(۲) إبصار العين: ۲۵/ لكننا لم نعثر على أثر تاريخى يفيد بأنّ بعض الشيعة فى البصرة كتب إلىالإمام عليه السلام فى مكّة يطلب منه القدوم الى العراق عامة أو البصرة خاصة، ولعلَّ الشيخ السماوى (ره) كان قد عثر على مثل هذا فقال به!

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۷۱

نوفل، «۱» وشريك بن الأعور، «۲» وكان شيعة لعلىّ، فكان أوّل من سقط بالناس شريك، فيقال إنه تساقط غمرة ومعه ناس، ثمَّ سقط عبدالله بن الحارث وسقط معه ناس، ورجوا أن يلوى عليهم عبيدالله ويسبقه الحسين الى الكوفة! فجعل لايلتفت إلى من سقط، ويمضى حتّى ورد القادسية، وسقط مهران مولاه فقال: أيا

---

(۱) عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطّلب بن هاشم، القرشى الهاشمى، أبومحمد، لقبه: ببّه، وأمّه هند بنت ابى سفيان أخت معاوية ..، ولد على عهد النبىّ صلى الله عليه و آله، فحنّكه النبى صلى الله عليه و آله، وتحوّل الى البصرة، واصطلح عليه أهل البصرة بعد موت يزيد بن معاوية، فأقرّه عبدالله بن الزبير.

قال ابن حبان: توفى سنة تسع وسبعين، قتلته السَّموم، ودفن بالأبواء.

وقال محمد بن سعد: توفى بعمان سنة اربع وثمانين عند انقضاء فتنة عبدالرحمن بن الأشعث، وكان خرج إليها هارباً من الحجّاج. (راجع: تهذيب الكمال ۱۰: ۷۴) و «كان رسول الحسن ابن على عليهم السلام من المدائن الى معاوية .. وكان من أفاضل المسلمين، تحوّل الى البصرة فسكنها وبنى بها داراً، ولمّا كان أيام مسعود بن عمرو وخرج عبيد الله عن البصرة، واختلف الناس بينهم، وأجمعوا أمرهم فولّوا عبدالله بن الحارث صلاتهم وفيأهم، وكتبوا بذلك الى عبدالله بن الزبير، وقالوا: إنّا رضينا به.

فأقرّه ابن الزبير على البصرة، فلم يزل عاملًا عليها سنة ثم عزله، وخرج عبدالله بن الحارث الى عمان فمات بها ... وكان ظاهر الصلاح، وله رضاً فى العامة، واراده أهل البصرة على التعسف لصلاح البلد فعزل نفسه وقعد فى منزله .. (راجع: تاريخ بغداد ۱: ۲۱۲ وسير أعلام النبلاء ۱: ۲۰۱).

وقال المامقانى: «وإن وثّقه الثلاثة- اى أبوموسى الاصفهانى، وابن منده، وابن عبدالبر- إلّا أنّ مبناهم فى التوثيق غير معلوم، وبعد استفادة كونه إمامياً من ظاهر كلام الشيخ (الطوسى) نجعل توثيق الجماعة إيّاه مدحاً، مُدرجاً له فى الحسان». (راجع: تنقيح المقال ۲: ۱۷۶).

وقال النمازى: «أنفذه الحسن عليه السلام الى معاوية، وحبسه ابن زياد مع المختار وميثم ... جملة من رواياته المفيدة حسنة». (مستدركات علم الرجال ۴: ۵۰۸).

(۲) شريك بن الأعور: مرّت بنا ترجمة مختصرة له فى ص ۱۵۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۷۲

مهران، على هذه الحال إن أمسكتَ عنك حتى تنظر الى القصر فلك مائة ألف! قال: لا واللّه ما استطيع. فنزل عبيد اللّه فأخرج ثياباً مقطّعة من مقطّعات اليمن، ثمّ اعتجر بمعجرة يمانية، فركب بغلته ثمّ انحدر راجلًا وحده ...». «۱»

إشارة:

يبدو من ظاهر نصّ هذا الخبر أنّ عدد الشيعة الذين صحبوا ابن زياد الى الكوفة فى هذا السفر لم يكن قليلًا- إن لم يكونوا هم الأكثر- فقد تساقط شريك الحارثى ومعه ناس! وكذلك تساقط عبداللّه يتأخّر إبن الحارث ومعه ناس! راجين أن يتأخّر ابن زياد لأجلهم فلا يسبقُ الإمام عليه السلام فى الوصول الى الكوفة!

تُرى هل كان هذا التساقط أفضل الوسائل لتعويق ابن زياد ومنعه من دخول الكوفة قبل الإمام عليه السلام!؟

وإذا كان شريك ومن معه من الشيعة يعرفون الدور الخطير الذى سيقوم به ابن زياد لاستباق حركة الأحداث فى الكوفة وإدارتها لصالح يزيد! أفلم يكن من الراجح أن يقتلوا ابن زياد بأيّة صورة، سرّاً أو علناً، وإن أدّى ذلك إلى قتل أحدهم أو جماعة منهم أو جميعهم بعد ذلك، ترجيحاً لمصلحة الإسلام العُليا!؟

أم أننا هنا ايضاً أمام صورة أخرى من صور الوهن والشلل النفسى الذى أصاب الأمّة وتفشّى فيها، فأصاب هؤلاء أيضاً، فرأوا أنّ أقصى ما يمكنهم المبادرة إلى هو التساقط فى الطريق فقط! متمنّين للإمام عليه السلام أن ينصره الله على أن لاتتعرّض دنياهم لأىّ ضرر أو خطر!

إننا لانشكُّ فى إخلاص شريك وأمثال شريك من شيعة علىّ عليه السلام، ولكننا

---

(۱) تأريخ الطبرى ۳: ۲۸۱؛ وانظر: مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ۱۴۹.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۷۳

نعجب من إقتصارهم على التفكير فى التساقط فقط! وعدم تدبيرهم لخطّة يتخلّصون بها من ابن زياد ويخلّصون الأمّة منه فى ثنايا الطريق من البصرة إلى الكوفة! وربّما كان قتل ابن زياد بتدبير خفىّ غامض فى ليلة ظلماء فى هذه الرحلة أيسر بكثير- من حيث الإعتبارات العرفيّة والتبعات- من قتله فى بيت هانى بن عروة على ضوء الخطّة التى أقترحها شريك نفسه يومذاك! نقول هذا كلّه بحسب الموازين والحسابات الظاهرية، ونعلم أنّ إرادة الله وتقديراته شىء آخر!

الملتحقون بالركب الحسينىّ فى مكّة المكرّمة

اشارة

إلتحق بالإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة مجموعة من أخيار هذه الأمّة وأبرارها، فانضمّوا إلى الركب الحسينىّ المتشكّل آنذاك ممن كان قد قُدم مع الإمام عليه السلام من المدينة المنوّرة، ومنهم من لازم الإمام عليه السلام حتّى استشهد معه فى كربلاء يوم عاشوراء، ومنهم من أرسله الإمام عليه السلام فقُتل أو عاد إليه، ويمكننا أن نصنّفهم حسب الأمكنة التى انطلقوا منها للإلتحاق بالإمام عليه السلام فى مكّة المكرّمة الى:

۱) – الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل المدينة

اشارة

۲)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة ولم تحدد التواريخ والتراجم أمكنة انطلاقهم.

۳)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل الكوفة.

۴)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل البصرة.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۷۴

۱) – الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل المدينة:

روى ابن عساكر قائلًا: «وبعث الحسين إلى المدينة فقدم عليه من خفَّ معه من بنى عبدالمطّلب وهم تسعة عشر رجلًا، ونساء وصبيان

من إخوانه وبناته ونسائهم ..». «۱»

ولايخفى أنّ متن هـذه الروايـة لا يحـدّد لنا أسـماء هؤلاء الملتحقين من بنى هاشم! كما أنّه «لم يرد فى الكتب التاريخية ذكر تفصيلىٌّ لأسـماء الهاشـميين فى الركب الحسينىّ القاصـد من المدينة الى مكّة المكرّمة، بل ورد فى أغلب هذه الكتب ذكر إجمالى لمن خرج من الهاشـميين مع الإمام عليه السلام من المدينة ..»، «۲» ولذا فقد يعسـر تماماً على المتتبّع أن يحدّد بدقّة كاملة أسماء جميع بنى هاشم الـذين خرجوا مع الإمام عليه السـلام من المدينة، فيعرف على ضوء هذا أسـماء من التحقوا به عليه السـلام فى مكّة. ولذا فالمسألة بهذا الصدد تبقى على إجمالها وإبهامها!

نعم، تشير مجموعة من الدلائل التأريخية «۳» إلى أنّ الإمـام عليه السـلام كان قـد خرج من المدينـة المنوّرة بجميع أبنائه، وجميع أبناء أخيه الإمام الحسن عليه السـلام، وجميع بقيّة إخوته لأبيه عدا محمّد بن الحنفيّة (رض)، وعدا عمر الأطراف كما هو الظاهر من سيرته. «۴»

---

(۱) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الامام الحسين عليه السلام/ تحقيق المحمودى): ۲۹۸ رقم ۲۵۶؛ وانظر: البداية والنهاية ۸: ۱۷۸.

(۲) راجع: الجزء الأول من (الركب الحسينى من المدينة الى المدينة): ۴۰۴- ۴۰۶.

(۳) راجع: الإرشاد: ۲۰۱ والأخبار الطوال: ۲۲۸ والفتوح ۵: ۲۱ وتاريخ الطبرى ۳: ۲۷۱.

(۴) راجع: قاموس الرجال ۸: ۲۱۴ وانظر: تنقيح المقال ۲: ۳۴۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۷۵

وتشير هذه الدلائل «۱» أيضاً إلى أنّ مسـلم بن عقيل عليه السـلام كان معه أيضاً فى خروجه من المدينـة. ومع هـذا فإنّ ذلك لايُخرج القضـية من الإجمال الى التفصـيل التام، ذلك لأننا مثلًا لانسـتطيع القول- على ضوء ما عندنا من وثائق تأريخية- بالنسـبة إلى آل عقيل الذين كانوا مع الإمام عليه السلام فى مكّة: مَن منهم التحق به فى مكّة، ومَن منهم جاء معه من المدينة.

نعم، تفيـد بعض المصـادر التاريخيـة أنّ ولـدى عبـدالله بن جعفر: عونـاً ومحمّـداً كانـا مع أبيهما فى القـدوم الى مكّـة للقاء الإمام عليه السـلام، ثمّ التحقا بالركب الحسينى أوائل خروجه من مكّة المكرّمة، «۲» وتفيد مصادر أخرى أنّ أباهما أرسـلهما من المدينة الى مكّة بكتاب الى الامام عليه السلام، وفى مكّة إلتحقا بالإمام عليه السلام. «۳»

هـذا غايـة مـا اتّضـح لنا حول من التحق بالإمام عليه السـلام فى مكّـة المكرّمـة من بنى هاشم، أمّا من غير بنى هاشم فلا نعلم أنّ أحـداً إلتحق بالإمـام عليه السـلام فى مكّـة قادمـاً إليه من المدينـة المنوّرة سوى مـانظنّه ظنّاً بالنسـبة إلى جُنادة بن كعب بن الحرث الأنصارى الخزرجى (رض)، الذى التحق مع عائلته بالإمام عليه السـلام فى مكّة المكرّمة، ذلك لأننا لم نعثر فى التواريخ على أنّه كان من سـكنة مكّـة أو الكوفـة أو البصـرة أو حاضـرة أخرى من حواضـر العالم الإسـلامى آنذاك، وربّما كان مع عائلته من المعتمرين، أو ممّن أراد الحجّ سـنة ستين للهجرة، فالتحق بالإمام عليه السـلام فى مكّة وصـحبه إلى كربلاء، وكذلك الأمر بالنسـبة إلى عبدالرحمن بن عبدربّ الأنصارى

---

(۱) راجع: الارشاد: ۲۰۲/ محاورته عليه السلام مع مسلم فى إصراره عليه السلام على سلوك الطريق الأعظم.

(۲) راجع: الارشاد: ۲۱۹ وتأريخ الطبرى ۳: ۲۹۷

(۳) راجع: الفتوح: ۵: ۷۵ ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى ۱: ۳۱۱.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۷۶

الخزرجى (رض)، لكننا صنّفناهما مع عمّار بن حسّان الطائى (رض) تحت العنوان التالى، مع أننا نظنّ ظنّاً قوّياً أيضاً أنّ عمّار بن حسّان

الطائی (رض) کان من سکنهٔ الکوفهٔ.

۲) – الملتحقون به علیه السلام فی مکّهٔ ولم تحدّد التواریخ والتراجم أمکنهٔ إنطلاقهم

: جنادهٔ بن کعب بن الحرث الأنصاریّ الخزرجی (رض):

قال المحقّق السماوی (ره): «کان جنادهٔ ممّن صحب الحسین علیه السلام من مکّهٔ، وجاء معه هو وأهله، فلمّا کان یوم الطفّ تقدّم الی القتال فقُتل فی الحملهٔ الأولی.». «۱»

وذکرته بعض المصادر التأریخیهٔ بإسم (جنادهٔ بن الحارث الأنصاری)، «۲» کما ذکرت ابنه الذی استشهد بعده فی الطفّ بإسم (عمرو بن جنادهٔ)، أما السماویّ (ره) فقد ذکر ابنه بإسم (عمر بن جنادهٔ). «۳»

لکنّ السماوی (ره) لمّا ذکر أسماء أنصار الإمام علیه السلام الذین التحقوا بالإمام علیه السلام مع عوائلهم، ذکر جنادهٔ هذا باسم (جنادهٔ بن الحرث السلمانی). «۴»

ویری النمازی إتحاد جنادهٔ بن الحرث الأنصاری مع جنادهٔ بن کعب بن الحارث الأنصاری، ویراه غیر جنادهٔ بن الحارث السلمانی الأزدی الذی عدّه المامقانی، من أصحاب الرسول صلی الله علیه و آله وأمیرالمؤمنین علیه السلام، ولم یجد النمازی فی زیارهٔ الناحیهٔ المقدسهٔ أو فی الرجبیهٔ ذکراً لإسم جنادهٔ- خلافاً لما قال المامقانیّ «۵»-

---

(۱) إبصار العین: ۱۵۸.

(۲) مقتل الحسین علیه السلام للخوارزمی ۲: ۲۵ ومناقب آل أبی طالب ۴: ۱۰۴.

(۳) إبصار العین: ۱۵۹.

(۴) ابصار العین: ۲۲۰/ (الفائدهٔ الثالثهٔ).

(۵) قال المامقانی: «وسلّم الحجّهٔ علیه السلام علیه بقوله: السلام علی جنادهٔ بن کعب بن الحارثالأنصاری وابنه عمرو بن جنادهٔ». (تنقیح المقال ۱: ۲۳۴).

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۳۷۷

بل وجد فی الموضعین: السلام علی حیّان بن الحارث السلمانی الأزدی، «۱» وهذا هو الوارد فی متن الزیارتین بالفعل. «۲»

وروی فی بعض الکتب أنّ جُنادهٔ (رض) قُتل بین یدی الإمام علیه السلام فی الحملهٔ الأولی، «۳» کما روی فی بعض کتب المقاتل هکذا: «ثُمّ خرج من بعده- أی بعد نافع بن هلال (رض)- جنادهٔ بن الحرث الأنصاری وهو یقول:

أنا جنادهٔ، أنا ابن الحارثلستُ بخوّار ولا بناکثِ

عن بیعتی حتی یقوم وارثیمن فوق شلوٍ فی الصعید ماکثِ

فحمل ولم یزل یُقاتل حتی قُتل.

ثمّ خرج من بعده عمرو بن جنادهٔ وهو یُنشد ویقول:

أضق الخناق من ابن هند وارمهفی عقره بفوارس الأنصار

ومهاجرین مخضّبین رماحهمتحت العجاجهٔ من دم الکفّار

خضبت علی عهد النبیّ محمّدفالیوم تُخضب من دم الفجّار

واليوم تُخضب من دماء معاشرٍرفضوا القُران لنصرة الأشرار

طلبوا بثأرهم ببدرٍ وانثنوابالمرهفات وبالقنا الخطّار

واللّه ربّى لا أزال مضارباًللفاسقين بمرهف بتّار

هذا علىَّ اليوم حقٌّ واجبفى كلّ يوم تعانق وحوارِ

---

(۱) راجع: مستدركات علم الرجال ۲: ۲۳۹.

(۲) راجع: الإقبال ۳: ۷۹ وعنه البحار ۹۸: ۲۷۳.

(۳) إبصار العين: ۱۵۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۷۸

ثُمَّ حمل فقاتل حتى قُتل.». «۱»

وقال السيد المقرّم (ره): «وجاء عمرو بن جنادة الأنصارى بعد أن قُتل أبوه، وهو ابن إحدى عشرة سنة، يستأذن الحسين فأبى وقال: هذا غلامٌ قُتل ابوه فى الحملة الأولى، ولعلّ أمّه تكره ذلك. قال الغلام: إنّ أمّى أمرتنى!. فأذن له، فما اسرع أن قُتل ورمى برأسه إلى جهة الحسين عليه السلام، فأخذته أمّه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلًا قريباً منها فمات! وعادت الى المخيّم فأخذت عموداً وقيل سيفاً وأنشأت:

أنا عجوز فى النسا ضعيفهخاوية باليهٔ نحيفه

أضربكم بضربهٔ عنيفهدون بنى فاطمهٔ الشريفه

فردّها الحسين الى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين.». «۲»

ولعلّ عمرو بن جنادة هو الشاب المقصود فى الرواية التالية- لمشتركاتها الكثيرة مع الرواية السابقة- تقول هذه الرواية: «ثمّ خرج شاب قُتل أبوه فى المعركة، وكانت أمّه معه، فقالت له أمّه: أخرج يا بُنىَّ وقاتل بين يدى ابن رسول الله! فخرج، فقال الحسين عليه السلام: هذا شابٌ قُتل أبوه ولعلَّ أمّه تكره خروجه. فقال الشاب: أمّى أمرتنى بذلك!. فبرز وهو يقول:

أميرى حسينٌ ونِعم الأميرسرور فؤاد البشير النذير

علىٌّ وفاطمةٌ والداهفهل تعلمون له من نظير

له طلعةٌ مثل شمس الضحىله غرّة مثل بدرٍ منير

وقاتل حتّى قُتل، وجُزَّ رأسه ورُمى به إلى عسكر الحسين عليه السلام، فحملت أمّه رأسه وقالت: أحسنتَ يا بُنىَّ يا سرور قلبى ويا قُرّة عينى. ثُمَّ رمت برأس ابنها

---

(۱) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى ۲: ۲۵ وانظر البحار ۴۵: ۲۸ عن مناقب آل آبى طالب ۴: ۱۰۴.

(۲) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ۲۵۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۷۹

رجُلًا فقتلته، وأخذت عمود خيمة، وحملت عليهم وهى تقول:

أنا عجوزٌ سيّدى ضعيفهخاوية باليهٔ نحيفه

أضربكم بضربهٔ عنيفهدون بنى فاطمهٔ الشريفه

وضربت رجلين فقتلتهما! فأمر الحسين عليه السلام بصرفها، ودعا لها.». «۱»

: عبدالرحمن بن عبد ربّ الأنصارى الخزرجى (رض):

قال المحقّق السماوى (ره): «كان صحابياً، له ترجمة ورواية، وكان من مخلصى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. قال ابن عقدة: حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إسحق الراشدى، عن محمّد بن جعفر النميرى، عن علىّ بن الحسن العبدى، عن الأصبغ بن نباتة قال: نشد علىٌّ عليه السلام الناس فى الرحبة: من سمع النبىّ صلى الله عليه و آله قال يوم غدير خمٍّ ما قال إلّا قام ولايقوم إلّا من سمع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول. فقام بضعة عشر رجلًا فيهم أبوأيّوب الأنصارى، وأبو عمرة بن عمرو بن محصن، وأبو زينب، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبدالله بن ثابت، وحبشى بن جنادة السلولى، وعبيد بن عازب، والنعمان بن عجلان الأنصارى، وثابت بن وديعة الأنصارى، وأبو فضالة الأنصارى، وعبدالرحمن بن عبدربّ الأنصارى، فقالوا:

نشهد أنّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «ألا إنّ اللّه عزّ وجلّ وليّى، وأنا وليّ المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعلىٌّ مولاه، أللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه وابغض من أبغضه، وأعِنْ من أعانه». «۲»

وقال صاحب الحدائق: وكان علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام هو الذى علّم

---

(۱) البحار ۴۵: ۲۷- ۲۸، وانظر: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى ۲: ۲۵- ۲۶ ومناقب آل أبىطالب ۴: ۱۰۴.

(۲) إبصار العين: ۱۵۷- ۱۵۸.

عبدالرحمن هذا القرآن وربّاه. «۱»

وكان عبدالرحمن جاء مع الإمام الحسين عليه السلام فيمن جاء معه من مكّة، وقُتل بين يديه فى الحملة الأولى. «۲»

: عمّار بن حسّان الطائى (رض):

قال المامقانى (ره): «هو عمّار بن حسّان بن شريح، قال علماء السير إنّه كان من الشيعة المخلصين فى الولاء، ومن الشجعان المعروفين، صحب الحسين عليه السلام من مكّة ولازمه حتى أتى كربلاء، فلمّا شبّ القيام بوم الطفّ تقدّم واستشهد بين يديه رضوان الله عليه، ومع شرف الشهادة نال شرف تخصيصه بالسلام عليه فى زيارة الناحية المقدّسة». «۳»

وقال المحقّق السماوىّ (ره): «كان عمّار من الشيعة المخلصين فى الولاء، ومن الشجعان المعروفين، وكان أبوه حسّان ممن صحب أميرالمؤمنين عليه السلام وقاتل بين يديه فى حرب الجمل، وصفين، فقُتل بها، وكان عمّار صحب الحسين عليه السلام من مكّة ولازمه حتى قُتل بين يديه. قال السروى: قُتل فى الحملة الأولى. «۴»

وورد السلام على عمّار فى زيارة الناحية المقدّسة هكذا: «السلام على عمّار

---

(۱) راجع: الحدائق الورديّة: ۱۲۲، وانظر: تنقيح المقال ۲: ۱۴۵ ومستدركات علم الرجال ۴: ۴۰۴ وقاموس الرجال: ۶: ۱۱۹، والإصابة ۳: ۳۰۷.

(۲) إبصار العين: ۱۵۸/ وقال السماوى (ره): ومن أحفّاد عمّار: عبدالله بن أحمد بن عامر بن سليمان بن صالح بن وهب بن عمّار هذا، أحد علمائنا ورائنا وراتنا، صاحب كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، يرويها عن أبيه عن الرضا عليه السلام. (إبصار العين: ۱۹۷-

.(۱۹۸

(۳) تنقیح المقال ۲: ۳۱۷.

(۴) مناقب آل أبی طالب ۴: ۱۱۳.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۳۸۱

بن حسّان بن شریح الطائی»، «۱» وکذلک فی الزیارة الرجبیّة وقد احتمل التستری «۲» إتحاد عمار بن حسّان الطائی (رض) مع عمّار بن أبی سلامة الدالانی (رض)، لکنّ هذا الإحتمال غیر وارد، لأنّ السلام قد ورد فی زیارة الناحیة المقدسة علی کلٍّ منهما بإسمه. «۳»

۲) – الملتحقون به علیه السلام فی مکّة من أهل الکوفة:

: بُریرُ بن خُضیر الهمدانی المشرقی (رض):

کان بریر شیخاً تابعیاً ناسکاً، قارئاً للقرآن، من شیوخ القُرّاء، ومن أصحاب أمیر المومنین علیه السلام، وکان من أشراف أهل الکوفة من الهمدانیین، وقال أهل السیر: إنّه لمّا بلغه خبر الحسین علیه السلام سار من الکوفة إلی مکّة لیجتمع بالحسین علیه السلام، فجاء معه حتی استشهد.

وروی الطبریّ عن السرویّ أنّ الحرّ لمّا ضیّق علی الإمام الحسین علیه السلام جمع الإمام علیه السلام أصحابه فخطبهم بخطبته التی قال فیها «أمّا بعدُ، فإنّ الدنیا قد تغیّرت ...»، فقام إلیه جماعة من أنصاره فتکلموا وأظهروا استعدادهم وإصرارهم علی الموت دونه، وکان بریر من هؤلاء المتکلّمین حیث قام فقال: «واللّه یا ابن رسول الله لقد منّ اللّه بک علینا أن نقاتل بین یدیک، تُقطّعُ فیک أعضاؤنا، حتی یکون جدّک یوم القیامة بین أیدینا شفیعاً لنا، فلا أفلح قوم ضیّعوا ابن بنت نبیّهم، وویل لهم ماذا یلقون به الله!؟ وأُفٍّ لهم یوم ینادون بالویل والثبور فی نار جهنّم!

وقال أبو مخنف: أمر الحسین علیه السلام فی الیوم التاسع من المحرّم بفسطاط فضُرب، ثمّ أمر بمسکٍ فمیث فی جفنة عظیمة، فأطلی بالنورة، وعبدالرحمن بن

---

(۱) الإقبال ۳: ۷۹ و ۳۴۶ وعنه البحار ۴۵: ۷۲.

(۲) راجع: قاموس الرجال ۸: ۷.

(۳) راجع: الإقبال ۳: ۷۹ وعنه البحار ۴۵: ۷۲ و ۷۳.

مع الرکب الحسینی ،ج۲،ص:۳۸۲

عبد ربّه، وبریر علی باب الفسطاط تختلف مناکبهما، فازدحما أیّهما یُطلی علی أثر الحسین علیه السلام، فجعل بُریر یُهازل عبدالرحمن ویضاحکه.

فقال عبدالرحمن: دعنا، فواللّه ما هذه ساعة باطل!

فقال بُریر: والله، لقد علم قومی أنّی ما أحببت الباطل شاباً ولاکهلًا، ولکنّی والله لمستبشرٌ بما نحن لاقون، واللّه إنَّ بیننا وبین الحور العین إلّا أن نحمل علی هؤلاء فیمیلون علینا بأسیافهم، ولوددتُ أن مالوا بها الساعة! «۱»

: عابس بن أبی شبیب الشاکری (رض):

وورد إسمه فی زیارة الناحیة المقدّسة والزیارة الرجبیة هکذا: عابس بن شبیب الشاکریّ. «۲»

«كان عابس من رجال الشيعة، رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجّداً، وكانت بنو شاكر من المخلصين بولاء أميرالمؤمنين عليه السلام، وفيهم يقول عليه السلام يوم صفين: لو تمّت عدّتهم ألفاً لعُبد اللّه حقّ عبادته! وكانوا من شجعان العرب وحماتهم، وكانوا يُلقّبون فتيان الصباح.». «۳»

ولمّا كتب مسلمٌ عليه السلام إلى الإمام عليه السلام من الكوفة يطلب إليه التعجيل بالقدوم، أرسل كتابه مع عابس (رض) وصحبه شوذب مولاه (رض)، ثمّ بقيا مع الإمام عليه السلام فى مكّة، وصحباه فى مسيره الى كربلاء، واستشهدا بين يديه. وروى أبو مخنف أنه لما التحم القتال فى يوم عاشوراء، وقُتل بعض أصحاب الحسين عليه السلام جاء عابس الشاكرى ومعه شوذب.

---

(۱) راجع: إبصار العين: ۱۲۱- ۱۲۲ وتأريخ الطبرى ۳: ۳۰۷ و ۳۱۸.

(۲) راجع: الإقبال ۳: ۷۹ و ۳۴۵ والبحار: ۹۸: ۲۷۳ و ۳۴۰.

(۳) إبصار العين: ۱۲۶- ۱۲۷.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۸۳

فقال لشوذب: «يا شوذب، ما فى نفسك أن تصنع؟

قال: ما أصنع!؟ أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله حتّى أُقتل!

فقال: ذلك الظنّ بك، أمّا الآن فتقدّم بين يدى أبى عبداللّه حتّى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتّى أحتسبك أنا، فإنّه لو كان معى الساعة أحدٌ أنا أولى به منّى بك لسرّنى أن يتقدّم بين يدى حتى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغى لنا أن نطلب الأجر فيه بكلّ ما نقدر عليه، فإنه لاعمل بعد اليوم، وإنّما هو الحساب!». «۱»

ولمّا تقدّم عابس (رض) إلى الإمام عليه السلام يستأذنه فى القتال قال: «يا أبا عبداللّه، أما واللّه ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولابعيد أعزّ علىَّ ولا أحبّ إلىَّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشىء أعزّ علىَّ من نفسى ودمى لفعلته، السلام عليك يا أبا عبداللّه، أشهد أنىّ على هداك وهدى أبيك. ثمّ مشى بالسيف مصلتاً نحو القوم وبه ضربة على جبينه». «۲»

وروى أبومخنف عن ربيع بن تميم الهمدانى أنه قال: «لمّا رأيتُ عابساً مقبلًا عرفته، وكنت قد شاهدته فى المغازى والحروب وكان أشجع النّاس فصحت: أيها الناس، هذا أسدُ الأُسود! هذا ابن أبى شبيب! لايخرجنّ إليه أحدٌ منكم!. فأخذ عابس ينادى: ألا رجلٌ لرجل!؟

فقال عمر بن سعد: إرضخوه بالحجارة!، قال: فرمى بالحجارة من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره! ثمّ شدَّ على الناس، فوالله لرأيته يكردُ «۳» أكثر من مائتين من الناس! ثمّ إنّهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب فقُتل. قال: فرأيت رأسه فى

---

(۱) تأريخ الطبرى ۳: ۳۲۹.

(۲) تاريخ الطبرى ۳: ۳۲۹.

(۳) كَرَدَ القوم: أى صرفهم وردّهم/ مجمع البحرين ۳: ۱۳۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۸۴

أيدى رجال ذوى عدّة! هذا يقول أنا قتلته، وهذا يقول أنا قتلته! فأتوا عمر بن سعد فقال: لاتختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد! ففرّق بينهم.». «۱»

: شوذب بن عبداللّه الهمدانى الشاكرى (رض):

وهو مولى لشاكر، «۲» «وكان شوذب من رجال الشيعة ووجوهها، ومن الفرسان المعدودين، وكان حافظاًللحديث حاملًا له عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال صاحب الحدائق الوردية:

وكان شوذب يجلس للشيعة فيأتونه للحديث وكان متقدّماً فى الشيعة (وجهاً فيهم).». «۳»

وقد صحب شوذب عابس بن أبى شبيب الشاكرى مولاه من الكوفة إلى مكّة بعد قدوم مسلم الكوفة بكتاب لمسلم ووفادة على الحسين عليه السلام عن أهل الكوفة، وبقى معه حتى جاء إلى كربلاء، «۴» ولمّا التحم القتال حارب أوّلًا، ثم دعاه عابس، فاستخبره عمّا فى نفسه، فأجاب بحقيقتها- كما مرَّ- فتقدّم الى القتال، وقاتل قتال الأبطال، ثمّ قُتل رضوان الله تعالى عليه. «۵»

: قيس بن مسهّر الصيداوى (رض):

هو قيس بن مُسَهَّر بن خالد بن جندب ...

بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، الأسدى الصيداوى، وصيدا بطنٌ من أسد، كان قيس رجلًا شريفاً فى بنى الصيدا شجاعاً مخلصاً فى محبّة أهل البيت عليهم السلام،

---

(۱) تأريخ الطبرى ۳: ۳۲۹.

(۲) تأريخ الطبرى ۳: ۳۲۹.

(۳) راجع: إبصار العين: ۱۲۶- ۱۳۰ والحداق الوردية: ۱۲۲.

(۴) ولايصحّ هنا ما قاله النمازى فى (مستدركات علم الرجال ۴: ۲۲۱)، إنه ذهب الى مكّة- بعدخذلان مسلم- ولحق بالحسين عليه السلام حتى استشهد بين يديه، وذلك لأن الإمام عليه السلام كان آنذاك قد خرج عن مكّة، وكان فى الطريق.

(۵) راجع: إبصار العين: ۱۲۹- ۱۳۰.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۸۵

وكان رسول أهل الكوفة مع الأرحبى والسلولى الى الإمام عليه السلام فى مكّة فى الدفعة الثانية من رسائلهم إليه، وقد فصّلنا القول فى قصته وترجمته فى الفصل الأوّل. «۱»

: عبدالرحمن بن عبدالله الأرحبى (رض):

هو عبدالرحمن بن عبدالله بن الكدن بن أرحب ... وبنو أرحب بطنٌ من همدان، كان عبدالرحمن وجهاً تابعياً شجاعاً مقداماً.

قال أهل السير: أوفده أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام فى مكّة مع قيس بن مسهّر ومعهما كتب نحو من ثلاث وخمسين صحيفة .. وكانت وفادته ثانية الوفادات، فإنّ وفادة عبدالله بن سبع وعبدالله بن وال الأولى، ووفادة قيس وعبدالرحمن الثانية، ووفادة سعيد بن عبدالله الحنفى وهانى بن هانى السبعى الثالثة، وقال أبومخنف: ولمّا دعا الحسين مسلماً وسرّحه قبله إلى الكوفة سرّح معه قيساً وعبدالرحمن وعمارة بن عبيد السلولى، وكان من جملة الوفود، ثمَّ عاد عبدالرحمن إليه فكان من جملة أصحابه. «۲»

وقال المامقانى: «وهو أحد النفر الذين وجههم الحسين عليه السلام مع مسلم، فلمّا خذلوا أهل الكوفة وقُتل مسلم ردَّ عبدالرحمن هذا إلى الحسين عليه السلام من الكوفة ولازمه حتى نال شرفى الشهادة وتسليم الإمام عليه السلام فى زيارتى الناحية المقدّسة والرجبية رضوان الله عليه.». «۳»

وعلى هذا يكون لعبدالرحمن الأرحبى (رض) إلتحاقان بالإمام عليه السلام، الأوّل

(۱) راجع: الصفحات: ۶۹- ۷۳.

(۲) راجع: إبصار العين: ۱۳۱- ۱۳۲.

(۳) تنقيح المقال ۲: ۱۴۵/ ولكنّ التسترى ذكر أنه لم يقف على تاريخ رجوع عبدالرحمن الأرحبى (رض) إلى الإمام عليه السلام فى كونه قبل أو بعد قتل مسلم عليه السلام، راجع: (قاموس الرجال ۶: ۱۲۳).

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۸۶

فى مكّة، والثانى بعد خروجه عليه السلام من مكّة، لأنّ مقتل مسلم عليه السلام كان عند أوائل خروج الإمام عليه السلام منها الى العراق.

«حتى إذا كان اليوم العاشر، ورأى الحال، استأذن فى القتال، فأذن له الحسين عليه السلام، فتقدّم يضرب بسيفه فى القوم وهو يقول:

صبراً على الأسياف والأسنّه‌صبراً عليها لدخول الجنّه

ولم يزل يُقاتل حتى قُتل رضوان الله عليه.». «۱»

وقد ورد فى زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على عبدالرحمن بن عبدالله بن الكدر الأرحبى.»، «۲» أما فى الزيارة الرجبية فقد ورد السلام هكذا: «السلام على عبدالرحمن بن عبدالله الأزدى.»، «۳» والظاهر إتحادهما لأنه ليس فى شهداء الطفّ إلّا رجل واحدٌ اسمه عبدالرحمن بن عبدالله. فتأمل.

هذا وقد تفرّد الشيخ المفيد (ره) فى ذكر أنّ الذين بعثهم أهل الكوفة الى الإمام الحسين عليه السلام فى ثانى وفادة هم: قيس بن مسهّر الصيداوى، وعبدالله وعبدالرحمن ابنا شدّاد الأرحبى، (بدلًا من عبدالرحمن بن عبدالله الأرحبى)، وعمارة بن عبدالله السلولى، كما قال الشيخ المفيد (ره) إنّ الإمام عليه السلام دعا مسلماً عليه السلام فسرّحه إلى الكوفه مع هؤلاء أيضاً. «۴»

وهو خلاف ما ورد فى سائر التواريخ وخلاف الوارد فى زيارتى الناحية والرجبية.

(۱) إبصار العين: ۱۳۲.

(۲) الإقبال ۳: ۷۹.

(۳) البحار ۹۸: ۳۴۰.

(۴) راجع: الإرشاد: ۲۰۳.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۸۷

: الحجّاج بن مسروق الجعفى (رض):

وهو الحجّاج بن مسروق بن جعف بن سعد العشيرة المذحجى الجعفى، وكان الحجّاج من الشيعة، صحب أمير المؤمنين عليه السلام فى الكوفة، ولمّا خرج الحسين عليه السلام الى مكّة خرج من الكوفة الى مكّة لملاقاته، فصحبه وكان مؤذّناً له فى أوقات الصلوات، وهو الذى أرسله الإمام عليه السلام مع يزيد بن مغفل الجعفى فى منطقة قصر بنى مقاتل إلى عبيد الله بن الحرّ الجعفى يدعوانه إليه عليه السلام.

وقال ابن شهراشوب وغيره: لمّا كان اليوم العاشر من المحرّم، ووقع القتال تقدّم الحجّاج بن مسروق الجعفى الى الحسين عليه السلام واستأذنه فى القتال، فأذن له، ثمّ عاد إليه وهو مخضّب بدمائه، فأنشده:

فدتك نفسى هادياً مهديّااليوم ألقى جدّك النبيّا

ثمّ أباك ذا الندى عليّاذاك الذى نعرفه الوصيّا

فقال له الحسين عليه السلام: نعم، وأنا ألقاهما على أثرك.

فرجع يُقاتل حتّى قُتل رضى اللّه عنه. «۱»

: يزيد بن مغفل الجعفى (رض):

وهو يزيد بن مغفل بن جعف بن سعد العشيرة المذحجى الجعفى، فهو ابن عمّ الحجّاج بن مسروق (رض)، ولقد كان يزيد بن مغفل أحد الشجعان من الشيعة، ومن الشعراء المجيدين، وكان من أصحاب علىّ عليه السلام، حارب معه فى صفّين، وبعثه إلى حرب الخريّت من الخوارج، فكان على ميمنة معقل بن قيس عندما قتل الخريّت.

وروى عبدالقادر البغدادى صاحب كتاب خزانة الأدب: «۲» أنّه كان مع

---

(۱) راجع: إبصار العين: ۱۵۱- ۱۵۳.

(۲) راجع: خزانة الأدب ۲: ۱۵۸.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۸۸

الحسين عليه السلام فى مجيئه من مكّة، وأرسله مع الحجّاج الجعفى الى عبيد الله بن الحرّ الجعفى عند قصر بنى مقاتل.

وقال المرزبانى فى معجم الشعراء: كان من التابعين، وأبوه من الصحابة. «۱»

لكنّ المامقانى ذكر «أنّه أدرك النبىّ صلى الله عليه و آله، وشهد القادسية فى عهد عمر، وكان من أصحاب أمير المؤمنين يوم صفين، ثمّ بعثه فى وقعة الخوارج تحت إمارة معقل بن قيس.». «۲»

وذكر أهل المقاتل والسير أنّه لمّا التحم القتال فى اليوم العاشر إستأذن يزيد بن مغفل الحسين عليه السلام فى البراز فأذن له، فتقدّم وهو يقول:

أنا يزيد وأنا ابن مغفلِوفى يمينى نصل سيف منجل

أعلو به الهامات وسط القسطلعن الحسين الماجد المفضّل

ثمّ قاتل حتى قُتل. «۳»

إذن فمجموع الأبرار من هذه الأمّة من أهل الكوفة الذين التحقوا بالإمام عليه السلام فى مكّة- على ضوء هذه المتابعة- سبعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وقد ذكر الشيخ باقر شريف القرشى أنّ الصحابى الجليل أنس بن الحارث الكاهلى (رض)- وهو من سكنة الكوفة- قد لازم الحسين عليه السلام وصحبه من مكّة. «۴»

ولعلّ الشيخ القرشى عثر على وثيقة تأريخية تقول بذلك، أو لعلَّ هذا من سهو قلمه الشريف، لأنّ الذى عليه أهل السير أنّ أنس بن الحارث الكاهلى قد إلتحق

---

(۱) راجع: إبصار العين: ۱۵۳.

(۲) تنقيح المقال ۳: ۳۲۸.

(۳) راجع: إبصار العين: ۱۵۳- ۱۵۴.

(۴) راجع: حياة الإمام الحسين بن على عليهم السلام ۳: ۲۳۴.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۸۹

بالإمام عليه السلام بعد خروجه من مكّة (فى العراق)، «۱» أو عند نزوله كربلاء. «۲»

۳) – الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل البصرة:

اشارة

ومن أهل البصرة كوكبة تتألّف من تسعة من أبرار هذه الأمة، كانوا قد التحقوا بالإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة، وهم:

: الحجّاج بن بدر التميمى السعدى (رض):

وهو من أهل البصرة، من بنى سعد بن تميم، وكان قد حمل رسالة جوابية من يزيد بن مسعود النهشلى (ره) «۳» إلى الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة، فلمّا وصل إلى الإمام عليه السلام بقى معه حتّى قُتل بين يديه فى كربلاء. «۴»

قال صاحب الحدائق: «۵» قُتل مبارزة بعد الظهر، وقال غيره: قتل فى الحملة الأولى قبل الظهر. «۶»

: قعنب بن عمر النمرى (رض):

«كان قعنب رجلًا بصرياً، من الشيعة الذين بالبصرة، جاء مع الحجّاج السعدى إلى الحسين عليه السلام، وانضمّ إليه، وقاتل فى الطف

---

(۱) راجع: إبصار العين: ۹۹.

(۲) راجع: أُسد الغابة ۱: ۱۲۳.

(۳) ولم يكن قد حمل رسالة الى الامام عليه السلام من مسعود بن عمرو كما قال بذلك المحققالسماوى (ره) فى أوّل ترجمته للحجّاج (إبصار العين: ۲۱۲)، وقد حقّقنا ذلك فى حاشية الصفحة: ۳۶۳- ۳۶۴، فراجع.

(۴) راجع: إبصار العين: ۲۱۳- ۲۱۴.

(۵) الحدائق الورديّة: ۱۲۲.

(۶) إبصار العين: ۲۱۴.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۹۰

بين يديه حتّى قُتل. ذكره صاحب الحدائق. «۱» وله فى القائميات ذكر وسلام «۲».». «۳»

: يزيد بن ثبيط العبدى وإبناه عبدالله وعبيدالله (رض):

كان يزيد من الشيعة، ومن أصحاب أبى الأسْود الدؤلى، وكان شريفاً فى قومه، وكان ممّن حضر المؤتمر السرّى الشيعى فى بيت المرأة المؤمنة مارية بنت منقذ العبدية، التى كانت دارها مألفاً ومنتدى للشيعة فى البصرة يتحدّثون فيه ويتداولون أخبار حركة الأحداث آنذاك، وقد كان ابن زياد قد بلغه عزم الإمام الحسين عليه السلام على التوجّه الى العراق، ومكاتبة أهل الكوفة له، فأمر عمّاله أن يضعوا المراصد ويأخذوا الطريق.

وقد عزم يزيد بن ثبيط (رض) على الخروج الى الإمام عليه السلام، وكان له بنون عشرة، فدعاهم إلى الخروج معه.

وقال: أيّكم يخرج معى متقدّماً؟

فانتدب له إثنان هما: عبداللّه، وعبيد اللّه.

فقال لأصحابه فى بيت ماريهٔ: إنى قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج، فمن يخرج معى؟

فقالوا له: إنّا نخاف أصحاب ابن زياد!

---

(۱) الحدائق الورديّهٔ: ۱۲۲.

(۲) ورد السلام عليه فى زيارهٔ الناحيهٔ المقدّسهٔ «السلام على قعنب بن عمر التمرى» (الإقبال ۳: ۷۸).

(۳) إبصار العين: ۲۱۵- ۲۱۶.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۹۱

فقال: إنى واللّه أن لو قد استوت أخفافها بالجُدد «۱» لهان علىَّ طلب من طلبنى.

ثمّ خرج وإبناه، وصحبه عامر ومولاه، وسيف بن مالك، والأدهم بن أميّهٔ، وقوى فى الطريق حتى انتهى الى الحسين عليه السلام وهو بالأبطح من مكّهٔ، فاستراح فى رحله، ثم خرج الى الإمام الحسين عليه السلام الى منزله.

وبلغ الإمام عليه السلام مجيئه، فجعل يطلبه حتى جاء إلى رحله، فقيل له: قد خرج إلى منزلك. فجلس فى رحله ينتظره!

وأقبل يزيد لمّا لم يجد الإمام الحسين عليه السلام فى منزله، وسمع أنه ذهب إليه راجعاً على أثره، فلمّا رأى الإمام الحسين عليه السلام فى رحله قال: «قُل بفضل اللّه وبرحمته فبذلك فليفرحوا»، السلام عليك يا ابن رسول اللّه.

ثمّ سلّم عليه، وجلس إليه وأخبره بالذى جاء له، فدعا له الإمام الحسين عليه السلام بخير، ثمّ ضمّ رحله إلى رحله، وما زال معه حتّى قُتل بين يديه فى الطفّ مبارزهٔ، وقُتل إبناه فى الحملهٔ الأولى.

وفى رثائه ورثاء ولديه يقول ولده عامر بن يزيد:

يا فَرْو قومى فاندبى خير البريّهٔ فى القبور

وابكى الشهيد بعبرهٔ من فيض دمعٍ ذى درور

وارثِ الحسين مع التفجّع، والتأوّه، والزفير قتلوا الحرام من الأئمّهٔ فى الحرام من الشهور.

---

(۱) الجدد: صلب الأرض، وفى المثل: من سلك الجدد أَمِنَ العثار.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۹۲ وابكى يزيدَ مُجدِّلًا وابنَيْه فى حرّ الهجير

متزمّلين، دماؤهم تجرى على لُبَب النحورِ

يا لهف نفسى لم تفزمعهم بجنّاتٍ وحورِ «۱»

: الأدهم بن أميّهٔ العبدى (رض):

كان الأدهم من الشيعهٔ البصريين الذين يجتمعون فى بيت ماريهٔ بنت منقذ العبديهٔ (ره)، وكان قد عزم على الخروج إلى الإمام الحسين عليه السلام فى مكّهٔ مع يزيد بن ثبيط (رض)، فصحبه، وانضمّ إلى الركب الحسينى فى مكّهٔ، ثمّ استشهد بين يدى الإمام عليه السلام يوم عاشوراء، وقيل: قُتل فى الحملهٔ الأولى مع من قُتل من أصحاب الحسين عليه السلام. «۲»

وذهب النمازىّ إلى أنّ الأدهم بن أميّهٔ (رض) كان صحابياً. «۳»

: سيف بن مالك العبدى (رض):

كان سيف من الشيعة البصريين الذين كانوا يجتمعون فى دار مارية بنت منقذ العبدية (ره)، فخرج مع يزيد بن ثبيط (رض) فيمن خرج معه الى الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة، وانضمّ إليه وما زال معه حتى قُتل بين يديه فى كربلاء مبارزة بعد صلاة الظهر. «۴»

: عامر بن مسلم العبدىّ ومولاه سالم (رض):

كان عامر من الشيعة فى البصرة، فخرج هو ومولاه سالم مع يزيد بن ثبيط (رض) فيمن خرج معه إلى الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة، وانضمّا إلى الركب الحسينى فى جملة كوكبة الأبرار الذين أتوا مع يزيد بن ثبيط (رض)، ولم يفارقا الإمام عليه السلام حتى استشهدا

---

(۱) راجع: إبصار العين: ۱۸۹- ۱۹۰.

(۲) راجع: إبصار العين: ۱۹۲.

(۳) راجع: مستدركات علم الرجال: ۱: ۵۳۳.

(۴) راجع: إبصار العين: ۱۹۲.

مع الركب الحسينى ،ج۲،ص:۳۹۳

بين يديه فى كربلاء يوم عاشوراء، وقيل: قُتلا فى الحملة الأولى. «۱»

رضى الله عنه رضى الله عنه

هذا والحمدلله على توفيقه لانجاز هذه السطور المتواضعة من كتاب (الأيام المكية من عُمر النهضة الحسينيّة)، وأنا العبد الخاطىء، الراجى ربه، نجم الدين بن العلامة الفقيه الشيخ محمد رضا الطبسى النجفى، عفى الله عنه وعن والديه بحرمة السادة أصحاب الكساء.

الحمد لله

---

(۱) نفس المصدر: ۱۹۱.

مع الركب الحسينى ،ج۳،ص:۳

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩